مجلة المجمع العلمي العراقي



الجزءان الثالث والرابع ـ المجلد الاربعون

بغـــداد ٦٩,٧٠

١٤١٠هـ = ١٩٨٩م

مجلة المجمع العلمي العراقي

مجلة فصلية انشئت سنة ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م



توجه الرسائل والبحوث الى مدير التحرير

البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء اصحابها .

المقالات لا ترد الى اصحابها نشرت او لم تنشر .



العنوان : الوزيرية/بريد الاعظمية/ص.ب ٤٠٢٣

بغـداد ـ العراق

المعالم العمرانية في مكة المكرمة

في القرنين الاول والثاني

الدكتور صالح احمد العلي

رئيس المجمع العلمي العراقي

الحجــــون

الحجون جبل بأعلى مكة يبعد عن المسجد الحرام قرابة ميل ونصف (١) ، يشرف على مسجد الحرس الذي يقع على يمين الطريق من المدينة (٢)، وكان هذا المسجد يسمى في الأول مسجد الجن ، ثم سمى مسجد الحرس لان صاحب الحرس كان يطوف بمكة حتى اذا انتهى اليه وقف عنده ولم يجزه حتى يتوافى عرفاؤه وحرسه ، يأتونه من شعب بني عامر ومن ثنية المدنيين فاذا توافوا عنده رجع منحدرا الى مكة ، وهو فيما يقال موضع الخط الذي خط رسول الله (ص) لابن مسعود ليلة استمع اليه الجن (٣) ، ويسمى ايضا «مسجدالبيعة» (٤) وبحذاء هذ المسجد في اعلى مكة يقع مسجد الشجرة عند دار منارة (٥).

وعند الحجون ثنية المدنيين التي اصبحت بعد الاسلام مقبرة اهل مكة ،وكان أهل مكة يدفنون موتاهم في جنبتي الوادي يمنة وشمالا في الجاهلية وصدر الاسلام ثم حوّل

---

(١) ياقوت ٢/٢١٥ .

(٢) الازرقي ٢ / ١٢٩ ، ١ / ٥١ ، الفاكهي ٤/٥٥ .

(٣) الازرقي ٢/١٦٢ ، وانظر :الفاكهي ٤/٢٠ .

(٤) الازرقي ٢/١٦٢ ، ٢٢١ ، وانظر الفاكهي ٤/٥٥ .

(٥) الازرقي ٢/١٦٢ ، وانظر الفاكهي٤/٥٤ .

الناس جميعا قبورهم في الشعب الايسر . ففيه قبور اهل مكة (٦) » ويذكر الازرقي في نص اخر تفاصيل اوفى حيث يقول «كان اهل الجاهلية وفي صدر الاسلام يدفنون موتاهم في شعب ابي دب من الحجون الى شعب الصفى ، صفى السباب ، وفي الشعب اللاحق بثنية المدنيين الذي هو مقبرة اهل مكة اليوم ،ثم تمضي المقبرة مصعدة لاصقة بالجبل الى ثنية اذاخر بحايط خرمان ، وكان يدفن في المقبرة التي عند ثنية اذاخر ال اسيد بن سعيد بن العاص ،. وفيها دفن عبد الله بن عمر بن معاوية » (٧)

شعب المقبرة :

وشعب المقبرة هو الشعب الوحيد الذي يستقبل وجه الكعبة (٨) ، وخلف المقبرة جبل دجانة شارعا على الوادي ، والاحداب التي خلفه تسمى ذات اعاصير (٩) .

وعند شعب المقبرة شعب ابي دب منسوب الى رجل من بني سواءة بن عامر سكنه فسمى به (١٠) ، وكانت على فم الشعب سقيفة من حجارة بناها ابو موسى الاشعري ، نزلها حين انصرف من الحكمين (١١) ، وعند هذه السقيفة ايضا بئر ابي موسى (١٢) .

كان في شعب ابي دب الجزارون (١٣) ، وفيه ايضاً المقبرة في الجاهلية (١٤) وتمر به ثنية تسلك من حايط عوف من عنـد الماجلين اللذين فوق دار مال الله (١٥).

(٦) الازرقي ٢/١٧١ .
(٧) الازرقي ٢/١٧٠ ، الفاكهي ٤/٥٥ ، ٥٩ .
(٨) الازرقي ٢/١٦٩ .
(٩) الازرقي ٢/٢٣١ .
(١٠) الازرقي ١/٢١٩ .
(١١) الازرقي ٢/٢١٩ .
(١٢) الازرقي ٢/١٨٢ .
(١٣) الازرقي ٢/١٧٠ ، ٢١٩ .
(١٤) ياقوت ٢/٢١٥ ، ٣٢١ .
(١٥) الازرقي ١/٢١٩ .

فاما حائط عوف فان « موضعه من زقاق خشبة ودار مبارك التركي ودار جعفر بن سليمان ، وهو اليوم من حق ام جعفر ، ودار مال الله ، وموضع الماجلين ، ماجلى امير المؤمنين هارون الذي باصل المجون ، فهذا كله موضع حائط عوف الى الجبل ، وكانت له عين تسقيه ، وكان فيه النخل ، وكان له مشرع يرده الناس » (١٦) .

اما الماجلين فان الازرقي يذكر ان الرشيد « امر بعيون من عيون معاوية فعملت وأُحييت وصرفت في عين واحدة يقال لها الرشا تسكب في الماجلين اللذين احدهما لامير المؤمنين الرشيد بالمعلاة ، ثم تسكب في البركة التي عند المسجد الحرام » (١٧) .

وكان حايط عوف بن مالك في وجهه رباع الكريزيين ثم اشتراها منهم معاوية (١٨) .



كـدا :

تسمى ثنية المقبرة كداء وهي العقبة الصغرى التي باعلى مكة يهبط منها الى مقبرة مكة والابطح ، ويطلق عليها اهل مكة الحجون ، وهي الحجون الثانية (١٩) .

وثنية كدا التي يهبط منها الى ذى طوى ، وهي التي دخل منها قيس بن سعد بن عبادة يوم الفتح ، وخرج منها رسول الله (ص) الى المدينة (٢٠) .

وفي كدا شعب ارنى وهو « في الثنية في حق ال الاسود . ويشرف على شعب ارنى وكدا الجبل الابيض (٢١) الذي يشرف ايضا على فلق ابن الزبير (٢٢) وعلى حق ابي لهب وحق ابراهيم بن محمد بن خلف » (٢٣) .

(١٦) الازرقي ٢/١٨٤ .
(١٧) الازرقي ٢/١٨٦ .
(١٨) الازرقي ٢/١٩٦ .
(١٩) تعليق ناشر الازرقي ٢/٢٣١ .
(٢٠) الازرقي ٢/٢٤٠ .
(٢١) الازرقي ٢/٢٤٠ .
(٢٢) الازرقي ٢/٢٣٠ .
(٢٣) الازرقي ٢/٢١٨ .

وفي ثنية كدا خط بني عدى « على يمين الخارج من مكة الى حق الشافعيين على رأس كدا ، ولهم من الشق الايسر حق ال ابي طرفة الهذليين الذي على راس كدا ، فيه اراكه شارعة على الطريق يقال له دار الاراكة ، ومعهم في هذا الشق الايسر حقوق ليست لهم معروفة في حق ال كثير بن الصلت الكندى الى جنب دار مطيع كانت لال جحش بن رئاب الاسدي »(٢٤) .

ويشرف على كدا ايضا قرن ابى الاشعث على يمين الخارج من مكة ، وهو من الجبل الاحمر ، وقد سمى برجل من بني اسد بن خزيمة يقال له كثير بن عبد الله بن بشر (٢٥) .

وبين ثنية المقبرة ودار السرى احداب تسمى الات يحاميم في اصلها قبر ابي جعفر المنصور ، واولها القرن الذي عند ثنية المدنيين على رأس بيوت ابن ابي حسين النوفلي والذي يليه قرن مشرف على منارة الحبشى فيما بين ثنية المدنيين وفلق ابن الزبير ، وكان معاوية بن ابي سفيان سهلها ، ثم عملها عبدالملك بن مروان ، ثم بنى المهدي ضفائرها ودرجها وحددها (٢٦) .

ذى طـــوى :

يمتد بطن ذى طوى بين مهبط ثنية المقبرة وثنية الخضراء (٢٧) ويذكر ياقوت ان ذى طوى وادي مكة (٢٨) وان البعض يقول انه الابطح وهذا غير صحيح (٢٩) فان طوى من بطن الوادي وليس كل الوادي (٣٠) وفي ذى طوى سقاية سراج وعندها بئر وردان (٣١) ، وممادر بكار وبئر

---

(٢٤) الازرقي ٢/٢١٢ ، وانظر ٢/٢٤٠
(٢٥) الازرقي ٢/٢٤٠ .
(٢٦) الازرقي ٢/٢٣١ .
(٢٧) الازرقي ٢/٢٤١ .
(٢٨) ياقوت ٣/٥٥٣ .
(٢٩) ياقوت ١/٩٢ .
(٣٠) الازرقي ١/١٩ ، ياقوت ١/٧٦ .
(٣١) الازرقي ٢/١٨٢ .

بكار ، ولا بد انها هي الممدرة التي كان ينقل منها الطين الذي يبنى به اهل مكة (٣٢) ، وكان شعب اشرس يفوغ على بيوت ابن وردان (٣٣) .

وفيه ايضا بيت حمران الذي يشرف عليه جبل مسلم في طريق جدة ، وفيه ايضا قصر ابن ابي محمود وتهبط اليه ثنية (٣٥) ، ويفرغ في ذى طوى شعب المطلب وهو خلف شعب الاخنس (٣٦) .

ويفرغ في وادي طوى شعب زريق (٣٧) ، وتقع العبلاء بينه وبين الليط (٣٨) وفيها مقبرة النصارى دير المقلع على طريق بئر عنبسه (٣٩) .

يشرف على ذى طوى جبل الحصحاص (٤٠) كما يشرف ايضا على بطن مكة مما يلي بيوت احمد المخزومي. وعند الحصحاص ثنية ام الحارث وهي الثنيـة التي على يسارك اذا هبطت ذا طوى تريد فخا بين الحصحاص وطريق جدة. وبقربه المدور ، وهو متن يليه سقاية وهيب بن ميمون (٤١). وبين الحصحاص وذى طوى ثنية كانت فيه سمرة ينزلها الرسول (ص) حين يعتمر وفي حجته حين حج (٤٢) ، ثم بنت زبيدة مكان السمرة مسجدا بازاج (٤٣) .

وفي طرق الحصحاص مقبرة المهاجرين (٤٤) ، وهي قرب فخ (٤٥) .

فـخ :

فخ واد باصل الثنية البيضاء الى بلدح ، تطأه في طريق جدة على يسار

(٣٢) الازرقي ٢٤١/٢ .
(٣٣) الازرقي ٢٤٢/٢ .
(٣٤) الازرقي ٢٤٢/٢ .
(٣٥) الازرقي ٢٤٠/٢ .
(٣٦) الازرقي ٢٤٣/٢ .
(٣٧) الازرقي ٢٤٣/٢ .
(٣٨) الازرقي ٢٤٤/٢ .
(٣٩) الازرقي ٢٤١/٢ .
(٤٠) الازرقي ٢٧٤/٢ ، ياقـوت ٢٥٧/١ ، والحصحاص مقبرة المهاجرين . الفاكهي ٧٥/٤ .
(٤١) الازرقي ٢٤٢/٢ .
(٤٢) الازرقي ١٦٤/٢ .
(٤٣) الازرقي ١٦٤/٢ ، ٢٤٠ .
(٤٤) الازرقي ١٧١/٢ ، ١٧٢ .
(٤٥) الازرقي ١٧٢/٢ ، ١٤٢ .

ذى طوى وما بين الليط الى الممدرة الى ذى طوى (٤٦) ، وحده شعب بنى عبد الله بن خالد بن اسيد (٤٧) ، ويقول ياقوت ان الثنية البيضاء عقبة قرب مكة تهبطك الى فخ (٤٨) .

وفي فخ حائط ظل قائما الى زمن الازرقي ، وفيه ايضا حايط ابن الشهيد الذي يقع في جبل لقيط وهذا الجبل بأصله فخ (٥٠) .

وفيه ايضا بئر البرود ، حفرها خراش بن امية الكعبي (٥١) ، وهي عند جبل الحسين الذي قتل عنده الحسين صاحب فخ ، وفوقها الثنية البيضاء (٥٢) وهي بين فخ وبلدح (٥٣) .

وفي فخ ايضا سقاية سراج باسم مولى لبنى هاشم ، وعندها بئر وردان مولى المطلب بن ابي وداعة (٥٤) وبين فخ وطوى ثنية ام الحارث على يسار الطريق (٥٥) .

ومن المعالم في فخ الليط وبالقرب منه ظهر الممدرة (٥٦) ، تقع عنده الاقحوانة (٥٧) وفي هذه الرقعة الحزنة وهي ثنية تهبط من حق آل عروة بن مطيع ودار كثير الى الممادر وبئر بكار ، وقد سهلها يحيى ابن خالد البرمكي (٥٨) .

وفي طرق الليط المغشى الذي يمتد الى خيف الشبرق بغربه (٥٩) ، ومن المغشى تقطع الحجارة البيض التي يبنى بها ، وهي الحجارة المنقوشة البيض بمكة ، ومنه بنيت دار العباس بن محمد التي على الصيارفة (٦٠) .

---

(٤٦) الازرقي ٢/٢٤١ .
(٤٧) الازرقي ٢/٢٢٨ .
(٤٨) ياقوت ١/٩٣٦ .
(٤٩) الازرقي ٢/١٨٥ .
(٥٠) الازرقي ٢/٢٤٢ .
(٥١) الازرقي ٢/١٨٢ .
(٥٢) الازرقي ٢/٢٤٢ .
(٥٣) الازرقي ٢/٢٤٤ .
(٥٤) الازرقي ٢/١٨٢ .
(٥٥) الازرقي ٢/٢٤٢ .
(٥٦) الازرقي ٢/٢٤١ .
(٥٧) الازرقي ٢/٢٢٥ .
(٥٨) الازرقي ٢/٢٤٠ .
(٥٩) الازرقي ٢/٢٤١ .
(٦٠) الازرقي ٢/٢٤٣ .

وفي المغش والليط تقع الحزنة ، وقد اجرى فيها يحيى بن خالد بن برمك عينا وعمل عندها بستانا (٦١) .

وفي طرف الليط مما يلي المغش يقع خزروع (٦٢).

وفي طرف المغش يقع جبل قتد (٦٣) .

وبين الليط وذى طوى تقع العبلاء (٦٤) .

وبالقرب من فخ الحدث ، ويمتد بينهما مكة السدر (٦٥) ، وتقع ذات الجبلين بين مكة والسدر وفخ (٦٦) ، وعندها الجبل الاسود (٦٨) ويشرف على فخ ممايلى طريق المحدث جبل استار ، وهو ارض كانت لاهل يوسف بن الحكم الثقفي (٦٩) .

ويمتد شعب بني عبد الله مابين المحدث الى الجعرانة (٧٠) ، ومن هذا الشعب الى نخلة ثنية النفوس وهي شعب (٧١) .

وبالقرب من فخ اذاخر بينهما شعب الاخنس (٧٢) ، وقد نزل الرسول منها الى مكة عام الفتح (٧٣) وثنية اذاخر عند حائط خرمان المشرف على ابن الشهيد (٧٤) .

وفي آخر وادي فخ يقع وادي بلدح ، وهو الوادي التي يقطعه طريق جدة (٧٥) .

---

(٦١) الازرقي ٢/٢٤٠ .
(٦٢) الازرقي ٢/٢٤١ .
(٦٣) الازرقي ٢/٢٤٣ .
(٦٤) الازرقي ٢/٢٤٤ .
(٦٥) الازرقي ٢/٢٣٣ .
(٦٦) الازرقي ٢/٢٤٣ .
(٦٨) ياقوت ٣/٨٧٤ .
(٦٩) الازرقي ٢/٢٤١ .
(٧٠) الازرقي ٢/٢٣٣ .
(٧١) الازرقي ٢/٢٣٤ .
(٧٢) الازرقي ٢/٢٣٢ .
(٧٣) ياقوت ١/١٧١ .
(٧٤) الازرقي ٢/٢٤٢ .
(٧٥) الازرقي ٢/٢٤١ ، ياقوت١/٧١٤

وبين واديي فخ وبلدح تقع الثنية البيضاء وهي الثنية التي قتل فيها الحسين صاحب فخ (٧٦) .

وفي بلدح حائط من عيون معاوية ، وعين سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص وحائط سفيان والخيف الذي اسفل منه وقد اصبحت ملكيته فيما بعد لام جعفر (٧٧) .

وفي بلدح ايضا حائط ابن خرشه يفرغ فيه شعب اللبن ، وحائط الطائفي يفرغ فيه شعب ملحة الغراب وحائط ابن سعيد يفرغ عليه شعب الحروب (٧٨).

وفي بلدح ذات الحنظل وهي ثنية في مؤخر شعب الشيق الذي يقع طرف بلدح على يمين طريق جدة ،وفوق فوهته حائط وعين عملها الدورقي (٧٩) .

شعب ابن عامر :

كان شعب ابن عامر يقال له في الجاهلية المطابخ (٨٠) ، ثم اصبح يسمى في الاسلام شعب ابن عامر الذي كانت داره في الشعب (٨١) ، والشعب كله من ربعه ، من دار قيس بن مخرمة الى دار حجير ، وما وراء دار حجير الى ثنية ابي مرحب ، الى موضع نادر من الجبل كالمنحوت ، وهو قائم شبه الميل ، ويقال ان ذلك كان علما بين معاوية وبين عبد الله بن عامر ، فما وراء ذلك الى الشعب هو لعبد الله بن عامر ، وما كان في وجهه مما يلي حائط عوف بن مالك فذلك لمعاوية (٨٢) .

وفي فوهة شعب ابن عامر دار قيس بن مخرمة ، وهي لهم جاهلية (٨٣) وفي فوهته ايضا سوق ساعة الذي عنده دار الحارث ودار الحسين (٨٤)

---

(٧٦) الازرقي ٢/٢٤٢ .
(٧٧) الازرقي ٢/١٨٥ .
(٧٨) الازرقي ٢/٢٤٤ .
(٧٩) الازرقي ٢/٢٤٣ .
(٨٠) الازرقي ٢/٢٠٩ .
(٨١) الازرقي ٢/١٩٢ ، ٢٩٦ .
(٨٢) الازرقي ٢/١٩٦ .
(٨٣) الازرقي ٢/١٨٩ .
(٨٤) الازرقي ٢/٢١٩ .

وفي شعب ابن عامر ثنية عندها بئر ابن ابي السمير التي يمتد اليها جبل الخندمة الى حرف السويداء ، وهي مشرفة على اجياد الصغير وعلى شعب ابن عامر وعلى دار محمد بن سليمان في طريق منى اذا جاوزت المقبرة على يمين الذاهب الى منى (٨٥) .

وعند شعب عبد الله بن عامر يقع جبل نبهان مشرف على شعب ابي زياد وهو من حق ال عبد الله بن عامر ، ونبهان وزياد موليان لعبد الله بن عامر

ويتصل بجبل نبهان جبل زيقيا ممتدا الى حائط عوف ، وهو مسمى بمولى لال الجد بن ربيعة المخزوميين وكان اول من بنى فيه فسمي به .

ويشرف جبل الاعرج على شعب ابي زياد وشعب ابن عامر ، وهو منسوب الى الاعرج مولى ابي بكر الصديق ، كان فيه فسمي به (٨٦) .

ويشرف على شعب ابي زياد وحق ابن عامر ثنية ابي مرحب التي يهبط منها على حائط عوف يختصر من شعب ابن عامر الى المعلاة والى منى (٨٧) .

وبين شعب ابن عامر وحرف داوم رابطة يقع قرن مسقلة ، وقد سمي برجل كان يسكنه في الجاهلية (٨٨) وعنده سوق الغنم القديم (٨٩) وقد وقف عنده الرسول (ص) يوم الفتح فجاء الناس يبايعونه ، ودار رابغة مقابل دار الحمام التي في وجهها دور ابن غزوان (٩٠) .

وفي دبر قرن مسقلة دار سمرة ، وعند هذه الدار دار صفوان السفلى (٩١)

ولبني عتوارة ، من بني بكر بن عبد مناة بن كنانة ، دار عمرو بن سعيد بن العاص الاشدق من دار الطلحيين التي بالبطحاء الى شعب ابن عامر ، فذلك الربع لهم جاهلي (٩٢)

---

(٨٥) الازرقي ٢/٢٣٤ .
(٨٦) الازرقي ٢/٢١٨ — ٢١٩ .
(٨٧) الازرقي ٢/٢١٩ .
(٨٨) الازرقي ٢/٢١٨ .
(٨٩) الازرقي ٢/١٩٧ ، ٢١٨ .
(٩٠) الازرقي ٢/٢١٨ .
(٩١) الازرقي ٢/٢١٣ .
(٩٢) الازرقي ٢/١٨٩ .

شعب عبدالله بن خالد بن اسيد :

يشرف على حق ابن عامر جبل مرزام الذي يصل حق ال عبد الله بن خالد بن اسيد وعلى حق ال سعيـــد بن العاص ، واخر حق ابي لهب ، وكانت دار الله بن خالد بقرب دار سعيد بن العاص .

ان شعب بني عبد الله بن خالد بن اسيد يسمى « القنة» وهو يصب على بيوت مكتومة مولاة محمد بن سليمان .

ويقع الحضر ، وهو متن ، على يمين شعب ال عبد الله بن خالد بحذاء دار ابن هربذ وهذه الدار في زقاق يلي ربع كريز ، ويخرج الى النجارين والى المسكن الذي صار لعبد المجيد بن عبد العـــزيز والى الزقاق الذي يخرج على البطحاء عند حمام ابن عمران العطار

وتقع القعمة دون شعب بني عبد الله بن خالد على يمين الطريق ، في اسفلها حجر عظيم مستدق كهيئة القمع .

وبالقرب من شعب بني عبد الله بن خالد يقع فخ وادي مكة الاعظم .

ذكرنا ان بركة القسري كانت بفم الثقبة ، وهـذه الثقبة تصب من ثبير غيناء ، وهي بين حراء وثبير ، وهي الفج الذي فيه قصر الفضل بن الربيع طريق العراق الى بيوت ابن جريج (٩٣) وكان في الثقبة سد فجاء سيل في سنة ٢٠٨هـ فامتلأ بالماء « فلما فاض انهدم السد فجاء السيل الذي اجتمع فيه مع سيل السدرة وسيل ماقبل من منى ، فاجتمع ذلك كله ، فجاء جملة فاقتحم المسجد الحرام (٩٤)

وبالقرب من بير القسرى كانت واسط ، وقد روى الازرقي في تعريفها عدة روايات فقال واسط قرن كان اسفل من حجرة العقبة بين مأزمي منى فضرب حتى ذهب .

(٩٣) الازرقي ٢٢٧/٢ .

(٩٤) الازرقي ٢٣٧/٢ .

وقال بعض المكيين واسط الجبلان دون العقبة

وقال بعضهم تلك الناحية من بير القسرى الى العقبة يسمى واسطا

وقال بعضهم واسط القرن الذي على يسار من ذهب الى منى دون الخضراء في وجهه مما يلي طريق منى بيوت مبارك بن يزيد مولى الازرق بن عمرو وفى ظهر دار محمد بن عمر بن ابراهيم الخيبري ، فذلك الجبل يسمى واسط ، وهذا اثبت الاقوال عند جدى (٩٥) .

وقد نقل ياقوت هذا النص ونسبه الى الفاكهي واضاف « قال الحميدي ، واسط الجبل الذي يجلس عنده المساكين اذا ذهبت الى منى » . . قال الفاكهي يقال ان اول من شهده وضرب فيه قبة خالصة مولاة الخيزران (٩٦) .

وتخرج الى بئر خالد ثنية في شعب الرخم ، كان يسلكها النبي (ص) في طريقه من حراء الى ثور (٩٧) وهي على يســار الذاهب الى منى من مكة ، وقد سواها وبناها ابن علقمة والى مكة (٩٨)

وشعب الرخم بين الرباب وبين اصل ثبير غيناء (٩٩) وهو في ظهر شعب عمارة الذي فيه منازل سعيد بن اسلم (١٠٠)

ثبير :

ان ثبير غيناء الذي بقربه شعب الرخام هو احد الاثبرة ، وقد نقل ياقوت عن محمود بن عمير « الثبيران جبلان مفترقان يصب بينهما افاعية وهو واد يصب من منى ، يقال لاحدهما ثبير غيناء وللاخر ثبير الاعرج (١٠١) .

---

(٩٥) الازرقي ٢/٢٢٤ .
(٩٦) ياقوت ٤/٨٩٠ .
(٩٧) الازرقي ٢/١٦٥ .
(٩٨) الازرقي ٢/١٦٦ .
(٩٩) الازرقي ٢/٢٢٥ ، ياقــــوت٢/٧٧١ .
(١٠٠) الازرقي ٢/٢٢٧ ــ ٨ .
(١٠١) ياقوت ١/٩١٧ ، وانظر عن الاثيرة البكرى ٣٣٦ .

ويذكر ياقوت ان غيناء قنة في اصل ثبير الجبل المطل على مكة ، وهو حجر كأنه قبة (١٠٢) وكان يسمى في الجاهلية سميراً ، (١٠٣) ويقال لقلته ذات القتادة ، ويسمى ثبير غيناء ايضا جبل الزنج لان الزنوج كانوا يحتطبون منه ويلعبون فيه (١٠٤) ، وافاعيه التي تصب بين الثبيرين تقع في بطن السرر وهو مجاري المـــاء منه ماء سيل مكة ، وهو على اربعة اميال من مكة ، وكان عبد الصمد بن علي اتخذ عليه مسجدا (١٠٥) .

ومن بطن السرر سدرة خالد وهي صدر وادي مكة ، وهو بين منى ومكة ومنها ياتي سيل مكة اذا عظم ، وقد اختلف في نسبتها الى خالد بن سعيد بن العاص او الى خالد بن عبد العزيز بن عبد الله (١٠٦) ويذكر البكري « اذا كنت بين الاخشبين من منى والفخ بيمنة نحو الشرف فان هناك واديا يقال له السرر وبه سرحة » (١٠٧) ويذكر ايضا اذا كنت بين المأزمين من منى فان هناك سرحة تحتها سبعون نبيا » (١٠٨)

وافيعية عندها النصع ، وقربه السداد في طرف النخيل عملها الحجاج ، لحبس الماء والاوسط منها يدعى اثال (١٠٩)

ان سداد الحجاج التي صدرها ثبير النصع هي « ثلاثة اسدة بشعب عمرو بن عبد الله بن خالد » عملها الحجاج بن يوسف لحبس الماء ، والكبير منها

(١٠٢) ياقوت ٨٣١/٣ .
(١٠٣) الازرقي ٢٢٥/٢ ، ياقوت ١٥٠/٣ .
(١٠٤) الازرقي ٢٢٥/٢ .
(١٠٥) الازرقي ٢٢٧/٢ .
(١٠٦) الازرقي ٢٢٨/٢ ، ياقوت ٧٥/٣ .
(١٠٧) البكري ٧٣٣ .
(١٠٨) البكري ١١٧٣ .
(١٠٩) الازرقي ٢٢٨/٢ .

يدعى اثال ، وهو سد عمله الحجاج بن يوسف في صدر شعب ابن عمرو وجعله حبسا على وادي مكة ، جعل مغيضه يسكب في سدرة خالد ، وهو على يسار من اقبل من شعب عمرو .

والسدان الاخران على يمين من اقبل من شعب عمرو ، وهما يسكبان في اسفل منى بسدرة خالد ، وهي صدر وادي مكة ، ومن شقها واد يقال له الافيعية ، ويسكب فيه ايضا شعب علي بمنى ، وشعب عمارة الذي فيه منازل سعيد بن سلم ، وفي ظهره شعب الرخم ، ويسكب فيه ايضا المنحر من منى ، والجمار كلها تسكب في بكة (١١٠) .

ان شعب عمرو فيما يذكر الازرقي بمنى وفيهـا بئر عمرو بن عثمان بن عفان (١١١) اما شعب علي فان قلة ثبير تشرف عليه (١١٢) ، وهو حيال جمره العقبة وعرض طريقه ست وعشرون ذراعاً (١١٣) ، وابرز ما فيه مسجد الكبش ، وقد بنت عليه لبابه بنت علي بن عبدالله بن عباس(١١٤)

يقول المقدسي ان مسجد الكبش بقرب العقبة (١١٥) ، ويقول ياقوت انها العقبة التي بويع فيها النبي (ص) بين منى ومكة ، بينها وبين مكة نحو ميلين وعندها مسجد(١١٦) وذرع طريق العقبة من العلم الذي على الجدران الى العلم الاخر الذي بحذائه سبع وستون ذراعاً ، والطريق مفروش يمر عليها سيل منى ، وعرض الطريق الاعظم طريق القبة المدرجة ست وثلاثون ذراعاً وقد هدمت في احد سيول مكة الجارفة (١١٨) .

---

(١١٠) الازرقي ٢/٢٢٧ — ٨ .
(١١١) الازرقي ٢/١٨١ .
(١١٢) الازرقي ٢/٢٢٥ .
(١١٣) الازرقي ٢/١٥٠ .
(١١٤) ٢/١٤١ .
(١١٥) احسن التقاسيم ٧٦ ، ياقوت ٤/٦٤٢ .
(١١٦) ياقوت ٣/٤٩٢ .
(١١٧) ابن رسته ٥٥ .
(١١٨) الازرقي ١/٢٠٢ .

يقع بأصل ثبير غيناء قرن الرباب وهو عند الثنية الخضراء عند بيوت ابن لاحق مولى لال الازرق بن عمرو، مشرفة عليها ، وهي عند القصر الذي بني محمد بن خالد بن برمك اسفل من بير ميمون الحضرمي واسفل من قصر امير المؤمنين ابي جعفر (١١٩)

وعند الخضراء شعب عثمان ، وهو من طريق منى لمن سلك شعب الخوز وسيله يفرغ في أصل العير ، وفيه بئر عير (١٢٠)

الجبل الذي عند الميل على يمين الذاهب الى منى ، وجهه قصر محمد بن داوود ، ومقابله جبل يقال له العير الذي فيه قصر صالح بن العباس بن محمد باصل الدار التي كانت لخالصة (١٢١) .

والثنية الحضراء في جبل يقـال له الاقحوانة ، ويسمى ايضا ثبير النخيل وكانوا يحتطبون منه ويلعبون ، وباصله بيوت الهاشميين ، يمر سيل منى بينه وبين وادي ثبير . . وقال بعض المكيين الاقحوانة عند الليط كان مجلسا يجلس فيه من خرج من مكة يتحدثون به بالعشي ويلبسون الثياب المحمرة والموردة والمطيبة ، وكان مجلسهم من حسن ثيابهم يقال له الاقحوانة (١٢٢)

ويقول البكرى ان الأقحوانة مابين بئر ميمون الى بئر ابن هشام (١٢٣)

وتقع المفجر مابين ثنية الخضراء الى خلف دار يزيد بن منصور ، تهبط على حياض ابن هشام التي بمفضى المأزمين ، مأزمى منى ، يفضي بلك على بير نافع بن علقمة وبيوته حتى تخرج على ثور (١٢٤) وفي المفجر شعب حوا (١٢٥) .

---

(١١٩) الازرقي ٢/٢٢٥ .
(١٢٠) الازرقي ٢/٢٢٣ .
(١٢١) الازرقي ٢/٢٢٣ .
(١٢٢) الازرقي ٢/٢٢٦ .
(١٢٣) البكرى ١٧٩ .
(١٢٤) الازرقي ٢/٢٢٣ ــ ٢٢٤ .
(١٢٥) الازرقي ٢/٢٠٢ .

وشعب الخوز الذي يقع بين شعب عثمان والخضراء ، ويقال له خيف بني المصطلق ، وهو مابين الثنية التي بين شعب الخوز بأصلها بيوت سعيد ابن صيفي ، الى الثنية التي تهبط على شعب عمرو الذي فيه بير ابن ابي سمير ، وسمى بهذا الاسم لان قوما من موالي عبد الرحمن بن نافع الخزاعي كانوا اول من بنى فيه وكانوا يسكنونه ، وكانت لهم دقة نظر في التجارة وتشدد في الاموال والضبط فسموا الخوز (١٢٦)

وفي فم شعب الخوز كانت دار محمد بن سليمان بن علي،ودار لبابة بنت علي،ودار ابن قثم،ثم صار في موضعها حائط ورش ، وكان فيه النخل وكانت له عين ومشرع يرده الناس ، وكان فيه النخل والزرع على طريق منى .

وتهبط من شعب الخوز ثنية بقربها شعب عمرو بن عثمان ، وقد اصبح يسمى خيما بعد شعب النوبة ، وتهبط عليه ثنية في اخر شعب بني كنانة وفي وجهه دار محمد بن سليمان بن علي (١٢٧)

تقع في المفجر بطحاء قريش (١٢٨) ويذكر ياقوت ان « الابطح يضاف الى مكة والى منى لان المسافة بينهما واحدة ، وربما كان الى منى اقرب ، وهو المحصب ، وهو خيف بني كنانة (١٢٩) وحده مابين شعب عمرو الى ثنيه بني كنانة » (١٣٠)

يقول الحازمي ان خيف بني كنانة بمنى نزله النبي (ص) (١٣١) يقول البكرى ان مسجد الخيف وهو خيف بني كنانة (١٣٢) ، ويقول القاضي عياض ان خيف بني كنانة هو المحصب (١٣٣)

(١٢٦) الازرقي ٢/٢٢٣ .
(١٢٧) الازرقي ٢/١٨٤ .
(١٢٨) الازرقي ٢/٢٢٤ .
(١٢٩) ياقوت ١/٩٢ ، ٤/٤٢٦ .
(١٣٠) ياقوت ٤/٤٢٦ .
(١٣١) ياقوت ٢/١١٧ .
(١٣٢) البكرى ٥٢٦ .
(١٣٣) ياقوت ٢/١٨ .

ويقال لخيف بني كنانة شعب الصفى (٣٤) ويقال له صفي السباب وهو مابين الراحة : الجبل الذي يشرف على دار الوادي عليه المنارة وبين نزاعة الشوى ، وهو الجبل الذي عليه بيوت ابن فطر ثم صارت لعبيد الله بن عبد الله بن العباس (١٣٥ وقد سمى «الراحة» لان قريشا كانت تخرج اليه في الصيف وتبيت فيه وتستريح (١٣٦) ويذكر البكرى ان صفى السباب كان يسمى احجار المراء (١٣٧ وكان في شعب الصفي حائط (بستان) لمعاوية ، يقال له حائط الصفى من اموال معاوية التي كان اتخذها في الحرم (١٣٨) وموضع هذا الحائط من دار زينب بنت سليمان التي صارت لعمرو بن مسعدة والدار التي فوقها الى دار العباس بن محمد التي باصل نزاعة الشوى ، وكانت له عين ، وكان له مشرع يرده الناس (١٣٩)

وصفى السباب مابين دار سعيد الحرشي التي بناها الى بيوت ابي القاسم بن عبدالواحد التي باصلها المسجد الذي صُلّيَ على امير المؤمنين المنصور عنده وكان به نخل وحائط لمعاوية ويعرف بحائط خرمان » (١٤٠)

ينقل رشدي ملحس في تعليقه على المحصب انه « مسيل بين مكة ومنى ، وحده من جهة منى جبل العيرة بقرب السبيل الذي يقال له سبيل الست في طريق منى على ماذكر الناس »و(١٤١) ، ويذكر في تعليقه على بئر ميمون انها في سبيل الست (١٤٢)

---

(١٣٤) الازرقي ٢٢٣/٢ .
(١٣٥) الازرقي ٢٢٣/٢ .
(١٣٦) الازرقي ٢٢١/٢ .
(١٣٧) البكرى ١١٧ .
(١٣٨) الازرقي ٢٢٢/٢ ، وانظر ٢٢٣/٢ ــ ٤ .
(١٣٩) الازرقي ١٨٤/٢ .
(١٤٠) ياقوت ٤٠٤/٣ عن الزبير بن بكار .
(١٤١) الازرقي ١٢٩/٢ ، ٢٢٣ .
(١٤٢) الازرقي ١٧٩/٢ (تعليق مقتبس من الفاسي) .

ويذكر الفاسي « وحد المحصب من الميمون مصعدا في الشق الايسر وانت ذاهب الى منى ، الى حايط خرمان مرتفعا عن بطن الوادي ، فذلك كله المحصب » (١٤٣) .

يمتد حائط خرمان من ثنية اذاخر الى بيوت جعفر العلقمي وبيوت ابن ابي الرزام ، وماجله قائم اليوم ، وكان فيه النخل والزرع حيناً من الدهر ، وكانت له عين ومشرع يرده الناس (١٤٤) .

وفوق حائط خرمان شعب ابى قنفذ وهو الشعب الذي فيه دار ابى خلف بن عبد ربه بن السائب مستقبل قصر محمد بن سليمان ، وكان يسمى شعب الأثام . . وهو الشعب الذي على يسارك وانت ذاهب الى منى من مكة ، وفيه اليوم دار الخلفيين من بني مخزوم ، وفي هذا الشعب مسجد مبني يقال ان النبي (ص) نزل فيه ، ثم صار ينزله في الموسم الحضارم (١٤٥)

وكان « غراب القرك الذي عليه بيوت خالد بن عكرمة بين حائط خرمان وبين شعب ال قنفذ مسكن ابن ابي الرزام ومسكن ابي جعفر العلقمي بطرف حائط خرمان » (١٤٦) وهو بمؤخر شعب الاخنس بن شريق الى اذاخر (١٤٧) وخلف شعب الاخنس يقع شعب المطلب الذي يفرع في بطن طوى وسمى باسم المعلى بن السائب بن ابي وداعة

(١٤٣) الازرقي ١٢٩/٢ (في الهامش) .
(١٤٤) الازرقي ١٨٥/٢ .
(١٤٥) الازرقي ٢٣١/٢ .
(١٤٦) الازرقي ٢٣٢/٢ .
(١٤٧) الازرقي ٢٤٣/٢ .

مسجد الخيف

لم يرد في المنطقة الواقعة عند الميل الخامس من المعالم سوى قرن الثعالب الذي كان الميل الخامس وراءه بمائة ذراع (١) ، وبينه وبين مسجد منى ١٥٣٠ ذراعا (٢) وهو في قول الفاكهي جبل مشرف على اسفل منى .

اما الميل الرابع فكان عند الجمرة الثالثة التي تلي مسجد الخيف ، تبعد عن الميل خمسة عشر ذراعا (٣)

والجمرات الثلاث هي الاولى والوسطى والثالثة ؛ وصف الازرقي ماكان فيها قبل الاسلام اذ قال « وكان عمرو بن لحي قد نصب في هذه المنطقة سبعة اصنام : .

نصب صنماً على القرين الذي بين مسجد منى والجمرة الاولى على بعض الطريق



ونصب على الجمرة الاولى صنما

وعلى المدعى صنما

وعلى الجمرة الوسطى صنما

ونصب على شفير الوادي صنما

وفوق الجمرة العظمى صنما

وعلى الجمرة العظمى صنما (٤)

ويدل سياق كلامه ان وصفه قائم على تسلسل مواقعها ، وان الجمرة الاولى كانت ادنى الى منى ، وان الجمرة العظمى هي الثالثة ، وهي الابعد عن منى ، وتلي مسجد الخيف وذكر من معالم هذه المنطقة القرين ، والجمرة الاولى المدعي ، وشفير الوادي ، والجمرة العظمى ، ولكنه لم يذكر الابعاد بين هذه المعالم .

(١) الازرقي ٢/١٥٣ .
(٢) الازرقي ٢/١٤٩ .
(٣) الازرقي ٢/٥٣ .
(٤) الازرقي ١/١٤٢ .

ذكر الازرقي الجمرة الاولى والثانية وجمرة العقبة(٥) ، كما ذكر الجمرة الاولى والجمرة السفلى والقرين (٦)

وذكر ايضا ان الجمرة الثالثة تلي مسجد منى ، وان الثانية (الوسطى) تبعد عنها ثلاثمائة ذراع وخمس اذرع ، وان الجمرة الاولى وهي جمره العقبة تبعد عن الجمرة الوسطى ٤٨٧ ٢/٣ ذراع ، وهي تبعد عن وادي محسر سبعمائة وعشرين ذراعا (٨) . فتكون الجمرة الاولى هي الجمره العقبة، وهي أدنى الى المزدلفة ، وتبعد عن المسجد منى ٧٩٢ ٢/٣ ذراعا ، فهي قريبة من وادي محسر ، وتقع في منتصف المسافة بين هذا الوادي وقرن الثعالب .

وابرز ما في هذه المنطقة هو مسجد الخيف ، وسمى بذلك لأنه يقع في خيف الجبل اي في سفحه الذي ينأى عن غلاظ الجبل ويرتفع عن مسيل الماء (٨)، وكان مسجد الخيف يقع في اصل جبل الصابح ، ويقابله عن يساره جبل القابل (٩) وعنده اجتمعت قريش وتحالفت على الرسول (ص) ، وكان هذا المسجد يسمى ايضا مسجد العيشومة ، وفيه عيشومة ابدا خضراء في الجدب والخصب بين حجرين من القبلة ، فتلك العيشومة قديمة لم تزل ثمة ، وكان الرسول (ص) قد صلى عنده امام المنارة ، وكانت الانصار تصلي عندها (١٠)

وصف الازرقي ابواب مسجد الخيف وذرعها ، فقال ان فيه عشرين بابا منها في الجدر الذي يلي الطريق تسعة ابواب شارعة في الرحبة على السوق . . ومنها في الجدر الذي يلي عرفات خمسة ، ومنها على الجدر الذي يلي

(٥) الازرقي ١٤٢/٢ .
(٦) الازرقي ١٤٤/٢ .
(٧) الازرقي ٥١٠/٢ .
(٨) لسان العرب ٤٥٢/١٠ ، ياقوت٥٠٨/٢ .
(٩) ياقوت ٤٥٩/٣ ، ٥/٤ .
(١٠) الازرقي ١٤٠/٢ — ١٤١ .

الجبل اربعة ابواب . . وفي قبلة المسجد بابان في دار الاماره ، كما ذكر ان في قبلة المسجد مما يلي دار الامارة ثلاث ظلال وفي شقه الذي يلي الطريق ظلة واحده ، وفي شقه الذي يلي اسفل منى ظلة واحدة ، وفي شقه الذي يلي الجبل ظلة (١١)

وهذا يدل على ان جدار عرفات في جهته الشمالية ، والجدار الذي في القبله كان في الجهة الجنوبية عند دار الامارة ، اما الجدار الذي يلي الجبل فلعله واقع في الجهة الشرقية ، والذي يلي الطريق يقع في الجهة الغربية ،وقد ميز الازرقي هذا المسجد عن مسجد منى الذي وصف ابعاده الداخلية ولم يذكر ابوابه .

ذكر الازرقي ان سيلا في زمن خلافة المتوكل « حمل مسجد رسول الله (ص) وابراهيم نبي الله المعروف بمسجد الخيف ، فهدم سقوفه وعامة جدرانه وذهب بما فيه من الحصباء فأعراه ،وهدم من دار الامارة بمنى ومافيها من الحر ، وهدم العقبة المعروفة بجمرة العقبة وبركة الياقوتة وبرك المأزمين » ، وان المتوكل اعاد ترميمها وبناءها (١٢)

ومن ابرز معالم هذه المنطقة هي العقبة، وقد اشتهرت باجتماع الرسول (ص) فيها بوفد الانصار الذين بايعوه عندها ، وكانت بيعه العقبة ممهدا لهجرته الى المدينة .

والعقبة من المعالم التي تحد اعمال الحاج ، فيروى مالك بن انس ان عمربن الخطاب قال لايبيتن احد من الحاج ليالي من منى وراء العقبة (١٣) .

والعقبة تبعد عن وادي محسر سبعمائة وعشرين ذراعا (١٤) ،ويذكر مالك ان عمر بن الخطاب كان يقف عند الجمرتين الاوليين ولا يقصر عند جمره العقبة (١٥)

(١١) الازرقي ٢/١٤٩ ، وانظر ابن رسته ٥٥ .
(١٢) الازرقي ٢٠٢/٩١ .
(١٣) الموطأ ٢٨٣/١ .
(١٤) الازرقي ٢/١٥٠ .
(١٥) الموطأ ٢٨٤/١ .

يذكر الازرقي ان جمره العقبة هي اول الجمار مما يلي مكة ، وان بينها وبين الجمــرة الوسطى ٤٨٧ ٢/٣ ذراعا ، وان الجمــرة الثالثة في مسجد منى وتبعد عن الجمرة الوسطى ٣٠٥ ذراعا (١٦) ، ويذكر الاصطخرى ان جمرة العقبة الى اخر منى مما يلي مكة ، ويذكر ان الجمرة الاولى والوسطى هما جميعا فوق مسجد الخيف الى ما يلي مكة ويذكر ابن جبير ان جمرة العقبة هي اول منى للمتوجه من مكة وعن يسار المار اليها وهي قارعه الطريق (١٧)

ويذكر الازرقي ان من مسجد منى الذي يلي عرفات الى وسط حياض الياقوتة ٣٧٥٣ ذراعا ، ومن وسط حياض الياقوتة الى حد محسر ٢٠٠٠ ذراع (١٨) ، اي ان حياض الياقوتة قريبة من الميل الرابع ؛ولم اجد في مصدر اخر ذكراً لحياض الياقوتة .

منــى :

منى شعب على طريق عرفة من مكة ، بينه وبين مكة ثلاثة اميال (١٩) اي فرسخ (٢٠) وطول الشعب نحو ميلين ، وعرضه يسير (٢١) ، وهو يتفرع الى شعبتين تقع في الايمن منه الازقة والمسجد (٢٢) ، وهذا الشعب عن يسار (جنوب) المقبل من عرفة والمزدلفة (٢٣) .

وكانت منى تسمى المنازل (٢٤) ويتم فيها النحر بعد حج عرفة ، وكلها منحر(٢٥) ويسمى مجمع الناس من منى « الجباجب » (٢٦) ويسمى الجبلان فيها الاخشبان (٢٧) .

(١٦) المسالك ١٦ .
(١٧) رحله ابن جبير ١٣٩ .
(١٨) الازرقي ١٤٩/٢ .
(١٩) الاصطخرى ١٦ .
(٢٠) المقدسي ٧٦ ، ياقوت ٦٤٢/٤ .
(٢١) الاصطخرى ١٦ ، المقدسي ٧٦ .
(٢٢) المقدسي ٧٦ ، ياقوت ٦٤٢/٤ .
(٢٣) ياقوت ٨٠٢/٤ .
(٢٤) البكرى ٢٧٤ .
(٢٥) الام للشــافعي ٩٧/٢ ، البكرى٣٩٣ .
(٢٦) ياقوت ١٠٤/٢ (عن نصر) .
(٢٧) ياقوت ١٥٨/١ ، ١٦٣ .

يقول الاصطخرى ان منى بها ابنية كثيرة لاهل كل بلد من بلدان الاسلام ، وتعمر ايام الموسم وتخلو بقية السنة الا ممن يحفظها (٢٨) ويقول المقدسي انه عـــد من يسكنها وسط السنة فكانوا ثلاثة وعشرين رجلا ، ويقول ايضا انها تبدو مدينتين ، الاولى بقرب مسجد الخيف ، والوسطى بينهما وان فيها أزقة ، والمسجد في الشارع الايمن ، وان فيها آباراً ومصانع * وقياسر وحوانيت حسنة البناء بالحجارة وخشب الساج ، والجبلان يطلان عليها (٢٩)

وتنتعش منى ايام الحج حيث يكرى اهلها البيوت للحجاج ، وقد أمر عمر بن عبد العزيز بتسوية منى ، غير ان الناس جعلوا يدسّون للوالى الكراء سرا ويسكنون (٣٠) .

وكان في منى منزل لابي بكر الصديق ، ثم هدم وبنى على صخرة المنارة (٣١) ويقع مسجد الخيف في اقل من الوسط مما يلي مكة (٣٢)

ومن ابرز ما في شعب منى هو المأزمان والعرض بينهما خمسون ذراعا (١) وعنده موضع الميل الثالث بين المسجد الحرام وعرفة (٣٤)

وبين مأزمي منى بئر لخالد بن عبيد الله القسرى يقال لها القسرية (٣٥) هي بركة عظيمة في الحرم باصل ثبير (٣٦) ، وقد قال الازرقي عنها « كتب سليمان بن عبد الملك بن مروان الى خالد بن عبد الله القسرى (واليه على مكة) ان اجر لي عينا تخرج من الثقب من مائها العذب الزلال حتى تظهر بين زمزم والركن الاســود ويضاهي بهــا ماء زمزم ، فعمل خالد بن عبد الله القسرى البركة التي بفم الثقبة ، يقال لهابركة القسرى ، ويقال لهــا ايضا بركة

(٢٨) المسالك ١٦ . * المصانع : حياض الماء تتخذ من الصخر .
(٢٩) احسن التقاسيم ٧٦ . (٣٢) الاصطخرى ١٦ .
(٣٠) الازرقي ١/٦٤ ، ١٢٧ ، ١٤٠،٩٢ (٣٣) الازرقي ٢/١٥٢ .
(٣١) الازرقي ٢/١٤٠ .
(٣٤) الازرقي ٢/١٥٣ ، ابن رستة ٥٦، البكرى ١١٧٣ .
(٣٥) الازرقي ٢/١٦٥ . (٣٦) الازرقي ٢/١١٣ .

البردى ببير ميمون ، وهي قائمة الى اليوم باصل ثبير ، فعملها بحجارة منقوشة طوال ، احكمها وانبط ماءها في ذلك الموضع، ثم شق لها عينا تسكب فيها من الثقبة وبني سد الثقبة واحكمه ، والثقبة شعب يفرغ فيه وجه ثبير ، ثم شق من هذه البركة عينا تجرى على المسجد الحرام ، فاجراها في قصب من رصاص حتى أظهرها في فوارة تسكب في فسقية من رخام بين زمزم والركن والمقام . . ثم تفرغ تلك الفسقية في سرب من رصاص يخرج الى وضوء كان عند باب المسجد ، باب الصفا ، في بركة كانت في السوق . . فلم تزل تلك البركة على حالها حتى قدم داوود بن علي بن عبد الله بن عباس مكة حيث افضت الخلافة الى بني هاشم ، فكان اول ما احدث بمكة هدمها ، ورفع الفسقية وكسرها وصرف العين الى بركة كانت بباب المسجد (٣٧) .

وذكر الفاكهي ان ذلك السرب الرصاص بقي مع حاله « حتى قدم بشر الخادم مولى امير المؤمنين (المنصور) في سنة ١٥٦ فعمل القبة التي الى جانب بيت الشراب ، واخرج قصب خالد هذه التي من الرصاص التي كان عملها سليمان بن عبد الملك فاصلحه وجعله في سرب الفوارة التي يخرج الماء منها من حياض زمزم تصب في هذه البركة التي بباب المسجد (٣٨) كانت حجارة البركة طوالا نقلها المهدي فيما بعد (٣٩)

المزدلفـــة :

تقع عند الميل الثامن المزدلفة وهي المشعر الحرام الذي ذكره القرآن الكريم « فاذكروا الله عند المشعر الحرام » (٤٠) وتسمى ايضا جمع لاجتماع الناس بها للجمـع بين صلاتي المغرب والعشاء فيها (٤١) وكان يجتمع

(٣٧) الازرقي ٢/٨٥ ـ ٦ ، وقد اشاراليها الطبرى في حوادث سنة ٨٩ .
(٣٨) الفاكهي .
(٣٩) الازرقي ٢/٦٢ .
(٤٠) ياقوت ٤/٥٤٠ .
(٤١) ابن رسته : الاعلاق النفيسة ٢٥، ابن حوقل ١/٣٠ ، البكرى ١٩٢ ، ياقوت ٢/١١٨ .

فيها قبل الاسلام كافة العشائر التي تحج من الحلة والحمس (٤٢) ، وهي تبعد عن منى ميلين ونصف ميل وعن عرفة اربعة اميال(٤٣) ويبعد مسجدها من مسجد مني ميلين (٤٤) ، والمزدلفة بسيط من الارض فسيح بين جبلين وحوله مصانع وصهاريج كانت للماء (٤٥) كما ان فيها مصلى وسقاية ومنارة وبرك عدة (٤٦) ، وهي بين المأزمين ومحسر ، وحدها اذا افضت من عرفات تريده فانت فيه حتى تبلغ القرن الاحمر دون محسر (٤٧) وهي مبيت للحاج ومجمع للصلاة اذا صدروا من عرفات وفي المزدلفة جبل ثبير النصع (٤٨) ، وهو على يسار الذاهب الى منى (٤٩) وكانوا في الجاهلية اذا ارادوا ان يدفعوا من المزدلفة يقولون « اشرق ثبير كيما نغير » ، ولا يدفعون حتى يروا الشمس عليه (٥٠)

وفي اصل ثبير صدر السدادات وهي ثلاثة اسدة بشعب عمرو بن عبد الله بن خالد عملها الحجاج لحبس الماء ، والاوسط منها يدعى اثال (٥١) ، وعند المزدلفة بركة القسرى التي يقال لها بركة البردى بفم الثقبة (٥٢)

وفي قرن من جبل ثبير يقع قزح عند الموقف (٥٣) وعند هذا القرن يقف الامام بالمزدلفة (٥٤) وعن يمين موقفه الميقدة وهي الموضع الذي كانت في الجاهلية تقف فيه قريش وتوقد النيران في الجاهلية وتجتمع في الوقوف عنده الحلة والحمس (٥٥)

---

(٤٢) الازرقي ١٥٨/٢ ، البكرى ٣٩٢ . (٤٣) ابن رسته ٥٦ .
(٤٤) الازرقي ١٥٠/٢ .
(٤٥) رحلة ابن جبير ١٥٥ (طبعةحسين نصار) .
(٤٦) احسن التقاسيم للمقدسي ٧٦ . (٤٧) ياقوت ٥١٩/٤ .
(٤٨) الازرقي ٢٢٦/٢ ، ياقوت ٩١٨/٤ .
(٤٩) الازرقي ٢٢٦/٢ .
(٥٠) الازرقي ٢٩/٢ ، ابن حوقل ٣٠/١ .
(٥١) الازرقي ٢٢٨/٢ ، ٢٢٦ . (٥٢) الازرقي ٦٢/٢ ، ياقوت ٧٨٦/٤
(٥٣) ياقوت ٥٢٠/٤ . (٥٤) ياقوت ٨٥/٤ ، الازرقي ٣٢/١ .
(٥٥) الازرقي ١٢٣/١ ، ياقوت ٨٥/٤

وكان على قرن قزح اسطوانة من حجارة مدورة تدويرها اربع وعشرون ذراعا ، وطولها في السماء اثنتا عشرة ذراعا ، فيها خمس وعشرون درجة ، وهي اكمة مرتفعة ، كان يوقد عليها النيران بالحطب ثم صار يوقد عليها في زمن خلافة هارون الرشيد بالشمع ، فلما مات هارون الرشيد صاورا يضعون عليها مصابيح يسرج فيها بفتل جلال ، فكان ضوؤها يبلغ مكانا بعيداً ، ثم صارت بعد ذلك توقد عليها مصابيح صغار وفتل رقاق ، ولهذا كانت تسمى الميقدة (٥٦) وكانت قريش تقف عند المشعر الحرام بالمزدلفة لقزح وكان العرب يقفون بعرفة (٥٧)

وعلى مسافة اربعمائة ذراع من قزح يقع مسجد المزدلفة قرب الميل الثامن ، وهو يبعد ميلين عن مسجد منى (٥٨) وكان الرسول (ص) قد نزله في حجة الوداع (٥٩) وفي قبلة مسجد المزدلفة دار الامارة التي ينزلها الائمة من الخلفاء والولاة (٦٠) .

وبالقرب من المزدلفة المراخ ، وبينه وبين المزدلفة يقع بطن غزة ويسمى ذنب السلم ، وعليه انصاب الحرم (٦١) بالقرب منه جبل عبد الله بن ابراهيم الجمحي ، وارض ابن عامر (٦٢) .

وعند المزدلفة المفجر (٦٣) وبطرفه شعب حوا » على يسارك وانت ذاهب الى المزدلفة من المفجر (٦٤) وفي ذلك الشعب البير التي يقال لها كرادم

(٥٦) الازرقي ١٥١/٢ .
(٥٧) الموطأ ٢٧٦/١ .
(٥٨) الازرقي ١٥١/٢ .
(٥٩) الازرقي ٣/٢ .
(٦٠) الازرقي ١٥/٢ .
(٦١) الازرقي ١٠٥/٢ ، ٢٣٧ .
(٦٢) الازرقي ٢٣٦/٢ ، ياقوت ٤٧٤/٤ .
(٦٣) الازرقي ١٤٦/١ . (٦٤) الازرقي ٢٢٤/٢ .

بالقرب من المزدلفة بطن محسر وهو واد،يجري بينها وبين منى(٦٥) ، وجاء في الحديث المزدلفة كلها موقف الاوادى محسر ، فقسمه الاعلى من المزدلفة والاسفل من منى (٦٦) فهو يكون الحدود الدنيا من المزدلفة التي حدودهاالعليامأزما عرفة، ولا يقفعنده الحجاج(٦٧) اذ قال الرسول(ص) المزدلفة كلها موقف وارتفعوا عنبطنمحسر، وفي جدارهالميلالسادس (٦٩) وبين الوادي ومنى يجري وادي السرر « على يمين الذاهب الى عرفة ، ومنه يأتي الماء الذي يهدد مكة بالغرق (٧٠) وعلى الفي ذراع من محسر تقع الياقوتة التي تبعد ٣٧٥٢ ذراعا عن مسجد منى (٧١)



(٦٥) احسن التقاسيم ٧٦ .
(٦٦) المسالك للاصطخرى ١٧ .
(٦٧) ياقوت ٦٦٧/١ ، ٢٢٠/٢ ، ٤٢٦/٤ ، ٥١٩ .
(٦٨) الموطأ ٢٧٥/١ .
(٦٩) الازرقي ١٥٣/٢ .
(٧٠) الازرقي ١٦٣/٢ .
(٧١) ياقوت ٧٢/٤ .

عرفـــه

تقع عرفة خارج الحرم ، يفصلهما مأزمى عرفه الواقعين في طرفها الشمالي .

وفي تحديد عرفة يذكر ابن عباس « حد عرفة من الجبل المشرف على بطن عرفة ، الى جبالها ، الى قصر آل مالك وادي عرفة» (١) ، ويعرفها الازرقى بانها » من الجبل المشرف على بطن عرفة الى جبال عرفة ، الى الوصيق ، الى ملتقى الوصيق ، الى وادي عرفة (٢) .

وفي الاطراف الجنوبية من عرفة كبكب « يشرف على عرفات من خلفها » (٣) وهو الجبل الاحمر الذي تجعله في ظهرك اذا وقفت بعرفة . .» وهو نقب لهذيل (٤) .

وعند كبكب اللبنين (٥) ، وهما جبلان يقال لهما لبن الاسفل ولبن الاعلى، وفوق ذلك جبل يقال له المبرك (٦) ، به برك فيل ابرهة عندما قدم لغزو مكة . وكانت حدود الحرم من طريق اليمن في طرف اضاءة لبن على ثنية لبن ، وهي سبعة اميال من مكة (٧) .

وفي طرف من عرفة يقع كدا الذي يقول البكرى انه جبل عرفة (٨) ، وكان خالد بن الوليد تقدم من كدا لدخول مكة عام الفتح ، وعند كدا

---

(١) الازرقي ١٥٧/٢ ، ياقـوت ٦٤٦/٣ .
(٢) الازرقي ١٥٧/٢ .
(٣) البكرى ٣٨ ، ١٣٥ ، ١١١٢ ،ياقوت ٢٣٣/٤ .
(٤) البكرى ١١١٢ ، ياقوت ٢٣٣/١
(٥) البكرى ١١٥٠ .
(٦) ياقوت ١٤٨/٤ .
(٧) الازرقي ١٠٥/٢ ، ياقـوت ٣٤٨/٤ .
(٨) البكرى ١١١٨ ، ١١٩٠ ، ابـن رسته ٥٧ .

ذات السليم (٩) ، و الوتير وهـي تمتد مـن ادام الى عرفة (١٠) والاراك (١١) ، ويسمى ايضا التنعيم ، وهو يمتد من الشمال الى الجنوب (١٢) وعلى يمنته جبل نعيم وعلى ساره جبل ناعم (١٣) وعند التنعيم القدوم التي التي بقربها مرتفع يدعى المخيم (١٤) ، واره (٢٥) ، والتنوق (١٦) ، وجبل مدرى (١٧) ومواضع تدعى الاصدار كان فيها نحل يجلب عسمها الى مكـة (١٨)

وفي عرفات الالال وهو « جبل رمـل يقوم عليه الامام ، وقيل هو جبل عرفات نفسه ، وعنده يقف الامام (١٩) .

وعند الالال النابت » وهو عند النشرة التي خلف موقف الامام ، وموقفه على ضرس من الجبل الثابت ومضرس بين احجار هناك في جبل الال على يسار الطائف ، وعن يمين الامام » (٢٠) .

ويذكر ابن عباس ان موقف النبي (ص) عشية عرفة بين الاجبل : النبعة والنبيعة والنابت وموقفه منها على النابت وهي الظراب التي تكتنف الامام ، والنابت عند النشرة التي خلف الامام ، وموقفه (ص) على ضرس بين احجار هناك في الجبل الذي يقال له الال بعرفة عن يسار طريق الطائف وعن يمين الامام ، وله يقول نابغة بني ذبيان .

بمصطحبات من لصاف وثبرة يزرن الالا سيرهن الترافع (٢١)

وقرن النابت الذي يقف عنده الامام في عرفة يبعد عشرة اذرع عن الميل الثاني عشر من مكة (٢٢) ، الامام يقف على ميل من وسط عرفة (٢٣) .

(٩) الازرقي ٢٥١/٢ .
(١٠) البكرى ١٢٦ ، ياقوت ٩٠٣/٤ .
(١١) البكرى ٣٢١ ، ١٢١٦ .
(١٢) البكرى ١٢٤ ، ياقوت ١٨٢/١ .
(١٣) البكرى ٣٢١ .
(١٤) البكرى ١١٩٨ ، ياقوت ١٨٢/١ .
(١٥) البكرى ٥٢٠ .
(١٦) ياقوت ٤١٨/٤ .
(١٧) ياقوت ٤٤٨/٤ .
(١٨) ياقوت ٢٩٨/١ عن الاصمعي .
(١٩) البكرى ١٨٥ ، ياقوت ٣٤٦/٣ .
(٢٠) الازرقي ١٥٧/٢ .
(٢١) الازرقي ١٥٧/٢ .
(٢٢) الازرقي ١٥٣/٢ .
(٢٣) ابن رسته ٥٦ .

وعلى ميل من موقف الامام في عرفة يقع « الدكان » الذي يدور حول قبلة المسجد ، يعرف مسجد ابراهيم الخليل الرحمان ، وبينه وبين جدار المسجد خمس وعشرون ذراعاً ولا بد ان هذا المسجد هو مسجد عرفة الذي وصف الازرقي ابعاده فقال ، سعة مسجد عرفة من مقدمه الى مؤخره ١٦٣ ذراعا ، ومن جانبه الايسر بين عرفة والطريق ٢١٣ ذراعا ، ويدور حول المسجد جدر ، طول جدر القبلة ثمانية اذرع في السماء واثنى عشر اصبعا ، وعطفه من الشق الايمن عشرون ذراعا وعطفه من الشق الايسر مثله ، وذرع طول الجدارين الايمن والايسر بعد العطف ثلاثة اذرع واربع اصابع (؟) (٢٤)

وذكر ايضا شرفات جدر المسجد فقال » وعلى جدرات المسجد من الشرف مايتا شرافة وثلاث شرفات ونصف ، منها على جدر القبلة اربع وستون ، وعلى العطف من جدر القبلة من الجانب الايمن ثمان ومنها في بقيته سبع وخمسون ونصف ، ومنها على مؤخر المسجد عشر في الايمن ، وفي الايسر اربع ، ويلاحظ ان مجموع الشرافات التي ذكر تفاصيلها تبلغ ١٥١ شرافة وليس ٢٠٣ شرافة ونصف .

وذكر الازرقي ايضا ان لمسجد عرفة عشرة ابواب ، منها واحد في القبلة واربعة في كل من الجدار الايمن والايسر ، وباب في مؤخر المسجد مما يلي الموقف ، وذكر ايضا ان على جدر المسجد ١٠٥ شرافات وان في مؤخر المسجد الايمن دكان مربع طوله في السماء خمسة اذرع ، وسعة اعلاه سبعة اذرع وثمان عشر اصبعا في ست اذرع وثمان عشر اصبعا يؤذن عليه يوم عرفة ، وان في المسجد محراب على دكان مرتفع يصلي عليه الامام وبعض من معه ، ويصلي بقية الناس اسفل ، وارتفاع الدكان ذراعان (٢٥) .

(٢٤) الازرقي ١/٣٢ .
(٢٥) الازرقي ٢/١٥١ – ٢ .

وهذا المسجد هو الذي ذكر الاصطخري ان الامام يجمع فيه بين صلاة الظهر والعصر ،وان بعرفة حائط بني عامر ، وهو حائط نخيل وبه عين وينسب الى عبد الله بن عامر بن كريز ،وان عرفة مابين وادي عرفة الى حائط نخيل الى ما اقبل على الصخرات التي يكون بها موقف الامام (٢٦) .

لم تذكر المصادر تطور العمران في عرفة في العهود الاسلامية الاولى سوى ما ذكر المقدسي انها « قرية بها مزارع وخصر ومباطخ ، وبها دور حسنة لاهل مكة ينزلونها يوم عرفة ، والموقف منها على صيحة عند جبل متلاصقة وثم سقايات وحياض وعلم قد بني يقف عنده الامام » (٢٧)

وعلى بعد ١٦٠٥ ذراعا ، اي ميل شمالي مسجد عرفة يكون حد الحرم، وانصاب الحرم على نمرة « وهو الجبل الذي عليه انصاب الحرم على يمينك (غربا) اذا خرجت من مازمى عرفة تريد الموقف » (٢٨) ، وكانت الحمس ، وهي عشائر قريش وبعض من والاها تقف عنده قبل الاسلام ، فلما جاء الاسلام أمرهم ان يقفوا بعرفة بحكم الاية « وافيضوا من حيث أفاض الناس(٢٩) .

وتحت جبل نمره (٦) « غار اربعة اذرع في خمسة اذرع ، ذكروا ان النبي (ص) كان ينزله يوم عرفة حتى يروح الى الموقف ، وهو منزل الائمة اليوم ـ والغار داخل في جدار دار الامارة في بيت الدار (٣٠) ويبعد الغار عن مسجد عرفة ٢٠١١ ذراعا (٣١) .

وعند نمرة الاراك وهو « من مواقف عرفة ، بعضه من جهة الشام وبعضه من جهة اليمن (٣٢) .

(٢٦) المسالك للاصطخرى ١٧ .
(٢٧) احسن التقاسيم ٧٦ ، ياقوت٣/٩٤٦ .
(٢٨) الازرقي ٢/١٥٢ ، ياقوت ٤/٨١٣ ، وانظر عن انصاب الحرم في نمرة الازرقي ١/١٢٢ .
(٢٩) الازرقي ١/١١٦ ، ١٢٢ ، ١٢٣ .
(٣٠) ياقوت ٤/٨١٣ .
(٣١) الازرقي ٢/١٥٢ .
(٣٢) ياقوت ١/١٨٢ .

وبين مازمى عرفة عن يسار المقبل من عرفة يريد المزدلفة مما يلي نمرة يقع شعب كبير يدعى « النقب» (٣٤) .

ذكر الازرقي ان الميل العاشر بين المسجد الحرام وعرفة يقع « عند سقاية ابن برمك ، وبينهما طريق ، وهو حد جبل المنظر »(٥) ، ولم اجد ذكرا لهذه السقاية ، والجبل .

يذكر الازرقي ان « موضع الميل التاسع بين مازمن عرفة ، يقع الشعب الذي يقال له شعب الميال ، الذي بال فيه رسول الله (ص) حين ذفع من عرفة يريد المزدلفة ، وهذا الميل بحيال شعب السقيا ، سقاية خالصه (٣٥) ، والمأزمين شعب بين جبلين يقضي اخره الى بطن عرفة (٣٦) .

وذكر الازرقي ايضا « ان الشعب الكبير الذي بين مازمي عرفة على اليسار المقبل من عرفة يريد المزدلفة في اقصى المازم مما يلي نمرة، وبين يدي هذا الشعب الميل ، ومن هذا الميل الى سقاية زبيدة التي في اول المزدلفة مثل الميل عندها دونها الى المزدلفة قليلاً ، وهو اقصى هذا الشعب فيه صخرة » ويذكر ايضا ان عرض المازمين ١٠٢ ذراعا و١٦ اصبعا (٣٧) .

وشعب الميال نزله الرسول في حجة الوداع فيه صلى المغرب والعشاء (٤) ، وهو « الشعب الكبير الذي بين مازمى عرفة على يسار المقبل من عرفة يريد المزدلفة مثل الميل عندها دونها الى المزدلفة قليلاً ، وهو اقصى هذه الشعب ، فيه صخرة كبيرة ، وهذا الشعب الذي من بطن المازم على يمينك وانت مقبل من عرفة بين الجبلين اذا افضيت من مضيق المازمين ، وهو اقرب واوصل بالطريق » (٣٩) .

(٣٣) ياقوت ٨٠٣/٤ .
(٣٤) ياقوت ١٥٣/٢ .
(٣٥) الازرقي ١٥٣/٢ .
(٣٦) الاصطخرى ١٧ .
(٣٧) الازرقي ١٦٠/٢ .
(٣٨) الازرقي ١٥٩/٢ .
(٣٩) الازرقي ١٦٠/٢ .

وعند هذا الشعب كان يصلي حجاج اهل الاندلس (٤٠) .

ومازمي عرفة ليسا من المزدلفة ، ولكن مفضاهما اليها (٤١) .

وفي اصل المأزمين طريق ضب ، وهو طريق مختصر من المزدلفة الى عرفة ، وهي في اصل المأزمين عن يمينك وانت ذاهب الى عرفة ، وقد ذكروا ان النبي (ص) سلكها حين غدا من منى الى عرفة (٤٢) .

وبين مأزمى عرفة ومسجد ابراهيم تقع السقيا ، وهي المسيل التي كانت فيها بئر جاهلية انطمرت ثم نثلتها خالصة مولاة الخيزران فسميت باسمها (٤٣) وفي السقيا ايضا بئر عظيمة وبستان عمهها عبد الله بن الزبير (٤٤) .

وذكر ياقوت ان المأزمين « موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة ، وهو شعب بين جبلين يفضي اخره الى بطن عرفة ، وهو ما أقبل من على الصخرة التي يكون بها موقف الامام الى طريق يفضى الى حصن . وحائط بني عامر عند عرفة ، وبه المسجد الذي يجمع فيه الامام بين الصلاتين ، الظهر والعصر ، وهو حائط بجبيل به عين تنسب الى عبد الله بن عامر بن كريزا ، وليس عرفات من الحرام ، وانما حد الحرام بين المأزمين ، فاذا اجزتهما الى المازم ، وهو الطريق الضيق بين الجبال . وقال الاصمعي المازمين في السنة مضيق بين جمع وعرفة (٤٥) .

ذكر ياقوت « قال الازهري بطن عرفة واد بحذاء عرفات ، وقال غيره بطن عرفة مسجد عرفة والمسيل كله » (٤٦) .

(٤٠) الازرقي ١٥٩/٢ .
(٤١) الازرقي ١٥٥/٢ .
(٤٢) الازرقي ١٥٦/٢ ، الام للشافعي١٧٩/٢ .
(٤٣) الازرقي ١٨٠/٢ .
(٤٤) الازرقي ٢٢٩/١ .
(٤٥) ياقوت ٣٩١/٣ ، وانظر الاصطخرى ١٧ .
(٤٦) ياقوت ٩٥٧/٣ .

وذكر البكرى « بطن عرنة هو بطن الوادي الذي فيه مسجد عرفة ، وهي مسايل يسيل فيها الماء اذا كان المطر ، يقال لها الجبال ، وهي ثلاثة اقصاها مما يلي الموقف ، امر رسول الله (ص) بالارتفاع عن تلك الجبال الى سفح جبل عرنة اي اسفله ، قال ابن المواز : حائط مسجد عرفة القبلى على حدّ عرفة ، ولو سقط ماسقط الا فيها (٤٧)

وذكر الاصطخري ان عرنة واد بين المازمين وليس من عرفة (٤٨) . وعرفة ليست من الحرام ، بينهما وبين الحرم رمية بحجر (٤٩) ، وهي وهي حد عرفة (٥٠) ولا يجتمع فيها الحاج ويروى ان الرسول (ص) قال « عرفة كلها موقف ، وارتفعوا عن بطن عرنة (٥١) . والمصلى على حافة وادي عرنة (٥٢) وفي طرف الموقف « بعرفة » يقع بئر رم التي حفرها مرة بن كعب بن لؤي (٥٣) .

وفي عرفة اضاءة النبط « كان يعمل فيها الأجر ، وانما سميت اضاءة النبط لانه كان فيها نبط بعث بهم معاوية بن ابي سفيان يعملون الاجر لدوره بمكة فسميت بهم» (٥٤) ، وحذاء هذه الاضاءة كانت ركايا قدامة بن مضعون في شقها الذي يلي ظلكة (٥٥) .

وفي عرفة ايضا المغش من طرف النبط الى خيف الشبرق (٥٦) ، « وخزرورع » بطرف الليط مما يلي المغش (٥٧) وكند » الجبل الذي بطرف المغش ، وبينه وبين المدرة تقع حاحلة (٥٨) ، والحزنة وهي « ثنية كان

---

(٤٧) البكرى ١١٩٠ .
(٤٨) الاصطخرى ١٧ .
(٤٩) البكرى ١١١٧ ، ١١٩٠ .
(٥٠) الازرقي ٢/١٥٧ .
(٥١) الموطأ ١/٢٧٥ .
(٥٢) احسن التقاسيم ٧٦ .
(٥٣) الازرقي ٢/١٧٣ .
(٥٤) الازرقي ٢/٢٣٧ .
(٥٥) الازرقي ٢/١٨١ .
(٥٦) الازرقي ٢/٢٤٢ .
(٥٧) الازرقي ٢/٢٤١ .
(٥٨) الازرقي ٢/٢٤٢ .

الذي ضرب فيها وسهلها يحي بن خالد بن برمك ، واحتفر منها الى عين اجراها في المغش والليط من فخ وعمل هنالك بستانا » (٥٩) .

وعند الليط كانت الأقحوانة « كان مجلسا يجلس فيه من خرج من مكة (٦٠) وعنده الارنبة « وهي شعب يفرغ من ذات الحنظل ومابين ثنية ام رباب الى الثنية التي بين الليط وبين شعب عمر بن عبد الله بن ابي ربيعة (٦١) وبين الليط وذى طوى تقع العبلاء (٦٢) وكانت فخ مابين الليط ظهر الممدرة ، الى الروضة اسفل مكة . (٦٣) .

وعلى الطريق بين عرفة ومكة يقع جبل ثور(٦٤) ، ويسمى ثور اطحل(٦٥) وفي هذا الجبل غار اختبأ فيه الرسول (ص) وابو بكر (٦٦) من ملاحقة قريش ، وفي ثور تقع عابدين ، وهو موضع او واد (٦٧) ، وفيه ايضاجهر القفيلة وهو سيل تمساك ماءه بعض الحجارة ، وتطؤه محجة مكة الى عرفة (٦٨) ، وفي ظهر القبلة منه جبل مريخ (٦٩) .

---

(٥٩) الازرقي ٢/٢٤٠ .
(٦٠) الازرقي ٢/٢٤٥ .
(٦١) الازرقي ٢/٢٤٣ .
(٦٢) الازرقي ٢/٢٤٤ .
(٦٣) الازرقي ٢/٢٤١ .
(٦٤) الازرقي ٢/٣٣٧ .
(٦٥) ياقوت ١/٩٢١ .
(٦٦) الازرقي ٢/٢٣٧ .
(٦٧) ياقوت ٣/٥٨٣ .
(٦٨) الازرقي ٢/٢٣٧ .
(٦٩) ياقوت ٤/٤٨٣ .

الرَّائِيُّ .. بَدِيلُ التلفزيون

الأستاذ محمد بهجة الأثري
(عضو المجمع)

التلفزيون « The Televison » في لغات الأوربيين الإلصاقية ، لفظ مؤلف من لفظين : بادئة وجذر ، وله فيها أخوات ، منها (التلغراف) « Telegraph » ، و (التلغرام) « Telegram » ، و (التلفون) « Telephone » ، و (التلسكوب) « Telescope » ، وغيرها . وقد استبدلت بهذه الألفاظ الثلاثة التي شاع استعمالها زمناً غير قصير ألفاظ عربية فصيحة ، لُوحظت عند وضعها مدلولاتُها دون بادئاتها وما أُلحق بها من جذور ، فوُضِعَ للتلغراف (البرقيّة) ، وللتلفون (الهاتف) ، وللتلسكوب (المِقْراب) .. وظلّت لفظة (التلفزيون) على حالها في الاستعمال ، ثمّ بدأت رياح التغيير تتناوح حولها في الأيام الأخيرة ، ولمّا تَنْجَلِ عنها . وهي قد نُقلت من اللغة الإنكليزية ، ولكنها نطقت وكتبت باللهجة الفرنسية (تلفزيون) ، ولم تنطق وتكتب (تلڤيزن) باللهجة الإنكليزية ، وهذا أول اضطراب حصل لها في الاستعمال العامي وشبه العامي . وأراد كاتب عربي — قبل نحو عشرين عاماً — أن يستبعدها من الكتابة والنطق ، فعرّبها (التِّلْفاز) ، فأخذ ناس إخْذَهُ فيها متابعةً ومحاكاة ، وأباها وعزف عنها الكثيرون من رادة الفصحى والتأصيل العربي ، وهو المذهب الذي يجب أن يفرض سلطانه ، إلا في بعض الضرورات . ومَرَدُّ هذا الإباء لهذا التعريب والعزوف عنه ، الى كونه لم يخرج بهذا اللفظ من عجمته وغموضه الى رحاب الفصحى التي أُدخلت فيها أخواته المذكورات وغيرها ، وبرزن فيها عربيّاتٍ فِصاحاً خِفافاً يحلو بهنّ النطق ويُسْتَلَذُّ .

واقترح كاتب آخر للتلفزيون لفظـةَ (المِرْناة) ، بِزِنَةِ (المِرآة) ، ولم أسمع لاستعمالها رِكْزاً في كتابة أو كلامْ .

وورد في هذه الأيام ، في قائمة (دائرة الإذاعة والمسرح — وزارة الثقافة والإعلام العراقية) المقدمة الى (المجمع العلمي العراقي) ، اقتراح (المِشْواف) أو (التلفاز) . و (المِشْواف) من شاف يشوف شوفاً بمعنى (رأى) ، لا تعرفه العربية الفصحى ولا أصل له فيها ، وإنما فيها : « شاف السيف يشوفه شوفاً : صقله ، ودينارٌ مَشُوف : مَجْلُوٌّ ، وشيفت الجارية تُشاف : زُيِّنَتْ . والشَّوْف : المَجَرُّ تُسَوَّى به الأرض المحروثة : وطَلْيُ الجَمَل بالقَطِران ، والمَشُوف : المَطْلِيُّ به ، والمُزَيَّن بالعُهُون وغيرها . » وفيها من غير الثلاثي هذا : « أشاف عليه : أشرف ، و— منه : خافَ . واشتاف : تطاولَ ونظر ، و— البرقَ : شامَهُ ، أي : نظر اليه أين يَقْصِد ، وأين يُمْطِر . واشتاف الجُرْحُ : غَلُظ . وتشوَّف الرجل تزَيَّنَ ، و — الى الخبر : تَطَلَّعَ ، و— من السَّطْح : تطاوَل ، ونظر ، وأشرف » . وإذا كان في بعض هذه المزيدات على الثلاثي التطاول والنظر والإشراف ، فان الاشتقاق ، اشتقاق اسم الآلة منها ، لا يكون بزنة « مِفْعال » .

والواقع أن معنى النظر والرؤية والمشاهدة ، هو الملحوظ في هذه اللفظة في أصل وضعها الأجنبي .

ونحن عند النظر في هذا الأصل كما وضعه أهله ، نجده قد ألِّفوه من كلمتين : بادئة ، ولفظ أُلصق بها ، أو ألصقت به .

فأما البادئة ، فهي « Tele » . وأما اللفظ ، فهو « vison » .

والبادئة « Tele » معناها : بعيد ، وعن بُعْد .

واللفظة الملصقة بها « vison » ذكروا لها عدة معان ، هي :

« الطّيْف ، والخيَال ، والرُّؤيا ، والتخيُّل ، والبصيرة ، والكشف « تجلّي الذات الإلهية » ، والرؤية ، وحاسة البصر ، والشيْ المرئيّ ، والشخص أو المشهد الفاتن » .

وجُلّ » هذه المعاني ، إن لم أقل كُلُّها ، تتقارب دلالاتها ، وتتوحد في معنى واحد ، هو (الشيْ المَرْئِيّ) أو (المشهد الفاتن) ، وهذا ما يبرزه هذا الجهاز المصنوع لنقل الصور والمشاهد والحركات وإراءتها مصحوبةً بالأصوات والأقوال وبالبثّ الإذاعي الكهربي من بُعْد .. يتلقّاها منه ، ويبثّها للناظرين اليه ، على نحو عجيب ورائع وفاتن يطغى سحره على سحر السّحَرَة . فهو يؤدي وظيفتين : الإراءة ، والإسماع . غيرَ أن تسميته الفِرنجيّة ، لا تشير اليهما جميعاً ، وانما تشير الى وظيفة واحدة منهما ، وهي الإراءة .

ومَرَدُّ هذا الى استحالة إيجاد لفظة واحدة لمعنيين متباينين .

ومن هنا يُلْحَظ عند تسمية الشيْ من هذا النوع جانبه الأغلب ، فيُسَمّى به ، والمصطلح في اللغات عامّةً يوضع لأدنى ملابسة له بمدلوله ، فيُتعارَف بالاستعمال مع العلم بقصوره عن حمل كل معاني المدلول وأغراضه .

وكان قد اقترح في لجنة اللغة العربية عندنا إطلاق لفظ (المَرْئِيّ) اسماً عربياً بديلاً للاسم الأعجمي (التلفزيون) .

ولوحظ عليه أنه لفظ عام لا تخصيص فيه ، يُطْلَق على كل شيْ يرى ويشاهد ، والمصطلح يشترط فيه التخصيص ، درءاً للبس بغيره ، فلا مناص إذن من وضع اللفظ المخصص لهذا الجهاز .

وقد انقدح في ذهني ، وأنا أفكّر في اللفظ المُخَصَّص له ، أن هذا التخصيص — الّذي يجب أنْ لا يخرج في حاقّ دلالته عن نطاق وظيفة هذا الجهاز الغالبة عليه — يتحقق في لفظ (الرَّئيّ) ، ليكون بديلاً للفظ (التلفزيون) ، اشتقاقاً من مادة (ر / أ / ى) ، ويجمع : رآيا ، كخفيّ وخفايا ، ورميّ ورمايا ، وسَبِيّ

وسبايا ، وعشيّ وعشايا . وهو فعيل أو فعول ، ومعناه : ما يتراءى للناظر من شيْ . وهذا هو شأن هذا الجهاز تتراءى فيه الصور والمشاهد والحركات ، ومعها الأصوات والأقوال والحوار .

وإذا رجعنا الى قديم اللغة العربية واستعمالاتها الفصيحة الأصيلة ، نَجِدُ بادية العرب قد سمت بهذا اللفظ (الرَّئيّ) ما كانت تعتقده (تابعاً) من (الجنّ) يتراءى لِـ (مَتْبُوعه) تخيُّلاً فيما نعقله نحن ، أو يقيناً عندهم أنهم كانوا يرونه ويعتادونه ويؤالفونه ، فسَمَّوْا ما هذا شأنه عندهم (رَئياً) .

وما علينا من معتقدهم هذا من شيْ ، وإنما علينا دلالة اشتقاق هذا اللفظ ، وإمكان إطلاقه على هذا الجهاز الساحر العجيب وما يتراءى فيه من الصور والمشاهد والحركات ، فيطلق عليه ، ويُسَمّى به اسماً عربياً ناصّاً على حاقّ وظيفته ، فيقال له :

(الرَّئِيُّ)

ويُتعارَف عليه بديلا (للتلفزيون) ، كما أطلق (الهاتف) ، و (البرقية) ، و (المِقْراب) على (التلفون) و (التلغراف) و (التلسكوب) ، وغيرها كثير عُزِّزت به العربية .

ويقال لِلإذاعة التي تنقل الصور والمشاهد والحركات الى هذا الجهاز : (الإذاعة الرَّئِيّة) ، أو (الإذاعة المرئيّة) . وتطرح (الإذاعة التلفزيونية) جانباً .

هذا ، وفي هذا اللفظ العربي الخفيف على اللسان والمُسْتَلَذّ في النطق ، تتحقق خصائص ليست بموجودة في لفظ (التلفزيون) ، وهي :

أ ــ قلة أَحْرُفِه ، فانها ثلاثة ، وهي في (تلفزيون) سبعة أحرف .

ب ــ خفة نطقه ، وليس في (تلفزيون) مثلها .

ج — ظهور معناه ودلالته ، بخلافه في لفظ (تلفزيون) .

د — إغناءُ العربية الحديثة به .

هـ — استجابة مادّته للتعبير عن متعلّقاته في الاستعمال الفني ، ومن ذلك :

الإراءة ، فيقال : أَرَيْتُهُ إيّاهُ إراءة .

والتّرْئية ، وفعلُها رَأّى ، بتشديد الهمزة ، فيقال : رَأّيْتُهُ الشيءَ تَرْئِيَةً ، أي : عرضته عليه ، أو حبسته له ينظر فيه كما ينظر نفسه في المِرْآة .

والتّرائي ، وهو تكلُّف النظر الى الشيْ : هل تراه أو لا . ويقال منه : تَراءَى لي ، وتَراءّى بتضعيف الهمزة : تَصَدّى لأراه .

والاسْتِرْءاء ، وهو استدعاء رؤية الشيْ .

ورَجُلٌ رَأّآء ، بتشديد الهمزة والمدّ ، كثير الرُّؤْية ، والأمر منه : إرْأَ كذا ، كما تقول : إرْعَ كذا .

والمَرْآة ، بفتح الميم : مَفْعَلَةٌ ، المنظر الحسن ، ومنه المثل : « تُخْبِرُ عن مجهولِهِ مَرْآته » ، أي : ظاهره يدل على باطنه .

والرُّؤاء ، بالضم : حسن المنظر في البهاء والجمال .

والرِّئْيُ ، بكسر الراء وسكون الهمزة : المنظر ، وما يرى منه .

والتّمَرْئي : أن ينظر الإنسان وجهه في المِرْآة ، تَمَفْعُلٌ من الرؤية .

وغير هذا في مادة (ر / أ / ى) ألفاظ أخرى قد يحتاج الى استعمالها من متعلّقات (الرّئي) و (الإذاعة الرّئيّة) أو (الإذاعة المرئية) .



الشعرية

الدكتور احمد مطلوب

عضو المجمع

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

كان كتاب « أبوطيقا » أي : الشعر لأرسطو قد نقله بشر بن متى من السرياني الى العربي[١] ، وهو أول « كتاب خصص بكامله لنظرية الأدب » والوقوف على خصائص « أنماط الخطاب الأدبي »[٢] . ولم يطلق عليه العرب اسم « الشعرية » وانما سموه « أبوطيقا » أو « الشعر » واشتهر بالاسم الأخير ولخصه الفلاسفة المسلمون ، ووجد طريقه الى كتبهم ، وبعض كتب البلاغة والنقد العربية .

والشعرية من الألفاظ التي حاول الشكلانيون الروس بعثها[٣] ، ولم يعرفها العرب القدماء بمعناها الحديث ، وإنما ترددت عندهم ألفاظ مثل «الشاعرية» و «شعر شاعر» و «القول الشعري» و «القول غير الشعري »[٤] و « الأقاويل الشعرية »[٥] .

---

(١) ينظر فهرست ابن النديم ص ٣١٠ .

(٢) الشعرية ص ١٢ ، ٢٤ .

(٣) الشعرية ص ٢٤ .

(٤) القول الشعري : هو القول المخيل المؤلف من أقوال موزونة متساوية وعند العرب مقفاة . ويراد به الشعر ، وخلافه « القول غير الشعري » أي : النثر . (ينظر المنزع البديع ص ٤٠٦ ـ ٤٠٨) .

(٥) ينظر محصول الأقاويل الشعرية في منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص ١٢٠ ، ومفهوم الشعر عند القرطاجني في كتاب دراسات بلاغية ونقدية ص ٣٤٦ .

ومادة « شعر » في اللغـة العربية تـدل على العلم والفطنة ، يقال : « شعر به » أي : علم ، و « أشعره الأمر » و « أشعره به » : أعلمه إياه ، و « شعر به » : عقلـه . وتطلق على الكلام المخصوص بالوزن والقافيـة ، يقال : « شعر الرجل » أي : قال الشعر .

والشعر : منظوم القول ، وقائله « الشاعر » ، وسمي شاعراً لفطنته ، و « شعر شاعر » جيد ، أريد بهذه العبارة المبالغة والاشادة [٦] .

والشعريـة مصدر صناعي وضع للدلالـة على اللفظة الفرنسـية Poétique أو اللفظة الانكليزية Poetic ، وينحصر معناهـا في اتجاهين :

الأول : فـن الشعر وأصوله التي تتبع للوصول الى شعر يـدل على شاعرية ذات تميز وحضور . ومما قيل فيها :

انها تسعى الى « معرفة القوانين العامة التي تنظم ولادة كل عمل » وهي « تبحث هذه القوانين داخل الأدب ذاته »[٧] .

وانها «اسم لكل ماله صلة بابداع كتب أو تأليفها حيث تكون اللغة في آن واحد الجوهر والوسيلة ، لا بالعودة الى المعنى الضيق الذي يعني مجموعة من القواعد أو المبادىء الجمالية ذات الصلة بالشعر »[٨] .

وانها « علـم الأدب »[٩] ، أي : انهـا تتحد من « حيث هي علـم بالأدب »[١٠] . وانها « علم موضوعه الشعر »[١١] .

---

(٦) ينظر لسان العرب (شعر) . (٧) الشعرية ص ٢٣ .
(٨) الشعرية ص ٢٣ .
(٩) الشعرية ص ٢٤ .
(١٠) الشعرية ص ٨٤ .
(١١) بنية اللغـة الشعرية ص ٩ .

وانها موضوع « لمحاولة التقنين التي تصدى لها فـن الكتاب المدعو بلاغة » وقد « عنت زمنا طويلا معايير نظم الشعر »[١٢].

وانها « علم الاسلوب الشعري »[١٣] وهدفها البحث عن « الأساس الموضوعي الذي يستند اليـه تصنيف نص في هذه الخانة أو تلك »[١٤].

الثاني : الطاقة المتفجرة في الكلام المتميز بقدرته على الانزياح ، والتفرد ، وخلق حالة من التوتر . ومما قيل في هذا الاتجاه :

انها « خصيصة علائقية ، أي : أنها تجسد في النص لشبكة من العلاقات التي تنمو بين مكونات أولية سمتها الأساسية أن كلاً منها يمكن أن يقع في سياق آخر دون أن يكون شعريا ، لكنه في السياق الذي تنشأ فيه هذه العلاقات وفي حركته المتواشجة مع مكونات أخرى لها السمة الأساسية ذاتها يتحول الى فاعلية خلق للشعرية ومؤشر على وجودها »[١٥].

وانها « اقامة حد فاصل بين الشعر واللاشعر »[١٦].

وانها « احدى وظائف الفجوة أو مسافة التوتر »[١٧].

وانها « وظيفة من وظائف العلاقة بين البنية العميقة والبنية السطحية ، وتتجلى هذه الوظيفة في علاقات التطابق المطلق أو النسبي بين هاتين البنيتين ، فحينما يكون التطابق مطلقا تنعدم الشعرية ــ أو تخف الى درجة الانعدام تقريبا ــ وحين تنشأ خلخلة وتغاير بين البنيتين تنبثق الشعرية وتتفجر في

---

(١٢) نفسه ص ١١ .
(١٣) نفسه ص ١٥ .
(١٤) نفسه ص ١٤ .
(١٥) في الشعرية ص ١٤ .
(١٦) في الشعرية ص ١٦ .
(١٧) في الشعرية ص ٢١ .

تناسب طردي مع درجة الخلخلة في النص »[18] .

وانها « الانحراف عن التعبير »[19] .

وانها « الانزياح » الذي « هو الشرط الضروري لكل شعر »[20] .

وانها « عمليــة ذات وجهين متعايشــين متزامنين : الانزياح ونفيه ، تكسير البنية واعادة التبنين . ولكي تحقق القصيدة شعريتها ينبغي أن تكون دلالتها مفقودة أولا ، ثم يتم العثور عليها ، وذلك كله في وعي القارىء»[21] .

وانها « طريقة الوعي الذي يكون الشعر الأداة المفضلة فيها » أي : ان مايسمى « شعراً انما هو بالضبط تقنية لغوية من انتاج نمط من الوعي ، ولا يمكن لمشهد العالم عادة انتاج تلك التقنية »[22] .

وليس من تقاطع بين الاتجاهين في فهم « الشعرية » لان كل واحد منهما يرجع الى الآخر ، فالأول هو القواعد والاصول التي ترسم الطريق للأديب ــ وهو محور هذا البحث ــ والثاني هو نتيجة تلك الأصول ، وتجربة الأديب وقدرته على الابتكار والابداع ــ ومجاله الدراسات التطبيقية ــ كما انـه ليس من اليسير وضع تحديد دقيق لها لانها بمعناهــا الحديث لاتــزال في بداياتها[23] ، ولانها « في تحول دائم »[24] ولان معناها اختلف باختلاف النقاد والباحثين ، اذ شغلت « الفكر النقدي في العالم منذ أرسطو ، وماتزال

(١٨) في الشعرية ص ٥٧ .
(١٩) في الشعرية ص ١٣٤ ــ ١٣٥ .
(٢٠) بنية اللغة الشعرية ص ٢٠ .
(٢١) بنية اللغة الشعرية ص ١٧٣ .
(٢٢) نفسه ص ١٩٨ .
(٢٣) الشعرية ص ٢٩ ، ٨٣ .
(٢٤) الشعرية ص ١٩ .

تحتل موضعاً مركزياً في أنظمة نقدية وجمالية كاملة . لقد حدد أُمبرتو إكو Umberto Eco مثلا ــ غـاية المنهـج النقـدي الذي أسسه كروتشه Croce بانها « إقامة حد فاصل بين الشعر واللاشعر » . كما شغلت مدرسـة كامـلة هـي مدرسـة الاشـكاليـين الروس Formalists نفسها بمحاولة اكتشاف الشعرية وتحديد شروط تكونها أو واقع تبلورها(٢٥)، وحتى حين يسعى نظام نقدي معين الى بلورة مفهوم محدد للشعرية فـان مثل هذا المفهوم غالبا مايكون متشكلا ضمنا في هذا النظام ، ويختفي وراء التصورات والأحكام النقدية التي تصدر عنه . وبين الأمثلة على ذلك عمل ت . س . اليوت Eliot النقدي الذي لايبلور تصوراً نظرياً واضحاً للشعري واللاشعري ، بيد أنه على الرغم من ذلك يتخذ مواقف محددة من قضايا نقديـة وأدبية كثيرة تقوم على التمييز الفعلي الحاد بـين الشـعري واللاشعري »(٢٦) .

ولايعني هذا التوقف عن البحث في الشعرية التي لم تقتصر على أدب أمة دون أمة ، فهي من أسس دراسة الأدب ، ولعل أرسطو أول من تعرض لها في كتابه « الشعر » ، وتطرق اليها العرب ، وفي تراثهم الحيّ كثير مما يصور موقفهم . وقد انطلقوا في ادراكها من فهمهم للشعر ، فهو عندهـم « قول موزون مقفى يـدل على معنى »(٢٧) ، أي أنّ أركانـه أربعـة : اللفظ ، والمعنى ، والوزن ، والقافية. واتضح معنى الشعر حينمـا بدأ

---

(٢٥) ينظر موقف الشكلانيين من اللغة الشعرية في كتاب « نقد النقد » ص ٢٣ وما بعدها . والشعر عندهم تغريـب او ازاحـة او خلخـلة حسـية Perceptual dislocation (ينظر في الشعرية ص ٦٤) .

(٢٦) في الشعرية ص ١٦ .

(٢٧) نقد الشعر ص ١٥ .

الصراع بين القدماء والمحدثين ، وكان « عمود الشعر » أساس خلافهم ، وهو « شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والاصابة في الوصف ــ ومن اجتماع هذه الأساليب الثلاثة كثرت سوائر الأمثال وشوارد الأبيات ــ والمقاربة في التشبية ، والتحام أجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن ، ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ومشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لامنافرة بينهما . فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر ، ولكل باب معيار »[٢٨] . ويتضح أنهم لم يفردوا للوزن والقافية باباً ، لانه لاخلاف في ضرورتهما ، ولانهما دخلا في الأبواب الأخرى ، فالوزن من « التحام أجزاء النظم والتئامها » والقافية من « مشاكلة اللفظ والمعنى » .

هذه هي أسس الشعرية العربية ومن خرج عليها كان خارجا على « طريقة العرب » ، وكانت سر الخلاف في موقفهم من البحترى وأبي تمام ، فالأول « أعرابي الشعر مطبوع وعلى مذهب الأوائل ، وما فارق عمود الشعر المعروف ، وكان يتجنب التعقيد ومستكره الألفاظ ووحشي الكلام » ، والثاني « شديد التكلف صاحب صنعة ويستكره الألفاظ والمعاني ، وشعره لايشبه أشعار الأوائل ولا على طريقتهم لما فيه من الاستعارات البعيدة والمعاني المولّدة »[٢٩] .

وحامت آراء النقاد على أبواب « عمود الشعر » وتنوعت ، ولم تتضح الشعرية إلا في دراسات عبد القاهر الجرجاني (ــ ٤٧١ أو ٤٧٤هـ) الذي انطلق في فهم الأدب من النظم ، وهو « تعليق الكلم بعضها ببعض ، وجعل بعضها بسبب من بعض »[٣٠] . ونظم الكلام هو اقتفاء « آثار المعاني وترتبها

---

(٢٨) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ج ١ ص ٩ .
(٢٩) ينظر الموازنة ج ١ ص ٦ .
(٣٠) دلائل الاعجاز ــ المدخل ص ٤ .

على حسب ترتب المعاني في النفس ، فهو ـ إذن ـ نظم يعتبر فيه حـال المنظوم بعضه مع بعض ، وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء كيف جاء واتفق ، ولذلك كان عندهم نظيراً للنسج والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتحبير وما أشبه ذلك مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض حتى يكون لوضع كل حيث وضع علة تقتضي كونه هناك ، وحتى لو وضع في مكان غيره لم يصلح »[٣١] . وليس من نظم في الكلم ولاترتيب حتى « يعلق بعضها ببعض ، ويبنى بعضها على بعض ، وتجعل هذه بسبب من تلـك »[٣٢] .

أي : « أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها ، وتحفـظ الرسوم التي رسمت لك فلاتخل بشيء منها »[٣٣] . فالنظم «توخي معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه فيما بين الكلم »[٣٤] ومدار أمره على «معاني النحو وعلى الفروق التي من شأنها أن تكون فيه» ، وهي وجوه وفروق كثيرة «ليس لهـا غاية تقف عندها ، ونهاية لاتجد لها ازدياداً بعدها» وليست «مزيتها بواجبـة لها في أنفسها ومن حيث هي على الاطـلاق ، ولكن تعرض بسبب المعـاني والأغراض التي يوضع لها الكلام ، ثم بحسب موقع بعضها من بعض واستعمال بعضها مع بعض»[٣٥] . والنظم عمل في معـاني الكلم لا في ألفـاظها ؛ لان توخيها في متون الألفاظ محال[٣٦] . وشأنه عظيم اذ « لا فضل مع عدمـه ولا قدر لكلام اذا هو لم يستقم له ولو بلغ في غرابة معنـاه مابلـغ» وانه «لاتمام دونه ولا قوام الا به ، وأنه القطب الذي عليه المدار ، والعمودالذي

(٣١) دلائل الاعجاز ص ٤٩ . (٣٢) نفسه ص ٥٥ .
(٣٣) دلائل الاعجاز ص ٨١ .
(٣٤) نفسه ص ٥٢٥ ، وتنظر ص ٥٢٦ .
(٣٥) نفسه ص ٨٧ .
(٣٦) نفسه ص ٣٥٩ ، ٣٦١ ــ ٣٦٢ .

به الاستقلال»[٣٧] . وهو دقيق المسلك وعمدته « أن تتحد أجزاء الكلام ، ويدخل بعضها في بعض ، ويشتد ارتباط ثان منها بأول ، وأن تحتاج في الجملة الى أن تضعها في النفس وضعاً واحدا ، وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع بيمينه ههنا في حال مايضع بيساره هناك . نعم ، وفي حال مايبصر مكان ثالث ، ورابع يضعهما بعد الأولين . وليس لما شأنه أن يجيء على هذا الوصف حدّ يحصره وقانون يحيط به ، فانه يجيء على وجوه شتى وأنحاء مختلفة»[٣٨] . وهذا سرّ تفاوت الأدباء فيما يصوغون من كلام ، وهذا منطلق الشعرية في الأدب ، ولولا هذا التفاوت ، وتلك الدقة ما تميز الأدباء ، وأبدع بعضهم ، ووقع في أسر التقليد آخرون .

إن فضيلة الكلام كلها ترجع الى النظم والى مابين الكلم من علاقات — Systéme des rapports — وهو ما قرره بعد عبد القاهر بقرون العالم السويسري فردناند دي سوسير — Ferdinand de Saussere — في كتابه «دروس في الألسنية العامة»[٣٩] .

والنظم عند عبدالقاهر هو «الأساس في الكشف عن شعرية الكتابة أو النص»[٤٠] ، وهو في طريقة اثبات المعنى ، وبالنظر الى النص «بالقلب والاستعانة بالفكر ، واعمال الروية ، ومراجعة العقل ، والاستنجاد بالفهم»[٤١] . ويعدّ عبدالقاهر أدق من صاغوا «مبادىء الشعرية الكتابية فيما كان يصوغ نظرية النظم القرآني»[٤٢] ، وكان المتقدمون قد اهتموا بالالفاظ من حيث

(٣٧) نفسه ص ٨٠ . (٣٨) نفسه ص ٩٣ .
(٣٩) صدرت له عام ١٩٨٥ اربع طبعات في بغداد ، ودمشق ، والقاهرة ، وتونس .
(٤٠) الشعرية العربية ص ٤٤ .
(٤١) دلائل الاعجاز ص ٦٤ ، وينظر الشعرية العربية ص ٤٦ .
(٤٢) الشعرية العربية ص ٤٢ .

هي ألفاظ مفردة ووصفوها ، ووضعوا شروطا للفصاحة ، وميزوا بين ألفاظ الشعر وألفاظ النثر ، فقد كانت «للشعراء ألفاظ معروفة وأمثلة معروفة لاينبغي للشاعر أن يعدوها ، ولا أن يستعمل غيرها ، كما ان الكتّاب اصطلحوا على ألفاظ بأعيانها سموها الكتابية لايتجاوزونها الى سواها»(٤٣) . ولم يهتم عبدالقاهر باللفظة المفردة ، ولم يعطها قيمة الا من خلال النظم ، والألفاظ عنده رموز للمعاني المفردة التي تدل عليها هذه الرموز ؛ لان «اللغة تجري مجرى العلامات والسمات ، ولا معنى للعلاقة والسمة حتى يحتمل الشيء ماجعلت العلامة دليلاً عليه وخلافه»(٤٤) . أي انها مجرد علامات للاشارة الى شيء ما وليست للدلالة على حقيقته ، والانسان يعرف مدلول اللفظ المفرد أولاً ثم يعرف هذا اللفظ الذي يدل عليه ثانيا . والالفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة « لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها ، ولكن لأن يضم بعضها الى بعض فيعرف فيما بينهما فوائد»(٤٥) . فليس للألفاظ مزية وهي منفردة ، وانما تختص اذا توخي فيها النظم . والالفاظ أوعية للمعاني فهي تتبعها في مواقعها ، وهي سمات لها وأوضاع قد وضعت لتدل عليها ، فليس لها كبير قيمة من غير تأليف ، ولو عمد الى بيت شعر أو فصل نثر فعدّت كلماته عداً كيف جاء واتفق ، وأبطل نضده ونظامه الذي عليه بني وفيه أفرغ المعنى وأجري ، وغيّر ترتيبه الذي أفاد ، فقيل في «قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل» : «منزل قفا ذكرى من نبك حبيب» خرج من كمال البيان الى مجال الهذيان ، وسقطت نسبته الى صاحبه . وفي «ثبوت هذا الأصل ماتعلم به أن المعنى الذي له كانت هذه الكلم بيت شعر ، أو فصل خطاب هو ترتيبها على طريقة معلومة ، وحصولها على صورة من التأليف مخصوصة»(٤٦) . وهذا كله يحدث بسبب

---

(٤٣) العمدة ج ١ ص ١٢٨ . (٤٤) أسرار البلاغة ص ٣٤٧ .

(٤٥) دلائل الاعجاز ص ٥٣٩ .

(٤٦) أسرار البلاغة ص ٣ ـ ٤ ، وينظر دلائل الاعجاز ص ٤١٠ .

نسق يقتضيه المعنى ، ولو فرض أن لايكون « نبك » جوابا للأمر ، ولا يكون معدى بـ «من» الى «ذكرى» ، ولا يكون «ذكرى» مضافة الى « حبيب » ولا يكون «منزل» معطوفاً بالواو على «حبيب» لخرج ماترى فيه من التقديم والتأخير عن أن يكون «نسقا» ، ذاك لانه انما يكون تقديم الشيء على الشيء «نسقا» وترتيبا اذا كان ذلك التقديم قد كان لموجب أوجب أن يتقدم هـذا ويؤخر ذاك ، فأما أن يكون مع عدم الموجب «نسقا» فمحال ، لانه لو كان يكون تقديم اللفظ على اللفظ من غير أن يكون له موجب «نسقا» لـكان ينبغي أن يكون توالي الألفاظ في النطق على أي وجه كان «نسقا» حتى انك لو قلت : «نبك قفا حبيب ذكرى من» لم تكن قد أعدمته «النسق» والنظم وانما أعدمته الوزن فقط»(٤٧) .

والألفاظ لاتراد لأنفسها ، وانما تراد لتجعل أدلة على المعـاني ، وأن تغييرها قد يفقد الكلام طعمه وغرضه . فعبدالقاهر لايؤمن بقيمة اللفظـة المفردة ولا بما يسمى «اللغة الشعرية» وانما يرى أن كل لفظة تصلح للكلام اذا وضعت في موضع يليق بها ، وهي تكتسب الشعرية من خلال النظـم ، ولإيضاح ذلك ينبغي «أن ينظر الى الكلمة قبل دخولها في التأليف وقبل أن تصير الى الصورة التي بها يكون الكلم اخباراً ، وأمراً ، ونهياً ، واستخباراً ، وتعجباً ، وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لاسبيل الى افادتها الابضم كلمة الى كلمة ، وبناء لفظه على لفظة ــ هل يتصور أن يكون بين اللفظتين تفاضل في الدلالة حتى تكون هذه أدل على معناها الذي وضعت له مـن صاحبتها على ما هي موسومة به حتى يقال ان «رجلا» أدل على معناه مـن «فرس» على ما سمي به»(٤٨) . وقد تروق الكلمة وتؤنس في موضع وتثقل

(٤٧) دلائل الاعجاز ص ٤٦٨ ، وتنظر ص ٤٧٢ .
(٤٨) دلائل الاعجاز ص ٤٤ .

في موضع آخر كلفظ «الأخدع» في بيت الحماسة :

تلفَتُّ نحـو الحيّ حتى وَجَدْتُـني
وَجِعْتُ من الاصغاء لِيتاً وأخْدعا[٤٩]

وبيت البحتري :

وإني وإن بلّغْتَنـي شَـرَفَ الغِنى
وأعْتَقْتَ من رِقّ المطـامع أخْـدعي

فان لها في هذين البيتين مالايخفى من الحسن • وجاءت في بيت أبي تمام :

يا دهْرُ قـوِّمْ من أخدعيـكَ فقـد
أضْجَجْتَ هذا الأنامَ من خُرُقِكْ[٥٠]

فكانت ثقيلة على النفس ، وفيها من التنغيص والتكدير أضعاف مالها في البيتين الأولين من الروح والخفة ، ومن الايناس والبهجة •

ومن ذلك لفظة « الشيء » فانها تكون حسنة في موضع ومستكرهـة في موضع آخر ، ومن استعمالها الحسن مجيئها في بيت عمر بن أبي ربيعة :

ومن مالىءٍ عينيـه مـن شـيء غـيره
إذا راحَ نحو الجمرةِ البيضُ كالدُّمى

وبيت أبي حية النميري :

إذا ما تقـاضى المـرءَ يـومٌ وليـلةٌ
تقاضـاه شـيءٌ لا يَمـلُّ التقاضيـا

(٤٩) الأخدعان مثنى الأخدع : عرقان في صفحتي العنق قد خفيا وبطنا . الليت : صفحة العنق ، مثناه : ليتان ، وجمعه : أليات .
(٥٠) ارجع ابن الاثير قبحها الى التثنية (ينظر المثل السائر ج ١ ص ٢٨٤) .

وليست لها هذه المزية في بيت المتنبي :

لو الفَلَكُ الدوّارُ أبغَضْتَ سعيه
لَعَوّقَه شيءٌ عن الدَّوران [51]

لقد اكتسبت الألفاظ في هذه الأبيات شعريتها من النظم فحسنت تارة ولم تحسن تارة أخرى ، ولو كانت «الكلمة اذا حسنت من حيث هي لفظ واذا استحقت المزية والشرف استحقت ذلك في ذاتها وعلى انفرادها دون أن يكون السبب في ذلك حال لها مع اخواتها المجاورة لها في النظم لما اختلف بها الحال ، ولكانت إما أن تحسن أبداً ، أو لاتحسن أبدا»[52] . أي : أن الألفاظ «لاتتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ، ولا من حيث هي كلم مفردة، وان الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها وما أشبه ذلك مما لاتعلق له بصريح اللفظ»[53] . وفي هذا انكار لأن تكون الفصاحة مزية بالمتكلم دون واضع اللغة ؛ لانه « لايستطيع أن يصنع باللغة شيئا أصلا ، ولا أن يحدث فيه وصفا» وهو «إن فعل ذلك أفسد على نفسه وأبطل أن يكون متكلما ؛ لانه لايكون متكلما حتى يستعمل أوضاع لغة على ماوضعت عليه» . واذا ثبت ذلك كانت الفصاحة مزية أفادها المتكلم في المعنى[54] . وهذا يعطي الأديب مجالا واسعا للتصرف في فنون القول والابداع ؛ لانه يستعمل ألفاظ اللغة استعمالا يتفق والمعنى الذي يريد اخراجه ، والصورة التي يبغي تلوينها ، أي انه يخلق اللغة الشعرية التي «تتجسد فيها فاعلية التنظيم على مستويات متعددة ، وأن هذا التنظيم يخلق فجوة : مسافة توتر على درجات

(٥١) ينظر دلائل الاعجاز ص ٤٦ — ٤٨ .
(٥٢) نفسه ص ٤٨ .
(٥٣) نفسه ص ٤٦ .
(٥٤) ينظر نفسه ص ٤٠١ — ٤٠٢ ، ٤٠٧ ، ٤٨٦ .

مختلفة من السعة والحدة بين اللغة الشعرية وبين اللغة اللاشعرية ــ ولتكن لغة النثر مثلا ــ ، وأن هذه الفجوة تميز الشعرية تمييزا موضوعيا لاقيمياً ، وأن خلو اللغة من فاعلية مبدأ التنظيـم لايعني سقوطهـا أو أصوليتهـا أو انحطاطها بالنسبة للغة التي تتجسد فيها فاعلية مبدأ التنظيم»(٥٥) • فقـدرة الشاعر هي التي تعطي اللفظة قيمة ، وهنا تتجلى مهارته الفنية في اسـتعمال اللغة للوصول الى شعرية متميزة ، وابداع متفرد •

لقد أراد البحتري أن يمدح الفتح فلم يغرب في الألفاظ والمعاني ، ولم ينحرف عن اللغة وعمود الشعر ، وانما جاء بألفاظ واضحة ، ومعان بينة ، وصاغها صياغة أنيقة أكسبتها شعرية لاتظهر لو صيغت باسلوب آخر • قال :

بلونـا ضرائِبَ من قَـدْ نَـرى
فمـا إن رأينـا لفتـحٍ ضَريبـا
هو المرءُ أبْـدَتْ لـه الحادِثـا
تُ عَزمـاً وشيكاً ورأيـاً صليبـا
تَنَقَّـلَ في خُلُـقي سُـؤدَدٍ
سماحـاً مرجّـى وبأسـاً مَهيبـا
فكالسَّـيف إن جِئتَهُ صارِخـا
وكالبحر إن جِئْتَـهُ مُستثيبا(٥٦)

لم يتكلف البحتري في هذه الأبيات الرائقة ، وكل مافعله انه « قدّم وأخّر ، وعرّف ونكّر ، وحذف وأضمر ، وأعاد وكرر ، وتوخّى على الجملة وجهاً من الوجوه التي يقتضيها علم النحو فأصاب في ذلك كلّه ، ثم لطف موضع

(٥٥) في الشعرية ص ٨٥ .
(٥٦) الضرائب : جمع ضريبة وهي الطبيعة والخلق ، الضريب : المثيل والشبيه، المستثيب : طالب الثواب .

صوابه ، وأتى مأتى يوجب الفضيلة »[٥٧]. وأول مايروق فيها قوله: « هو المرء أبدت له الحادثات » ثم قوله : « تنقل في خلقي سؤدد » بتنكير « السؤدد » واضافة « الخلقين » اليه ، ثم قوله : « فكالسيف » وعطفه بالفاء مع حذف المبتدأ ؛ لان المعنى ـ لامحالة ـ: « فهو كالسيف » ثم تكريره الكاف في قوله : « وكالبحر » ، ثم أن قرن الى كل واحد من التشبيهين شرطاً جوابه فيه ، ثم أن أخرج من كل واحد من الشرطين حالا على مثال ما أخرج من الآخر ، وذلك قوله : « صارخا » هناك و « مستثيبا » ههنا »[٥٨]. لقد اكسبت هذه الصياغة الكلام حُسْناً وأضفت عليه الشعرية ، ولم يرجع ذلك الى الالفاظ وانما الى نظمها ووضعها الوضع الذي يقتضيه المعنى .

ومثل ذلك استعارة الكلمة فان شعريتها تتغير بتغير موقعها في التعبير ، فتكون لها ملاحة في موضع ليست في غيره ، ومن ذلك لفظة « الجسر » في قول أبي تمام :

لايطمعُ المرءُ أنْ يجتابَ لُجّتَهُ
بالقولِ مالم يكنْ جِسْراً له العملُ

وقوله :

بَصُرْتَ بالراحةِ العظمى فلم تَرَهـا
تنـال إلاّ على جِسْرٍ مـن التّعَبِ

فان لها حسنا في الثاني ليس في الأول ، ثم يكون لها لطف وخلابة وحسن كثير كما في قول ربيعة الرقي :

---

(٥٧) دلائل الاعجاز ص ٨٥ .
(٥٨) دلائل الاعجاز ص ٨٥ ـ ٨٦ .

قولي : نَعَمْ ، ونَعَـمْ إنْ قُلْتِ واجبـةٌ
قـالت : عسى وعسى جِسْرٌ الى نَعَـمِ[٥٩]

لقد تفاوت حسن استعارة لفظة « الجسر » باختلاف موقعها في الجملـة أو الكلام ، ولو أن للفظة المستعارة مزية وهي منفردة لبقيت محتفظة بمزيتهـا اينما جاءت وكيف وضعت ، ولما اختلفت شعريتها دلت على أنهـا تكتسب الفضيلة وتفقدها بحسب موضعها ، وما ذلك إلا لان « هذه المعاني ــ التي هي الاستعارة والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجـاز مـن بعدها ــ من مقتضيات النظم ، وعنه يحدث وبه يكون ؛ لانـه لايتصور أن يدخل شيء منها في الكلم وهي أفراد لم يُتَـوَخَّ فيما بينها حكم من أحكام النحو . فلا يتصور أن يكون ههنا فعل او اسم قد دخلته الاستعارة من دون أن يكون قد ألّف مع غيره . أفلا ترى أنه إن قدر في « اشتعل » من قوله تعالـى : « واشتعل الرأسُ شَيبا »[٦٠] أن لايكون « الرأس » فاعلا له ويكـون « شيباً » منصوبا عنه على التمييز ، لم يتصور أن يكون مستعاراً »[٦١] . فالشعرية ليست في اللفظة المفردة وانما في النظم ، وهو ماقرره الجاحظ على الرغم من القول بانه من أنصار اللفظ ، وأن « الشعرية عنده ليست في المعنى وانما هي في اللفظ »[٦٢] ؛ لان الكلام عنده هو التصوير لا اللفظ « فانما الشعر صناعة ، وضرب من النسج ، وجنس من التصوير »[٦٣] . ولن يتـم اقامة الوزن واختيار اللفظ إلا للمبدع ، ولن تتم جودة السبك والتفوق إلا في صناعة الكلام التي هي لون من ألوان التصوير . وهذا ماقرره عبدالقاهر

(٥٩) نفسه ص ٧٨ ــ ٧٩ .
(٦٠) سورة مريم ، الآية ٤ .
(٦١) دلائل الاعجاز ص ٣٩٣ .
(٦٢) الشعرية العربية ص ٣٤ .
(٦٣) الحيوان ج ٣ ص ١٣٢ .

مستنداً الى رأي الجاحظ : « وليس العبارة عن ذلك بالصورة شيئاً نحن ابتدأناه فينكره منكر ، بل هو مستعمل مشهور في كلام العلماء ، ويكفيك قول الجاحظ : « وانما الشعر صناعة وضرب من التصوير »[٦٤] . وسبيل المعاني عنده «سبيل الاصباغ التي تعمل منها الصور والنقوش ، فكما أنك ترى الرجل قد تهدّى في الاصباغ التي عمل منها الصورة والنقش في ثوبه الذي نسج الى ضرب من التخير والتدبر في أنفس الاصباغ وفي مواقعها ومقاديرها وكيفية مزجه لها وترتيبه إياها الى مالم يتهدّ اليه صاحبه فجاء نقشه من أجل ذلك أعجب وصورته أغرب ، كذلك حال الشاعر والشاعر في توخيهما معاني النحو ووجوهه التي علمت أنها محصول النظم»[٦٥] . وسبيلها ـ أيضا ـ «سبيل أشكال الحلي كالخاتم والشنف والسوار ، فكما أن من شأن هذه الأشكال أن يكون الواحد منها غُفْلاً ساذجا لم يعمل صانعه شيئا اكثر من أن أتى بما يقع عليه اسم الخاتم إن كان خاتما والشنف إن كان شنفا ، وأن يكون مصنوعا بديعا قد أغرب صانعه فيه ، كذلك سبيل المعاني أن ترى الواحد منها غفلا ساذجا عاميا موجودا في كلام الناس كلهم ، ثم تراه نفسه وقد عمد اليه البصير بشأن البلاغة وإحداث الصور في المعاني فيصنع فيه مايصنع الصَّنَعُ الحاذق حتى يضرب في الصنعة ، ويدق في العمل ، ويبدع في الصياغة . وشواهد ذلك حاضرة لك كيف شئت ، وأمثلته نصب عينيك من أين نظرت . تنظر الى قول الناس «الطبع لايتغير» و « لست تستطيع أن تخرج الانسان عما جبل عليه » ، فترى معنى غفلا عاميا معروفا في كل جيل وأمة ، ثم تنظر اليه في قول المتنبي :

يُـراد مـن القلـب نسيانـكم
وتـأبى الطبـاعُ عـلى النـاقلِ

(٦٤) دلائل الاعجاز ص ٥٨ .
(٦٥) نفسه ص ٨٧ ـ ٨٨ .

فتجده قد خرج في أحسن صورة ، وتراه قد تحوّل جوهرة بعد أن كان خرزة ، وصار أعجب شيء بعد أن لم يكن شيئا »[٦٦] .

والفضل في انتقال المعنى الى هذه الصورة يرجع الى شاعرية المتنبي التي التقطت معنى غفلا عاميا وحولته الى بيت تكاد صلته تنقطع عن المعنى الأول فالشعرية عند عبدالقاهر ليست باللفظة المفردة وانما بالصياغة أو النظم ، وهو في ذلك يتفق مع الجاحظ الذي قال بالتصوير ، ولا يحدث التصوير باللفظة المفردة وانما بالنظم .

ولا يبعد المعاصرون عن هذا الفهم للشعرية وإن اختلفت وسائل وصولهم اليها ، فهي لاتحدد على «أساس الظاهرة المفردة كالوزن والقافية أو الايقاع الداخلي ، أو الصورة ، أو الرؤيا ، أو الانفعال ، أو الموقف الفكري، أو العقائدي ، إذ أن أياً من هذه العناصر في وجوده النظري المجرد عاجز عن منح اللغة طبيعة دون أخرى ، ولا يؤدي مثل هذا الدور الا حين يندرج ضمن شبكة من العلاقات المتشكلة في بنية كلية ، والبنية الكلية هي وحدها القادرة على امتلاك طبيعة متميزة بازاء بنية أخرى مغايرة لها . وانطلاقا من هذا المبدأ الجوهري لايمكن أن توصف الشعرية الا حيث يمكن أن تتكون أو تتبلور ، أي في بنية كلية . فالشعرية ــ إذن ــ خصيصا علائقية »[٦٧] . وهذا معنى كلام عبدالقاهر في النظم وفي استدلاله على تحول اللفظة من تعبير الى آخر فتكون حسنة حينا ، وتفقد ذلك الحسن حينا آخر ، أي أن استعمال الكلمة بمعناها المعجمي لاينتج الشعرية وانما «ينتجها الخروج بالكلمات عن طبيعتها الراسخة الى طبيعة جديدة »[٦٨] . وهذا ما ذهب اليه

(٦٦) دلائل الاعجاز ص ٤٢٢ ــ ٤٢٣ .
(٦٧) في الشعرية ص ١٣ ــ ١٤ ، وتنظر ص ١٧ ، ٢٨ ، ٣٨ .
(٦٨) في الشعرية ص ٣٨ .

فاليري حينما أكد أن لغة الشعر انحراف ، إذ أن «الكلام عندما ينحرف انحرافاً معينا عن التعبير المباشر أي عن أقل طرق التعبير حساسية ، وعندما يؤدي بنا هذا الانحراف الى الانتباه بشكل ما الى دنيا من العلاقات متميزة عن الواقع العملي الخالص ، فاننا نرى إمكانية توسيع هذه الرقعة الفذة ، ونشعر أننا وضعنا يدنا على معدن كريم نابض بالحياة قد يكون قادراً على النمو والتطور ، وهو اذا تطور فعلا واستخدم ينشأ منه الشعر من حيث تأثيره الفني »[٦٩] . ولا ينشأ هذا الانحراف من نفسه ، وانما بنظم الكلام الذي يقود اليه المعنى أو الصورة التي يريد رسمها الشاعر ، وبهذا النظم المخصوص تسبح اللفظة في فضاء رحيب وتتلون بالوان شتى بمقدار ماتجد من حرية التلوين وقدرة الشاعر على الابداع ، فاللفظة الشعرية « تتألق في حرية غير محدودة ، وتتهيأ لتشع نحو ألف علاقة غير أكيدة وممكنة . لقد ألغيت العلاقات الثابتة ، فاللفظة ليست الا مشروعا عموديا ، هي كتلة دعامة جذورها في كليّ من الأحاسيس والمنعكسات والاسترجاعات ، انها علامة قائمة . اللفظة الشعرية هي هنا فعل دون ماض مباشر ، دون جوار ، عطاؤه ظل كثيف من المنعكسات التي مصادرها عديد ارتباطاته ، ويغفو تحت كل لفظة من ألفاظ الشعر الحديث ضرب من الترسبات الوجودية . فيها يتجمعّ المضمون الكلي للاسم لا مضمونه الاصطفائي كما هو الأمر في النثر والشعر الكلاسيكيين . فليس الذي يهدي اللفظة مسبقا هو القصد العام لقول اجتماعي ، فمستهلك الشعر وقد حرم من علائق مصطفاة كانت تهديه يجابه اللفظة وجهاً لوجه ويتلقاها كمية مطلقة مصحوبة بجميع امكاناتها »[٧٠] . فاللفظة لاتظل أسيرة المعجم وانما هي طاقة تتفجر معاني وصوراً جديدة ،

(٦٩) مقالة في اللغة الشعرية ص ١٧ .
(٧٠) الكتابة في درجة الصفر ص ٥٣ .

وبذلك كان الشعر الأصيل أو الشعرية المتميزة تحطيماً للغة لابمعنى الهــدم وتركها ركاما وانما « ليعيد بناءها على مستوى أعلى »(٧١) • ولغة الشــاعر شاذة وهذا الشذوذ هو الذي يكسبها جدة وطرافة ، أي ان اللغة الشعريــة انحراف عن قوانين الكلام ، وهي « لغة يبدعها الشاعر لأجل أن يقول شيئا لايمكن قوله بشكل آخر »(٧٢) ، وقانون هذه اللغة يقوم على « التجربــة الباطنية » بخلاف قانون اللغة العامة الذي يقوم على «التجربة الخارجية»(٧٣)، وفيها يستوي الناطقون بها في حين أن الابداع يكون في الأخرى •

وتتضح الشعرية في دراسة ألوان من صيــغ بنــاء الكلام ، كالتقديم والتأخير الذي هو انزياح ســياقي (٧٤) ، ولذلك يصبــح « ملمحــاً متميزاً للشعر »(٧٥) • والتقديم والتأخير « باب كثير الفوائد ، جم المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لايزال يفترّ لك عن بديعة ، ويفضي بك الى لطيفة ، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قُدِّمَ فيه شيء وحوّل اللفظ عن مكان الى مكان »(٧٦) • وهو في اللغة العربية لون من ألوان حريتها وخــاصية مــن خصائصها ، وهو من سنن العرب في كلامها لما له أهمية في دقة التعبير وجمال التصوير • والشعرية تتحقق في وضع العبارة وصياغتها واذا « تغير النظــم فلابد من أن يتغير المعنى »(٧٧) ومن ذلك تقديم الفعــل وتأخيره فاذا قيــل :

(٧١) بنية اللغة الشعرية ص ٤٩ ، وتنظر ص ٦ .
(٧٢) نفسه ص ١٥٥ .
(٧٣) نفسه ص ٢٠٢ .
(٧٤) نفسه ص ١١٠ .
(٧٥) نفسه ص ١٨ .
(٧٦) دلائل الاعجاز ص ١٠٦ .
(٧٧) نفسه ص ٢٦٥ .

« أفعلتَ ؟ » كان الشك في الفعل نفسه وكان الغرض من الاستفهام أن يعلم وجوده واذا قيل : « أأنت فعلت ؟ » كان الشك في الفاعل مَن هو ، وكان التردد فيه . ومن ذلك : «أبنيتَ الدار التي كنت على أن تبنيها ؟ » و « أقلت الشعر الذي كان في نفسك أن تقوله ؟ » و «أفرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه ؟ » . وسبب الابتداء بالفعل أن السؤال عن الفعل نفسه والشك فيه ؛ لان السامع في جميع ذلك متردد في وجود الفعل وانتفائه ، مجوز أن يكون قد كان وأن يكون لم يكن .

ويقال : « أأنت بنيتَ هذه الدارَ » . و « أأنتَ قلتَ هذا الشعرَ ؟ » أي يبدأ بالاسم ، وذلك لان الشك لم يحدث في الفعل انه كان كيف ، وقد أشير الى الدار مبنيةً ، والشعر مقولاً ، والكتاب مكتوباً ، وانما الشك في الفاعل مَنْ هو ؟ وهذا الفرق بين الاستعمالين لا « يدفعه دافع ، ولا يشك فيه شاك ، ولا يخفى فساد أحدهما في موضع الآخر »[٧٨] . ومثل ذلك كل تقديم وتأخير يحدث في العبارة كتقديم المفعول به وتأخيره ، وتقديم الجار والمجرور وتأخيره[٧٩] .

ولتركيب الكلام أثر كبير في التصوير ، فالاستعارة في البيت :

سالت عليه شعابُ الحيِّ حين دعا
أنصارَهُ بوجوهٍ كالدنانيرِ

« على لطفها وغرابتها إنما تم لها الحسن وانتهى الى حيث انتهى بما توخّى في وضع الكلام من التقديم والتأخير، وتجدها قد ملحت ولطفت بمعاونة ذلك ومؤازرته لها . وإن شككت فاعمد الى الجارين والظرف فأزِل كلا منها عن مكانه الذي وضعه الشاعر فيه ، فقل : « سالت شعابُ الحي بوجوهٍ كالدنانير عليه حين دعا أنصارَهُ » ثم انظر كيف يكون الحال ، وكيف يذهب

(٧٨) دلائل الاعجاز ص ١١٢ .
(٧٩) ينظر دلائل الاعجاز ص ١٢٦ – ١٢٧ .

الحسن والحلاوة ، وكيف تعدم أريحيتك التي كانت ، وكيف تذهب النشوة التي كنت تجدها ؟ »[80] .

والتقديم والتأخير عند المعاصرين « انزياح » عن القاعدة الخاصة بترتيب الكلم ، والانزياح يكسب الشاعر قدرة على التعبير الدقيق المعبر ، وعلى التصوير المؤثر والابداع المتميز . ولكن هذا الانزياح ليس مطلقاً يفسد نظم الكلام كما في بيت الفرزدق :

وما مثلُه في الناس إلاّ مُملَّكاً
أبو أمه حيٌّ أبوه يقارِبُه

فالشاعر لم يرتب « الالفاظ في الذكر على موجب ترتب المعاني في الفكر فكدّ وكدّر ، ومنع السامع أن يفهم الغرض إلا بان يقدم ويؤخر ، ثم أسرف في ابطال النظام وابعاد المرام ، وصار كمن رمى بأجزاء تتألف منها صورة ولكن بعد أن يراجع فيها باب الهندسة لفرط ماعادى بين أشكالها ، وشدة ماخالف بين أوضاعها »[81] فهذا التقديم والتأخير عند البلاغيين من التعقيد الذي أحدثه فساد النظم ، وعند اللغويين والنحاة من الضرورة الشعرية ، وقد يكون من انفعال الشاعر وجموحه ، أو تزاحم الأفكار في ذهنه ، أو حرصه على موسيقى شعره وقافيته ، أو محاولته الخروج على القيود التي تفرضها قواعد النحو[82] ، ولكن هذا التقدم والتأخير ــ على الرغم من ذلك ــ قاد الشاعر الى مسالك وعرة أفقدت الكلام شعريته .

والحذف يذهب بالسامع كل مذهب ، وفيه يستطيع الأديب أن يتفنن ، وأن يجعل من الحذف ميدانا للتخيل والتصور ، وربّ حذف هو « قلادة

(٨٠) نفسه ص ٩٩ .
(٨١) أسرار البلاغة ص ٢١ ، وينظر دلائل الاعجاز ص ٨٣ ــ ٨٤ .
(٨٢) ينظر بحوث لغوية ص ٥٥ وما بعدها.

الجيد ، وقاعدة التجويد »[٨٣] . ومن ذلك قول عبدالله بن الزبير يذكر غريما له قد ألحّ عليه :

عَرَضْتُ على زَيْدٍ ليأخذَ بعضَ ما
يُحاوِلُه قَبْلَ اعتراضِ الشواغِلِ
فَدَبَّ دبيبَ البَغْلِ يأْلَمُ ظهرُهُ
وقال : تَعَلَّمْ أَنَّني غَيْرُ فاعِلِ
تثاءَبَ حتى قلتُ : داسِعُ نَفْسِهِ
وأَخْرَجَ أنياباً لَهُ كالمعاوِلِ

الأصل : « حتى قلت : « هو داسعُ نفسه » أي : حسبته من شدة التثاؤب ومما به من الجهد يقذف نفسه من جوفه ويخرجها من صدره كما يدسع البعير جِرَّتَه . ثم انك ترى نَصْبَةَ الكلام وهيئته تروم منك أن تنسى هذا المبتدأ وتباعده عن وهمك وتجتهد أن لا يدور في خَلَدِكَ ، ولا يعرض لخاطرك ، وتراك كأنك تتوقاه توقّيَ الشيء تكره مكانه ، والثقيل تخشى هجومه »[٨٤] .

ومن لطيف الحذف قول بكر بن النطاح :

العينُ تَأْبى الحبَّ والبُغْضا
وتُظْهِرُ الإبرامَ والنَّقْضا
دُرَّةُ ما أنْصَفْتِني في الهوى
ولا رَحِمْتِ الجَسَدَ المنضى
غَضْبى ولا واللهِ يا أهلَها
لا أَطْعَمُ الباردَ أَوْ تَرْضى

(٨٣) دلائل الاعجاز ص ١٥١ .
(٨٤) دلائل الاعجاز ص ١٥١ .

قال الشاعر هذه الأبيات « في جارية كان يحبها وسُعي به الى أهلهـا فمنعوها منه . والمقصود قوله : « غضبى » وذلك أن التقدير : « هي غضبى » أو « غضبى هي » لامحالة . ألا ترى أنك تـرى النفس كيف تتفادى من إظهار هذا المحذوف وكيف تأنس الى اضماره ، وترى الملاحة كيف تذهب إن أنت رمت التكلم به ؟ »[٨٥] . إنّ حذف كلمة واحدة هي الضمير أكسب الأبيات شعرية لم تكن لو أنّ الشاعر ذكرها ، وهذا لون من الانزياح عنـد المعاصرين[٨٦] .

ومثل الحذف في الشعرية التنكير ، فهو يكسب العبارة « حسنا ، وروعة ولطف موقع لايُقادر قدره ، وتجدك تعدَم ذلك مع التعريف وتخرج عن الاريحية والأنس الى خلافهما »[٨٧] .

ومثل ذلك الحال ، ــ وهو « الوصف الفضلة المنتصب »[٨٨] ويأتي للدلالة على الهيئة ــ كما في قول المتنبي :

غَصَبَ الدهرَ والملـوكَ عليهـا
فبناهـا في وَجْنَةِ الدّهْرِ خـالا

وقد ترى في أول الأمر أن « حسنه أجمع في أن جعل للدهر « وجنة » وجعل البنية « خـالا » في الوجنة ، وليس الأمر على ذلك ، فان موضع الأعجوبة في أن أخرج الكلام مخرجه الذي ترى ، وأن أتى بالخال منصوبا على الحال من قوله : « فبناها » . أفلا ترى لو أنك قلت : « وهي خال في وجنة الدهر »لوجدت الصورة غير ما ترى »[٨٩] .

---

(٨٥) نفسه ص ١٥٢ .
(٨٦) ينظر بنية اللغة الشعرية ص ١٤٨ وما بعدها .
(٨٧) دلائل الاعجاز ص ٢٨٨ .
(٨٨) شرح ابن عقيل ج ١ ص ٥٢٨ . (٨٩) دلائل الاعجاز ص ١٠٣ .

وقد أولى المعاصرون دراسة الحال أهمية في بنية اللغة الشعرية ، وفرقوا بينه وبين النعت وقالوا : « يكمن الفرق بين النعت وبين الحال ــ أو النعت المنفصل كما يسميه غريبيسي ــ في مجرد تحقق أو عدم تحقق الوقف بين الاسم والنعت . اننا نستطيع تأويل الجملة الآتية : « بيير المريض لايستطيع الحضور » بـ « بيير مريضاً لايستطيع أن يحضر » . وبهذه الصيغة الأخيرة ينتفي من النعت ذلك الشذوذ . ان النعت المنفصل لم تعدله في الحقيقة وظيفة تحديدية وانما له وظيفة إسنادية ، انه نوع من الاسناد الثانوي الذي يكتسب بشكل طبيعي قيمة التعليل أو الجزاء أو الحال . وعلى سبيل المثال فمعنى الصيغة السابقة هو : «لكون بييرمريضاً لايستطيع المجيء » إلاّ أنّ هذه العملية ليست ممكنة الا اذا كانت الصفة تسمح بذلك معجميا »(٩٠) ، وفي اللغة العربية حرية واسعة وتفنن في التعبير .

ومثل ذلك التمييز وهو « كل اسم نكرة متضمن معنى « من » لبيان ماقبله من اجمال »(٩١) . والتمييز يكسب الكلام شعرية لايكسبها إذا أضيف(٩٢) .

والفصل والوصل من المواضع الغامضة الدقيقة المسلك ، ولاسيما إذا كان فيه خروج على المألوف او انقطاع مع اتصاله بالواو ، ومن ذلك قول أبي تمام :

لا والذي هو عالِمٌ أنّ النوى
صَبِرٌ وأنّ أبا الحسينِ كريمُ

(٩٠) بنية اللغة الشعرية ص ١٤٦ .
(٩١) شرح ابن عقيل ج ١ ص ٥٦٠ .
(٩٢) ينظر دلائل الاعجاز ص ١٠٠ ــ ١٠٢ والتعليق على التمييز في الآيات الكريمة .

وقد عابوه ، لانه « لامناسبة بين كرم أبي الحسين ومرارة النوى ، ولا تعلق لأحدهما بالآخر ، وليس يقتضي الحديثُ بهذا الحديثَ بذاك »[٩٣]. والشعرية في هذا البيت أن أبا تمام جمع بين شيئين يُظن أنهما متباينـان ، وليس الأمر كذلك ، فالشاعر أراد أن يؤكد كرم أبي الحسين فربطه بحقيقة لاتنكر وهي مرارة النوى وشدته . فالصلة واضحة وإنْ دلَّ الربط ظاهريا بين الأمرين على أنهما متباعدان ومتنافران . وقد أكسب هذا الربط النص شعرية لايكتسبها لوجيء به مقطوعا أو منفصلا ، ومثل هذا التعبير يترك في « نفس المتلقى شعورا قويا بالتنافر »[٩٤] وهو نوع من الانزياح الذي يتأتى من الوصل غير المتوقع او من الانقطاع التام ، وقد أولاه المعاصرون عناية وبحثوه في مستوى الدلالة[٩٥] .

والمجاز من أهم سمات الشعرية لانه يقوم على التخييل ، ويتمثل في التشبيه والتمثيل والاستعارة ، وهذه « أصول كبيرة كأنَّ جُلَّ محاسن الكلام ـ إن لم نقل كلها ـ متفرعة عنها وراجعة اليها ، وكأنها أقطاب تدور عليها المعاني في متصرفاتها ، وأقطار تحيط بها من جهاتها »[٩٦] .

واللغة المجازية تبرز الكلام « أبداً في صورة مستجدة » و « تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ حتى تخرج من الصدفة الواحدة عـدة من الدرر ، وتجني من الغصن الواحد أنواعا من الثمر » وبها ترى « الجماد حياً ناطقاً ، والأعجم فصيحا ، والاجسام الخرس مبينة » وهي تريك « المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتهـا العيون »

(٩٣) دلائل الاعجاز ص ٢٢٥ .
(٩٤) بنية اللغة الشعرية ص ١٥٩ .
(٩٥) ينظر نفسه ص ١٥٧ وما بعدها .
(٩٦) أسرار البلاغة ص ٢٦ .

وتلطف « الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها إلا الظنون »[٩٧]. وما ذلك الا بسبب الانزياح الذي تحدثه ومن هنا كانت دراسة المجاز مهمة في تشخيص الشعرية والوقوف على فاعليتها ولاسيما الاستعارة التي هي من أهم أنواعه ، و « أرقاها »[٩٨] .

والتشبيه هو الخطوة الأولى في دراسة الاستعارة لاعتمادها عليه ، لانها مجاز « علاقته المشابهة »[٩٩] . وهو ضربان :

الأول : أن يكون من جهة أمر بيّن لايحتاج فيه الى تأول .

الثاني : أن يكون الشبه محصلاً بضرب من التأول . وهذا الضرب يتفاوت تفاوتاً شديداً ، فمنه مايقرب مأخذه ويسهل الوصول اليه ، ومنه ما يحتاج فيه الى قدر من التأمل ، ومنه مايدِق ويغمض حتى يحتاج في استخراجه الى فضل روية ولطف فكرة[١٠٠] .

ويكون التشبيه من أسباب الشعرية اذا حدث فيه تفاوت بين المشبه والمشبه به ، وحصل اختلاف كبير ، إذ أن « لتصوير الشبه من الشيء في غير جنسه وشكله والتقاط ذلك له من غير محاته واجتلابه اليه من النيق البعيد باباً من الظرف واللطف ، ومذهباً من مذاهب الاحسان لايخفى موضعه من العقل . وأحضر شاهد على هذا أن تنظر الى تشبيه المشاهدات بعضها ببعض فان التشبيهات سواء كانت عامية مشتركة أم خاصية مقصورة على قائل دون قائل — تراها — لايقع بها اعتداد ، ولايكون لها موقع من السامعين ، ولاتهز ولا تحرك حتى يكون الشبه مقرراً بين شيئين مختلفين في الجنس . فتشبيه

(٩٧) نفسه ص ٤١ .
(٩٨) ينظر الشعرية العربية ص ٤٧ .
(٩٩) ينظر الايضاح ص ٢٧٠ ، بنية اللغة الشعرية ص ١٠٩ .
(١٠٠) ينظر أسرار البلاغة ص ٨٠ وما بعدها .

العين بالنرجس عامي مشترك معروف في أجيال الناس جارٍ في جميع العادات، وأنت ترى بعد مابين العينين وبينه من حيث الجنس ، وتشبيه الثريا بما شبهت به من عنقود الكرم المنوّر ، واللجام المفضّض ، والوشاح المفصّل ، وأشباه ذلك خاصي ، والتباين بين المشبه والمشبه به في الجنس على ما لايخفى . وهكذا كانت الى النفوس أعجب ، وكانت النفوس لها أطرب ، وكان مكانها الى أن تحدث الاريحية أقرب . وذلك أن موضع الاستحسان ومكان الاستظراف والمثير للدفين من الارتياح والمتألف للنافر من المسرة والمؤلف لاطراف البهجة انك ترى بها الشيئين مثلين متباينين ومؤتلفين مختلفين ، وترى الصورة الواحدة في السماء والأرض وفي خلقة الانسان وخلال الروض »[101]. ويتضح الائتلاف والاختلاف في تشبيه ابن المعتز للبرق :

وكأنّ البرْقَ مُصْحَفٌ قارٍ
فانطباقاً مرةً وانفتاحا

ولم يكن إعجاب هذا التشبيه لك وإيناسه إياك لان «الشيئين مختلفان في الجنس أشد الاختلاف فقط ، بل لان حصل بازاء الاختلاف اتفاق كأحسن ما يكون وأتمه . فبمجموع الأمرين : شدة ائتلاف في شدة اختلاف حلا وحسن ، وراق وفتن »[102] .

ومن ذلك قول عدي بن الرقاع :

تُزْجي أغَنَّ كأنَّ إبرةَ رَوْقِه
قَلَمٌ أصابَ من الدَّواة مِدادَها

وقد رحم جرير الشاعر حين ابتدأ بالتشبيه وقال : « قد وقع ، ماعساه

(١٠١) أسرار البلاغة ص ١١٦ .
(١٠٢) نفسه ص ١٤٠ .

يقول ؟ » فلما اكمله استحالت رحمته حسدا ، « فهل كانت الرحمة في الأولى والحسد في الثانية الا أنه رآه حين افتتح التشبيه قد ذكر ما لايحضر له في أول الفكر وبديهة الخاطر وفي القريب من محل الظن ، وحين أتم التشبيه وأدّاه صادفه قد ظفر بأقرب صفة من أبعد موصوف ، وعثر على خبيء مكانه غير معروف »[١٠٣] . وما ذلك الا لأنّ « مبنى الطباع وموضوع الجبلّة على أن الشيء اذا ظهر من مكان لم يعهد ظهوره منه ، وخرج من موضع ليس بمعدن له ، كانت صبابة النفوس به اكثر ، وكان بالشغف منها أجدر »[١٠٤]. فاجتماع المتنافرات والمؤتلفات في التشبيه من أسباب الشعرية ، ولا تكون المتنافرات والمتباينات مقبولة الا بعد « تقييد وبعد شرط ، وهو أن تصيب بين المختلفين في الجنس وفي ظاهر الأمر شبها صحيحا معقولا ، وتجد للملاءمة والتأليف السويّ بينهما مذهبا واليهما سبيلا ، وحتى يكون ائتلافهما الذي يوجب تشبيهك من حيث العقل والحدس وفي وضوح اختلافهما من حيث العين والحس . فأما أن تستكره الوصف وتروم أن تصوره حيث لايتصور فلا ، لانك تكون في ذلك بمنزلة الصانع الأخرق يضع في تأليفه وصوغه الشكل بين شكلين لايلائمانه ولا يقبلانه حتى تخرج الصورة مضطربة وتجيء فيها نتو ، ويكون للعين عنها من تفاوتها نبو »[١٠٥] . ولايعني ايجاد الائتلاف بين المختلفات في الأجناس « انك تقدر أن تحدث هناك مشابهة ليس لها أصل في العقل ، وانما المعنى أن هناك مشابهات خفية يدق المسلك اليها ، فاذا تغلغل فكرك فأدركها فقد استحققت الفضل ، ولذلك يُشبّه المدقق في المعاني بالغائص على الدر . وَوِزان ذلك ان القطع التي يجيء من مجموعها صورة الشنف والخاتم أو غيرهما من الصور المركبة من أجزاء مختلفة الشكل لو لم

(١٠٣) نفسه ص ١٤١ .
(١٠٤) نفسه ص ١١٧ ــ ١١٨ .
(١٠٥) نفسه ص ١٣٨ ــ ١٣٩ .

يكن بينها تناسب ــ أمكن ذلك التناسب أن يلائم بينها الملاءمة المخصوصة ويوصل الوصل الخاص ــ لم يكن ليحصل لك من تأليفها الصورة المقصودة. ألا ترى أنك لو جئت باجزاء مخالفة لها في الشكل ثم أردتها على أن تصير الى الصورة التي كانت من تلك الأول طلبت مايستحيل ، فانما استحققت الأجرة على الغوص واخراج الدر ، لا أن الدر كان بك واكتسى شرفه من جهتك ، ولكن لما كان الوصول اليه صعبا وطالبه عسيراً ، ثم رزقت ذلك ، وجب أن يجزل لك ، ويكبر صنيعك »(١٠٦) . ثم أن « كل شبه رجع الى وصف أو صورة أو هيئة من شأنها أن ترى وتبصر أبداً فالتشبيه المعقود عليه نازل مبتذل ، وما كان بالضد من هذا وفي الغاية القصوى من مخالفته فالتشبيه المردود اليه غريب نادر بديع ، ثم تتفاضل التشبيهات التي تجيء واسطة لهذين الطرفين بحسب حالها منهما ، فما كان منها الى الطرف الأول أقرب فهو أدنى وأنزل ، وما كان الى الطرف الثاني أذهب فهو أعلى وأفضل ، وبوصف الغريب أجدر »(١٠٧) .

والتمثيل اكثر فاعلية في خلق الشعرية من التشبيه لانه يحتاج الى تأمل وتأول ، وهو « إذا جاء في أعقاب المعاني أوْ برزت هي باختصار في معرضه ، ونقلت عن صورها الأصلية الى صورته كساها أبهة وكسبها منقبة ورفع من أقدارها ، وشبّ من نارها ، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ، ودعا القلوب اليها واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا ، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا »(١٠٨) . والتمثيل « يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر لك بعد ما بين المشرق والمغرب ، ويجمع ما بين المشئم

(١٠٦) نفسه ص ١٣٩ .
(١٠٧) نفسه ص ١٥١ .
(١٠٨) نفسه ص ١٠١ ــ ١٠٢ .

والمعرق ، وهو يريك للمعاني الممثلة بالأوهام شبها في الأشخاص الماثلة والأشباح القائمة ، وينطق لك الأخرس ، ويعطيك البيان من الأعجم ، ويريك الحياة في الجماد ، ويريك التئام عين الاضداد فيأتيك بالحياة والموت مجموعين، والماء والنار مجتمعين »[١٠٩] .

والاستعارة انزياح استبدالي[١١٠] ، وهي أسمى من التشبيه في التصوير وخلق الشعرية ؛ لانها تخييل ، وبهذا تكتسب القدرة على التلوين والتصوير . وتأتي الاستعارة الحسنة بخفاء التشبيه ، إذ من شأنها انك كلما زدت ارادتك التشبيه إخفاءاً ازدادت الاستعارة حسنا حتى انك تراها أغرب ماتكون إذا كان الكلام قد ألف تأليفاً إنْ أردت أن تفصح فيه بالتشبيه خرجت الى شيء تعافه النفس ويلفظه السمع . ومثال ذلك قول ابن المعتز :

أَثْمَرَتْ أغصانُ راحتـه لجُناةِ الحُسْنِ عُنَّابـا

ألا ترى انك لو حملت نفسك على أن تظهر التشبيه وتفصح به احتجت الى أن تقول : « أثمرت أصابع يده التي هي كالأغصان لطالبي الحسن شبيه العناب من أطرافها المخضوبة » ، وهذا مالا تخفى غثاثته . من أجل ذلك كان موقع «العناب» في هذا البيت أحسن من قوله : «وعضّت على العناب بالبرد»[١١١].

والمعنى في الاستعارة يعرف من طريق المعقول دون اللفظ ، ولذلك كانت الاستعارة العقلية أحسن الاستعارات[١١٢] ، وهي ادعاء وليست نقلا ؛ لان فيها مالا يتصور تقدير النقل فيه البتة مثل قول لبيد :

---

(١٠٩) نفسه ص١١٨ .
(١١٠) ينظر بنية اللغة الشعرية ص١١٠ .
(١١١) دلائل الاعجاز ص ٤٥٠ ـ ٤٥١ .
(١١٢) ينظر أسرار البلاغة ص ٦٠ ومابعدها .

وغَداةِ ريحٍ قد كَشَفْتُ وَقَرّةٍ
إذ أصبحتْ بيد الشَّمال زِمامُها

فاليد استعارة ولكن « لاتستطيع أن تزعم ان لفظ « اليد » قد نقل عن شيء الى شيء ، وذلك انه ليس المعنى على انه شبَّه شيئا باليد فيمكنك أن تزعم انه نقل لفظ « اليد » اليه ، وانما المعنى على أنه أراد أن يثبت أن للشمال في تصريفها « الغداة » على طبيعتها شبه الانسان قد أخذ الشيء بيده يقلبه ويصرفه كيف يريد ، فلما أثبت لها مثل فعل الانسان باليد إستعار لها « اليد ». وكما لايمكنك تقدير النقل في لفظ « اليد » كذلك لايمكنك أن تجعل الاستعارة فيه من صفة اللفظ . ألا ترى أنه محال أن تقول : إنه استعار لفظ « اليد » للشمال »(١١٣) .

وأصل شرف الاستعارة هو جمع استعارات قصدا الى أن يلحق الشكل بالشكل ، وان يتم المعنى والشبه كما فعل امرؤ القيس في قوله :

فقلتُ له لما تَمَطّى بصُلْبِه
وأردَفَ أعجازاً وناءَ بكَلْكَلِ

فانه « لما جعل لليل صلبا قد تمطى به ثنَّى ذلك فجعل له أعجازاً قد أردف بها الصلب ، وثلّث فجعل له كلكلا قد ناء به ، فاستوفى له جملة أركان الشخص ، وراعى مايراه الناظر من سواده اذا نظر قدّامه ، واذا نظر الى خلفه ، واذا رفع البصر ومدّه في عرض الجو »(١١٤) .

ومن فضيلتها الجمع فيها بين متقاربين متباعدين كما في قول القطامي :

(١١٣) دلائل الاعجاز ص ٤٣٥ ــ ٤٣٦ ، وتنظر ص ٤٣٧ ، ٤٣٩ .
(١١٤) نفسه ص ٧٩ .

لم تَلْقَ قوماً هُمُ شرٌّ لاخوتهم
مِنّا عَشيةَ يجري بالدمِ الوادي
نَقريهُم لَهذَميّاتٍ نَقُدُّ بها
ما كان خاطَ عليهم كلُّ زرّادِ

لان « الخياطة تضم خرق القميص ، والسرد يضم حلق الدرع ، أفلا تراه بين أن جنسهما واحد وان كلا منهما ضمٌّ ووصل ، وانما يقع الفرق من حيث أنّ الخياطة ضم أطراف الخرق بخيط يسلك فيها على الوجه المعلوم ، والزرد ضم حلق الدرع بمداخلة توجد بينها ، إلاّ أنّ الشكال الذي يلزم أحد طرفي الحلقة الآخر بدخوله في ثقبتيهما في صورة الخيط الذي يذهب في منافذ الابرة »(١١٥) .

والاستعارة كالتمثيل والكناية وسائر ضروب المجاز من « مقتضيات النظم ، وعنه تحدث ، وبه تكون »(١١٦) ، فهي تكتسب مزيتها من خلال النظم ولذلك يقع التفاوت بين كلام وكلام وتحسن الاستعارة في مكان ولا تحسن في غيره ، ومن هنا كان فيها العامي المبتذل مثل « رأيت أسدا ، ووردت بحرا ، ولقيت بدرا » ، والخاصي النادر الذي لا يأتي الا في كلام الفحول كقول الشاعر :

أخَذْنا بأطرافِ الأحاديث بيننا
وسالَتْ بأعناق المطيِّ الأباطحُ

أي « أنها سارت سيرا حثيثا في غاية السرعة ، وكانت سرعة في لين حتى كأنها كانت سيولا وقعت في تلك الأباطح فجرت بها »(١١٧) . وليست الغرابة فيها

(١١٥) اسرار البلاغة ص ٥٧ ، وينظر الكامل جا ص ٥٦ .
(١١٦) دلائل الاعجاز ص ٣٩٣ .
(١١٧) دلائل الاعجاز ص ٧٤ ، وينظر اسرار البلاغة ص ٢١ .

انه « جعل المطيّ في سرعة سيرها وسهولته كالماء يجري في الأبطح ، فان هذا شبه معروف ظاهر ، ولكن الدقة واللطف في خصوصية أفادهـا بأن جعـل « سال » فعلا للاباطح ، ثم عدّاه بالباء بأن أدخل الاعناق في البين فقـال : « باعناق المطي » ولم يقل « بالمطي » ، ولو قال : « سالت المطي في الأباطح » لم يكن شيئا »(118) .

ومثل هذه الاستعارة في الحسن واللطـف وعلوّ الطبقـة في لفظـة « سالت » بعينها قول الآخر :

سالَتْ عليه شِعـابُ الحيِّ حين دعـا
أنصـارَه بوجـوهٍ كالدنانـير

أراد « أنه مطاع في الحي ، وأنهم يسرعون الى نصرته ، وأنه لايدعوهم لحرب أو نازل خطب الا أتوه وكثروا عليه وازدحموا حواليه حتى تجدهم كالسيول تجيء من ههنا وههنا ، وتنصبّ من هذا المسيل وذلك حتى يغصّ الوادي ويطفح منها »(119) . والغرابة فيها ليست في « مطلق معنى « سال » ولكن في تعديته بـ «على» وبالباء ، بأن جعله فعلا لقوله «شعاب الحي» ولولا هذه الأمور كلها لم يكن هذا الحسن »(120) .

وتأتي الغرابة من التفاوت الكبير ، واطلاق صفات أو أسماء موضوعـة لغير ما استعيرت له ، وسمّى عبدالقاهر هذا اللون «الاستعارة غير المفيدة» ، مثل قول القـائل :

فَبِتْنـا جلوسـاً لـدى مَهرنـا
ننـزّعُ مـن شـفتيه الصّفـارا

(118) دلائل الاعجاز ص ٧٥ ــ ٧٦ . يعني عبدالقاهر بالبين : من بين الكلام .
(119) نفسه ص ٧٥ .
(120) نفسه ص٧٦ .

فاستعمل « الشفة في الفرس وهي موضوعة للانسان ، فهذا ونحوه لايفيدك شيئا لو لزمت الأصلي لم يحصل لك ، فلا فرق من جهة المعنى بين قوله : « من شفتيه » وقوله : « من جحفلتيه » لو قاله • انما يعطيك كلا الاسين العضو المعلوم فحسب ، بل الاستعارة ههنا بان تنقصك جزءا من الفائدة أشبه »[١٢١] • وليس الأمر كذلك ، بل قد يكون هذا النوع من الاستعارة مفيدا ويحقق غرضا من الأغراض التي يسعى اليها الشاعر كالتحقير ، والتحبيب، والتزيين ، وقد يكون أراد هنا رسم صورة جميلة لمهره فشبهه بالطفل وسمى جحفلته شفة • ولا تختلف هذه عن استعارة الجحفلة والمشفر للانسان كما في قولهم : « انه لغليظ الجحافل ، وغليظ المشافر » وذلك انه كلام يصدر عنهم في مواضع الذم فصار بمنزلة أن يقال : « كأن شفته في الغلظ مشفر البعير ، وجحفلة الفرس » • وعلى ذلك قول الفرزدق :

فلو كنت ضَبّيّاً عرَفْتَ قرابتي
ولكنَّ زنجياً غليظَ المشافرِ

فهذا يتضمن معنى قولك : « ولكنَّ زنجيا كأنه جمل لايعرفني ولا يهتدي لشرفي »[١٢٢] • ومن ذلك قول المزرد :

فما رَقَدَ الوِلدانُ حتى رأيتَه
على البكر يَمْريه بساقٍ وحافرِ

فقد قالوا : إن القافية ألجأته الى أن يقول « حافر » بدلا من « قدم » ، وليس بالبعيد « أن يكون الذي أفضى به الى ذكر الحافر قصده أن يصفه بسوء الحال في مسيره وتقاذف نواحي الأرض به ، وأن يبالغ في ذكره بشدة الحرص على تحريك بكره ، واستفراغ مجهوده في سيره •

(١٢١) اسرار البلاغة ص ٣٠ .
(١٢٢) نفسه ص ٣٤ – ٣٥ .

ويؤنس بذلك أن تنظر الى قوله قبل :

وأشْعَثَ مسترخي العَلابيِّ طوَّحَتْ
به الأرضُ من بـادٍ عريضٍ وحـاضرِ
فأبْصرَ نـاري وهي شَقْراءُ أوقِدَتْ
بعليـاءِ نَشْـزٍ للعيـونِ النواظِـرِ

فاذا جعله أشعث مسترخي العلابيّ فقد قربت المسافة بينه وبين أن يجعل قدمه حافرا ليعطيه من الصلابة وشدة الوقع على جنب البكر حظا وافرا»(١٢٣). وفي هذا التصوير شعرية اكثر من استعمال الاستعارات العامية المبتذلة ، أو استعمال الالفاظ الموضوعة للدلالة على الأشياء كالجحفلة لشفة الفرس ، والمشفر لشفة البعير ، والحافر للقدم .

فالمجاز بانواعه ــ ولاسيما الاستعارة ــ أساس التصوير الذي يعتمد على النظم والتخييل، ولذلك قيل « خير الشعر أكذبه » ذاهبين الى « أن الصنعة انما تمد باعها وتنشر شعاعها ، ويتسع ميدانها ، وتتفرع أفنانها ، حيث يعتمد الاتساع والتخييل »(١٢٤) . ولذلك كانت الشعرية تعتمد على الاستعارة ــ « علامة العبقرية المميزة »(١٢٥) ــ ؛ لانها تؤدي الى « الفجوة ــ مسافة التوتر »(١٢٦) . وهي واسعة المدى رحيبة الفضاء لاحدود لها(١٢٧) ، وهذا يكسب الشاعر حرية التعبير والانطلاق في رسم الصور الفنية(١٢٨) . وتأتي أهميتها من انها انحراف في بنية اللغة deviation (١٢٩)، أو انزياح وخرق

(١٢٣) اسرار البلاغة ص ٣٦ . (١٢٤) نفسه ص ٢٥٠ .
(١٢٥) في الشعرية ص ١٢٢ .
(١٢٦) ينظر في الشعرية ص ٣١ ومابعدها .
(١٢٧) نفسه ص ٢١ .
(١٢٨) نفسه ص ١٢٩ .
(١٢٩) نفسه ص ٨٥ ، ١٤٠ .

لقانون اللغة يؤدي الى خلق الصورة البلاغية[١٣٠] ، الا ان هذا « الانزياح لايكون شعريا الا اذا كان محكوما بقانون يجعله مختلفا عن غير المعقول »[١٣١] ، ولا يصل الى الدرجة الحرجة إذ « بتجاوزها تكف القصيدة عن إنجاز وظيفتها باعتبارها لغة دالة ، وربما كان الطلاق الحاصل بين الشعر المعاصر والجمهور حاصلا بسبب تجاوز الشعر بسهولة لهذه العتبة ، ذلك الطلاق الذي يشكو منه الشبان المعاصرون »[١٣٢] . ولايكون هذا الانزياح في المستوى الدلالي « تاماً أبدا ، وليست هناك ــ فيما يبدو ــ قصيدة شعرية مائة في المائة »[١٣٣] . والاستعارة الشعرية ليست « مجرد تغير في المعنى ، انها تغير في طبيعة أو نمط المعنى ، انتقال من المعنى المفهومي الى المعنى الانفعالي ، ولهذا لم تكن كل استعارة كيفما كانت شعرية »[١٣٤] . ولا يمكن « للمعنى المفهوم والمعنى الانفعالي أن يتواجدا مجتمعين في حضن نفس الوعي . إذن لا يمكن للدال أن يتضمن مدلولين متنافيين ، وبهذا السبب كان على الشعر أن يلجأ الى هذا الانعطاف ، كان عليه أن يقطع الربط القائم بين الدال والمفهوم لأجل استبداله بالانفعال . عليه أن يجمد القانون القديم لأجل استخدام القانون الجديد . ليس الشعر شيئا مختلفا عن النثر ، انه نقيض النثر ، وليست الاستعارة مجرد تغيير في المعنى بل

(١٣٠) ينظر بنية اللغة الشعرية ص ٤٢ ، ٤٤ . وليس الانزياح خاصا بالاستعارة اذ يوجد انزياح سياقي يقابله ما تمثله القافية على المستوى الصوتي ، والتقديم والتأخير على المستوى التركيبي (ينظر بنية اللغة الشعرية ص ١١١) .

(١٣١) نفسه ص ٦ .

(١٣٢) نفسه ص ١٧٩ .

(١٣٣) نفسه ص ٢٣ .

(١٣٤) نفسه ص ٢٠٥ .

انها مسخ هذا المعنى . إن الكلمة الشعرية هي في نفس الآن موت وانبعاث للغة »[١٣٥] .

والكناية والتعريض والرمز والتلويح من أسباب الشعرية ؛ لانها تحرف الكلام عن طريقته ، وتخلق له صورة جديدة ، وتكسبه رونقا[١٣٦] . وليست المزية لهذه الألوان « على الكلام المتروك على ظاهره والمبالغة التي تدعـي لها في أنفس المعاني التي يقصد المتكلم اليها بخبره ، ولكنها في طريق اثباته لها وتقريره إياها »[١٣٧] ، وبذلك تكون قادرة على الابتكار والابداع وخلق الشعرية .

إن الشعرية لاتتحقق في التفسير الحرفي وانما في التفسير المجـازي الذي « يبعث معنى آخر للنص غير المعنى الذي يمتلكه سلفا »[١٣٨] ، أي البحث عن « معنى المعنى »[١٣٩] . ويبقى المجاز ــ ولاسيما الاستعـارة ــ « أعظم قوة يملكها الانسان » ومن « أهم أدوات الخيال غير المحدودة »[١٤٠] لعقدها الصلة بين الأشياء المتنافرة ، مما يفتح آفاقا رحيبة أمام الشاعر ، فهي « الوسيلة العظمى التي يجمع الذهن بواسطتها في الشعر أشياء مختلفة لـم توجد بينها علاقة من قبل ، وذلك لأجل التأثير في الموقف والدوافع . وينجم

---

(١٣٥) نفسه ص ٢١٤ .
(١٣٦) ينظر اسرار البلاغة ص ٣١٥ .
(١٣٧) دلائل الاعجاز ص ٧١ .
(١٣٨) الشعرية ص ١١ ، وتنظر ص ١٧ .
(١٣٩) يراد بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل اليه بغير واسطة ، ويراد بمعنى المعنى ان تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنـى الى معنى آخر . (ينظر دلائل الاعجاز ص ٢٦٣ ، بنية اللغة الشعرية ص ١٩٤) .
(١٤٠) ثورة الشعر الحديث ج١ ص ٣١٢ ، ٣١٣ .

هذا التأثير عن جمع هـذه الاشيـاء وعن العلاقـات التي ينشئهـا الذهن بينها »[141] .

ومن أسباب الشعرية الغموض ، وهو من القضايا التي أثارت النقاد على أبي تمام ، قال أبو سعيد وقد لقيه : « يا أبا تمام : لم لاتقول من الشعر مايُفهم ؟ » قال له : «وأنت يا أبا سعيد لم لا تفهم من الشعر مايُقال ؟»[142] . وكان بعض النقـاد يفضل الشعر الغامض ، لانـه يثير في النفس مالا يثيره الواضح ، ويوحي بمعان لايوحيها الآخر ، إذ « من المركوز في الطبع أن الشيء اذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق اليه ومعاناة الحنين نحوه كان نيله أحلى ، وبالمزية أولى ، فكان موقعه من النفس أجل وألطف ، وكانت به أضن وأشغف ، ولذلك ضرب المثل لكل مالطفه موقعه ببرد الماء على الظمأ كما قال :

وَهُنّ يَنْبِذْنَ من قولٍ يُصِبْنَ به
مواقعَ الماء من ذي الغُلّةِ الصّـادي

وأشباه ذلك مما ينال بعد مكابدة الحاجة اليه ، وتقدم المطالبـة من النفس به »[143] . والشاعر الذي يتحمل المشقة في استخلاص المعاني الجديـدة ويغوص عليها ، ويكابد من أجلها الامتناع والاعتياص يستحق الثناء والتقدير إذ أن « الشيء إذا علم أنه لم يُنل في أصله إلا بعد التعب ، ولم يدرك الا باحتمال النّصَب ، كان للعلم بذلك من أمره من الدعاء الى تعظيمه وأخـذ الناس بتفخيمه ما يكون لمباشرة الجهد فيه وملاقاة الكرب دونـه »[144] .

والغرابة والتفرد من سمات الشعر المتميز ، وسبب الغرابة « أن يكون

(١٤١) مبادىء النقد الادبي ص ٣١٠ ، وينظر في الشعرية ص ٤٦ .
(١٤٢) الموشح ص ٥٠٠ ، وتنظر ص ٤٩٩ .
(١٤٣) اسرار البلاغة ص ١٢٦ .
(١٤٤) نفسه ص ١٣٣ .

الشبه المقصود من الشيء مما لا يتسرع اليه الخاطر ، ولا يقع في الوهم عند بديهة النظر الى نظيره الذي يشبّه به ، بل بعد تثبيت وتذكر وفلْي للنفس عن الصور التي تعرفها ، وتحريك للوهم في استعراض ذلك واستحضار ما غاب منه »(١٤٥) .

وليس الغموض تعقيداً ، أو تعمية ، أو إبهاماً ، أو مالا طائل وراءه ؛ وانما هو القدر الذي يحتاج اليه الشاعر ليعبر عما يريد ، ويعرض صوره بثوب بديع ، وهو يعطي النص تفسيرات مختلفة تذهب النفس فيها كـل مذهب(١٤٦) على أن لايكون من « التعقيد الذي قالـوا انـه « يستهلك المعنى »(١٤٧) ، بسبب ان « اللفظ لم يرتب الترتيب الذي بمثله تحصل الدلالة على الغرض حتى احتاج السامع الى أن يطلب المعنى بالحيلة ، ويسعى اليـه من غير الطريق »(١٤٨) . ولاتدخل غرابة الالفاظ في الغموض لانها تنكشف بالرجوع الى المعجم ، فكم من شعر ذهب غموضه بعد معرفة معاني ألفاظه الغريبة .

فالغموض لا يأتي من غرابة الالفاظ ، وفساد النظم ، وانما من الغوص على المعاني ، واعطاء العبارة ظلالا توحي باكثر من معنى بحيث تذهب النفس كل مذهب في استخلاصها ، وهو من ملامح الشعر الرائع في القديم ، ومن سمات الشعر المعاصر الذي قد يكون غموضه بسبب « أن طبيعة الرؤيـا الحديثة هي الصدر الحقيقي لما يشكوه بعضهم من غموض الشعر الحديث . فليس التلاعب بالأوزان ، أو اللغة ، أو الصور ، هو السر الكامن وراء هذا

(١٤٥) نفسه ص ١٤٤ .
(١٤٦) ينظر الشعرية العربية ص ٥٤ ، النكت في اعجاز القرآن ص ٧٠ .
(١٤٧) ينظر دلائل الاعجاز ص ٢٧١ .
(١٤٨) اسرار البلاغة ص ١٢٩ .

الغموض ، وانما هي الرؤيا المأساوية القائمة في جوهرها العميق ، هي التي تصوغ هذا الشعر على نحو شديد الغموض والتعقيد »(١٤٩) ، وان طموح الشعر يتمثل في « أن يكتشف ويعري ما لايقدر بصرنا أن ينفذ اليه » وانه « يتجاوز الظواهر ، ويواجـه الحقيقة الباطنة في شيء ما أو في العالـم كله »(١٥٠) .

والغموض الذي يمليه الموقف أو الرؤيا مقبول ، أما المفتعل تقليداً للسرياليين ، أو جهلا ، أو لعبا ، فغير مقبول لانه أحلام رؤيا كاذبة ، ورؤية قاصرة لاتنفذ الى الاعماق ، وقد نسي المتعمدون المغربون أن الغموض ليس مسحة الشعر كله ، وانما هو مذهب مدرسة خاصة ، « والشعر الرمزي ليس الشعر الوحيد »(١٥١) .

ويؤدي الجناس إذا أحسن استعماله دوره في الشعرية لانه « ظاهرة ابراز للفرق عبر درجة قصوى من التشابه ، أي أنه تعميق للفرق عن طريق تعميق التشابه وعلى محورين مختلفين للفرق والتشابه ــ الفرق الدلالي والتشابه الصوتي ، ولانه كذلك فان الفجوة ــ مسافة التوتر فيه اكثر حدة وبروزاً ، وهو اكثر خلخلة لبنية التوقعات لـدى المتلقي »(١٥٢) . ويأتي حسنه من موقع اللفظتين المتجانستين من العقل موقعا حميدا ، ولم يكن الجامع بينهما مرمى بعيدا ، أما « التجنيس فانك لاتستحسن تجانس اللفظتين إلا اذا كان موقع معنييهما من العقل موقعا حميدا ، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدا . أتراك استضعفت تجنيس أبي تمام في قوله :

(١٤٩) شعرنا الحديث الى اين ص ١٢ .
(١٥٠) حركة الحداثة ص ٩٩ .
(١٥١) بنية اللغة الشعرية ص ٧٢ .
(١٥٢) في الشعرية ص ١٠٢ .

ذَهَبَتْ بمذهبه السماحةُ والتَوَتْ
فيه الظنونُ أمَذْهبٌ أم مُذْهَبُ ؟

واستحسنت تجنيس القائل : « حتى نجا من خَوفه وما نجا » وقول المحدث :

ناظِراه فيما جنى ناظِراهُ
أوْدَعاني أَمُتْ بما أوْدَعاني

لأمر يرجع الى اللفظ ؟ أم لانك رأيت الفائدة ضعفت عن الأول وقويت في الثاني ؟ ورأيتك لم يزدك بـ « مَذْهب » و « مُذْهب » على أن أسمعك حروفا مكررة تروم لها فائدة فلا تجدها إلا مجهولة منكرة ، ورأيت الآخر قد أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها ، ويوهمك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاها ، فبهذه السريرة صار التجنيس وخصوصا المستوفي منه المتفق في الصورة من حلى الشعر ومذكوراً في أقسام البديع . فقد تبين لك أن مايعطي التجنيس من الفضيلة أمر لم يتم إلا بنصرة المعنى إذ لو كان باللفظ وحده ، لما كان فيه إلا مستحسن ، ولما وجد فيه معيب مستهجن ، ولذلك ذم الاستكثار منه والولوع به »(١٥٣) . فلابد ــ إذن ــ أن يستدعي المعنى التجنيس ويسوق نحوه حتى « تجده لاتبتغي به بدلا ، ولاتجد عنه حِوَلا . ومن هنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه وأحقه بالحسن وأولاه ماوقع من غير قصد من المتكلم الى اجتلابه وتأهب لطلبه »(١٥٤) : وسر جمال التجنيس البديع هو حسن الافادة وذهاب الفكر مذهباً بعيداً ، ففي قول أبي تمام :

يَمُدّونَ من أيْدٍ عواصٍ عواصمٍ
تصولُ بأسياف قواضٍ قواضبِ

(١٥٣) اسرار البلاغة ص ٦ ــ ٨ ، وينظر دلائل الاعجاز ص ٥٢٣ .
(١٥٤) اسرار البلاغة ص ١٠ .

« تتوهم قبل أن يرد عليك آخر الكلمة كالميم من « عواصم » والباء من « قواضب » انها هي التي مضت وقد أرادت أن تجيئك ثانية وتعود اليك مؤكدة حتى إذا تمكن في نفسك تمامها ووعى سمعك آخرها انصرفت عن ظنك الأول ، وزلّت عن الذي سبق من التخيل ، وفي ذلك ماذكرتُ لك من طلوع الفائدة بعد أن يخالطك اليأس منها وحصول الربح بعد أن تغالط فيه حتى ترى أنه رأس المال »(١٥٥) . وهذا ماتؤيده الدراسات الحديثة إذ يكون « الجناس الحرفي مقوما مماثلا للقافية ، فهو يستفيد مثل القافية من الامكانيات اللغوية للحصول على أثر قوامه المماثلة الصوتية مع فارق كون الجناس يعمل داخل البيت ويحقق من كلمة لكلمة ماتحققه القافية من بيت لبيت ... واللغات التي لاتستعمل القافية تتوسع في استعمال الجناس ، وقد استعمله الشعراء الفرنسيون جميعاً »(١٥٦) .

والتضاد من أسباب الشعرية لانه يخلق تناقضا بين طرفين أو صورتين إذ هو « أحد تجسدات الفجوة »(١٥٧) . ولم يكن عدّه محسنا دقيقاً ، إذ كثيرا ما تتولد الصور من النقيض ، و « الصنعة والحذق والنظر الذي يلطف ويدق في أن تجمع أعناق المتنافرات والمتباينات في ربقة ، وتعقد الأجنبيات معاقد نسب وشبكة . وما شرفت صنعة ولا ذكر بالفضيلة عمل إلاّ لانهما يحتاجان من دقة الفكر ، ولطف النظر ، ونفاذ الخاطر الى مالا يحتاج اليه غيرهما ، ويحتكمان على مَنْ زاولهما والطالب لهما من هذا المعنى مالايحتكم ماعداهما ولا يقتضيان ذلك الا من جهة ايجاد الائتلاف في المختلفات . وذلك بيّن لك فيما تراه من الصناعات وسائر الاعمال التي تنسب الى الدقة فانك

(١٥٥) اسرار البلاغة ص ١٨ .
(١٥٦) بنية اللغة الشعرية ص ٨٢ ، وتنظر ص ٩٤ .
(١٥٧) في الشعرية ص ١٢٠ .

تجد الصورة المعمولة فيها كلما كانت أجزاؤها أشد اختلافا في الشكل والهيئة ، ثم كان التلاؤم بينها مع ذلك أتم ، والائتلاف أبين ، كان شأنها أعجب ، والحذق لمصورها أوجب»[١٥٨] . وهذا ما تذهب اليه الدراسات الحديثة ، فالشعرية لاخصيصة تجانس بل نقيض ، ويخلقها التضاد لانه « مصدر الفجوة ــ مسافة التوتر »[١٥٩] . وهذا ما يميز الشعر عن النثر ، اذ أن الشعر ليس « خلقاً للتوازن ، أو استعادة لتوازن مفقود ، أو تنسيقا للدوافع وتنظيما لها ، بل خلقا للتوتر والقلق ، أو بكلام أدق خلقا لمسافة التوتر »[١٦٠] .

والوزن من مقومات الشعر ، وانما لم يجعل النقاد العرب له باباً مستقلا في أبواب عمود الشعر، لانهم أدخلوه في باب «التحام أجزاء النظم والتئامها» . ولم يذهب أحد منهم الى نفي الوزن من الشعر وان قالوا : ان الشعر يراد لأمر خارج الوزن ويطلب لشيء سواه[١٦١] ، وانه ليس «بالوزن ماكان الكلام كلاما ، ولا به كان كلام خيرا من كلام »[١٦٢] أي أنه «ليس للوزن مدخل في ذلك»[١٦٣] . وقد يكون الكلام شعريا وهو غير موزون ، ومن ذلك حديث عبدالرحمن بن حسان ، وذلك انه «رجع الى أبيه حسان ــ وهو صبي ــ يبكي ويقول : «لسعني طائر . فقال حسان : صفه يا بني . فقال : كأنه ملتف في بردي حبرة ــ وكان لسعه زنبور ــ . فقال حسان : قال ابني الشعر ورب الكعبة . أفلا تراه جعل هذا التشبيه مما يستدل به على مقدار قوة الطبع ،

(١٥٨) اسرار البلاغة ص ١٣٦ .
(١٥٩) في الشعرية ص ٢٨ ، ٣٢ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ١٢٣ ، ١٢٥ .
(١٦٠) نفسه ص ٦٣ .
(١٦١) ينظر دلائل الاعجاز ص ٢٥ ــ ٢٦ .
(١٦٢) نفسه ص ٤٧٤ .
(١٦٣) نفسه ص ٣٦٤ .

ويجعل عياراً في الفرق بين الذهن المستعد للشعر وغير المستعد له ، وسرّه ذلك من ابنه كما سرّه نفس الشعر حينما قال في وقت آخر :

اللّـهُ يعلم أني كنتُ منتبـذاً
في دارِ حسانَ أصطادُ اليعاسيبا[١٦٤]

ويمكن للشعر أن يستغني عن الوزن ولكن «لماذا يستغني عنه ؟ ان الفن هو الذي يستغل كل أدواته ، والقصيدة النثرية باهمالها للمقومات الصوتية للغة تبدو دائما كما لو كانت شعراً أبتر ، فالنظم اذن من مقومات العملية الشعرية»[١٦٥] . وليس الايقاع بالسمة العارضة في الشعر وقد تميز الشعر العربي بالوزن وكان « أساس القول الشعري الجاهلي » لانه «قوة حية تربط بين الذات والآخر من حيث أنه نبض الكائن ، ومن حيث أنه يؤالف بين حركات النفس وحركات الجسم»[١٦٦] . ان للوزن أهمية لاتنكر ووظيفته « ضمان عودة الصوت التي تمثل جوهر النغم » ثم ان « الخطاب يقبل الانقسام الى مقطعات تتأرجح قليلا حول نفس العدد المتماثل من المقاطع . والأذن تستخلص من هذا احساساً بالتكرار الصوتي يكفي لتحقيق تعارض بين الشعر والنثر »[١٦٧] .

إن الشعرية ليست ضد الوزن والايقاع وان كان «طغيان الانتظام الوزني في الشعر يرافقه انحسار للصورة الشعرية»[١٦٨] عند الشعراء التقليديين ، ولكنه يظل أحد أسباب خلق الشعرية لاتصاله بالتركيب اللغوي الذي يوجه العبارة ويقيم توازنها ، وبهذا التوجيه الخاص يفترق الشعر عن

(١٦٤) اسرار البلاغة ص ١٧٥ ، وينظر الكامل ج١ ص ٢٢٥ .
(١٦٥) بنية اللغة الشعرية ص ٥٢ .
(١٦٦) الشعرية العربية ص ٢٧ .
(١٦٧) بنية اللغة الشعرية ص ٢١٢ .
(١٦٨) في الشعرية ص ٩١ .

النثر لا خارجيا فحسب وانما داخليا ؛ لان الوزن « ابراز أو احداث لفجوة حادة في طبيعة اللغة ، خلق مسافة توتر عميقة بين المكونات اللغوية العـائمة في وجودها العادي خارج الشعر ووجودها داخله»[١٦٩]. وربما كان فســاد النظم الذي وصفت به بعض الأبيات بسبب الوزن الذي خلق تركيبا لغويا يخالف المألوف ، واذا صح الربط بين الوزن والاغراض الشعريـة والحـالة الشعورية فانه يظل مهما لانه يصور انفعال الشاعر ، وانسجام مشاعره مـع الايقاع • وتتصل بالايقاع القافية ، وهي من سـمات الشـعر العربي ، وهي والوزن ليسا « مجرد محسنات صوتية » وانما هما « ينجزان وظيفة دلالية » والقافية « هي دال ، اذ أن المشترك اللفظي حسب مبدأ الموازاة الصوتيـة الدلالية يعني أن هناك ترادفا ، فالكلمات التي تتشابه من جهة الصوت ينبغي أن تتشابه من جهة المعنى » وهذا المعنى الدلالي للقافية كثيرا ما تم تأكيـده « وعلى الرغم من أن تصريف القافية يعتمـد التكرار المنتظـم للاصوات أو مجموعات من الاصوات المتماثلة ، فانه من قبيل المبالغة في التبسيط تنـاول القافية من الزاوية الصوتية وحدها • القافية تقتضي بالضرورة علاقة دلاليـة بين الوحدات التي تربط بينها »[١٧٠]• فالقافية لاتعارض الشعرية وانما يفسد الشعر التكلف فيها ووضعها في غير موضعها ، ويتحقق حسنها في « مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما »[١٧١] •

ولا يكسب الايقاع والقافية وحدهما الكلام شعرية فربّ كلام موزون مقفى لا أثر للشعر فيه ، وقد قال يحيى بن المنجم « ليس كل من عقد وزنـاً بقافية فقد قال شعراً ، الشعر أبعد من ذلك مراماً وأعزّ انتظاماً »[١٧٢] • وقـد

(١٦٩) نفسه ص ٨٩ .
(١٧٠) بنية اللغة الشعرية ص ٧٤ ، ٩٤ ، ٢٠٩ .
(١٧١) ينظر شرح ديوان الحماسة ج١ ص ٩ .
(١٧٢) ينظر مقالة في اللغة الشعرية ص ٣٠ .

يُخلي[١٧٣] الشاعر أي يأتي بأبيات مغسولة ليس فيها بيت رائع ، والشعر المغسول ليس من الشعر ؛ لأنه لا تتحقق فيه الشعرية وهي التدفق ، وروعة التعبير ، وطرافة التصوير • وللشعرية دوافع تخلق التوتر ، ومنها الشرب ، والطرب ، والغضب[١٧٤] ، ولذلك قيل : «أشعر الشعراء امرؤ القيس اذا ركب ، وزهير اذا رغب ، والنابغة اذا رهب ، والأعشى اذا شرب»[١٧٥] ولذلك قلّ الشعراء المجوّدون ، وكثر النظامون الذين لايعنيهم الا الوزن والقافية ، أو الشعارات ، أو التشبه بكبار الشعراء •

هذه بعض أسباب الشعرية المهمة وهي تتصل ببنية اللغة ، وهناك أسباب أخرى ، ولكن اللغة أهم ماينبغي الوقوف عنده ؛ لان الشعر تشكيل لها ، واعادة لخلقها ، ومن هنا جاء التأمل في اللفظة وارتباطها بغيرها ، وفي التقديم والتأخير ، والحذف ، والتنكير ، والحال ، والتمييز ، والفصل والوصل ، والاستعارة ، والغموض ، والجناس ، والتضاد ، والوزن ، والقافية ، وهو ما وقف عنده المعاصرون من العرب والأجانب[١٧٦] • وقد اتضحت في هذا

(١٧٣) قال البحتري : « دعاني علي بن الجهم فمضيت اليه فأفضنا في اشعار المحدثين الى ان ذكرنا اشجع السلمي فقال لي : انه يخلي واعادها مرات ولم افهمها وانفت ان اسأله عن معناها . فلما انصرفت فكرت في الكلمة ونظرت في شعر اشجع السلمي فاذا هو ربما مرت له الابيات مغسولة ليس فيها بيت رائع ، فاذا هو يريد هذا بعينه ، انه يعمل الابيات فلا يصيب فيها ببيت نادر كما ان الرامي اذا رمى برشقة فلم يصب فيه بشيء قيل : اخلى » . (ينظر اخبار ابي تمام ص ٦٣) .

(١٧٤) قال عبدالملك بن مروان لأرطاة بن سهية : « هل تقول الآن شعرا ؟ فقال : كيف اقول وانا ماشرب ، ولا اطرب ، ولا اغضب ، وانما يكون الشعر بواحدة من هذه » . (ينظر الشعر والشعراء ج١ ص ٨٠ ، ٥٢٢) .

(١٧٥) العمدة ج١ ص ٩٥ .

(١٧٦) ينظر كتاب « في الشعرية » للدكتور كمال ابو ديب و « بنية اللغة الشعرية » لجان كوهين .

البحث بعض الملامح العامة هي :

الأول : ان الشعرية قد يراد بها الفن الذي يضع الأصول ويرسم الحدود، وهو ما عرف بفنون البلاغة ومقاييس النقد . وهذا الاتجاه مهم لانه لايترك الأبواب مشرعة من غير علم وادراك ، أو من غير تقعيد وتأصيل . وليس صحيحا ان « التقنين والتقعيد يتناقضان مع طبيعة اللغة الشعرية »(١٧٧) على الرغم من الايمان بان « اللغة بما هي الانسان في تفجره واندفاعه واختلافه تظل في توهج وتجدد وتغاير ، وتظل في حركية وتفجر » وبانها « شكل من أشكال اختراق التقنين والتقعيد » ، لان اهمال التقعيد قد يؤدي الى الفوضى والفساد . فلابد ــ اذن ــ من الوقوف على خفايا « البلاغة الحية الفعالة التي لن يكون هناك شعر بدونها »(١٧٨) ، وهي بلاغة لن تتوقف عند رسوم القدماء وانما تخلي نفسها من كل مالاينفع ، وتستمد حياتها من كل جديد . وهذا ما أخذ الأجانب يفعلونه اذ بدأوا يبحثون في « البنية المشتركة بين الصور المختلفة »(١٧٩) ــ كما فعل عبدالقاهر عندما ربط فنون البلاغة ووسائل التعبير بالنظم ــ بعد أن وجدوا « البلاغة القديمة قد بنيت بمنظور تصنيفي خالص » ووقفت « محاولتها عند وضع المعالم وتسمية وترتيب الاصناف المختلفة من الانزياحات »(١٨٠) ، وهذا يدل على أن ادراك الشعرية لا يتأتى الا بمعرفة فنون البلاغة وأصولها وهو ما عنيت به الدراسات القديمة وبعض الدراسات الحديثة .

وقد يراد بالشعرية الطاقة المتفجرة في الكلام المتميز بقدرته على الانزياح ، والتفرد ، وخلق حالة من التوتر .

---

(١٧٧) ينظر في الشعرية ص ٣١ .
(١٧٨) بنية اللغة الشعرية ص ٤٥ .
(١٧٩) نفسه ص ٤٧ .
(١٨٠) نفسه ص ٤٧ .

الثاني : ان العرب لم يجهلوا مواطن الشعرية وان اختلفت وجهات النظر ، ويُعدّ عبدالقاهر من اكثر البلاغيين والنقاد العرب ادراكا لها ، وكانت وقفته الطويلة عند النصوص الشعرية ، وتلمس مواطن الابداع فيها من أروع ما وقف القدماء عنده . وتظل نظراته النقدية والبلاغية معيناً ثرّاً للمعاصرين ؛ لأنها لاتبعد عن نظراتهم وان اختلف المصطلح ، أو التعليل ، أو التفسير في بعض الأحيان ، وما القول بالفجوة ومسافة التوتر[181] بنقيض لما قاله ، وان اختلفت وسائل الوصول اليها .

إن التراث الحي يبقى خالدا على الرغم من تعاقب القرون ، ويموت التراث الغث قبل موت أصحابه ، وتراث عبدالقاهر خالد بخلود أمة العرب ؛ لانه ينبض بالحياة ، ويعبر عن روح اللغة العربية .

الثالث : ان الشعرية لاتقاس الا بالابتكار والمعاني الخاصة[182] ، ولاتقع الا في « الشعر الشاعر » و « السحر الساحر »[183] ، ولا تتأتى لكل واحد وانما تنقاد للحاذق البصير[184] ، ولذلك يتفاوت الكلام وإن كان المعنى واحدا .

الرابع : ان الشعرية تكون في خرق اللغة المتمثل في المجاز أو الانزياح الذي يعطي اللغة قدرة على الابداع ، وهذا هو الفرق بين الشعر والنثر ، انه فرق يتجسد في « طريقة استعمال اللغة »[185] لا في الوزن والقافية .

الخامس : ان الوقوف عند الشعرية وادراكها ليس رجماً بالغيب ، أو تفسيرات غيبية ، وانما هو النظرة الثاقبة ، والادراك العميق ، والتحليل

(١٨١) بنى الدكتور كمال ابو ديب كتابه « في الشعرية » على هذه الفكرة .
(١٨٢) ينظر اسرار البلاغة ص ٣١٣ .
(١٨٣) ينظر دلائل الاعجاز ص ٨٨ ، ٣٠٦ .
(١٨٤) نفسه ص ٨٨ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ .
(١٨٥) سياسة الشعر ص ٢٤ ، ٢٥ .

الرصين ، والتفسير المقنع ، فليس يفهم الاستعارة التي بلغت غاية الشرف ولا « يبصرها الا ذوو الأذهان الصافية ، والعقول النافذة والطباع السليمة ، والنفوس المستعدة لأن تعي الحكمة وتعرف فصل الخطاب »(١٨٦) ، وفي الاستعارة « بعد من جهة القوانين والاصول شغل للفكر ، ومذهب للعقول ، وخفايا ولطائف تبرز من حجبها بالرفق ، والتدريج ، والتلطف ، والتأني »(١٨٧). وما تقوى فيه الحاجة الى التأول يحتاج الى « فضل الرفق به والنظر » ولا « يفهمه حقّ فهمه الا مَن له ذهن ونظر يرتفع به عن طبقة العامة »(١٨٨). والتمثيل الغامض المحوج الى الفكرة « كالجوهر في الصدف لايبرز لك الا أن تشقه عنه ، وكالعزيز المحتجب لايريك وجهه حتى تستأذن عليه . ثم ما كل فكر يهتدي الى وجه الكشف عما اشتمل عليه ، ولا كل خاطر يؤذن له في الوصول اليه ، فما كل أحد يفلح في شق الصدفة ويكون في ذلك من أهل المعرفة » (١٨٩) .

ولابد من ذوق رفيع يدرك الكلام ويهتز لروعته ، ولن يقف الناقد ، أو المتلقي على شعرية النص حتى « يكون من أهل الذوق والمعرفة ، وحتى يكون ممن تحدثه نفسه بان لما يومىء اليه من الحسن واللطف أصلا ، وحتى يختلف الحال عليه عند تأمل الكلام فيجد الاريحية تارة ويعرى منها أخرى ، وحتى اذا عجّبته عَجب ، واذا نبّهته لموضع المزية انتبه . فأما من كان الحالان والوجهان عنده أبدا على سواء ، وكان لايتفقد من أمر النظم الا الصحة المطلقة ، وإلاّ إعراباً ظاهرا ، فما أقل ما يجدي الكلام معه ، فليكن مَن هذه

---

(١٨٦) اسرار البلاغة ص ٦٠ .
(١٨٧) نفسه ص ٨٠ .
(١٨٨) نفسه ص ٨٤ .
(١٨٩) نفسه ص ١٢٨ .

صفته عندك بمنزلة من عدم الاحساس بوزن الشعر والذوق الذي يقيمه به والطبع الذي يميز صحيحه من مكسوره ، ومزاحفه من سالمه ، وما خرج من البحر مما لم يخرج منه في أنك لا تتصدّى له ولا تتكلف تعريفه لعلمك أنه قد عدم الأداة التي معها يعرف والحاسة التي بها يجد ، فليكن قدحك في زندٍ وارٍ ، والحك في عود أنت تطمع منه في نار »(١٩٠) .

السادس : ان تفسير بعض المعاصرين الأجانب للشعرية لايخرج عن أسس عبدالقاهر ، وتبدو الملامح واضحة في المنطلق وإن اختلف المصطلح ، أو العرض ، أو التفسير ، وما القول بالانزياح وبناء الشعرية عليه(١٩١) بنقيض لنظرية النظم وارتباط صور التعبير والتخييل به .

السابع : ان البلاغة بدأت تستعيد مكانتها في الدراسات النقدية بعد أن أهملت في الغرب حين رفعت عبارة هيجو « لنحارب البلاغة » شعارا بوجه هذا الفن (١٩٢) ، ولكن هذا الموقف المعادي للبلاغة «قد تغير قليلا عند اللسانيين في الأقل واعترفت الاسلوبية بدينها نحو هذا العلم العتيق ، في الوقت نفسه تحاول فيه تجديده » (١٩٣) .

والحقُّ أنَّ البلاغة من أهم وسائل دراسة الشعرية ، وتتضح هذه

---

(١٩٠) دلائل الاعجاز ص ٢٩١ ، وتنظر ص ٤٢٤ ، ٥٤٦ ، ٦٢٦ .

(١٩١) بنى جان كوهين كتابه « بنية اللغة الشعرية » على فكرة الانزياح وطبقها على فنون البلاغة التي عالجها عبد القاهر ، ويبدو انه مطلع على « دلائل الاعجاز » لتشابه الموضوعات واقتراب الهدف وانه معجب ببعض الشعر العربي (ينظر كتابه ص ١٠٥ ـ ١٠٦ .

(١٩٢) لعل هيجوشن الحرب على البلاغة المتحجرة وأشكالها الجاهزة لاعلى البلاغة الحية الفعالة التي لن يكون هناك شعر بدونها . (ينظر بنية اللغة الشعرية ص ٤٥) .

(١٩٣) بنية اللغة الشعرية ص ٤٧ .

الحقيقة في كتابي « أسرار البلاغة » و «دلائل الاعجاز» لعبدالقاهر وفي الدراسات الحديثة ككتاب « في الشعرية » للدكتور كمال أبو ديب وكتاب « بنية اللغة الشعرية » لجان كوهين • وهذا يعطي البلاغة أهمية كبيرة في الدراسات النقدية التي حاولت الابتعاد عن فنونها أسوة بما حدث في الغرب فخسرت كثيرا ، وجعلت النقد انطباعيا ، أو ألغازا ، أو تمحلا ، أو مباهاة لا يرفدها علم ولا يرفعها ذوق ، وفي ذلك الضلال البعيد والضياع الأليم •



★ ★ ★

النَّابِغَةُ الذُّبيانيُّ

الشاعر الناقد

الدكتور جميل سعيد

عضو المجمع العلمي

بسم الله الرحمن الرحيم

نبدأ حديثنا هذا عن النابغة الذبياني ، الشاعر الناقد ، بأن نبيّن ، أننا سنفيض بعض الإفاضة ، في حياته الاجتماعية ، التي نرى لها صلة بالناحية الفنية في شعره ، وفي نقده الأدبي . وسيكون ديوان شعره عمدتنا الأولى في هذا الحديث .

والنابغة : هو زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر ... بن سعد بن ذبيان... بن قيس عيلان[1] فهو من قبيلة ذبيان الغطفانية القيسية المشهورة التي اقترن اسمها بحرب داحس والغبراء ، التى دارت بينها وبين اختها قبيلة عبس . وهو يكنى أبا امامة. والنابغة لقب غلب على اسمه ، وشهر به حتى كاد لايعرف إلاّ به .

وعلّلوا تلقيبه بالنابغة ، بأنّه قال الشعر ونبغ فيه بعد ان كبرت سِنّه . وعلله بعضهم بأنه لقب به ، لقوله : «فقد نبغت لنا منهم شئون»[2] في قوله :

نأت بسعاد عنك نوى شطون
فبانت والفؤاد بها رهين

---

(١) الجمهرة ؛ ١/٧٢ ، وانظر الخلاف في نسبه في الاغاني ؛ ١١/٣ .
(٢) الأغاني ؛ ١١/٣ .

عدتنــا عن زيـارتهـا العــوادي
وحالت بيننا حــرب زبـون
وحلت في بنى القين بن جسر
فقــد نبغت لنــا منهــم شـئون[٣]

ونحن أميل الى الــرأى الأول ، وهو انه لقب بالنابغــة ، لنبوغه في شعره ، لأننا نجد طائفة من الشعراء عندهم ، يشتهر تلقيبها بالنابغة لنبوغها في الشعر ، كالنابغة الجعدى ، والنابغة الشيباني ، والنابغة التغلبى والنابغــة اليربوعي ، وغيرهم[٤] .

ولا يفوتنا ان نقول : إن ملكة الشعر ، تظهر عادة في الشعراء ، وهم في ريعان صباهم ، أو في صدر شبابهم ، لأن العاطفة تكون ، اشد ما تكون ، اهتياجاً في المرء ، وهو في هذه الفترة من حياته ، وان الكثير من الشعراء تضعف أو تخمد هذه العاطفة فيهم حين يكبرون ويشيخون . ونقول مــع هذا : إننا لاننكر ان المرء قد تصادفه هزات عاطفية في حياته ، تحوله من حال الى حال ، وقد تثير هذه في نفسه الشعر ، وتبعثه فيها بعثاً رائعاً[٥]. وربما كان النابغة من هذا الضرب من الشعراء . إنهم يقولون عنه : « إنه نبغ بعدما احتنك» ويقولون عنه أيضا : « وهلك قبل أن يُهتر »[٦] . يريدون انه مات

(٣) ديوان النابغة ؛ ص : ٢٥٦ والأغاني ؛ ١١/٥ ، ط : دار الكتب المصرية .
(٤) عدد صاحب القاموس سبعة لقبوا بهذا اللقب . انظر مادة : نبغ في القاموس .
(٥) يقولون عن الشاعر الانكليزي المشهور «توماس هاردي» انه سحر قراءه بشعره الغزلي ، بعد ان جاوز كهولته الى شيخوخته . ويعللون هذا بأنه عشق ، واكتوى بنار العشق بعد أن شاخ .
(٦) يقال : هتر الكبر فلانا : افقده عقله . والهتر : ذهاب العقل من كــبر أو مرض أو حزن .

قبل ان تتقدم به السن ويبدو به ضعف العقل أو الخرف ، وقد يتبع هذا ضعف الشعر .

وقبيلة النابغة ، قبيلة ذبيان ، وهي من القبائل المعروفة بمكانتها بين قبائل العرب . ويكفيها شهرة أن كانت لها حروب مشهورة مع دولة الغساسنة .

والنابغة لم يكن في خمول من نسبه في قبيلته هذه ، وحسبك به مكانة، ان يقول عنه مؤرخو الأدب : « إنه احد الأشراف الذين غض الشعر منهم[٧]» .

وزاده مكانة في قومه ان كان شاعراً . ومعلوم عندنا ان مما تهنأ به القبيلة العربية ، أن ينشأ أو ينبغ فيها شاعر ، لأنه لسانها المدافع عنها بين القبائل . وكان من شهرته بشاعريته أن قالوا : « ان أوساً كان شاعر مضر في الجاهلية ، حتى ظهر النابغة وزهير فأخملاه ، فالنابغة اذاً شاعر اخملت شهرته اشهر شعراء مضر » .

وزاده مكانة في القبيلة أن اتصل بملوك الحيرة ، المناذرة ، وبملوك الشام ، الغساسنة ، وأنه كان له مقام عند هؤلاء وهؤلاء وان كان يشفع لقومه عندهم فيما يكون بينهم وبين هؤلاء من خلاف . وفي ديوان النابغة[٨] قصيدة يمدح بها عمرو بن الحارث الاصغر الغساني ، ويشير بها الى وقعته ببني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ؛ أولها :

اهابك من أسماء رسم المنازل
بِبرقة نعميٍّ فروض الأجاول

(٧) الأغاني ؛ ١١/٣ ، ط : دار الكتب المصرية .
(٨) ص : ٦٥ ، برواية ابن السكيت ؛ تحقيق الدكتور شكري فيصل .

وختامها :

وبيض غريرات تفيض دموعهـــا
بمســـتكره[٩] يذرينـــه بالأنـــامل

وابو عبيدة يقول في خاتمة تفسيره لها : « ••• فلما جاءوا بالسبى ، طلب النابغة فيهم الى عمرو بن الحارث ••••فوهبهم له » •

وتـــراه في القصيدة نفسها من المكانـــة ، بحيث يستطيع أن يقول ، كاللائم المعنف لبني عوف ، لانهم عرّضوا انفسهم لهذه الحرب :

نصحت بنى عوف فلم يتقبلوا
رسولى ، ولـــم تنجح لديهم وسائلى

وكانت قبيلته من المنعة بحيث يستطيع ان يفتخر بها ، وان يفتخر بمكانته فيها ، بأن يقول :

حولـــى بنـــو ذبيـــان لايعصونني
وبنو بغيـــض كلهم أنصـــاري[١٠]

وكان ، مع مكانته هذه شريفاً شجاعاً ، يفتخر باعراضه عن اللهو وعن النساء ، ويفتخر باقدامه وشهرته في الركوب والقتال ، يقول :

قالت : أراك اخـــا رحل وراحلـــة
تغشى متالف ، لن ينظرنك الهرمـــا

ويقول ، في جوابه لها :

---

(٩) يريد بالدمع المستكره : أنها بكت حتى نفد دمعها ، فهي تستكره الدمـــع بالبـــكاء .
(١٠) الديوان ؛ ص : ١٠٤ .

حياك ودٌّ ! فانا لايحل لنا
لهو النساء ، وان الدين قد عزما
مشمّرين على خوص مزمّمة
نرجو الاله ونرجو البر والطعما
هلا سألت بنى ذبيان ماحسبى
اذا الدخان تغشى الأشمط البرما[11]

ويزيد في الفخر[12] ؛ مفصّلا فيما يفتخر به ؛ يقول :

وغارة ذات أظفار ململمة
شعواء تعتسف الصحراء والأكما
خيل صيام وخيل غير صائمة
تحت العجاج ، وخيل تعلك اللجما
قود براها قياد الغزو فانهدمت
تدمى دوابرها محذوة خدما
أقدمتها ونواصي الخيل شاحبة
جرداء عجلزة أرمي بها قدما

وكان من المكانة بحيث ينجد ويعين قبيلة على قبيلة ، وفي الديوان ايضاً : « وقال النابغة حين أعان بني أسد على بني عبس »[13] :

وقد نصرت بنى دودان اذ نشدوا
حلفى ، ولو نشِدوا بالحلف ماعذروا

(١١) الأشمط : الأشيب . البرم : الذي لا سخاء عنده ، ولا يدخل مع القوم في الأيسار لبخله .
(١٢) الديوان ؛ ص : ١١٢ .
(١٣) الديوان ؛ ص ١٩٣ .

أبليتهم خلقا أثنوا بأحسنه
إن الكرام إذا ابليتهم شكروا
مازال حسناى تأتيهم وتنأشهم
حتى شفوا كل داء عرقه غَبِرُ

وهكذا ترى النابغة في قومه ، وفي مكانته ، وقد علا شأنه بين قبائل الحجاز ونجد ، ووصل الى مالم يصله شاعر عربي ، قبله ولابعده .

صلته بالملوك :

ويجدر بنا ، قبل ان نتحدث عن صلته بالملوك ، أن نقول : إن صلة النابغة — على ماتصوره كتب الادب عندنا — بملوك العرب ، من المناذرة والغساسنة ، على غير الصورة التي هي في أذهاننا ، لغيره من الشعراء ، فيما بعد إنهم . يمدحون الملوك يتزلفون اليهم ، وقد يحظون باحترامهم . وقد ينظرهم الملوك نظرتهم للسائل المرتزق . ونستطيع ان نقول : إن الصورة التى نراها له ، بكتب الأوائل تكاد تجعله فريداً في هذه الصلة بين شعراء العربية .

كان يتردد على المناذرة والغساسنة ، يمدحهم وينال جوائزهم الكبيرة ، ولبيان صورة من صلته بالمناذرة ، نورد بعض ماجاء في الأغاني ، عن هذا قال(١٤) : « ان النابغة كان كبيرا عند النعمان خاصا به ، وكان من ندمائه ، واهل انسه » ويروى عن حسان بن ثابت انه قدم على النعمان بن المنذر ، وقد امتدحه ، وطلب من حاجبه عصام أن يوصيه بما يجب أن يظهر به مع النعمان . وبعد ان حدثه عصام ، وأوصاه ، قال له : « قد بلغنى ان النابغة الذبيانى قدم عليه ، واذا قدم ليس لأحد حظ منه

(١٤) الأغاني ؛ ٩/١١ .

سواه . فاستأذنْ حينئذ وانصرفْ مكرما ، خير من ان تنصرف مجفوّا »[١٥] .
ويروون ان النعمان ، كانت تأخذ فيه الخمر ، وهو يسمع قصيدة النابغة تغنّيه قينة ، فيطرب ويقول : « هذا شعر عاوِيّ ، هذا شعر النابغة »[١٦] .

ويروى حسان صورة مجلس للنعمان مع النابغة فيقول : « ... فدخل النابغة ، فحياه ... وشرب معه ، واستأذنه في ان ينشده كلمته على الباء فأذن له ان ينشد قصيدته ، التى يقول فيها .

فانّك شمس والملوك كواكب
اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

ووردت عليه مائة من الابل السود ، فيها رعاؤها وبيتها وكلبها ، فقال : شأنك يا ابا اُمامة ! فهى لك بما فيها » قال حسان « فما اصابنى حسد في موضع ما أصابني يومئذ . وما أدري أيما كنت أحسد له عليه : أَلما سمعت من فضل شعره ؟ أم ما أرى من جزيل عطائه . فجمعت جراميزي[١٧] وركبت الى بلادي »[١٨] .

ونرى من هذا الحديث جملة ماللنابغة في نفس النعمان من مقام ، فهو يخاطبه بالكنية ، والخطاب بها من صفات الودّ والتعظيم عندهم ، وانه كان يدنى مجلسه منه ، وان به انسه ، وانه يعجب بشعره ، وانه اعطاه العطية التى لم يُسمع بمثلها عندهم .

وفي المباعدة بين النابغة والنعمان بن المنذر رويتْ اسباب منها مايتغلق

(١٥) الأغاني ؛ ٩/١١ .
(١٦) الأغاني ؛ ٢٨/١١ .
(١٧) يقال : جمع فلان جراميزه : اذا رفع ما انتشر من ثيابه ، ثم مضى .
(١٨) الأغاني ؛ ٣٩/١١ .

بامرأة النعمان المتجردة ، وهي ان النعمان ادنى النابغة من نفسه وجعله من خاصته ، حتى طلب اليه ان يصف المتجردة ، زوجته ، في شعره ، وانه قال قصيدته المشهورة :

أمن آل ميّة رائح أم مغتد
عجلان ، ذا زادٍ وغير مزوّد

وذكر فيها ما اغاظ النعمان ، وان حساده في بلاط النعمان وشوا به فتوعده النعمان ، ولحق ، وهو كالهارب الخائف ، بأهله . وحول هذه الحادثة حيكت الاحاديث التى وشيت بالخيال . ومنها أنه وصف سيفاً عند بعض اصحاب النعمان للنعمان ، فأخذ النعمان السيف من صاحبه ، وساء هذا صاحب السيف فوشى به الى النعمان ...

والذي نميل اليه : ان النابغة كان متصلا بالغساسنة ملوك الشام ، صلته بالمناذرة ملوك العراق ، وكانت المنافسة والخصومة قائمة بينهما . ومن هنا لم يجد منافسوه في بلاط النعمان صعوبة في الوشاية به تخلصاً منه .

ومكانة النابغة عند الغساسنة ، لم تكن بأقل من مكانته عند المناذرة ، فعلاوة على انه الشاعر الكبير الذي تحب الملوك ان يسير شعره في مديحها ، فيعلى مكانتها ، ويزيد في هيبتها عند الناس ، كان الغساسنة يحبون ان يجتذبوه اليهم ، وان يبعدوه عن المناذرة ، منافسيهم . يزاد على هذا : ان النابغة كان زعيم قومه ، وأن قومه كانوا من المنعة بحيث كانوا يجترئون على الغساسنة ، ويتعرضون لهم تعرضا يوجب المصادمة والقتال . وفي ديوان النابغة (١٩) : « وزعموا ان حصن بن حذيفة بن بدر وزبان ابن سيّار الفزاريين اغارا مرارا على ما كان في يد غسان من مملكة الروم ،

(١٩) الديوان ؛ ص : ٨١ .

وكانا يغيران من تلقاء وادي القـرى ، ودومة الجندل ، و مايلى الشـام ، فيأخذون ماقدروا عليه . فلما ألحّا عليهم في الغزو جمعت لهم غسان جموعا كثيرة .... » ونصحهم النابغة ان يخلوا ارض الغساسنة هذه فأبوا ، وردّوا عليه قائلين : «لو ظفروا بنا ما زادونا على الذي نراك تأمرنا به » ورأوا الا يتركوا هذا الا بقتال ، وفي هذا يقول النابغة :

لقد نهيت بني ذبيـان عـن اقـرٍ
وعـن تربعهـم في كـل أصفـار
وقلت : ياقوم ان الليـث منقبـض
عـلى براثنـه لعـدوة الضـاري

وفي التعليق على هذا ، قالوا : « ... وحان من حديث النـابغة ، ان النعمان بن الحارث الأصغر ، بن الحارث الأوسط ... بن الحارث الأكبر بن ابي شمر الغساني اتى ذا أقر وهو واد مملوء حمضا ومياها ، فاحتماه الناس ، فتربّعه بنو ذبيان ، فنهاهم النابغة ، وخوفهم اغارة الملك ، فعيروه خوفه النعمان وأتوا فتربعوه . وكان منقطعا اليه . فلما مات النعمان بن الحارث رثاه النابغة ، وانقطع الى اخيه عمرو بن الحارث . فوجه اليهم خيلا فأصـابوهم» وكانت الواقعة .... وأصاب الملك منهم سبياً . قالوا : « فلما قـدم بالسبي ، أطلقهم للنابغـة »[٢٢] .

ونخلص من حديث النابغة هذا ، الى انه كان ذا مكانة وذا جاه ، وان حياته هذه ، كانت تتعاون حالاتها في إعلاء شأنه وإعلاء جاهه . يجتذبه المناذرة

---

(٢٠) اقر : جبل لبني مرة . وعن تربعهم : اقامتهم في الربيع . واصفـار قال ابو عبيدة : حين يتصفر المال ، ويربل الشجر ، ويبرد الليل .
(٢١) الديوان ؛ ص : ٨١ .
(٢٢) الديوان ؛ ص : ٨٢ .

ليصرفوه عن الغساسنة ، ويحاول الغساسنة اجتذابه ليبعدوه عن المناذرة ، وليأمنوا شر قومه . ويزيد مقامه في قومه لصلته الكبيرة ولجاهه هذا الذي رأيناه له عند الملوك . وهكذا ترى النابغة في حالة من الرفعة لا نكاد نعرفها لشاعر عربي قبله ولا بعده .



هذه الحياة ، كان لها أوضح الأثر في شعره ، وكان مديحه للملوك لا يشبه المديح الذي عرفناه للشعراء الذين يقفون موقف المستعطين منهم ؛ يقول للنعمان بن المنذر معتذرا عما بلغه عنه :

لئن كنت قد بلغت عني خيانة
لمبلغك الواشي أغش واكذب
ولكنني كنت امرءاً لي جانب
من الأرض فيه مستراد ومذهب
ملوك واخوان اذا ما اتيتهم
أحكّم في أموالهم وأُقرّب
كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم
فلم ترهم في شكر ذلك أذنبوا

ثم نراه يستغفر عن زلته بقول ، كأنه الحكمة أو النصيحة يقولها له :

فلست بمستبق اخاً لا تلمه
على شعث ، أي الرجال المهذب !؟

وتضطره حاله هذه ان يقول شيئا ، يميل به على الغساسنة ، ويرفع به من شأن النعمان بن المنذر ، فيحسن القول ، ويحسن التلطف في ميله ، فيقول :

ألم تر ان الله اعطاك سورة
ترى كل ملك دونها يتذبذب
فانك شمس والملوك كواكب
إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وتراه لايرى بأساً في خطابه له ، خطاب القريب من النفس ، لا خطاب الشاعر ، على ما عهدناه فيما بعد يخاطب الملك يعتذر عن زلة ؛ يقول :

أتاني — أبيت اللعن — أنك لمتنى
وتلك التي اهتم منها وأنصب

فانظر لتعبيره : أنك لمتنى ... وفيه مايغنى عن التعليق على الدلالة بمكانته وقربه من نفسه .

والنابغة ، وقد درج على مدح الملوك على هذا النحو ، لايرضى لنفسه ان تنزل الى مدح من هم دونهم . قالوا : « كان النابغة عند الحارث الجفني ، حين هرب من النعمان . فأغار ، رجل من بني كلب ، يقال له النعمان بن جبلة الكلابي ، على بني مرة بن سعد بن ذبيان ... فأخذوا سباءً نسوة من غطفان ، منهن عقرب بنت النابغة ... وسألها : من انت ؟ فقالت : انا ابنة النابغة . فقال : والله ماحد الينا اكرم من ابيك ، ولاانفع لنا منه عند الملك ؛ فجهزها وأعطاها رفداً ، وخلاها . ثم قال : والله ما ارى النابغة يرضى منا بهذا ، فأطلق كل اسير من بني مرة من اجله ورد سباءهم »[٢٣] .

هذا كله ، والنابغة حين يمدحه لايعد بأساً في ان يقول :

وكنتُ امرءاً لاامدح الدهرَ سُوقةً
فلستُ على خير أتاك بحاسد

(٢٣) الديوان ؛ ص : ١٦٧ .

وتراه يقول هذا ، وكأنه يمن عليه بمديحه .

وبعد ، فلسنا نريد في حديثنا هذا الافاضة بمديح النابغة ، وإن كان أهمّ فنون شعره التي رويت لنا . ولكن الذي نريده منه ، هو ان نبين ان حالة النابغة هذه التي لايقول المديح فيها الا للملوك ، جعلته يعمد الى شعره يهذبه ، في معانيه وفي صياغته . وسنأخذ في الحديث عن هذا بما نراه يتصل بمكانته الشعرية ، ومكانته النقدية .

تحدث ابن سلاّم عن الشعراء الجاهليين والاسلاميين ، وقسمهم الى طبقات ، في كتابه الذي سماه : « طبقات الشعراء » ، وهو اقدم ما وصلنا من الكتب في هذا الباب . فجعل الشعراء الجاهليين الثلاثة : امرأ القيس و النابغة و زهير في الطبقة الأولى . وعنده ان كلا من هؤلاء الشعراء الثلاثة ، له طائفة من النقاد ، تجعله هو الأجود وهو المفضل على غيره . قال : « إن اهل الحجاز يقدمون زهيراً والنابغة ... وإن علماء البصرة يقدمون امرأ القيس »(٢٤) .

ونرى من حديثه هذا ، ان النابغة وصاحبه زهيراً ، يأتيان قبل امرىء القيس عند أهل الحجاز . وليس من اربنا في هذا ان نوازن بين النابغة وصاحبه ، ولكننا ــ ونحن نتحدث عن النابغة ــ نرى ان نبين بشيء من الايجاز ، بعض ما قيل فيه . يقول ابن رشيق(٢٥) : « كان ابو بكر رضي الله عنه ، يقدم النابغة ، ويقول : هو احسنهم شعراً ، واعذبهم بحرا ، وابعدهم قعراً » . وفي الأغاني(٢٦) : « ان عمر رضي الله عنه ــ قد فضّل النابغة في غير ما موطن على الشعراء اجمعين » . وهو يورد طائفة من الأبيات استحسنها

---

(٢٤) ابن سلام ؛ ص : ١٥ ، ط : دار النهضة ــ بيروت .
(٢٥) العمدة ؛ ١/٩٥ .
(٢٦) الأغاني ؛ ٢٢/١١ .

عمر له، ووفد غطفان ببابه، وفضله بها على الشعراء اجمعين. وفي الأغاني ايضا: « ان الشاعر الأخطل قال بمجلس عبدالملك بن مروان[٢٧] : « النابغة ــ والله ــ اشعر مني »ورآه اشعر أهل الجاهلية ايضاً . وكذلك رآه الشعبي في مجلس عبدالملك هذا . ويروون ان الأصمعي وابا عمرو بن العلاء يريانه افضل من زهير[٢٨] . ويروون ان حماد الراوية[٢٩] : رآه اشعر الناس ، وعلل قوله : « باكتفائك بالبيت الواحد من شعره ، بل بنصف البيت ، بل بربع البيت ؛ مثل قوله :

حلفتُ فلم اترك لنفسك ريبةً
وليس وراء الله للمرء مذهب
ولست بمستبق اخاً لاتلمّه
على شَعَث أيّ الرجال المهذّبُ!؟

وزادوا على هؤلاء النقاد ، ان جعلوا النابغة ، أشعر الناس عند الجن[٣٠]، وعندهم ان الجن هم أهل الالهام الشعري للشعراء جميعاً .

ويقول ابن رشيق[٣١] : « ... واما النابغة ، فقال من يحتج له : كان احسنهم ديباجة شعر ، واكثرهم رونق كلام واذهبهم في فنون الشعر ، واكثرهم طويلة جيدة ، ومدحاً وهجاء وفخرا وصنعة » وهكذا تراه جمع له كل صفة مستحسنة للشاعر المفلق .

وعندنا ، ان حديثهم عنه على هذه الشاكلة ، ربما كان من الاسباب

---

(٢٧) الأغاني ؛ ٢٠/١١ .
(٢٨) الأغاني ؛ ٧/١١ .
(٢٩) الأغاني ؛ ٧/١١ .
(٣٠) الأغاني ؛ ٧/١١ .
(٣١) العمدة ٩٩/١ .

التى جعلتهم يرون فيه الناقد الاول ، ذلك لانهم كانوا يرون ان الناقد الشاعر يفضل الناقد غير الشاعر ، فما بالك به اذا كان اشعر الشعراء ؟

ولإيضاح رأيهم في هذا ، نورد حديثا دار في مجلس عبيدالله بن عبد الله بن طاهر ، وكان البحترى وابن الرومى ممن حضر هذا المجلس ، قالوا : « حكى ابن الرومى ، الشاعر ، قال : حضرت مع البحترى ، في مجلس عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، وقد سئل البحترى عن ابى نواس ومسلم ، أيهما اشعر ؟ فقال : ابو نواس اشعر . فقال عبيد الله : ان ابا العباس ثعلبا ليس يطابقك على قولك ، وهو يفضل مسلماً . فقال البحترى : ليس ذا من عمل ثعلب وذويه ، من المتعاطين بعلم الشعر ، دون عمله . انما يعلم ذلك من قد دفع في مسالك طرق الشعر الى مضايقه ، وانتهى الى ضروراته .. قالوا : فقال عبيدالله : وريت بك زنادي يا أبا عبادة ! فلقد شفيت من برحائي. وقد وافق حكمك في ابى نواس ومسلم حكم اخيك بشار في جرير والفرزدق ، وقد سئل عن جرير والفرزدق أيهما شعر ؟ فقال : جرير . وقيل له : فان يونس وابا عبيدة يفضلان الفرزدق . فقال : ليس ذا من عمل أولئك القوم . انما يعرف الشعر من اضطر الى ان يقول مثله ... »(٣٢) .

وهكذا ترى الناقد الشاعر عندهم ، هو المفضل على الناقد غير الشاعر . وكأنهم عللوا هذا بأنه حين يصدر حكمه ، انما يصدره مبنياً على علم مدعوم بالممارسة العملية ، التى قوامها التجربة والمعاناة في مسالك الشعر ، وطرق نظمه .

وجرياً على مذهبهم هذا ، قد يبدأ الشاعر ، اذا كان ناقدا ، أول مايبدأ بنقد شعره واصلاحه ، وهذا هو الذى قالوه عن النابغة ايضا . قالوا : كان

(٣٢) مقدمة ديوان ابي نواس : ١/١٨ ، ط : فاجنر . والعمدة ـ لابن رشيق ؛ ٢/١٠٤ . وقد اورد هذا النص بشيء من الاختلاف والتفصيل .

الاصمعي يقول : زهير والنابغة عبيد الشعر ، يريد أنهما يتكلفان اصلاحه...

والقصائد المروية للنابغة ، ليست بالكثيرة ، ثم هى – في اغلبها – مقطعات ليست بالطويلة . وفي كتاب الصناعتين(٣٣) : « قيل للنابغة الذبياني : انك لاتطيل قصائدك ، كما اطال صاحبك ابن حجر ، فقال : من انتخل انتقر » وانتقر أي اختار ، فكأنه في رأيهم كان يطيل القول ، ثم ينتقر اجوده.

ويبدو ان شعره ، كان شائعا لسهولته ، ولجزالته ايضا . ولطيف" قول الاصمعي حين سئل عنه ، فقال : « ان قلت ألين من الحرير صدقت ، وإن قلت اشد من الحديد صدقت »(٣٤) . ويبدو أنه لحسنه ، وللطف موقعه من نفوسهم ، كان مما يغنى به .

وطبيعي ان يعنى النابغة بشعره ، هذا الذي لا يقوله الا في الملوك وفي مديحهم، وان يتأنق بصياغته ويتأنق في معانيه . قال ابن رشيق في العمدة(٣٥) : « وتكسّب مالا جسيما ، حتى كان اكله وشربه في صحاف الذهب والفضة ، وأوانيها من عطاء الملوك » سيما وان له منافسين على مكانته عند هؤلاء الملوك من الشعراء الذين منهم حسان بن ثابت – رضى الله عنه – . ونحن نرى النقاد الاسلاميين لا ينفكون يقارنون بين بعض أقوال النابغة وأقوال حسان ، وأيّها أجود أو أحسن . وعندهم أن الحطيئة الشاعر قال في حسان ، رضي الله عنه (٣٦) : « ابلغوا الأنصار أن أخاهم أمدح الناس حيث يقول :

يغشون حتى ما تهرّ كلابهم
لا يسألون عن السواد المقبل

(٣٣) ص : ١٧٤ .
(٣٤) العقد الفريد : ٢٧١/٥ .
(٣٥) ٨٠/١ .
(٣٦) العمدة ١٣٩/٢ .

وحسان يقول هذا ، وهم يقرنون بيته هذا ببيت النابغة :

فانك شمس والملوك كواكب

إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

ويقارنون ، ويوازنون ...

نقول : هذه الحال هي التي دعت النابغة ، لأن ينظر في شعره ، يقلّبه وينقحه ، حتى رأوه من عبيد الشعر ، وحتى قال ابن سلام ، فيه(٣٧) : « وقال من احتج للنابغة إنه أحسنهم ديباجة شعر واكثرهم رونق كلام ، واجزلهم بيتا ، كأن شعره كلام ليس فيه تكلف » .

ونراهم حين يتحدثون عن احسن مطالع القصائد في الشعر العربي ، يديرون في كتبهم : إن احسنها قول النابغة :

كليني لهمٍّ يا أميمة ناصبى

وليل اقاسيه بطيء الكواكب(٣٨)

ويرى مشاهير نقادهم ؛ ابن قتيبة وابن المعتز ، والعسكري ، وابن رشيق وغيرهم ... يرون هذا . ويزيد ابو هلال العسكري ، فيقول : « ومن جياد ابتداءات أهل الجاهلية ، قول النابغة (٣٩) :

دعاك الهوى واستجهلتك المنازل

وكيف تصابى المرء ، والشيب شامل !؟

(٣٧) ص : ١٧ .
(٣٨) ابن رشيق ؛ العمدة : ٢١٨/١ . وابن قتيبة ؛ الشعر والشعراء ؛ ص : ٧ . والبديع ـ لابن المعتز ؛ ص : ٧٥ ، والصناعتين ؛ ص : ٤٣٣ .
(٣٩) الصناعتين ؛ ص : ٤٣٤ .

ويروون ان النابغة ، أقوى في شعره . والاقواء هو الاختلاف في حركة القوافي، وذلك كأن تكون قافية مرفوعة واخرى مخفوضة، قال في قصيدة له :

قالت بنو عامر خالوا بني أسد
يا بؤس للجهل ضرّاراً بأقوام

وقال فيها :

تبدو كواكبه والشمس طالعة
لا النور نور ولا الإظلام اظلام

ويروون ان النابغة دخل يثرب ، وغُنّي في شعره :

من آل ميّة رائح أو مغتد
عجلان ذا زادٍ وغير مُزوّد

زعم البوارح ان رحلتنا غداً
وبذاك خبّرنا الغُراب الأسود

وان مغنية غنتها ، ومدت الحركة في « الأسود » حتى جعلتها كالواو ، قالوا : فغيّرها الى قوله : «وبذاك تنعاب الغراب الأسود» وقالوا : انه كان يقول : « وردت يثرب ، وفي شعري بعض العاهة ، فصدرت عنها وانا اشعر الناس »(٤٠) .

ومع ان النقد عندهم يكاد يكون نوعا من الهجاء او الشتيمة للشاعر ، مع هذا فاننا نرى النابغة في عبارته هذه التي رووها له يبدو مسرورا ان يُنبّه

(٤٠) الأغاني ؛ ١١/١٠ ، ورواية بيته بقافية الميم ؛ في الديوان ؛ ص ٢٢٢ : نورا بنور واظلاما باظلام . وفي حاشية الصفحة نفسها : « وروى الاصمعي : لا نور نور ولا اظلام اظلام » ويروى : « لا النور نور ولا الاظلام اظلام » على الاقواء .

الى ما يصلح له في شعره ، بل لتحسر شعوره بالفضل لأهل يثرب ، الذين دخل اليهم ، وشعره فيه بعض العاهة ، وخرج منهم وهو أشعر الناس .

على ان مثل هذه الهنات اليسيرة ، التي لايكاد يخلو منها شعر شاعر ، تكون ضئيلة الأهمية بالقياس الى ما رآه النقاد المتأخرون من ضروب تعابيره، التي كثر دورانها في كتبهم الأدبية ، ورأوا فيها أساليب ، وصورا يحسن ان تحتذى . فالعسكري [٤١] يحمد له هذه المبالغة ، في قوله :

فانـك سـوف تحـلم او تنـاهى
إذا مـا شـبت أو شـاب الغراب

ويراها من المبالغة التي تجاوز حد المعنى الى الإرتفاع فيه الى غاية ، لاتكاد تبلغ . وابن سنان الخفاجي[٤٢] يحمد هذا الضرب من المبالغة ، الذي جاء في قوله :

تقـدّ السلوقي المضـاعفَ نسـجه
ويوقدن بالصفّاح نـار الحباحب

ولا ننسى بيته المشهور الدائر في كتبهم ، وقد بنوا عليه بابا من أبواب البلاغة سموه : تأكيد المدح بما يشبه الذم ، وهو :

ولا عيب فيهم غـير أن سـيوفهم
بهـن فلـول من قراع الكتـائب

وحمدوا له الكنايات النادرة ، في مثل قوله[٤٣] :

رقـاق النعال ، طيب حُجزاتهم[٤٤]
يحيّـون بالريحان يـوم السباسب

---

(٤١) الصناعتين ؛ ص : ٣٥٨ . (٤٢) سر الفصاحة ؛ ص : ٣٢١ .
(٤٣) الصناعتين ؛ ص : ٢٥٣ .
(٤٤) قالوا : يقال : فلان طيب الحجزة ؛ يريدون انه عفيف .

أما المعاني التي رووها له ، ورأوا ان يحتذيها الشعراء في مدح الملوك ، فكثيرة كثيرة . ويذكر ابو هلال[45] الصور التي يحسن ان يمدح بها الملوك، فيجعل قول النابغة :

فانك كالليل الذي هو مدركي
وإن خلتُ أن المنتأى عنك واسع

وقوله :

ألم تر ان الله أعطاك سورة
ترى كل ملك دونها يتذبذب
بأنك شمس والملوك كواكب
إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

الأمثلة التي يحسن أن تحتذى في مدح الملوك .

ولو شئنا ان نورد الصور الكثيرة التي أوردوها للنابغة ، ورأوا أن المتنبي ، وهو من هو عندهم ، قد احتذاها ، بل وربما قصر في الإحتذاء لأطلنا ، ولاسيما هذه الصور التي تتعلق بالحرب ، مع أن المتنبي معروف بأنه شاعر الحرب الذي لايجارى عندهم .

وهم يعدون للنابغة الذبياني باباً من الشعر ، يكاد ينفرد في السبق فيه ، في القديم وفي الحديث ، وهو باب الاعتذار أو العتاب ، ويرونه المبرز فيه ، على نحو مايرون المجنون مبرزاً في الغزل العفيف ، وابا نواس مبرزاً في شعر الخمر ، وابا العتاهية مبرزاً في شعر الزهد . ولانرى ان نطيل في هذا ، ويكفي ان نذكر القول الذي يدور في كتب البلاغة والنقد الأدبي

(٤٥) الصناعتين ؛ ص : ١١٩ .

عندهم ؛ وهو : « اشعر الناس النابغة إذا رهب [٤٦] ...» .

ونجاوز الحديث في نقد النابغة وشعره ، الى نقده لشعر غيره ، ونقول : جاء في الأغاني [٤٧] : عن عبدالملك بن قريب ــ الأصمعي ــ قال : كان يضرب للنابغة قبة من ادم بسوق عكاظ ، فتأتيه الشعراء ، فتعرض عليه اشعارها . قال : واول من انشده الأعشى ، ثم حسان بن ثابت ، ثم انشدته الشعراء ، ثم انشدته الخنساء بنت عمرو بن الشريد :

وإن صخراً لتأتمّ الهداة بــه
كأنه علَم في رأســه نــار

فقال : والله لولا أن ابا بصير انشدني آنفاً ، لقلت : إنك اشعر الجن والإنس . فقام حسان ، فقال : والله لأنا أشعر منك ومن ابيك .

فقال النابغة : يا ابن اخي ، أنت لاتحسن ان تقول :

فانك كالليــل الذي هو مــدركي
وإن خلت أن المنتــأى عنك واســع
خطاطيف حُجن في حبــالٍ متينــة
تمــدّ بهــا ايــدٍ اليك نــوازع

قال : فخنس حسان لقوله »[٤٨] .

وقبل أن نبدأ بالحديث عن هذا النص ، نبين ان أخبار النابغة ، في الذي نسب اليه من نقد أدبي يكتنفها الشك ، بل ان اخباره في عامة شعره هــذا المروى لنا في ديوانه قد اعتُرِض على صحته. واذكر ان الاستاذ الدكتور

(٤٦) العقد الفريد ؛ ٣٢٧/٥ .
(٤٧) ٦/١١ .
(٤٨) الأغاني ؛ ٦/١١ .

طه حسين ممن يكاد ينفيه جملة ؛ فهو يرى ان شعر النابغة الذي مدح به الغساسنة قد كثر فيه الانتحال ، ومنه ما اخترع كله قبل الاسلام[٤٩] .

أما قصائده الاخرى فيرى الكثير منها لفقت تلفيقاً . وقد لايصح عنده من قصائد طويلة الا ابيات ، وتراه حتى في هذه الأبيات ، يقول عن بعضها: « وعندنا ان هذا الشطر الأخير ، قد اكمل لتكميل البيت ، بعد أن ضاع الشطر الثاني منه »[٥٠] .

اما حديثه ، في النقد عند النابغة ، فهو ينفيه جملة ، ويقول في شأنه : « ... قصة طويلة لاشك في انها متكلفة ، كلها أو اكثرها ؛ يدل على ذلك هذا النقد المفصل الذي يضاف الى الخنساء ، في بيت حسان :



لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى
وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

وهو نقد اليق بالمثل السائر وصاحبه منه بشاعرة بدوية جاهلية كالخنساء »[٥١] .

ولا نرى ان نعلق على هذا بأكثر من ان نقول : ان هذا الرأي كان له قبل نصف قرن تقريبا ، وقد عثر على الكثير من المخطوطات ، ونشر كثير من الكتب التي لم تكن معروفة يوم حاضر برأيه هذا . وعندنا ان هذه الناحية مما يتعلق بحياة النابغة تستحق منا بعض التفصيل في أجزائها مفردة، وفيها مجتمعة . وعلى هذا نقول :

هذه القصة جاءت في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ، الذي عاش

(٤٩) في الأدب الجاهلي ؛ ص : ٣٢٣ ط : مطبعة فاروق بالقاهرة سنة ١٩٣٣ .
(٥٠) في الأدب الجاهلي ؛ ص ٣٢٣ .
(٥١) في الأدب الجاهلي ؛ ص : ٣١٦ .





المحدثين » • ويدخل البحتري على ابى سعيد ؛ محمد بن يوسف الثغري بقصيدة يمدحه بها ، ويستأذنه في الانشاد ، وابو تمام في المجلس ، والبحتري ــ وهو مايزال حديث السن ــ لايعرفه ، فيقول له ابو سعيد : ياغلام ! اتنشدني بحضرة ابى تمام !؟ »(٥٥) •

ونعود الى حديث النابغة ، والى انشاد الشعراء بحضرته ، فنقول : لعلهم قدموا الأعشى على حسان لنظرتهم هذه • قالوا : «وأول من انشد الأعشى» وكان بودنا لو اشاروا الى القصيدة التي انشدت ، لنرى سبب تفضيلها في الاختيار للانشاد ، وسبب تفضيلها في الحكم للأعشى••• قالوا : «ثم حسان ابن ثابت ، ثم انشدته الشعراء» وعندنا ان في هذا تقديماً لحسان بن ثابت ، على طائفة الشعراء المنشدين ، وجعله يلي الأعشى في الحكم على شاعريته • قالوا : « ثم انشدته الخنساء بنت عمرو بن الشريد•••» وعندنا ان في هذا تفضيلاً للرجال على النساء ، لأنهم جعلوها هي المتأخرة في الإنشاد • ولاتنس حديث ابى النجم مع العجاج في المربد ، وقد هزمه وهو ينشد في ارجوزته (٥٦) :

تذكر القلب وجهلا ما ذكر

شيطانه انثى وشيطاني ذكر

وطبيعي عندهم ان يهزم شيطانُ الشاعر الذكر ، شيطانَ الشاعر الانثى •

وواضح ان الخنساء أنشدت قصيدتها :

قذى بعينك أم بالعين عوّار
ام ذرّفت اذ خلت من أهلها الدار

(٥٥) الأغاني ؛ ١٨/١٧٠ •
(٥٦) الأغاني ؛ ١٠/١٥٣ •

والقصيدة طويلة ، وكأنهم اختاروا احسن ابياتها التي اعجبت النابغة ، وهـو :

وإن صخـراً لتـأتم الهـداة بـه
كأنـه علم في رأسـه نـار

فأشاروا به الى تفضيلها . ومعلوم عندنا أن من أساليب نقدهم ان يختاروا جزءاً من القصيدة ، وهم في الغالب يختارون بيتاً واحدا منها ؛ لأن اسلوبهم في الشعر أن يكون كل بيت مستقلا بنفسه عما قبله وعما بعده . وأنهم حين يقارنون بين قصيدة وقصيدة ، إنما يقارنون أجود بيت من هذه بأجود بيت من تلك . ثم يصدرون الحكم في هذه المقارنة ، ويعممونه على بقية أبيات القصيدة ، بل قد يعممونه على شعر الشاعر كله . وكثيرا ما نقرأ في كتبهم ان الشاعر الفلاني أشعر الشعراء ، لقوله ، ثم لايزيدون على إيراد اكثر من بيت واحد في قوله هذا الذي يختارونه له .

وليس بغريب ان يقول الرواة إن هذا البيت هو الذي جعل النابغة يقول للخنساء : « لولا ان ابا بصير انشده آنفاً لقال : انها اشعر الإنس والجن. لأن هذا البيت يشبه أبيات النابغة في اعتذارياته التي لاتدري أتجعلها في باب المديح أم في باب العتاب ، لأنها جمعت الأمرين على السواء . فبيت الخنساء هذا ، والأبيات القريبة منه (٥٧) :

وإن صخـراً لوالينـا وسـيدنا
وإن صخـراً إذا نشـتو لنحّـار
وإن صخـراً لتـأتم الهـداة بـه
كأنـه علـم في رأسـه نـار

(٥٧) ديوان الخنساء ، ص : ٧٠ ، ط : بيروت ـ صادر .

حمّـــال الويــةٍ هبّــاط أوديــة

شهّــاد انديــةٍ للجيــش جــرّار

ولعلك وانت تقرأ هذه الأبيات تعذر قدامة بن جعفر حين رأى [٥٨] : « ان ليس بين المرثية والمدحة فصل الا ان يذكر في اللفظ مايدل على انـه لهالك ، مثل : «كان» و «تولى» و «قضى نحبه» وما أشبه ذلك » .

ونعود الى قصة النابغة . قالوا : « فقام حسان ، فقال : لأنا اشعر منك ومن ابيك » وواضح من قول حسان هذا انه رأى بنقـد النابغـة لشعره ، وتفضيل الخنساء عليه ضربا من الاهانة له ، فرد عليه بمثل هذا الرد العنيف. وواضح ايضا ان النابغة فضلها على حسان ، وعلى من انشـده بعده مـن الشعراء ، وكأنه لم يفضلها على الأعشى ؛ منشـده الأول ، ولذلك لانراهم يذكرون اعتراضا للأعشى على حكمه .

وفي القصة ان النابغة رد عليه بقوله : « يا ابن اخي انت لاتحسن ان تقول : ... » وانشده البيتين . قالوا : « فخنس حسان ؛ يريدون انه اقر بأن هذين البيتين من الشعر الذي لايحسن ان يقول مثله حسان » .

وعندهم ان ابا الأسود الدؤلي ، وابن عباس رأيا النابغة اشعر الناس ، ببيته هذا الذي هو احد البيتين :

فانـك كالليل الذي هــو مدركي

وإن خلت ان المنتأى عنك واســع

ونرى هذا يدور في كتب النقد عندهم ، ويشار به الى ان النابغة اشعر الشعراء ببيته هذا[٥٩] .

---

(٥٨) نقد الشعر ؛ ص : ٤٩ ، ط : اوربا .
(٥٩) الأغاني : ١١/٥ .

وقصة اخرى قريبة من هذه ، يرويها صاحب الموشح[٦٠] عن الأصمعي، عن ابي عمرو بن العلاء ، فيها : « كان النابغة الذبياني تضرب له قبة بسوق عكاظ من ادم فتأتيه الشعراء فتعرض عليه اشعارها ، فأتاه الأعشى ، فكان اول من انشده ، ثم انشده حسان بن ثابت قصيدته ، التي منها :

لنا الجفنات الغرّ يلمعن بالضحى
واسيافنا يقطرن من نجدةٍ دما
ولدنا بني العنقاء وابني محرّقٍ
فأكرم بنا خالاً واكرم بنا ابنما

فقال له النابغة : انت شاعر ! ولكنك أقللت اجفانك ، واسيافك ، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك[٦١] » .

والشك يحوم حول هذه القصة في جملتها ، وفي تفاصيلها ايضاً ، ولعل اكثر الذين فصلوا فيها في عصرنا هذا ، الاستاذ طه احمد ابراهيم ، في كتابه : « تأريخ النقد الأدبي عند العرب[٦٢] » وقد افاض في انكارها. ونرى ان نلخص حديثه فيها ، قبل الحديث عنها . قال : « وبعيد كل البعد عن الروح الجاهلي ، وعن طبيعة العصر الجاهلي ، مايضيفه بعض الرواة الى قصة النابغة مع حسان في سوق عكاظ ... فأما ان يسأل حسان عن بيت القصيد في كلامه ... فينهال النابغة ، او تنهال الخنساء طعناً على البيت وتجريحاً له ، على النحو الوارد في بعض الكتب ، فذلك مما لايستطيع باحث جاد ان يؤمن به » وقال : « عيب على حسان ان يفتخر فلايحسن الإفتخار ، وان يؤلف بيته من كلمات غيرها اضخم معنى منها ، واوسع مفهوماً ؛ ترك الجفان ، والبيض ، والإشراق ، والجريان واستعمل الجفنات ، والغر واللمعان،

(٦٠) الموشح ـ للمرزباني ؛ ص : ٥٤ .
(٦١) الموشح ؛ ص : ٥٥ . (٦٢) ص : ١٩ ـ ٢١ .

والقطر . وهي دون سابقاتها فخراً . وعيب عليه غير ذلك » وقال : « وكل ذلك يرفض رفضاً علمياً من عدة وجوه :

١ ــ لم يكن الجاهلي يعرف جمع التصحيح وجمع التكسير ، وجموع الكثرة والقلة ، ولم يكن له ذهن علمي يفرق به بين هذه الأشياء كما فرق بينها ذهن الخليل وسيبويه . ومثل هذا النقد لم يصدر الا عن رجل عرف مصطلحات العلوم ، وعرف الفروق البعيدة بين دلالة الألفاظ والم بشيء من المنطق » .

وذكر فروقاً اخرى استند بها الى رأيه هذا ، ولا نرانا في حاجة الى تفصيلها ، بين فيها : « ان الذين يقرأون النقد البياني في كتب عبدالقاهر ، وفي المثل السائر لابن الأثير ، وفي كتاب الطراز ، لايترددون لحظة في ان النقد السابق من طبيعة ما في هذه الكتب ، لايختلف عنه في المنطق ولا في الروح ، ولا في الإتجاه[٦٣] ...» .

ونود ان نقول : إن الاستاذ ــ على مايبدو لنا ــ قد غالى في حكمه هذا ، وعندنا ان هذه القصة جديرة بأن نتمهل في الوقوف عليها ؛ لأهميتها ولمكانتها في تأريخ النقد الأدبي عندنا .

ونقول الآن : ان القصة يرويها الأصمعي عن ابي عمرو بن العلاء . وابو عمرو راوية ثقة . وهو أحد القراء السبعة . ولد حوالي سنة ٧٠هـ في مكة . وتوفي حوالي سنة ١٥٤هـ . واهم مصنفاته ماجمعه من الشعر الجاهلي، ويقال إنه انقطع في اواخر عمره الى دراسة القرآن ، وانه احرق ماجمعه من الشعر ، نسكاً وتقرباً من الله تعالى . قالوا : « وكثيراً ما درس الناس

(٦٣) ص : ٢٠ .

تفسيره للقرآن ، في حين لم تبق للناس مصنفاته في اللغة » . وابو عبيدة يقول عنه : « كان اعلم الناس بالأدب والعربية والقرآن والشعر . قالوا : وعامة اخباره عن عرب ادركوا الجاهلية » .

هذا ابو عمرو بن العلاء الذي تسند اليه روايتها . ولك ان تقول : إنها لفقت عليه على نحو مالفقت الأشعار لصاحب السيرة ونسبت للقبائل البائدة ، ووضعها في كتابه ، وهو لايدري ، فنقول : إن ابا عمرو بن العلاء ، وهو العالم بالشعر وبالرواية ، على النحو الذي اشرنا اليه ، لايجوز عليه هذا . ولك ان تقول انها لفقت ونسبت الى ابي عمرو لتكون بمنجاة من الطعن ، على نحو ماتسند بعض الأحاديث ــ وهي موضوعة ــ الى ابن عباس ، فنزيد بأن نقول : لانرى في محتواها ما يجعلها بعيدة الوقوع ؛ فعكاظ و القباب فيه ، وإنشاد الشعراء فيه معروف ايضاً ، وأما النابغة الذبياني وكونه يكون حكماً فقد عرضنا لمكانته الفنية والإجتماعية والسياسية بما يؤهله لأن يكون حكماً بين الشعراء .

هذا طرف الرواية البعيد، وطرفها القريب هو المرزباني ، ابو عبدالله محمد بن عمران بن موسى ، صاحب الموشح . قالوا : كان رجلا تعظمه الملوك وكان عضد الدولة ــ على عظمته ــ يجتاز بابه ، فيقف بالباب حتى يخرج اليه ابو عبدالله فيسلم عليه ويسائله عن حاله. ويقول ابن خلكان عنه ، « كان ثقة في الحديث » وواضح ان الراوية الثقة في الحديث يكون ــ في الغالب ــ راوية ثقة في اللغة ، ذلك لانه يتحرج من الكذب من ناحية ، ولانه يدقق فيما يروى له ، في سنده وفي متنه[٦٤] .

هذا حديثنا عن سند الرواية ، اما القصة فعلى ما ذكرت في الموشح

(٦٤) انظر مقدمة الموشح ــ للمرزباني ؛ ص : ٤ ــ ٦ .

فليس فيها جمع التصحيح ولا جمع التكسير ، ولا جموع الكثرة ولا جموع القلة . ولا ترى فيها شيئا من مصطلحات العلوم ، ولا شيئا من المنطق — نعني علم المنطق .... ولكن الذى فيها ان النابغة قال لحسان : أقللت جفانك و اسيافك » وطبيعي ان يعرف العربى مدلولات هذه الالفاظ ، أو هذه الجموع في لغته التى يتحدث بها ويستعملها . وطبيعي ان يعرف ان الاسياف اقل في العدد من السيوف ، وان الجفنات اقل في العدد من الجفان ، طبيعي ان يعرف العربى لغته في هذا وامثاله ، والا فكيف يتحدث وكيف يبين عن نفسه في الفاظها !؟

ونزيد فنقول : جاء في الموشح تعقيبا على هذه القصة ، ان جاز ان نسميها قصة : « قال الصولى : فانظر الى هذا النقد الجليل الذى يدل عليه نقاء كلام النابغة ، وديباجة شعره . قال له : أقللت اسيافك ، لانه قال : واسيافنا . واسياف : جمع لأدنى العدد ، والكثير سيوف . والجفنات لادنى العدد ، والكثير جفان . وقال : فخرت بمن ولدت ، لانه قال : ولدنا بني العنقاء وابني محرق . فترك الفخر بآبائه ، وفخر بمن ولد نساؤه . قال : ويروى ان النابغة قال له : أقللت اسيافك ولمعت جفانك ، يريد قوله : لنا الجفنات الغر . والغرة : لمعة بياض في الجفنة ، فكأن النابغة عاب هذه الجفان ، وذهب الى أنه لو قال : لنا الجفنات البيض فجعلها بيضا كان احسن . فلعمرى انه احسن في الجفان ، الا ان الغر اجل لفظا من البيض » .

كان هذا كله تعليقا من الصولى على نقد النابغة . أترى الاستاذ المرحوم طه أحمد ابراهيم قد ذهب بما ذهب فيه الى ان هذا من كلام النابغة ، وعلى هذا غالى في نكرانه لحديث النابغة هذا !؟

وعلق المرزبانى ، بقوله : « قال الشيخ ابو عبيدالله المرزبانى ، رحمه الله : وقال قوم ممن انكر هذا البيت في قوله : يلمعن بالضحى ، ولم يقل

بالدجى، وفي قوله : واسيافنا يقطرن ، ولم يقل : يجرين ، لان الجرى اكثر من القطر • وقد رد هذا القول ، واحتج فيه قوم لحسان بما لاوجه لذكره في هذا الموضع • فأما قوله : فخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك ، فـلا عذر عندى لحسان فيه ، على مذهب نقاد الشعر » [الموشح ، ص ٦٠] •

ونرى من تعليق المرزباني هذا ، ان النقاد اخذوا في تقليب هذا النقد المنسوب للنابغة ، وذهب بعضهم مذهب حسان في بعض قوله ، وبعضهم مع النابغة في نقده ، ولكن صاحب الموشح لايشير الى أن احدا من الناس ينكر هذه القصة جملة •

ولاهمية هذه القصة في تأريخ النقد الادبى عندنا ، لانرى بأسا من استكمال ماقيل حولها ، وما جاء فيه من اخذ ورد لتكمل الصورة عنها عند نقادنا القدماء ونقادنا المحدثين •

قال قدامة بن جعفر (٦٥) في حديثه عن مذهب الغلو في المعنى ، وعن الاخذ فيه : «••• ثم رأيت هؤلاء بأعيانهم في وقت آخر يستحسنون مايروون من طعن النابغة على حسان بن ثابت ، في قوله :

لنا الجفنات الغـر يلمعن بالضحى
وأسيافنـا يقطرن من نجدة دمـا

وذلك انهم يرون موضع الطعن على حسان ، انما هو في قوله : الغر ، وكان ممكنا ان يقول : « البيض » ، لان الغرة بياض قليل ، في لون اخر غيره كثير • وقالوا : فلو قال : « البيض » لكان اكثر من الغر • وفي قوله : «يلمعن بالضحى ، ولو قال : « بالدجى » لكان احسن • وفي قوله : « واسـيافنا

(٦٥) نقد الشعر ؛ ص : ٢٤ ـ ٢٦ ، ط : اوربا •

يقطرن من نجده دما » ولو قال : « يجرين » لكان احسن ، اذ كان الجرى اكثر من القطر » .

وقال قدامة : « فلو أنهم يحصلون مذاهبهم ، لعلموا ان هذا المذهب في الطعن على شعر حسان ، غير المذهب الذى كانوا معتقديه له من الانكار على مهلهل والنمر وابى نواس ، لان المذهب الاول انما هو لمن انكر الغلو ، والثانى لمن استجاده ، فان النابغة — على ما حكى عنه — لم يرد من حسان الا الافراط والغلو بتصييره مكان كل معنى وضعه ما هو فوقه ، وزائد عليه ، وعلى ان من انعم النظر على ان هذا الرد على حسان من النابغة كان او من غيره خطأ بين ، وان حسان مصيب ، اذ كانت مطابقة المعنى بالحق في يده ، وكان الرد عليه عادلا عن الصواب الى غيره ، فمن ذلك أن حسان لم يرد بقوله : « الغر » ان يجعل الجفان بيضا ، فاذا قصر عن تصيير جميعها بيضا ، نقص ما اراده وانما اراد بقوله : « الغر » : المشهورات ، كما يقال : يوم أغر ، ويد غراء ، وليس يراد البياض في شيء من ذلك ، بل تراد الشهرة والنباهة .

واما قول النابغة في « يلمعن » انه لو قال ، «بالدجى» لكان احسن من قوله : « بالضحى » اذ كل شيء يلمع بالضحى ، فهو خلاف الحق ، أو عكس الواجب ، لانه ليس يكاد يلمع بالنهار من الاشياء الا الساطع النور الشديد الضياء ، فأما في الليل فأكثر الاشياء ، مما له أدنى نور وايسر بصيص ، يلمع فيه ، فمن ذلك الكواكب ، وهى بارزة لنا مقابلة لابصارنا ....

واما قول النابغة ، أو من قال : ان قوله في السيوف « يجرين » ، خير من قوله : « يقطرن » ، لان الجرى اكثر من القطر ، فلم يرد حسان الكثرة ، وانما ذهب الى مايلفظ به الناس، ويتعاورونه من وصف الشجاع الباسل ، والبطل الفاتك ، بأن يقولوا : سيفه يقطر دما ، ولم يسمع ، سيفه يجرى

دما • ولعله لو قال : يجرين دما لعدل عن المألوف المعروف من وصف الشجاع النجد الى مالم تجر به عادة العرب » اهـ •

وبعد هذا الحديث ، ترى قدامة يورد صورا من الجدل حول مافي هذه القصة من آراء ، ولاتراه يشير الى الشك بنسبتها الاولى الى النابغة •

وترى ، من هذا الذى بيناه واطلنا فيه ، ان النابغة له رأى في بعض شعر حسان ، بينه بعبارة موجزة او مقتضبة ، على نحو مايفعل الجاهليون في بيانهم ، اذ يوجزون ويكتفون بالاشارة ، واللمحة في بعض الاحيان • ثم تناول النقاد الاسلاميون هذه الاشارات المقتضبة وراحوا يوسعونها تعليلا وتعليقا وشرحا • وصار بعضهم مع حسان في شعره ، وبعضهم مع النابغة في نقده • ومن هنا تطرق الشك الى قصة النقد المفصلة هذه • وعندنا أنها في اساسها المقتضب الموجز لاغبار عليها ، ونحن نعدّ النابغة ، في عباراته النقدية الموجزة المقتضبة هذه ، فتح بابا للنقاد الاسلاميين فيما بعد ، أفاضوا فيه واوسعوه جدلا وشرحا ، وهو بهذا شيخ النقاد كما كان شيخ الشعراء •



مراجـع البحـث

١ ــ الأغانى ــ لأبي الفرج الاصفهانى
٢ ــ كتاب الصناعتين ــ للعسكرى
٣ ــ كتاب البديع ــ لابن المعتز
٤ ــ الشعر والشعراء ــ لابن قتيبة
٥ ــ الشعر والانشاد ــ جميل سعيد
٦ ــ العقد الفريد ــ لابن عبد ربه
٧ ــ العمـــدة ــ لابن رشيق القيروانى
٨ ــ القاموس المحيط ــ الفيروز ابادى
٩ ــ الموشــح ــ للمرزبانى
١٠ ــ تأريخ النقد الأدبى عند العرب ــ طه احمد ابراهيم
١١ ــ جمهرة اشعار العرب ــ للقرشى
١٢ ــ ديوان ابى نواس ــ ط : فاجنر
١٣ ــ ديوان الخنساء ــ ط : صادر ــ بيروت
١٤ ــ ديوان النابغة الذبيانى ــ ت : الدكتور شكرى فيصل
١٥ ــ سر الفصاحة ــ لابن سنان الخفاجى
١٦ ــ طبقات الشعراء ــ لابن سلام
١٧ ــ في الأدب الجاهلى ــ الدكتور طه حسين
١٨ ــ نقـد الشعر ــ قدامة بن جعفر

دِيوانُ الخُبْزأَرْزيّ

نصر بن احمد البصري
المتوفى سنة ٣٣٠ هـ
(القسم الثالث)

تحقيق

الشيخ محمد حسن آل ياسين

عضو المجمع



[١٣٢]

وقال أيضاً [٤٢/أ]

١ ـ حلو الشّمائلِ ناعم الأعطافِ عـدل القوام وجائـر الأردافِ
٢ ـ في وجهه أبـداً ربيـع محاسنٍ فـي وجنتيـه الزهر ورد قطافِ
٣ ـ من ثغره نَوْر التبسُّم ضاحك بأديمه(١) مـاء البشاشـة صافِ
٤ ـ تهدي محاسـنُه الى أبصارنا تُحفَ المنى وغرائـبَ الألطافِ
٥ ـ ويكاد يقطر منـه في حركاته مـاء النعيـم(٢) لرقّـةِ الأطرافِ
٦ ـ كانتْ حياةُ محبِّه لحِبَائه (٣) فـي ألْفـةٍ وتواصـلٍ وتصافِ

---

(١) في الاصل : بادبته ، ولعل الصواب ما اثبتنا .
(٢) في الأصل : ما النسيم ، وهو تصحيف .
(٣) في الأصل : لحباته ، ولعل ما أثبتنا هو الصواب ، والحباء : العطـاء ، وربما كان هنا كناية عن الوصال .

٧ — إحسانُ ذاك وحُسن ذا متكافئٌ   لا ذا مَلول هوىً ولاذا جـــاف
٨ — مزج الهوى رُوحَيْهما فتمازجا   كزلال مـــاءٍ فـــي رحيـــق سلاف
٩ — جسمين قد قُسِما بروحٍ(٤) واحدٍ   كُلٌّ بكلٍّ مُسْعَـــدٌ مُتَـوافِ
١٠— فترى الحسودَ يقول حين يراهما: مـــا العيش الّا ألفـــة الأُلاّفِ

[١٣٣]

وقال أيضاً :

١ — أهابُكَ أم أُبْدي اليك الذي أُخفي   وطرفك يدري ما يقول له طرفي(٥)
٢ — نهاني حيائي منك أن أكشف الهوى   وأغنيتَني بالفهم منك عن الكشفِ
٣ — تلطَّفتَ في أمري فإنْ أكُ ساعياً(٦)   الى غاية فاللطـــف يُدرِكُ باللطفِ
٤ — تلقَّيْتَني بالبشر حتّى كأنَّما   تبشِّرني بالعَبْث أنَّك في كفّي(٧)
٥ — وتُدركني من هيبتي لك وحشةٌ   فتؤنسني بالعطف منك وباللطفِ
٦ — تكاملتَ إحساناً وحسناً وفطنةً   وزدتَ كمالاً بالتصنُّع والظَّرْفِ
٧ — [٤٣/أ] فحبُّك فيه عِصْمَةٌ وهو(٨) فتنة   فيشفي بما يُضني ويضني بما يشفي(٩)
٨ — وتُحْيِي محبّاً أنت في الحبِّ حتفُهُ   وذا عجَـبٌ كون الحيـــاة من الحتفِ
٩ — الك الخير قد عجَّلتَ لي صفوة الهوى   ومثلك عندي لا يُكدِّرُ ما يصفي(١٠)
١٠— فجُدْ لي بوعدٍ منك أحْيا بِرَوْحِه   وجُدْ لي مع الوعدِ(١١) الأمانَ من الخُلفِ

---

(٤) في الأصل : لروح .
(٥) في الأصل : طرف .
(٦) في الأصل : بلطف فى امرى فان اك ساعدى ، ولعل الصواب ما اثبتنا .
(٧) في الأصل : فى كف ، و (بالعبث) في مكان الحال أي عابثا .
(٨) في الأصل : وهى ، والضمير عائد على الحب .
(٩) في الأصل : بما نشف .
(١٠) في الأصل : ما يصف .
(١١) في الأصل : من الوعد ، وهو تصحيف .

[١٣٤]

وقال أيضاً :

١ - يا صَيْرَفِيّاً هَواهُ في مقلتي(١٢) يتصرّفْ
٢ - لو قابل الشمسَ كادتْ لخجلة منه تُكْسَفْ
٣ - لو أنّ للبدر مِعْشا رَ حُسْنِه لتَصَلّفْ
٤ - رَقّتْ حواشيه حتّى تكاد أنْ تُتَرَشّفْ
٥ - يكاد من فرط(١٣) لطف بالوهم أنْ يُتَخَطّفْ
٦ - اذا تَثَنّى تَثَنّتْ أعطافُه تتعطّفْ
٧ - وإنْ تهادى تهادتْ أردافُه تتردّفْ
٨ - فالنور والحسن فيه كُلٌّ بكُلٍّ تألّفْ(١٤)
٩ - وباللّباقة والشكل والفتور تزخرفْ
١٠- يُزَيّن الخَلْقَ منه خُلْقٌ (١٥) من الظَرف أظْرَفْ
١١- يا مُشْبِهَ الحُور لا بل أجلّ منها(١٦) وألْطَفْ
١٢- دَعْني أُحبّ مليحاً مُحِبُّه(١٧) ليس يُعْنَفْ
١٣- مَنْ لامني في هواه فهو المُعَنّى المُكَلّفْ(١٨)
١٤- مولاي يَزْهى ويَبْهى(١٩) والرُّوح تَضْنى وتتلفْ
١٥- باللطف يقبض روحي إنْ جئتُه أتلطّفْ

(١٢) كذا في الأصل ، ولعل الصواب : في مهجتي .
(١٣) في الأصل : فى فرط ، والسياق يقتضي ما اثبتنا .
(١٤) في الأصل : كل مكل يالف ، ولعل الصواب ما اثبتناه .
(١٥) في الأصل : حلقا ، والصواب ما اثبتناه .
(١٦) في الأصل : منه ، والضمير يعود على الحور .
(١٧) في الأصل : محنة . وليس يعنف : اي لا يلام .
(١٨) المعنى : التعب النصب ، والمكلف : المتجشم امراً صعباً .
(١٩) في الأصل : برها ويتها ، ولعل الصواب ما اثبتنا .

[١٣٥]

وقال أيضاً :

١ ـ تقمَّص(٢٠) العيش بين الدَّلّ والتَّرفِ ... لايرفع(٢١) الطرفَ من تيهٍ ومن صَلَفِ
٢ ـ تبدو معانيه من أثوابه فيُرى ... صفواً من الدرِّ إذ يبدو من الصَّدَفِ
٣ ـ إن قلتُ : ياأسَفي لاتنكروا(٢٢) ، فأنا ... أدري على أيِّ شَيْءٍ قلتُ ياأسفي(٢٣)
٤ ـ إنْ نلتُه فزتُ بالدنيا ولذَّتِها ... وإنْ تلفتُ(٢٤) فمعذور على تلفي(٢٥)

[١٣٦]

[٤٣/ب] وقال أيضاً :

١ ـ بيني وبينك يا ظلومُ المَوْقِفُ ... [و](٢٦) الحاكمُ العدل الجواد المنصِفُ
٢ ـ فلقد خشيتُ بأنْ أموت بغصَّتي ... أسفاً عليك وأنت لا تتعطَّفُ
٣ ـ لي مهجة تبكي وطرف ساهر ... وجوارح تضنى وقلب مدنفُ
٤ ـ أسفٌ يدوم وحسرة ما تنقضي ... وجوىً يزيد وكُربة ماتُكشَفُ
٥ ـ وكأنَّ لي في كلِّ عضوٍ واحدٍ ... قلباً يحنُّ وناظراً ما يطرفُ
٦ ـ أشكوكَ أم أشكو اليك فانني ... في ذا وذا متحيِّر متوقِّفُ
٧ ـ أخشاك بل أخشى عليك ، فتارةً ... أرجو رضاك وتارةً أتخوَّفُ
٨ ـ أتلفتُ روحي في الهوى فالى متى ... تلهو وتترك مَنْ يحبُّك يتلفُ
٩ ـ لامتَ أو تُبْلَى بمثل بليَّتي ... فعسى تذوق كما تُذيق فتنصفُ

---

(٢٠) في الأصل : نقيض ، ولعل الصواب ما أثبتنا .
(٢١) في الأصل : لا يدفع ، وهو تصحيف .
(٢٢) في الأصل : لاىىركوا ، والسياق يقتضي ما اثبتنا .
(٢٣) في الأصل : يا اسف .
(٢٤) كذا في الأصل ولكن بلا نقط .
(٢٥) في الأصل : على تلف .
(٢٦) زيادة يقتضيها السياق .

١٠– لا تنكرنَّ تأسُّفي ، إنْ فاتَني   روحُ الحيــاة ، فكيف لا أتأسَّفُ

١١– لو أنَّ لقمان الحكيم رأى الذي   أبصرتُ منــك رأيتَــه يتلهَّفُ

١٢– شوقاً الى مَنْ لو تجلّى وجهُهُ   للبدر كادَ من التحيُّر يُكسَفُ

١٣– بل لو رأى يعقوبُ حُسنَ محمد   ما كان يحزن إذ تغيَّب يـوسـفُ

١٤– طاووس حُسنٍ بل أتــمُّ محاسناً   صنم الملاحة بل أجلُّ وألطــفُ

١٥– بشمائلٍ أغصانُهـــا تتعطَّفُ   وروادفٍ أردافُهـــا تتــردَّفُ

١٦– تتصلَّف الأرضُ التي هوفوقها   زهـواً بـــه وتـــراه لا يتصلَّفُ

١٧– متشرِّب ماءَ البشاشةِ وجهُهُ   فعليه ريحان القلوب يـــرفــرفُ

١٨– [٤٤/أ] متفرِّد في لونه فكأنَّه(٢٧)   ماءٌ زلالٌ فيه(٢٨) خمرٌ قرْقَــفُ

١٩– وكأنَّه في سَرْحِهِ ضرغامُهُ   صافٍ(٢٩) الى مُهَجِ الورى يتصرَّفُ

٢٠– ما ضرَّه أنْ لا يكون مقلَّداً   سيفاً ففي عينيه سيفٌ مـرهـفُ

٢١– وكأنَّ قوس الحاجبين مقوّساً   سَهْمٌ(٣٠) فويلٌ للذي يستهدفُ

٢٢– قد صُبَّ في قُرْمُوصِه(٣١) بلباقةٍ   صَبّـــاً ففيـــه تمكُّنٌ وتخفُّفُ

٢٣– إنّي لأحسدُ باشَقاً في كفِّه   أتراه يدري أيّ كفٍّ يألـــفُ

٢٤– إنْ كان باشَقُه يحلّق طائراً(٣٢)   فمحمــدٌ لقلـوبنـا يتخطَّفُ

٢٥– مولاي لو وصفَتْكَ أفواهُ الورى   طُرّاً لكنتَ تجــلُّ عمّا تُوصَفُ

---

(٢٧) في الأصل : منفرد فى لونه فكانما ، وهو تصحيف .

(٢٨) في الأصل : ما زال فى فيه ، ولعل الصواب ما أثبتنا .

(٢٩) كذا في الأصل .

(٣٠) في الأصل : مقوس سهماً ، والصواب ما اثبتنا .

(٣١) في الأصل : قرموسه . والقرموص : حفرة الصائد ، وروى في تاج العروس قولهم : تقرمص السبع اذا دخلها للاصطياد . وقد يرجح هذه القراءة تشبيه المحبوب بالضرغام في البيت (١٩) .

(٣٢) في الأصل : ان كان باسق نحلق طاير .

٢٦ ــ قد ساعفَتْكَ(٣٣) محاسنٌ قد حيَّرتْ فيك العقولَ وأنت لاتتسعَّفُ
٢٧ ــ سَلْ وردَ خدِّك أيَّ حُسنٍ غرسُهُ انّا نراه يعود ساعةَ يُقطَفُ
٢٨ ــ لو لمْ تضاعف لي عذابي في الهوى ما راح نرجسُ ناظريك يضعّفُ(٣٤)
٢٩ ــ علمتْ لواحظُك الضِّعاف تجلُّدي ومن العجائب غالبٌ مستضعَفُ
٣٠ ــ لو لم تُرِدْ قلبي بغير جنايةٍ ما كنت تنكر في الهوى ما تعرفُ
٣١ ــ فرأيتَ في النَّوم الذي أنكرتَه في يقظةٍ ؛ من هاتفٍ بك يهتفُ
٣٢ ــ فتألَّفتْ أرواحُنا عند الكرى إذ كانت الأجسامُ لا تتألَّفُ
٣٣ ــ فأتَتْك روحي حين ذاك بقولها : بيني وبينك يا ظلومُ الموقفُ

[١٣٧]

وقال أيضاً :

١ ــ بديع ملاَحاتٍ بمقلته حَتْفي تكوَّن من نورٍ يجلُّ عن الوَصْفِ(٣٥)
٢ ــ له مقلتا ريمٍ وجيدُ غزالةٍ وورد على خدَّ [يْنِ](٣٦) يُقطَفُ بالطَّرْفِ
٣ ــ [٤٤/ب] وحُسن عذارٍ خطَّ بالمسك سطره سهام منايا داعياتٍ الى حتفِ
٤ ــ ويبسم(٣٧) عن ثغرٍ كأنَّ رُضابَه جنى النحل لمّا شِيبَ بالقهوة الصرفِ
٥ ــ كأنَّ صباحاً طالعاً من جبينه أناخ عليه اللَّيلُ بالحالك الوَحْفِ(٣٨)

[١٣٨]

وقال أيضاً :

١ ــ مضتْ عنك الملاحةُ والعفافُ وأردى(٣٩) غصنَ بهجتك القطافُ

---

(٣٣) في الأصل : قد سافعك .
(٣٤) في الأصل : مضعف .
(٣٥) في الأصل : من الوصف ، والصواب ما اثبتنا .
(٣٦) سقط ما بين المعقوفين من الأصل .
(٣٧) في الأصل : وتبسم ، وهو من أوهام النسخ .
(٣٨) الوحف : الكثيف الأسود ، كناية عن الشعر .
(٣٩) في الأصل : وأودى ؛ وهو فعل لازم ، والصواب ما اثبتنا .

٢ ــ فأنت اليوم عين ثم لامٌ تُعَلَّقُ تحت(٤٠) تلك اللام قافُ
٣ ــ وما يشفي الذي بلك غير نون يكون تمامها . . . . وكافُ
٤ ــ سينصرف التدلُّل عنك يوماً وهذا الداء ليس له انصرافُ

[١٣٩]

وقال أيضاً :

١ ــ وذي فطنةٍ (٤١) . . . . ه في . . . .ه على غير وعدٍ بمثل الكَتَفْ
٢ ــ فقلتُ له : اعصِرْ ، فقال: لحنتَ بقولك أعْصِرْ بفتح الألِفْ
٣ ــ فقلتُ : فديتُكَ من أحمقٍ فقال : وأحمقُ لا ينصرِفْ

[١٤٠]

وقال أيضاً :

١ ــ يا حسَناً اسمه له صفةٌ بديع حُسنٍ سوّاه(٤٢) خالفُهُ(٤٣)
٢ ــ للغصن من قدّه تشتمائلُه للظبي من جيده سوالفُهُ
٣ ــ يستقبح الظلمَ وهو فاعلُه وينكر الحقَّ وهو عارفُه
٤ ــ تُهدي اليَّ الهوى روادفُه اذا تهادَتْ به روادفُه (٤٤)
٥ ــ وعيشه ما حسدتُ غيرَ فتىً يُبْلى فيهوى مَنْ لا يخالفُهُ

---

(٤٠) كتب الناسخ فوق كلمة (تحت) كلمة (بعد) . وكأن الشاعر يريد بالعين واللام والقاف (العلق) بالتحريك ؛ وهي دويبة تمص الدم .
(٤١) في الأصل : ودافطنه ، والصواب ما اثبتنا .
(٤٢) في الأصل : سحان ، وهو تحريف .
(٤٣) في الأصل : خالقه ، وهو تصحيف ان لم تكن محرفة . ولعل الشاعر قد استعمل الخالف بمعنى الخالق ؛ من خلفة النبات وهو ما ينبت منه بعد انقضاء الصيف .
(٤٤) الروادف في صدر البيت : الأرداف ، وفي عجز البيت : طرائق الشحم .

[١٤١]

وقال أيضاً [٤٥/أ] :

١ ـ أهل الهوى [مَنْ](٤٥) اذا ما استُعْطِفوا عَطَفوا
والحُرُّ يُغْضي ويعفو وهو مُعْتَرِفُ(٤٦)

٢ ـ والصُّلح خيرٌ وفي الإغضاء مكرمةٌ وفي الوفاء لأخلاق(٤٧) الفتى شَرَفُ

٣ ـ والعفو بعد اقتدارٍ فِعلُه شَرَفٌ والهجر بعد اعتذارٍ(٤٨) فِعلُه سَرَفُ

٤ ـ وقد تصدَّق عذري في مصالحكم(٤٩) فلا يُصَدَّق تبليغٌ ولا قَرَفُ (٥٠)

٥ ـ عاقبْ بما شئتَ غير الهجر نَرْضَ به فالهجر فيه لاخوان الهوى تَلَفُ

٦ ـ أين التفضُّل والاحسان أينهما وأنت(٥١) في ذا وهذا فوق مانَصِفُ

[١٤٢]

وقال أيضاً :

١ ـ تعلَّمَ التِّيْهَ فما يعطفُ واستحسن الظلمَ فما يُنصفُ

٢ ـ ما هكذا كان ولكنَّني عرَّفْتُه ما لم يكنْ يعرفُ

٣ ـ لا بدَّ من صَبْرٍ فما يصنع الـ إنسانُ في مهمهةٍ(٥٢) يتلفُ

---

(٤٥) لم ترد في الأصل ، ولابد منها لسلامة وزن البيت .

(٤٦) معترف : أي عارف .

(٤٧) في الأصل : لاحداق .

(٤٨) في الأصل : اعنفار ، ويمكن أن تقرأ : اغتفار ، ولكن السياق يقتضي ما اثبتنا .

(٤٩) كذا ورد الشطر في الأصل ولكن بلا نقط الا على قاف (تصدق) .

(٥٠) القرف : الاتهام .

(٥١) في الأصل : رانت ، ولعل ما اثبتنا هو الصواب .

(٥٢) في الأصل : في مهمه ، وسلامة الوزن تقتضي ما اثبتنا .

[١٤٣]

وقال أيضاً :

١ ـ يا مَنْ بكى عند العتا ب لفزْعِه من قارفِه (٥٣)
٢ ـ غطّيتَ ذنبك بالبُكا عنّي فلستُ بعارفِه

[١٤٤]

وقال أيضاً :

١ ـ أبيتُ وفي قلبي لهيبٌ من الهوى ونارُ الهوى تُنْبيكَ أنّي على التلَفْ
٢ ـ فيا [مَنْ] غدا من حُسن أصْرُع لونِه [كمطرفةٍ] حمراء (٥٤) من أحسن الطُّرَفْ
٣ ـ بخدّ أسيلٍ مشرقٍ متورِّدٍ يلوح به وردٌ يعود اذا قُطِفْ
٤ ـ [٤٥/ب] لقد مَضَّني (٥٥) شوق اليك مبرِّحٌ وصرتُ حليفَ الحزنِ والوجد والأسَفْ
٥ ـ وتعرف ما أخفيتُ منك (٥٦) لأنّني هواي دَخيلٌ والفؤادُ به كَلِفْ
٦ ـ فنمَّتْ دموعي بالذي قد كتمتُه ولم أُظهر الشكوى ليعرف مَنْ عرفْ
٧ ـ سروري فلا تُنكِرْ هواي فتُبْتلي ببعض الذي قد ذُقتُ من ألم الشّغفْ
٨ ـ ووالله ما أسلاكَ ما حَجَّ راكبٌ وما ناح قمريٌّ على الغصن أو هتفْ

[١٤٥]

وقال أيضاً :

١ ـ ألا قُلْ لبدر ليالي الدجى ونور الظلام اذا أسْدَفا (٥٧)

---

(٥٣) في الأصل : لنزعه من فارقه ، ولعل الصواب ما اثبتنا ، والفزع ـ بسكون الزاي ـ كالفزع : مصدر ، وقارفه : متهمه والباغي عليه .
(٥٤) البيت في الأصل : فيا عا من حسن اصدع لونه حمرا ، ولعل الصواب ما اثبتنا ، وقد اكملنا نواقص البيت ووضعناها بين معقوفين . والأصرع : الفنون من الشيء .
(٥٥) في الأصل : فلى قد مضى ، ولعل ما اثبتنا هو الصواب .
(٥٦) كذا في الأصل ، ولعله تصحيف (عنك) .
(٥٧) في الأصل : اشرفا ، وهو تصحيف .

٢ – ويـا قمراً اسـمه يوسـفٌ وفي الحسن تشبيهه (٥٨)يـوسـفا
٣ – ويـا فاتر الجفن ماذا الجفـا أمـا آنَ بالله أن تعطفـا
٤ – أذا المسك(٥٩) أنبتَ في عارِضَيْـ ـك أم الوالدانِ لـه غلّفا (٦٠) ؟
٥ – فقد حَسَّناكَ وقـد ملَّحا ك وما أحْسَنا بي ولا أنصفا

[قافية القاف]

[١٤٦]

وقال أيضاً (٦١) :

١ – قلبٌ تمكّنَ فيه الشوق فاحترقا ومقلةٌ بُدِّلَتْ مـن نومها أرَقا
٢ – الحبّ نارٌ على الأكباد مُشعَلةٌ لو أُشعِلَتْ في ضرام النـار لاحترقا
٣ – كم عَبرةٍ مزجتْ دمعي حرارتُها بماء قلبي فصارتْ عبرتي عَلَقا(٦٢)
٤ – أمّا الهوى فقد استَوَلى على كبدي وسوف يسلبني من مهجتي رَمَقا

[١٤٧]

وقال أيضاً [٤٦/أ] :

١ – ما تركتُ اللقاءَ يـوم الفراقِ من جفاءٍ لكنْ من الإشـفاقِ
٢ – لم أُطِقْ أنْ أزيدَ قلبي على ما فيـه من لوعـةٍ وحرِّ اشـتياقِ
٣ – بلغتْ روحيَ التَّراقي من الشَّو قِ(٦٣) ولو زِدْتُ لم تُقِمْ في التَّراقي

(٥٨) في الأصل : سسهه . ولعل صواب الشطر : وفي حسنه مشبه .
(٥٩) في الأصل : ام المسك ، ولعل الصواب ما اثبتنا ، الا اذا كانت الهمزة في الأصل للاستفهام والميم من (من) .
(٦٠) في الأصل : قد اعلعا ، وكتب الناسخ فوق كلمة (قد) : (ظ : له) . والتغليف : التطيب .
(٦١) في الأصل : وقال ايضاً على قافية القاف ، وقد اثبتنا عنوان الحرف قبل جملة : (وقال ايضاً) .
(٦٢) العلق – بالتحريك – : الدم .
(٦٣) في الأصل : بلغت روحي من السوق الدراقي ، والصواب ما اثبتنا .

٤ – لم أُطِقْ أنْ أرى فراقَكَ(٦٤) جهراً وفِراقُ الحبيب غير مُطَاقِ
٥ – أنت روحي فلو أتيتُكَ(٦٥) للتَّو ديعِ ودَّعتُ مهجتي للسِّياقِ
٦ – إنْ أقامتْ أجسامُنا إذْ ترحَّلْـ ـتَ فأرواحُنا أمامَ الرِّفاقِ (٦٦)
٧ – قد تطيَّرتُ من وقوفٍ لتوديـ ـعٍ فأمَّلْتُ وقفةً للتَّلاقِ
٨ – إنْ شَجَتْنا يدُ الفراقِ فإنَّا قد أمِنَّا تَفرُّقَ الأخلاقِ
٩ – لم أثقْ بالحياة بعدكَ الاّ ليقيني أنّي على الميثاقِ

[١٤٨]

وقال أيضاً :

١ – أكلتُ رُمّانةً فعاتبَني فتىً رآها كخدٍّ(٦٧) معشوقِهْ
٢ – فقال : خدُّ الحبيب تأكُلُه ؟ فقلتُ : لا ؛ بل أمصُّ من ريقِهْ

[١٤٩]

وقال أيضاً :

١ – يا أفتَنَ الناسِ ألحاظاً اذا رَمَقا وأعذبَ الناس ألفاظاً اذا نَطَقا
٢ – ما إنْ فقدتُكَ الاّ ظَلْتُ مكتئباً ولا رأيتُكَ الاّ زادني قَلَقا
٣ – ولاذكرتُكَ الاّ اعتادَني نَفَسٌ يبدي الضميرَ ففاض الدَّمعُ مُندَفِقا
٤ – ولا تَأوَّبَني(٦٨) بعد السهادِ كرىً الاّ وبتُّ لطَيْفٍ منك معتَنِقا
٥ – ولا حللتُ رياضاً منك شاسعةً الاّ رأيتُ خيالاً منك قد طرقا
٦ – فلو تراني تِلْقا بابِ دارِكم كأنَّني دَيْدَبانٌ أحرس الطُّرُقا
٧ – [٤٦/ب]مُدَلَّهاً طامحَ العينَيْنِ تحسبه بغُصَّةِ الشَّجْوِ والعبراتِ مختنقا

(٦٤) في الأصل : ان اراى فواقك ، وهو تصحيف .
(٦٥) في الأصل : فلو ارانتك ، وهو من أخطاء النسخ .
(٦٦) يعني بالرفاق جماعة السفر .
(٦٧) في الأصل : بخد ، والصواب ما أثبتنا .
(٦٨) في الأصل : ولا نافرسى ، وهو من أوهام النسخ .

٨ ــ أقول للطَّرف إذْ سَحَّتْ(٦٩) مدامعهُ صبابةً واكتسى بعد الكرى أرَقا
٩ ــ يا طرفُ ويحك لِمْ أبْليتَني برشاً لم يُبقِ لي حبُّه روحاً ولا رَمَقا
١٠ ــ فقال: لُمْ قلبَكَ الجاني عليكَ متى حنَّ ارتياحاً الى المعشوق(٧٠) أوخَفَقا
١١ ــ فالقلب والطرف قاداني الى تلفي وكان ذا في قضاء الله قد سَبَقا

[١٥٠]

وقال أيضاً :

١ ــ مليحُ القدِّ والحَدَقَهْ بديعٌ والذي خلَقَهْ
٢ ــ له خالٌ بوجنته يقطِّع قلبَ مَنْ عَشِقَهْ
٣ ــ له صُدْغانِ من حُسنٍ على الخدَّينِ كالحَلَقَهْ
٤ ــ تراه الدهرَ يُنصفني ويُوليني من الشَّفَقَهْ(٧١)

[١٥١]

وقال أيضاً :

١ ــ يا مَن تُنَزِّهُنا حدائقُ(٧٢) وجهه في روضةٍ محفوفةٍ بحدائقِ
٢ ــ فكأنَّه فَلَكٌ يُدير عيونَنا في الحُسن بين مغارب ومشارقِ
٣ ــ وكأنَّ عارضه صفيحةُ جوهرٍ وكأنَّ حاجبَه مُطَرَّرٌ باسِقِ

[١٥٢]

وقال أيضاً :

١ ــ لا قضى الله بيننا بالفراقِ إنَّ طعمَ الفراق مُرُّ المذاقِ

(٦٩) في الأصل : شحت ، وهو تصحيف .
(٧٠) في الأصل : حن ارتياجا الى المشعوف ، وهو سهو وتصحيف ، وربما كان (حن ارتياعا) .
(٧١) هل أراد الشاعر بهذا البيت الاخبار أو التمني ؟ .
(٧٢) كذا في الأصل .

٢ ـ غُصَص الموتِ ساعة ثم تفنى(٧٣) وفراق الحبيب في الصدر باقِ
٣ ـ يا فراقَ الحبيب أنت عذابٌ قاتلٌ(٧٤) للمحبِّ حتّى التلاقي
٤ ـ[٤٧/أ] كلَّ يومٍ أموتُ من ألفِ لونٍ وأرى الموتَ لذةً للفراقِ (٧٥)

[١٥٣]

وقال أيضاً :

١ ـ لا ابتلى الله عاشقاً بفراقٍ فيُلاقي من جهده ما أُلاقي
٢ ـ أيّ شَيْءٍ أشدّ من فَقد إلْفٍ بعد أُنْس الهوى وطيب العناقِ(٧٦)
٣ ـ فُزتُ من رُؤية(٧٧) الحبيب بعيشٍ تِهْتُ من طيبه على العشّاقِ
٤ ـ وتوهّمت(٧٨) أنّه جنّةُ الخُلـ ـدِ الى أنْ رأيتُه غيرَ باقِ
٥ ـ سيّدي أنت ، كيف بعد عِناق الـ وصلِ أبقى(٧٩) على عنَاقِ الفراق ؟

[١٥٤]

وقال أيضاً :

١ ـ ياحُسْنَها(٨٠) وعيونُ الشَرْب تنقلها(٨١) والكأْسُ تلثم أفواهَ الأباريقِ
٢ ـ كأنّها أعينُ العشّاق لاحظةٌ وجوهَ أحبابها من غير تحديقِ

(٧٣) كذا في الأصل ولكن بلا نقط ، ولعله تحريف : تمضي .
(٧٤) في الأصل : قابل ، وهو تصحيف .
(٧٥) كذا ورد البيت في الأصل .
(٧٦) في الأصل : العناقى .
(٧٧) في الأصل : من روب ، ولعل الصواب ما اثبتنا .
(٧٨) في الأصل : وقد توهمت .
(٧٩) في الأصل : انقا ، ولعله تحريف أقوى . و (العناق) المضافة الى الفراق : الخيبة والداهية والأمر الشديد .
(٨٠) في الأصل : احسنها .
(٨١) كذا في الأصل ، وأظنها (تلحظها) بقرينة البيت التالي .

[١٥٥]

وقال أيضاً :

١ ــ لِمْ اذا ما مررتَ تِهْتَ علينا وجعلتَ الطريــق غيرَ الطريــقِ
٢ ــ وتلفّتَّ كالغزالــة ذعراً وتثنّيْتَ كالقضيب الــرشــيقِ
٣ ــ لك عِلمٌ بأنّني بك ألْهو(٨٢) أنا واللهِ فوق شــوق المَشُوقِ

[١٥٦]

وقال أيضاً :

١ ــ وتفّاحةٍ من سوسنٍ صِيغَ نصفُها ومــن جُلّنارٍ نصفُها وشــقائقِ
٢ ــ كأنَّ الهوى قد ضَمَّ من بعدفرقةٍ بها خدَّ معشوقٍ الى خــدِّ عاشــقِ

[١٥٧]

وقال أيضاً [٤٧/ب] :

١ ــ أنــا واللهِ أرحــم العُشّاقا ويــلَ مَــنْ كان عاشقاً مشتاقا
٢ ــ للهوى في جوانحي نــار شوق كل يــوم تزيــد فيــه احتراقا
٣ ــ كسد الحبُّ عند كل محبٍ وأراه يــزيــد عندي نَفاقــا
٤ ــ لو على العاشقين يُقْسَم عشقي أصبح الناسُ كلُّهــم عُشّاقــا

[١٥٨]

وقال أيضاً :

١ ــ كيف للعيْن أنْ تــرى قمــراً فــي قَراطِقِ
٢ ــ فــوق نســرين خــدِّه حُلّــةٌ مــن شقائقِ
٣ ــ بــين عينَيْه روضَةٌ نــزهــة للخــلائــقِ
٤ ــ مُمْتَــلي الجســم ما خلا مســتَقَرِّ المَناطــقِ
٥ ــ أنــا واللــهِ وامــقٌ رَقَّ لي كــلُّ وامقِ

(٨٢) كذا في الأصل ، فان صح فالمراد باللهو الأنس والاعجاب .

[قافيـة الكاف]

[١٥٩]

وقال أيضاً (٨٣) :

١ – مُخجِلَ البدرِ في[الـ]فلَكْ(٨٤) قفْ قليلاً لنسألكْ
٢ – فلئنْ تِهْتَ بالجمال علينا فحقٌ لكْ
٣ – يا شبيهَ الذي به فُتِنَتْ حُرَّةُ الملِكْ
٤ – حين قدَّتْ قميصَه ثم قالتْ : فهَيْتَ لكْ

[١٦٠]

وقال أيضاً :

١ – إنّي لأحسد مقلتيَّ عليكا حتى أغضَّ اذا نظرتُ اليكا
٢ – وأراكَ تنظر(٨٥) في شمائلك التي هي فتنتي فأغار منك عليكا
٣ – [٤٨/أ] من لطف إشفاقي ورقة غيرتي اني أغار عليك من عينيكا
٤ – ولو استطعت جرحتُ(٨٦) لفظك غيرةً(٨٧) اني أراه مقبِّلاً شفتيكا
٥ – خاص الهوى لك واصطفتك مودتي حتى حذرتُ عليك من أبويكا

[١٦١]

وقال أيضاً :

١ – ليت حظّي من كل عيشي(٨٨) رضاكا فهو حسبي ، ونعمتي أنْ أراكا

(٨٣) في الأصل : « وقال على قافية الكاف » ، وقد أوردنا قافية الكاف عنواناً على غرار مافعل الناسخ في القوافي الاولى من الديوان . والحقيقة ان الشعر الوارد تحت هذا العنوان ليس كله من الكاف ، بل فيه مايعد من اللام ومن الميم ومن الراء ، ولكننا أثبتناه كما ورد .
(٨٤) لم ترد الألف واللام في الأصل .
(٨٥) في الأصل : مارال ىنطر ، وهو تصحيف .
(٨٦) كذا في الأصل ولكن بلا نقط للجيم ، وربما كان (جرحت) كناية عن منع الكلام .
(٨٧) في الأصل : عىرى . (٨٨) في الأصل : عىس .

٢ ـ فتكتْ مقلتاك فتكاً بقلبي وتعدّى على فؤادي هواكا
٣ ـ نظرة منك لي أيا قرّةَ(٨٩) العيـ ـنِ ولا ألف نظرةٍ من سواكا
٤ ـ لو أخذتَ المِرآةَ أبصرتَ وجهاً شاهداً لي بأنّ ذاك كذاكا

[١٦٢]

وقال أيضاً :

١ ـ الدّمع(٩٠) يشهد أنّني لَقانعٌ بسَلامِكْ
٢ ـ حُجبْتَ عنّيَ حتى منعت طيبَ كلامِكْ
٣ ـ فهل عليك(٩١) جناحٌ إن زُرْتَني في مَنامِكْ
٤ ـ يا خيرَ مولىً لعبدٍ رفقاً بقلب غلامِكْ
٥ ـ أشكو الى اللّهِ ربّي دمعاً(٩٢) جرى من غرامِكْ
٦ ـ أطفى حرارة شوقي وُقيت شَرَّ حِمامِكْ (٩٣)

وقال أيضاً (٩٤) :

اعلمْ بأنَّ مسرّتي لو كان فيها [ما] يضرُّكْ
[٤٨/ب] لتركتُ ذلكَ واتّبَعْتُ مَضرّتي فيما يسرُّكْ

[١٦٣]

وقال أيضاً :

١ ـ روحي الفداء لمَنْ عاتبتهُ فبكى يا حُسْنَه إنْ بكى يوماً وإنْ ضَحِكا

(٨٩) في الأصل : نطره مىك ىاقره ، وكتب الناسخ فوقها : (ط : الى) ، ولعل الصواب ما أثبتنا .
(٩٠) في الأصل : الربع ، وهو تصحيف .
(٩١) في الأصل : على ، والسياق يقتضي ما اثبتنا .
(٩٢) في الأصل : رفعا ، ولعل ما أثبتناه هو الصواب .
(٩٣) كذا البيت في الأصل .
(٩٤) أورد الناسخ البيتين التاليين في حرف الراء ، وقد تقدما تحت الرقم (٨٧) .

٢ ـ قد كنتُ أُبدي له صبراً فحين بكى فصار في فيه عند الضحك منسلكا(٩٥)
٣ ـ يبكي ويضحك أحياناً فيقتلني بُكاً وضحكاً هما في قتلي(٩٦) اشتركا
٤ ـ دعاه يفتك بي ياصاحبيّ فما رأيتُ ظبياً بذئب قبله(٩٧) فتكا
٥ ـ ظبيٌ تفلّت من صيدي وأوقعني في صيده إنّ في عينيه لي شَرَكا

[١٦٤]

وقال أيضاً :

١ ـ لَبيْكَ يا مَنْ دعا قلبي بناظِرِه فقال قلبي له : لبيك سَعْدَيْكا
٢ ـ صَحّ الهوى لك من قلبي مساعده (٩٨) إنْ صحّ ما تدّعي ألْحَاظُ عَيْنَيْكا
٣ ـ فغضّ جفنك عن غيري لتخلُصَ لي وانْه(٩٩) اللواحظَ عن تجميش(١٠٠) خدّيْكا
٤ ـ إنْ أنت وفّيْتَني عن غيرتي فكَهاً(١٠١) جعلتُ خدّي ـ وقاءً(١٠٢) ـ تحت نعليْكا

[١٦٥]

وقال أيضاً :

١ ـ قل لي بألسنة التَّنَفُّس كيف أنت وكيف حالُكْ
٢ ـ واكتب بلحظِك في فؤا دي ما يترجمه مقالُكْ
٣ ـ فمن المخافة لا خطا بُك يستطاع ولا سؤالُكْ
٤ ـ [٤٩/أ] إنّ الرقيب مُنَغّصٌ عيشاً يُلذِّذه وصالُكْ

(٩٥) كذا البيت في الأصل .
(٩٦) في الأصل : في قلبى .
(٩٧) في الأصل : قلبه ، ولعل الصواب ما اثبتنا .
(٩٨) كذا في الأصل . وقد ذكر الشاعر (مساعدة الهوى) في البيت الخامس من المقطعة (١٦٥) الآتية .
(٩٩) في الأصل : وابد ، ولعل الصواب ما اثبتنا .
(١٠٠) التجميش : المغازلة والملاعبة .
(١٠١) الفكه ـ بالتحريك ـ : طيب النفس ، واظنها تصحيف (كمهاً) وهو العمى ؛ أي عمى الحبيب عن النظر الى غيره .
(١٠٢) كذا في الأصل ، واظنها (وفاء) بالفاء .

٥ ـ وعلى مساعدةِ الهوى طال احتمالي واحتمالُكْ
٦ ـ كنْ كيف شئتَ وحيث شئْتَ فلن يفارقني خيالُكْ
٧ ـ ما غبتَ عنّي لحظةً إلاّ تمثّل لي مثالُكْ

[قافية اللام]

[١٦٦]

وقال أيضاً (١٠٣) :

١ ـ عهدتُكَ برّاً وَصولاً بنا تجود وإنْ أنت لم تُسْأَلِ
٢ ـ وكانت أياديك تترى عليَّ ما بين ماضٍ ومستقبلِ
٣ ـ وكنتَ تمنُّ بغير امتنانٍ وتُولي الجميلَ ولا تأْتَلي
٤ ـ وما الجودُ منك بمستطرَفٍ وما الفضل الاّ من(١٠٤) الأفضل
٥ ـ أتبخل إذْ وجبتْ حرمتي ومن قبلُ جُدْتَ ولم تبخلِ
٦ ـ اذا قدُمتْ صحبةٌ عُليِّتْ فما لي أُحَطُّ الى أسفلِ
٧ ـ فإنْ لم تزِدْ لي على حالتي نقفْ بي على رسمك الأولِ
٨ ـ أتمنع برَّكَ من شاكرٍ بشكرِكَ أفصح من جُلْجُلِ
٩ ـ ولا بدَّ لي من ثناءٍ عليك وكيف أقول ولم تفعلِ
١٠ ـ أترضى لمُطْريك(١٠٥) في محفلٍ بأنْ يتكذّب في المحفلِ
١١ ـ فإن يتواصَل(١٠٦) صدقُ الشكورِ اذا ما الصّنائعُ لم تُوصَلِ
١٢ ـ فإنْ شئتَ(١٠٧) أذْكِرْك ما قد نسيتَ
وإنْ أنت أغفلتَ لم أغفلِ

---

(١٠٣) في الأصل : وقال على قافية اللام ، وقد جعلنا [قافية اللام] عنواناً للباب .
(١٠٤) في الأصل : وما الفصل للامن ، وهو تصحيف .
(١٠٥) في الأصل : بمطريك .
(١٠٦) في الأصل : سوصل .
(١٠٧) في الأصل : فان نشا ، وسلامة الوزن تقتضي ما أثبتنا .

[١٦٧]

[٤٩/ب] وقال أيضاً :

١ ـ أرى الحُبَّ لا يَبْلى ولكنَّه يُبْلي فلا قُربُه يشفي ولا بُعدُه يُسْلي
٢ ـ حَلاوتُه(١٠٨) ممزوجةٌ بمَرارةٍ ففيه جَنى الدِّفْلى وفيه جَنى النَّحل
٣ ـ أموت وأحيا بين سخطك والرضى تُرى هكذا كان المحبُّونَ من قبلي(١٠٩)
٤ ـ أعيش اذا أحْيَيْتَني(١١٠) بتعطُّفٍ وتُقبَض روحي بانقباضك عن وصلي
٥ ـ فإنْ شئتَ أن أحيا فجُدْ بتواصُلٍ وإنْ شئتَ فاهجر إنْ عزمتَ على قتلي
٦ ـ أراكَ فأسعى ذاهلَ العقل شاخصاً وأُبْهِتُ حتى لا أُمِرَّ ولا أُحْلي
٧ ـ فيا ويلتى هَبْني غُلِبتُ على المنى برغمي فمالي قد غُلِبتُ على عقلي
٨ ـ أرى لك في لُبْس القَباء لَباقةً كأنك قد أُفرِغتَ في قالب الشَّكْلِ
٩ ـ بحقِّ المَلاحات التي فيك عُدْ بنا الى العادة الحسنى من القول والفعل(١١١)
١٠ ـ فإنْ كنتَ غضباناً فعندي لك الرضا وإنْ كان لي ذنبٌ فجُدْ أنت بالفضلِ

[١٦٨]

وقال أيضاً :

١ ـ قلْ لِمَنْ جارَ على مَنْ قد عَدَلْ وابتغى لي بَدَلاً شَرَّ بَدَلْ
٢ ـ لا تلُمْني في جَفائِكَ(١١٢) فلو لم أُجَرِّبْكَ ملولاً(١١٣) لم أمَلّْ

---

(١٠٨) في الأصل : حرارته ، والسياق يقتضي ما اثبتنا .
(١٠٩) أسقط الناسخ ضمير المتكلم من (قبلي) ، وكذلك من قافيتي البيتين التاليين (وصلي) و (قتلي) .
(١١٠) كذا في الأصل ؛ وله معنى مقبول ، ويمكن ان يكون (حييتني) .
(١١١) في الأصل : من القول للفعل .
(١١٢) في الأصل : حفائك .
(١١٣) في الأصل : مولا .

٣ ـ فدع العـذرَ لأصحاب الوفا   يَدُمِ الوصلُ على مَنْ لم يزلْ(١١٤)
٤ ـ مثل ما قد قيل قدماً في المَثَلْ : «الزَمِ الصحَّةَ يلزمْكَ العَمَلْ»(١١٥)

[١٦٩]

وقال أيضاً [٥٠/أ] :

١ ـ خجل الحبيبُ من العتا   بِ فوردَّدَ الخدَّ الخَجَلْ
٢ ـ فخشيتُ منه تغضُّباً   فمسحتُ ذلك بالقُبَلْ
٣ ـ مالي وما لعتاب مَنْ   لو شاء(١١٦) يقتلني قَتَلْ

[١٧٠]

وقال أيضاً :

١ ـ عن الجار يسأل باغي المَحَلْ   لِ قبل السؤالِ عن المنزلِ
٢ ـ وغصنُ المودَّة إنْ جادَهُ   سحابُ التعهُّد لم يذبلِ
٣ ـ أأظمأُ في منهل من نداك   وغيري يعلُّ ولم أنهلِ
٤ ـ فاناك ارحنى(١١٧) والأنام   يرعونَ في بركِّكَ الأجزلِ
٥ ـ كذا الجَمَل(١١٨) الحامل المثقلات   اذا قيل أعيا عن المحملِ
٦ ـ فها أنا(١١٩) كالجَمَل(١٢٠) المُجْتَوى
ثقلتُ ولستُ بمستثقلِ

---

(١١٤) لم يتضح مراد الشاعر من القافية ، فهل اشتقها من الزوال أو الزلل ؟ .
(١١٥) ورد هذا المثل في مجمع الأمثال : ٢/٢١٠ وعده من أمثال المولدين .
(١١٦) في الأصل : لوسا .
(١١٧) كذا في الأصل .
(١١٨) في الأصل : كد الحمل ، أو : لك الحمل .
(١١٩) في الأصل : فهانا .
(١٢٠) في الأصل : المحمل ، ولعل الصواب ما أثبتنا .

٧ — سأُثْنِي عليك كلا الحالتَيْـن ما(١٢١) على المُحسِن المُجمِلِ
٨ — لأنّك زيْنِي عند الرخاء وانّك في شدّتي معقلي (١٢٢)

[١٧١]

وقال أيضاً :

١ — انظرْ اليَّ بصفحٍ منك عن زَلَلي(١٢٣) لا تتركنِّيَ(١٢٤) من ذنبي على وَجَلِ
٢ — روحي وروحُك مقرونا[ن] في قرَنٍ
فكيف أهجرُ مَنْ في هجرِه أجَلي(١٢٥)
٣ — وليس لي أمَلٌ الاّ وصالكم فكيف أقطع مَنْ في وصله أمَلي(١٢٦)
٤ — [٥٠/ب] هذا فؤاديَ لم يملِكْه قبلكم
خلقٌ وحقِّ أمير المؤمنين علي

[١٧٢]

وقال أيضاً :

١ — ما إنْ ذكرتُكمُ الاّ بكيتُ دَماً وما بكى كبنات الثكْلِ ناكلُها(١٢٧)
٢ — ياناصح الودِّ(١٢٨) هذا ما أمرتَ به إنَّ الدليلَ على الخيرات فاعلُها
٣ — خذها مُحبَّرةً يلتذُّ سامعُها ولا يملُّ(١٢٩) من الإطناب قائلُها
٤ — نَصْرُ بن أحمد أنشاها وقال لها: كُوني فكانتْ، ولم يعجزه عاملُها (١٣٠)

---

(١٢١) كذا في الأصل ، وفيه نقص ، ولعله : ثنائي على المحسن المجمل .
(١٢٢) في الأصل : معقل .
(١٢٣) في الأصل : زلل .
(١٢٤) في الأصل : ولاتتركني ، وحرف العطف زائد .
(١٢٥) في الأصل : في وجهه اجل ، والصواب ما أثبتنا .
(١٢٦) في الأصل : امل .
(١٢٧) في الأصل : وما نجا لبنات الثكل ناكلها ، ولعل الصواب ما اثبتنا . والناكل : الضعيف .
(١٢٨) كذا في الأصل .
(١٢٩) في الأصل : وهل يمل ، ولعل الصواب ما اثبتنا .
(١٣٠) كذا في الأصل ، ولعل الصواب : عاجلها .

[١٧٣]

وقال أيضاً :

١ - كُلُّ مَنْ دَلَّ على الخَيْـرِ فشطرُ العُرْفِ لَـــهْ
٢ - إنَّ مَنْ دَلَّ على الخَيْـرِ كمَنْ قــد فَعَلَــهْ

[١٧٤]

وقال أيضاً :

١ - مُؤارِبٌ في قَوْلِه وفِعْلِـــهِ
٢ - منافــق في جَدِّه وهَزْلِـــهِ
٣ - قلتُ وقد أنكرتُه لختْلِهِ(١٣١) :
٤ - مَنْ لك يوماً بأخيك كلِّهِ(١٣٢)

[١٧٥]

وقال أيضاً :

١ - بكم غفلةٌ ممّا(١٣٣) ينامن هوا كُمُ فيا عَجَبا من قاتلٍ وهو غافِلُ
٢ - ويارُبَّ سهمٍ قد أصاب مَقاتِلاً ولم يَدْرِ ربُّ السَّهم ما السَّهمُ فاعِلُ

[١٧٦]

وقال أيضاً :

١ - هويتُ بخيلاً ظالماً فاستقادَني هوايَ له حتّى اقتديتُ بفِعْلِهِ
٢ - [٥١/أ] فأحببتُ مَنْ يُدْعى ظاوماً لظلمه
وأحببـــتُ مَنْ يُدْعــى بخيــلاً لبخلِهِ

---

(١٣١) في الأصل : بحتله .

(١٣٢) هذا المشطور مثل ، وقد ورد في أمثال ابي عبيد : ٥١ ومجمع الأمثال : ٢٥٧/٢ والمستقصى : ٣٥٩/٢ ، ونصه فيها : (من لك بأخيك كله) .

(١٣٣) في الأصل : فكم عفله مما ، ولعل الصواب ما أثبتنا ، ولعـل (ممـا) تصحيف (عما) .

٣ ــ أرى ظلمَه عندي جميلاً كعدلِهِ(١٣٤)
فألزمني في هجره شكرَ وصلِهِ

٤ ــ صنعتُ لكيلا يشمتوا بي قصيدة(١٣٥)
[اليه](١٣٦) تعدُّ المنعَ إسرافَ بذلِهِ

[١٧٧]

وقال أيضاً :

١ ــ كأنَّ بي عِللاً مما تعلّلها بالوعد مَنْ كثرتْ في وعده العِلَلُ
٢ ــ كأنَّ بي خجلاً منه لهيبته اذا توردَّ لي في خدِّه الخَجَلُ

[١٧٨]

وقال أيضاً :

١ ــ نعم أقول لوانَّ القول مقبولُ طالَ الهوى وتمادى القالُ والقيلُ(١٣٧)
٢ ــ ليس السلامُ بشافي(١٣٨) القلب من دنف
مالم يكن معه لمسٌ وتقبيلُ
٣ ــ وليس يرضى محبٌّ عن أحبتِه حتى يفوز بما ضمَّ . . . . ويلُ(١٣٩)

[١٧٩]

وقال أيضاً :

١ ــ بدأْتَ بعتبٍ كان فرعاً بلا أصلٍ ولم تنتظر عُذري فتقبض عن عَذلي(١٤٠)

---

(١٣٤) في الأصل : لعدله .
(١٣٥) في الأصل : لكيلا سمون فصره . ولعل الصواب ما اثبتنا .
(١٣٦) كلمة ساقطة من الأصل لعلها ما اثبتنا .
(١٣٧) في الأصل : وىمادى العل والعيل .
(١٣٨) في الأصل : ىشاف .
(١٣٩) حذفنا جزءاً من الكلمة فراراً من بذاءة المعنى .
(١٤٠) في الأصل : عدل .

٢ – فلا تتسرعْ بالعتاب فمنكرٌ(١٤١) تسرُّع خِـلٍّ بالعتابِ الى خـلِّ
٣ – وكلُّ عتابٍ كانَ صعباً تضيّقتْ مسالكُه ألجا الى الكَذِبِ السّهْلِ
٤ – وما حَسَنٌ في كلِّ يوم تَعاتُبٌ ولايحسن التّقييد(١٤٢)في الجدِّوالهزْلِ
٥ – تَعاتُبُنا يزري علينـا وانمـا تعاتُبُ أهل العقل من أكْمل العقـلِ
٦ – وقد تُذعِن(١٤٣) الأسيافُ وهي صديئةٌ(١٤٤)
وما كلَّ حـينٍ يُبـذَل السيفُ للصَّقلِ
٧ – [٥١/ب] وقد قيل يُبْلي الثوبَ من قبل حينه
مُقاساتُه(١٤٥) – قبـل التدنُّسِ – بالغسـلِ
٨ – تَخالُفُنا عند الزّيارات هيّنٌ اذا ما اتّفقنا في الإخاء على شكلِ
٩ – فإنْ قلتَ لي : أين القيام بحقّنا فانَّ جوابي : أين أخذُكَ بالفضلِ
١٠– وتسألني ما الفرق(١٤٦)بين تَواصُلٍ وهجرٍ ؛ لتوكيـد الحقائق والمطـلِ
١١– حفاظُ الفتى في غَيبه ووفـاؤه هو الفرق ما بين القطيعة والوصـلِ
١٢– وما غائبٌ مَنْ غاب وهو محافظٌ وما زائرٌ مَنْ زارَ وهو على رَحْلِ(١٤٧)
١٣– قيامي على رأسي بواجب اخوتي يقلُّ لهم ، كيف القيام على رِجْلي(١٤٨)

(١٤١) في الأصل : فمكن ، ولعل الصواب ما اثبتنا .
(١٤٢) كذا في الأصل ولكن بلا نقط ، ولعله (التفنيد) أو (التنقير) .
(١٤٣) كذا في الأصل ولكن بالدال المهملة . والاذعان : السلاسة والانقياد .
(١٤٤) في الأصل : صدئة ، والصواب : صدئة ، ولكن استقامة الوزن تقتضي ما أثبتنا .
(١٤٥) كذا في الأصل ، والمقاساة هي المكابدة ، والمراد به كثرة الدعك .
(١٤٦) في الأصل : ما الفراق .
(١٤٧) في الأصل : رجل ، ولعل الصواب ما اثبتنا ، والمراد السرعة وعدم الاستقرار .
(١٤٨) في الأصل : رجل – بلا ياء – .

١٤– فجسمك إنْ يَختلّه الوعْكُ(١٤٩) ساعةً
فما قدرُك العالي لدينا بمختلّ

١٥– وما أنت بالمُعتَلّ وحدك ، إنما نفوس ذوي الألباب في حال معتلّ

١٦– وما برؤك المأمول برؤك(١٥٠)وحده ولكنّه برء العلوم من الجهل

١٧– ادنت ابابكر بلىن نفرق(١) وما أنت الا الشمس قارنت الأفل(٢)

١٨– لأستوحِشَنْ إنْ غاب شخصُك وحشةً
تحيّر ، ان الهول يكمى عن العزل(٣)

١٩– وهبني اكافي القولَ بالقول جاهداً(٤) فمَنْ ذا يكافي الفعلَ عنّيَ بالفِعْلِ

[١٨٠]

وقال أيضاً :

١ – رحلتُ وما شوقي عن الإلف راحِلُ وزلتُ وما عهد الرعاية زائلُ

٢ – يُمثّل لي قلبي على البعد شخصه فتمثاله لي حيثُ ما كنتُ ماثلُ

٣ – رعى الله مَنْ روحي قرينة روحِه(٥) وما بين جسميْنا تُعَدّ المراحلُ

٤ – [٥٢/أ] وقد فصّل التفريق بين أحبةٍ
وليس لأرواح الأحبّة فاصلُ

٥ – سقى اللهُ أياماً نعمنا بظلّها إذ(٦) العيشُ غضٌّ والحبيب مُواصِلُ

(١٤٩) في الأصل : ان نخليه للوعد ، ولعل ما اثبتناه هو الصواب ، وربما كان : ان يختل بالوعك .
(١٥٠) في الأصل : وما برك المامول برك .
(١) كذا الشطر في الأصل ، وهو مصحف ومحرف .
(٢) كذا في الأصل ، وان كان (قارنت للافل) أو (تقرب للافل) فهو تركيب ركيك ، ولم نجد الافل في المعجمات .
(٣) كذا الشطر في الأصل .
(٤) في الأصل : جاهدوا .
(٥) في الأصل : وروحه ، وحرف العطف زائد .
(٦) في الأصل : ادا .

٦ ـ تغازلني منه الإشارات عابثاً(٧) فيصطادني ذاك الغزال المُغـــازِلُ
٧ ـ فحيث رمى منّي يصادف مقتلاً كأبى على حين برمى مفـــائلي(٨)
٨ ـ وليلة وصلٍ ليلةُ القدر أُختُها تجلَّتْ بها الظَّلماءُ والبدرُ آفـــلُ
٩ ـ وأبصرتُ وجهاً قلتُ لمّا رأيتُه : ألا ليت شعري ما تقول العـــواذلُ
١٠ـ وما صَبَغَتْ(٩) صِبْغَ الخدود مدامــةٌ
بهــا صُبِغَتْ(١٠) قبــل الخــدود الأناملُ
١١ـ وسكرانة سكرى دلالٍ وقوّةٍ اذا هي قامت لــم تَخُنْها المفاصلُ
١٢ـ تثنَّتْ بغصنٍ ذابلٍ عند سكرِها وذا عجبٌ غصنٌ من الريِّ ذابـــلُ
١٣ـ فإنْ لم أقُلْ ما كانَ في صَرِّه(١١) المنـــى
فـــواهــاً لـــه إنَّ الحَنـــينَ لقــائلُ(١٢)
١٤ـ ولم أطْوِ سرّي عنكم لاتّهامكم ولكنْ لإفشاء(١٣) الحديث غوائـــلُ
١٥ـ نُجاملُ مَنْ يُبْقي على مَنْ نحبُّهُ(١٤)
ولن تخلصَ البُقيا(١٥) لمـــن لا يُجامِـــلُ
١٦ـ وحيثُ ارى إلْفاً لإلْفٍ مُصافياً فَثَمَّ حَسُوْدٌ لا ينـام وعاذلُ

(٧) وردت الكلمة في الأصل بلا نقط ، ولعل الصواب ما أثبتنا .
(٨) كذا ورد عجز البيت في الأصل ، وهو مصحف ومحرف حتى القافية ، وربما كان الأقرب الى الصواب : (كأني أعني حيث ترمى المقاتل) واعني ــ الرباعي ــ بمعنى اظهر وابدي .
(٩) في الأصل : وما اصبعت ، ولم يرد (أصبغ) في المعجمات .
(١٠) في الأصل : اصفت .
(١١) في الأصل : ضره ، والصر : الاعلان والتصويت والصياح .
(١٢) في الأصل : يقاتل ، والسياق يقتضي ما اثبتنا .
(١٣) في الأصل : لانشا .
(١٤) الشطر غير منقوط في الأصل عدا الباء الأخيرة .
(١٥) في الأصل : النقى ، ولعل الصواب ما اثبتنا ، وبه يستقيم الوزن .

[١٨١]

وقال أيضاً :

١ ـ إقبالُهنّ بشارةُ الإقبالِ وحضورُهنّ حضورُ حُسنِ الحالِ

٢ ـ هُنّ الغواني(١٦) بالجمال عن الحُلى فجمالُهنّ يفوق حلْيَ الحالي(١٧)

٣ ـ إنعامُهنّ لنا طليعة(١٨) نعمةٍ موصولةٍ بمقدّماتِ وصالِ

٤ ـ شُبْنَ الملاحةَ بالدلال وأُشْرِبَتْ بقلوبهنّ حلاوةُ الإدْلالِ

٥ ـ [٥٢/ب] ذُلُّ اليَسير(١٩) بطرفهنّ وفوقه عقْدُ الحواجب فيه تيْهُ الغالي(٢٠)

٦ ـ واذا اهتزَزْنَ(٢١) لنا تهزُّ قلوبَنا هيفُ الخصور ورُجّحُ الأكفالِ

٧ ـ يُشفى العليلُ(٢٢) بأنسهن كمثل ما تُشفى العطاشُ ببارد السلسالِ

٨ ـ فالشّيب أسخطهنّ من بعد الرضا والعُدْم علّمهنّ صفح الحالِ

٩ ـ قد يُستَفاد المالُ بعد نفاده والشّيب أعيا حيلةَ المحتالِ

١٠ ـ فطمعتُ في نصف الرضا ويئستُ من نصفٍ لإعْدامي وشيب قذالي

١١ ـ قُمْ ياغلام فسلّ قلبي بالتي فيها السلوُّ عن الملول السالي(٢٣)

١٢ ـ كيف الصلاح وقد بُليتُ بشادنٍ في الحسن منفردٍ بغير مثالِ

---

(١٦) الغواني : المستغنيات .
(١٧) في الأصل : حل الحال .
(١٨) في الأصل : طلقه ، ولعل ما اثبتنا هو الصواب .
(١٩) في الأصل : دل السر ، واليسير : الحقير ، وربما كان تصحيف (الأسير) .
(٢٠) في الأصل : العالي ، وقد اراد الشاعر في هذا البيت المقابلة بين الذل والتيه وبين الحقير والغالي .
(٢١) في الأصل : واذا هبرت ، وهو من أوهام النسخ .
(٢٢) كذا في الأصل ، وله معنى مقبول بقرينة (يشفى) ، ولكن السياق يقتضي (الغليل) بالغين المعجمة .
(٢٣) في الأصل : لسالى .

١٣– لم أُنصِف المعشوقَ إذْ شبَّهتُه قَدَّ القضيب وصورةَ التمثالِ
١٤– فاذا تلفّتَ أورنا(٢٤) فارغبْ به عن جيد مُغْزِلةٍ(٢٥) وعين غزالِ
١٥– وطراز طُرَّتِه ونور جبينِه يُنسيكَ كلَّ دجىً وكلَّ هلالِ
١٦– وتشعشع الخدَّين من ماء الحيا كرحيق خمرٍ مُشرَبٍ بزلالِ
١٧– نزه العيون جلاوهن من الحسا ولكل قلبٍ في البصره خالٍ(٢٦)
١٨– تبلى الرياضُ وكلُ روضٍ وافرٍ(٢٧) وندى البَريديِّيْنَ ليس ببالِ
١٩– عزُّ البريديين(٢٨) أحسن منظراً للناس ، فيه حدائقُ الآمالِ
٢٠– إقبالُ دولتهم على كلِّ الورى متتابعٌ بعوائد(٢٩) الإقبالِ
٢١– قد كادت الأرزاق تُقْفَل(٣٠) فانبرتْ
بركاتُهم بمفاتح الأقفالِ
٢٢– وهُمُ الثلاثة شبَّ فيهم رابعٌ(٣١) من ذي المعالي وهو جدٌّ عالِ
٢٣– أيّامُكم في العالمين كأنّها من حسنها مصقولة بصقالِ
٢٤– عظمتْ كفايتُكم وجَلَّ غَناؤكم فبكم تسير(٣٢) سوائرُ الأمثالِ

(٢٤) في الأصل : اودنا ، وهو تصحيف .
(٢٥) في الأصل : معرله ، ولعل الصواب ما أثبتنا ، والمغزل : الظبية ذات غزال ، فهي كثيرة التلفت .
(٢٦) كذا البيت في الأصل ، ولم نهتد الى قراءة صحيحة فيه .
(٢٧) في الأصل : وافد .
(٢٨) في الأصل : الريدس .
(٢٩) في الأصل : بعوائد .
(٣٠) في الأصل : الاوراق بعقل .
(٣١) الثلاثة هم ابو عبد الله وابو يوسف وابو الحسين البريديون المذكورون في الكامل لابن الأثير : ٦/١٩٣ و ١٩٤ و ٢٠٩ . اما الرابع الذي شب فهو ابو القاسم عبد الله بن ابي عبد الله البريدي المذكور في الكامل أيضاً : ٦/٢٩٦ و ٣٢١ و ٣٢٥ و ٣٥٨ .
(٣٢) في الأصل : تشر .

٢٥- [٥٣/أ] في الأرض ذلك في السماوات العُلى
تُدْعَوْنَ ساداتِ العُمّالِ

٢٦- ما قلتُ زوراً ؛ إنّ بَسْطَ(٣٣) نوالكم
في الأرض أفضلُ صالح الأعمالِ

٢٧- مَنْ شاء فليقتل لذلك نفسَه أسفاً وربَّ تأسُّفٍ قَتّالِ(٣٤)

٢٨- فليرغم الحسّادُ ، إنّ خدودهم حُطَّتْ لِمَوْطَأكم نِعالَ نِعالِ(٣٥)

٢٩- هلاّ أتوا بخلائقٍ كخلائق(٣٦) فيكم مبرزة بكل كمالِ

٣٠- لم ينقموا الاّ التيقظ منكم وتحفُّظ الغَفَلات والإغفالِ

٣١- فرأوْا مساعيَهم(٣٧) قرارةَ وهدةٍ ورأوا مساعيَكم سماءَ معالِ

٣٢- فبمثل ذا عمد(٣٨) الحسود ، وانما بسَخى القلوبِ تفاوُتُ الأحوالِ

٣٣- أوَ ما ترى رجلاً يقوم مقامةً(٣٩) ما إنْ يقوم بها أُلُوفُ رجالِ

٣٤- هذا ابو عبدالإلَه يمدُّه(٤٠) شُكرُ الإله بفضله المتوالي

٣٥- لو ضُمّت الدنيا اليه بأسرها لا قتادها من نعله بقِبالِ(٤١)

٣٦- ما ذاك في القرطاس نِقْساً انما هو كشف كرب أو حلول وَبالِ

(٣٣) في الأصل : بشط .
(٣٤) هكذا وردت القافية في الأصل ، فان صح البيت فكسرها من عمل الشاعر نفسه .
(٣٥) النعال الاولى : جمع نعل وهي الأرض الغليظة ، والثانية : جمع مايلبس لوقاية القدم من الأرض .
(٣٦) في الأصل : هل لا انو بحلائق لحلائق .
(٣٧) في الأصل : مساعكم .
(٣٨) كذا في الأصل ، ولعل الصواب : غيظ (مبنياً للمجهول) .
(٣٩) في الأصل : معاوما ، ولعله : قوامة .
(٤٠) في الأصل : بهده ، وهو تصحيف .
(٤١) القبال في النعل : زمام بين الاصبع الوسطى والتي تليها .

٣٧- واذا سمعتَ صرير أقلامٍ له(٤٢) فزئير أسدٍ في حمى(٤٣) الأشبالِ
٣٨- [و]يبعثر الجيشَ العرمرمَ راصفاً(٤٤) كيداً يصاول صولةَ الأبطالِ
٣٩- ما أشرف القلم المشرِّفَ أهله ضخم المَريرة(٤٥) وهو نِضو هُزالِ
٤٠- يمشي مُكِبّاً ، والخُطا من مشيه طُرق الغنى وطوارق الأهوالِ
٤١- ويمجُّ رَعْفاً(٤٦) لا يملُّ لسانُهُ ويفيض بالآمالِ والآجالِ(٤٧)
٤٢- يا أحمد بن محمدٍ حمداً لمن جعل الفضائلَ في ذوي الإفضالِ
٤٣- قال النَّبيُّ : يدُ الذي يعطي هي الـ ـعليا وأنت على الأنامِ العالي
٤٤- ويداك قد علَتا على أيدي الورى بجلال قدرك فوق كلِّ جلالِ
٤٥- [٥٣/ب] ولقد حرستَ مواهبَ الله التي
أُوتيتَ بالإحسانِ والإجمالِ
٤٦- فالله بالبركات خصَّك إذ رأى نعماك قد كَلِفَتْ بهَدِّ جبالِ(٤٨)
٤٧- فمؤمَّل العافين أنت وأنت ذخـ ـر الأولياء وكنز بيت المالِ
٤٨- والله يحمل ذاك عنك بأسره شكراً لأنك حامل الأثقالِ
٤٩- واللهُ يؤتي فضلَه ومزيدَه من شاء(٤٩) غير مُدافَع الأفعالِ
٥٠- لازلتَ في نعمٍ تُزاد بشكرها مدداً من الإعظام والإجلالِ(٥٠)

---

(٤٢) في الأصل : لهم ، والسياق يقتضي ما اثبتنا .
(٤٣) في الأصل : حصى ، وهو تصحيف .
(٤٤) في الأصل : سعثن للحشن العرمرم اں صفا .
(٤٥) في الأصل : صخم المرار ، والمريرة : العزيمة وعزة النفس .
(٤٦) في الاصل : رنفا ، وهو تصحيف .
(٤٧) في الأصل : والارحال .
(٤٨) في الأصل : نهدب عيال ، ولعل الصواب ما اثبتنا .
(٤٩) في الأصل : من يشا ، وهو تصحيف .
(٥٠) في الأصل : والاحدال .

[١٨٢]

وقال أيضاً :

١ – إقبالُ عامٍ بشكر الخير مقبولُ   عيدُ الأمير بعيد(٥١) البرِّ موصولُ
٢ – يوم العَرُوبة(٥٢) والنَّيروز قد جُمعا   فاليومُ يومٌ لـه تاجٌ وإكليـلُ
٣ – يومٌ من الجُمعة الغرّاء غُرَّتُه   وفيه من بهجة(٥٣) النيروز تحجيلُ
٤ – يومٌ تألَّف من عيدَيْن: عيدتقىً   وعيد مُلكٍ فذا فضلٌ وتفضيـلُ
٥ – فانعم بنيروزك الميمون طائرُه   وبالسعادة حبل الحظِّ مفتولُ
٦ – وعشتَ ما عشتَ فيما(٥٤) شئتَ من نعمٍ   فيها عليك لظلٍّ(٥٥) العزِّ تظليلُ
٧ – فاليوم عظّمه . . . . وبجّلـه   فحظه منك تعظيـم وتبجيـل
٨ – يومٌ تُصاغ به التيجانُ من زَهَرٍ   لابن الملوكِ ، وللجيش الأكاليـلُ
٩ – لقـد تزيَّنت الدنيـا بزخرفها   فالروض قـد مُثِّلَتْ فيه التماثيلُ
١٠ – فالغيم يبكي اذاما الروض ضاحكُه   وناظرُ(٥٦) النبت بالأنـداء مكحولُ
١١ – يومٌ له زَفَّت الدنيا عرائسَها   لهنَّ من سندسٍ خُضرٍ سرابيـلُ
١٢ – مُعَمَّمات بوَشْيٍ(٥٧) من جواهرها   مرصَّعات وفـي الترصيـع تفصيـلُ

---

(٥١) في الأصل : لعيد .
(٥٢) العروبة ـ بفتح العين ـ : يوم الجمعة .
(٥٣) في الأصل : مهجه .
(٥٤) في الأصل : مما .
(٥٥) في الأصل : كظل .
(٥٦) في الأصل : وناظر ، وما اثبتنا هو المنسجم مع السياق .
(٥٧) في الأصل : نشى ، ولعل الصواب ما اثبتنا .

١٣- [٥٤/أ] هذا الربيع من الجنّات مُستَرَقٌ
ففيه منهنَّ تَمْيِيْلٌ وتمثيلُ(٥٨)

١٤- فالورد من وجنة المعشوق صبغتُه والطِّيبُ من نكهة(٥٩) المعشوق معلولُ(٦٠)

١٥- وردُ الحبيب مصونٌ ليس يقطفه الاّ العيون وورد الروض مبذولُ

١٦- طيبوا فما طيب هذا اليوم مُدَّغَمٌ يخفى ولا فضل هذا اليوم مجهولُ

١٧- أمّا النهار فلا حَرٌّ ولا خَصَرٌ(٦١) والليل لا قِصَرٌ فيه ولا طُولُ

١٨- فلا طلائع جيش القيظ طالعة كذاك سابق جيش القُرِّ(٦٢) مغلولُ

١٩- فيالعيشٍ(٦٣) لمض الروح(٦٤) رَعْرَعَةٌ
وللنسيم مع الأشجار تطفيلُ

٢٠- فلا البَنَانُ مع التجميش(٦٥) منقبِضٌ
ولا العناق لكثْر الحَرِّ مملولُ

٢١- طاب الهواءُ لتعديل(٦٦) النهار به فللذاذات في الأرواح تعديلُ

٢٢- فالنَّوْرُ(٦٧) يزهِر في خُضْر الرياض كما
يُزْهِرْنَ في ظُلَم الليل القناديلُ

٢٣- فشيّعوا يومَكم واستقبلوا غدَه فقسمة العيش تقديم وتأجيلُ

---

(٥٨) لم تنقط في الأصل كلمتا (تمييل وتمثيل) .
(٥٩) في الأصل : نهكة .
(٦٠) كذا في الأصل ، وكأنه بمعنى مشرب يعل مرة بعد اخرى .
(٦١) الخصر - بالتحريك - : البرد .
(٦٢) كتب الناسخ فوق كلمة القر : (الغز ، ظ) توهما منه ان الأصل خطأ ، في حين انه عين الصواب .
(٦٣) في الأصل : فالعشى .
(٦٤) كذا في الأصل .
(٦٥) التجميش : القرص والمغازلة .
(٦٦) في الأصل : لعلل ، وهو تصحيف .
(٦٧) في الأصل : فالوم ، وهو تصحيف .

٢٤- فما انتظاركم والعيشُ مقتبـلٌ والورد مبتسمٌ والروض معلولُ(٦٨)

٢٥- لنا ربيعانِ من وقت ومن كَرَمٍ وسيدٌ ما جد الأخلاق بُهْلـولْ

٢٦- هو الأمير ابن يزدادَ(٦٩) الذي سهلتْ

بـه الخطـوبُ فللخيرات تسـهيلُ

٢٧- حُسناه راضتْ قلوبَ الناس كلّهم فودُّه في قلوب الناس مقبـولُ(٧٠)

٢٨- إحسانُه عَمَّ أهلَ الشرق كلّهم فربْعُه أبـداً بالشـكر مأهـولُ

٢٩- اليه أقبلت الآمـال أجمعُهـا تصدى(٧١) فما غيره في الناس مأمولُ

٣٠- [٥٤/ب] لوعُدَّ في الخلق مَنْ يُغْذى بنعمته

مـا كان يرْويهـم جيْحَانُ والنّيْلُ

٣١- له دلائل اقبالٍ يوافقها(٧٢) يمنٌ ورأي على التوفيـق مدلولُ

٣٢- والحاسب الشهم لا تجري أناملُه بحَسْب ما أنت مشكور ومسؤولُ

٣٣- لم يبقَ طاغٍ وباغٍ لم يمسّـهما من بسط كفّيْك تنكيلٌ(٧٣) وتنويلُ

٣٤- فيا ابن يزدادَ مَنْ ولاكَ بانَ [له](٧٤)

من بَدْوِ أمـرِك تكميلٌ وتكميلُ(٧٥)

---

(٦٨) كذا في الأصل ، ولعله : مطلول اي مندى .

(٦٩) في الأصل : بردار ، والصواب ما اثبتنا ، وقد تقدم من الشاعر مدحه في القصيدة (٥٠) .

(٧٠) كذا في الأصل ، وربما كان (مجبول) اي مطبوع .

(٧١) كذا في الأصل ، واظن صوابه : صديا .

(٧٢) ولعله : يرافقها .

(٧٣) في الأصل : تكليل ، وهو من سهو النسخ .

(٧٤) زيادة يقتضيها السياق .

(٧٥) في الأصل : ومن بعنوا لامرك نكميل وتكميل . ولعل ما اثبتنا هو الأقرب الى الصواب .

٣٥– فالحمد لله لاحسناك ضائعة ... كلاّ (٧٦) ولا عقدُ شكرِ الله محلولُ
٣٦– فليس ما زاد فيه الشكر منتقصاً ... ولا لما أثبتَ الإحسانُ تحويلُ
٣٧– من سُنّة الله إمداد الشكور له ... وما لسُنّته في الخلق تبديلُ
٣٨– انّي أقول فإنْ أكثرتُ في مدحي ... في جنب احسانك التكثيرُ تقليلُ
٣٩– يا غارساً شجر الاحسان دُلْ ثمراً ... لكنّه ثمر بالسمع مأكولُ
٤٠– مدح يلذُّ من الأفواه مرشفُه ... كما يلذ من المعشوق تقبيلُ

[قافية الميم]

[١٨٣]

وقال أيضاً(٧٧) :

١ – يومٌ أتى بنسيم الريح موسوما ... مباركٌ بزمام المُلك مزموما
٢ – المهرجان الذي كانتْ تبجّله ملوك . . . . تبجيلاً وتعظيما
٣ – فاليمن طائرُه والسعد طالعُه ... تفاؤلاً (٧٨) يوجب الزلفى وتنجيما
٤ – جاءتك عافيةٌ فاز الأنامُ بها ... فوزاً عظيماً فمخصوصاً ومعموما
٥ – من بعدما شَنّقَ (٧٩) الإرهاقُ أنفسَهم ... وضُرِّمَتْ جمراتُ الخوف تضريما
٦ – [٥٥ – أ] وَعْكُ الأمير – وقاه الله كلَّ أذىً – ... أنْشا سحاباً من الأحزان مركوما
٧ – لم يبق في الأرض لاروحٌ ولابدنٌ ... الاّ وقد كان من حُمّاك محموما
٨ – حُمّاك نغّصتِ اللذات فانقلبتْ ... من التنغّص غِسليناً وزقّوما

(٧٦) في الأصل : لاحسناك صانعه قلا ، ولعل الصواب ما أثبتنا .
(٧٧) في الأصل : وقال على قافية الميم ، وقد جعلنا (قافية الميم) عنواناً .
(٧٨) في الأصل : تفال .
(٧٩) في الأصل اسفق ، ولعل الصواب ما أثبتنا ، والتشنيق : التقطيع ، وربما كان (شفق) .

٩ - حتّى حسبنا نسيمَ الريح صارلظىً ... يشوي القلوب وصار الظلُّ يحموما
١٠- قسمتَ حُسناك بين الناس كلهم ... فصار وَعْكُكَ بين الناس مقسوما
١١- لقد أبارَتْ(٨٠)قلوبَ الناس من جزعٍ ... أنفاسُ كربٍ يُفَكِّكْنَ الحيازيما
١٢ - فقد كفى اللهُ ماخافوا وماحذروا ... نعاد مستبشراً(٨١) مَنْ كان مهموما
١٣- من بعدما اصفرَّ وجهُ العيش حين رأى ... خدَّ السرور بكفِّ الحزن ملطوما
١٤- وأقبل الجودُ كالولهان حين بدا ... دمعُ المكارم والإحسانِ(٨٢) مسجوما
١٥- كانتْ لعلّتك الدنيا على وجلٍ ... خوفاً وكان لك الاسلامُ مغموما
١٦- سبحان مَنْ كشف البلوى وفرَّجَها ... من بعدما صمَّم المكروهُ تصميما
١٧- فنحمد اللهَ في تجديد نعمته ... حمداً يحقِّق للتجديد تتميما
١٨- هذا الأمير ابن يزدادَ الذي ملأتْ ... آثارُه وأياديه الأقاليما
١٩- والناس قد علموا مقدارَ سيرته ... منهم(٨٣) وزادهم الإشفاقُ تعليما
٢٠- يا عصمة الدين والدنيا وزينتها ... لا زلتَ من نكبات الدهر معصوما
٢١- وكيف لا يتمنّى الناس كلّهم ... حياةَ مَنْ قد أماتَ الجورَ واللُّوما
٢٢- عدلُ الأمير واحسانُ الأميرهما ... رَدّا الزمانَ عن الأحرار مخصوما
٢٣- [٥٥/ب] لا تعد مَنَّك دنياً أنت واحدُها ... إذْ كان شبهُك في ذا الدهرِ معدوما
٢٤- صارتْ بك البصرة(٨٤) المأوى وقد غَنِيَتْ ... وصار معنومُها في الناس معنوما(٨٥)

(٨٠) لم تنقط الباء في الأصل ، وابارت : أهلكت . وقد تكون : اثارت اي هيجت .
(٨١) لم ترد السين في هذه الكلمة في الأصل .
(٨٢) في الأصل : للاحسان ، والسياق يقتضي ما اثبتنا .
(٨٣) كذا في الأصل ولكن لم تنقط النون ، ولعله : فيهم .
(٨٤) في الأصل : النصره ، وهو تصحيف .
(٨٥) كذا الشطر في الأصل .

٢٥– عهدي بها وهي اقليم الشقاق فقد صَيَّرْتَها أنت للتأليف إقليما
٢٦– فزادك اللهُ تمكيناً ومقدرةً وزاد أنفَ الذي عاداك ترغيما
٢٧– صَيَّرْتَ حُسناك حتماً منك مفترَضاً فصار حبُّك مفروضاً ومحتوما
٢٨– صنائعٌ لك في الدنيا مشهَّرةٌ تكاد بالشكرِ أنْ يُفْصِحْنَ تكليما
٢٩– زحزحتَ عن [كلٍّ](٨٦) مظاوم ظُلامتَهُ
فصار مالُكَ للراجين مظلوما
٣٠– فحين حُكِّمْتَ في الدنيا وزخرفها حكَّمْتَ دينَك في دنياك تحكيما
٣١– أقبلتَ تخدم تقوى الله مجتهداً فصرتَ باليمنى والإقبال مخدوما
٣٢– يستنشق الناس طيباً إنْ ذُكِرْتَ لهم كأنَّ أسماءهم صارت خياشيما
٣٣– يا مَنْ اذا ما رأى المحروم طلعتَه فلن يُرى ذلك المحروم محروما
٣٤– لا زال ركنُكَ موطوداً تُشَيِّده(٨٧) ولم يزل ركنُ مَنْ ناواك مهدوما
٣٥– من رام يبغيك(٨٨) لم يظفر ببغيته حتى يرى الزِّنْجَ في ألوانهم رُوْما(٨٩)
٣٦– اني لأكتم حاجات تُشْقِلُني(٩٠) وأثقلُ السقمِ سقمٌ كان مكتوما
٣٧– ما حيلة العبد في إذكار سيّده بعد التغافلِ عمّا كانَ معلوما
٣٨– بَيْنا أُؤمِّل أن أزداد نافلةً حتى مُنِعْتُ الذي قد كان مرسوما
٣٩– والموت أجمل بالانسان منزلةً من أنْ يُرى بخطام الذلِّ مخطوما
٤٠– لِمْ أخَّرَ الكاتبُ الإنجازَ في عِدَتي (٩١)
وكيف لا يجعل(٩٢) التأخير تقديما

---

(٨٦) سقطت من الأصل .
(٨٧) في الأصل : مشيد ، ولعل الصواب ما اثبتنا .
(٨٨) يريد الشاعر : يبغي عليك .
(٨٩) أي : حتى يرى الأسود ابيض .
(٩٠) في الأصل : ستثقلني .
(٩١) في الأصل : موعدتي ، وهو تصحيف .
(٩٢) في الأصل : لايحصل ، ولعل الصواب ما اثبتنا .

٤١- هذا على أنَّه المرضيُّ مذهبُه في السرِّ والجهر تعديلاً وتقويما
٤٢- [٥٦/أ] قد هذَّبَتْه بتقريمٍ صرامتُه(٩٣) وزاده النصح(٩٤) تهذيباً وتصريما
٤٣- ولا يُلام فتىً يحتاط منتصحاً ليس احتياطُ الفتى في النصح مذموما
٤٤- لكنْ أرى المطلَ داءً في تطاولِه وبالعناية يُلْقى(٩٥) الداءُ محسوما
٤٥- هل غير إحسانِ فعلٍ أو إساءتِه يبقى جزاؤهما في الصُّحف مرقوما
٤٦- لا خير في القول معسولاً مذاقتُه حتّى اذا اختبروه(٩٦) كان مسموما
٤٧- لا بدَّ من نفثة المصدور ينفثها لولا الكلام لكان القلب مكلوما

[١٨٤]

وقال أيضاً :

١ - ريحُ شوقٍ للبَيْن كانت سموما ثم عادتْ عند اللقاء نسيما
٢ - فهي بالأمس نار نمرود(٩٧) كانت وهي اليوم نار ابراهيما
٣ - ما أمرَّ الخروج من بلدةٍ(٩٨) فيها حبيبي(٩٩) وما ألذَّ القدوما
٤ - سُمِّيَتْ وقفةُ التفرُّق تسليماً كما سُمِّيَ اللَّديغُ سليما
٥ - ذقتُ طعمَيْ تفرُّقٍ ولقاءٍ كدتُ من فرط ذا وذا أنْ أهيما
٦ - وكأنّي ولم أرَ النارَ والجنْنةَ ذقتُ الغِسلينَ والتسنيما
٧ - ففراقُ(١٠٠) المعشوقِ والملكُ سيّا ن وإنْ [كان](١٠١) ذا وذاك عظيما

(٩٣) في الأصل : ضرامته ، وهو تصحيف .
(٩٤) في الأصل : النصر .
(٩٥) في الأصل : بلفا ، ولعله : يلفى .
(٩٦) في الأصل : حتى احسروه .
(٩٧) في الأصل : نمورد .
(٩٨) في الأصل : عن بلد ، والصواب ما اثبتنا .
(٩٩) في الأصل : فيها الحسب ، وسلامة الوزن تقتضي ما اثبتنا .
(١٠٠) في الأصل : من فارق .
(١٠١) سقطت الكلمة من الأصل ، والسياق يقتضي : وقد كان .

٨ ـ ليس فقدان مَنْ يُفيدُ الصَّبابا ت كفقدان مَنْ يُفيد النعيما
٩ ـ كن عنياً(١٠٢) فان كلَّ حبيبٍ لم يزلْ قاسياً(١٠٣) يكون رحيما
١٠ـ ما تراني عند الأنام جميعاً صرتُ بالسيِّد الكريم كريما
١١ـ خدمتْني القلوبُ حتّى كأنّي هلب بالحد(١٠٤) خلتني مخدوما
١٢ـ يا أبا القاسم المهيب المرجّى بك أكرِمتُ ظاعناً ومُقيما
١٣ـ وحقيقٌ لعُظْم قدرك أنْ يُظْهرَ(١٠٥) في أوليائك التعظيما
١٤ـ ما ترى الشمسَ حين يحجبها الافقُ يمدُّ(١٠٦) الضياءُ منها النجوما
١٥ـ أنتَ صَحَّحْتَ لي مودَّةَ أيّامي وقد كان ودُّهنَّ سقيما
١٦ـ أنت آويتَني وقد طرد الناسُ رجائي طردَ الوصيِّ اليتيما
١٧ـ ورَمَمْتَ الرجاءَ وهو رميمٌ ثم أنتجته وكان عقيما
١٨ـ فيقول الذي يرى(١٠٧) كشفَ ضرّي إن ربي يُحيي العظام الرميما
١٩ـ قد زكتْ لي بلك الأماني(١٠٨) وصارتْ(١٠٩) هِمماً ترتقي وكانت هموما
٢٠ـ فغدا اسمي(١١٠) مُحَجَّلاً بأياديك أغرّاً (١١١) وكان قبلُ بهيما
٢١ـ ألبستْني نعماك ثوباً غدا باسمك في الناس كلِّهم مرقوما

(١٠٢) كذا في الأصل ، وربما كان : كف عتباً .
(١٠٣) كذا في الأصل .
(١٠٤) كذا في الأصل .
(١٠٥) كذا في الأصل ، فان صح فضمير الفاعل يعود على عظم القدر .
(١٠٦) في الأصل : نعمى ، ولعل الصواب ما أثبتنا .
(١٠٧) في الأصل : بدا ، وهو تصحيف .
(١٠٨) في الأصل : مدركب بى لك الامان .
(١٠٩) في الأصل : وكانت ، وهو تحريف .
(١١٠) في الأصل : اسما ، والسياق يقتضي ما أثبتنا .
(١١١) في الأصل : عرا ، ولعل الصواب ما أثبتنا ، وتنوين الكلمة من ضرورات الشعر .

٢٢– فلو اني سكتُّ(١١٢) عن شكر آثا رِك كلّمْنَ ذا الورى تكليما
٢٣– مسّني حظُّك الجسيم فأعدا نيَ حتى رأيتُ حظي جسيما
٢٤– لو رأى(١١٣) في المنام طيفك محرو مٌ لأغنى خيالُك المحروما
٢٥– وسجاياك تقتضي نفسك الجو دَ(١١٤) كما يقتضي الغريمُ الغريما
٢٦– صُنْتَنا(١١٥) حين أهملتْنا الليالي فحمدنا بك الزمانَ الذميما
٢٧– شكرتْكَ(١١٦) الدنيا فأعطتْكَ تنبيـ
ـهاً مشاعاً ونائلاً مقسوما
٢٨– أنت زيّنْتَها فأظهرتَ فيها كرماً حين أظهر الناسُ لُؤما
٢٩– كلّما قيل : دام خيرُك ، قال الـ جُودُ : آمينَ ، رغبةً أنْ يدوما
٣٠– لاعدمنا ظِلال نعماك تغشى الـ أرضَ أو لا ترى عليها عديما(١١٧)

[١٨٥]

وقال أيضاً [٥٧/أ] :

١ – [و](١١٨) عذب المقبل والمبتسم لذيذ المراشف والملتثمْ
٢ – فتىً هو في حُسنه أُمّةٌ تحكّمه(١١٩) في جميع الأُمَمْ
٣ – فأحسب عُبّاد أصنامهم رأوها بصورة هذا الصنمْ
٤ – بطرفٍ يصحُّ له سحرُه اذا كان صحتُه من سقمْ
٥ – وخصرٍ تظلّمُه يُشْتَهى وردفٍ يُحَبُّ لما قد ظلمْ

(١١٢) في الأصل : سكت .
(١١٣) في الأصل : لورائى .
(١١٤) في الأصل : نفسك الحر .
(١١٥) في الأصل : رضيتنا .
(١١٦) في الأصل : سكوتك .
(١١٧) في الأصل : عليه عريما .
(١١٨) زيادة لم ترد في الأصل .
(١١٩) في الأصل : بحكمة .

٦ ـ مصون تجنبْتُ في حُبِّه جميعَ الفواحش الاّ اللممْ
٧ ـ تقاضيتُه الوصلَ في خلسةٍ بلطف الإشارات لا بالكلمْ(١٢٠)
٨ ـ نتقطيبُ(١٢١) حاجبه قال : لاَ وفترةُ أجفانِه : إي(١٢٢) نَعَمْ
٩ ـ فلم أرَ أحسنَ من لحظةٍ(١٢٣) تطعَّمْتُ فيها سرورَ النِّعَمْ(١٢٤)
١٠ ـ وأحلى المنى عسان(١٢٥) الهوى اذا ما اختُلِسْنَ خلال البُهمْ
١١ ـ ونحن معاشر أهل الهوى جوارحه كطراف الخدمْ(١٢٦)
١٢ ـ فمن دام بالعهد دُمْنا له ونستودع الله مَنْ لم يَدمْ
١٣ ـ رأيتُ غنى النفس خيرَ الغنى. كذا عدم الصبر شرّ العَدَمْ
١٤ ـ وخير الأخلاّء مَنْ إنْ رأى جميلاً أشاعَ وعيباً كتمْ
١٥ ـ أرى ابنَ عتيقٍ عتيقَ النِّجارِ (١٢٧)
كريمَ الطِّباع حميد الشِّيَمْ
١٦ ـ تقدَّم في أمر طُلاّبه تَقَدُّمَ(١٢٨) آبائه في القِدَمْ
١٧ ـ عليه يُعَوِّل عند الخطوب وفي النائبات به يُعتَصَمْ
١٨ ـ وفي المُشْكِلات قريب الخُطا(١٢٩) وفي المكرمات بعيد الهِمَمْ
١٩ ـ ابا عُمَرٍ عمرتْ ساحَتاكَ بغوث اللَّهيف ورعي الذِّمَمْ

(١٢٠) في الأصل : لابالظلم .
(١٢١) في الأصل : فمعطت .
(١٢٢) في الأصل : لى .
(١٢٣) في الأصل : من حظظه .
(١٢٤) في الأصل : تطعمت منها سرورا نعم النعم .
(١٢٥) كذا في الأصل ، والسياق يقتضي (لحظات) مثلا ، ولعل (الهوى) تصحيف (الهنا) .
(١٢٦) كذا في الأصل .
(١٢٧) في الأصل : الحاد ، والعتيق : الكريم .
(١٢٨) في الأصل : لمقدم ، والصواب ما اثبتنا .
(١٢٩) في الأصل : الحطوب ، وهو غلط وتصحيف .

٢٠- [٥٧/ب] ولي حاجة لم أُطِقْ بَثَّها
حياءً وقد أخذتْ بالكَظَمْ(١٣٠)
٢١- أهابك فيها لأن الكريم يُهاب وإنْ كان لا يُحْتَشَمْ
٢٢- لساني تلجلج عن حاجتي فترجَمْتُها بلسان القلمْ
٢٣- وبِشْرُكَ بشَّرني بالمنى وحُسنُ اللقاء(١٣١) افتتاحُ الكَرَمْ
٢٤- وقد جَدَّ عزمي على رحلةٍ أُجدِّد فيها صلات الرَّحِمْ
٢٥- فأتْمِمْ (١٣٢) أياديك في رحلتي فحقٌّ أياديك أنْ تستتمّ
٢٦- فرفدُك جارٍ على مَنْ أقامَ وبرُّك زادٌ لمَنْ لم يُقِمْ
٢٧- وفي ابنك جودٌ وتوفيقُه(١٣٣) ليتلو أباه على ما رسمْ
٢٨- اذا كان بدرُ الدجى(١٣٤) مشرقاً فلن يُستضاء بنجمٍ نجمْ
٢٩- وحُسناك تكسوك حُسنَ الثنا ونُعماك تُبقي عليك النِّعَمْ

[١٨٦]

وقال أيضاً :

١ - لا شيء أحسن من إلْفَيْنِ قدقسما حسنَ الرعاية والاخلاص بينهما
٢ - تقاسَما الحسنَ والإحسان فامتزجا(١٣٥)
على الصفات فصارا(١٣٦) في الهوى علَما
٣ - كأنَّما قلمٌ قد خطَّ شكلَيهما بل كان ذلك لطفَ الله لا قلما
٤ - ترى الفكاهة والآداب بينهما حدائقاً ورياضاً تنبت الحِكَما

(١٣٠) الكظم : مخرج النفس .
(١٣١) في الأصل : وحسن العنا ، ولعل الصواب ما أثبتنا .
(١٣٢) في الأصل : مانعم ، والسياق يقتضي ما أثبتنا .
(١٣٣) كذا في الأصل .
(١٣٤) في الأصل : هدا الدجا ، ولعل الصواب ما أثبتنا .
(١٣٥) في الأصل : فامرجا ، ولعل ما أثبتنا هو الصواب .
(١٣٦) في الأصل : فصار .

٥ ــ قد أعطيا من فنون الشكل مــا اشتهيا(١٣٧)
وحُكِّمــا فــي صروف الدهــر فاحتكما
٦ ــ وحين يسلم هذا يزدهي فرحاً لعِلْمِه أنَّ مَنْ يهواه قد سلما
٧ ــ لو حُرِّكا انتثرا شكلاً وإنْ نطقا تناثرا لـؤلـؤاً نظمــاً وما نُظِما
٨ ــ صار الحفاظُ لعين العيب مُتَّهِماً فلن ترى منهما بالعَيْب مُتَّهَما
٩ ــ [٥٨/أ] تراضَعا بوفاءٍ كان عيشهما منــه ولــو فُطِما ماتــا وما انفطما
١٠ــ كأنَّ رُوحَيْهما روح فأنت ترى وهمَيْهما واحداً في كلِّ ماوَهِما
١١ــ وليس يحلم ذا حلمــاً برقدته الّا وهــذا بذاك الحلم قد حلمــا
١٢ــ اعجبْ بإلْفَيْنِ لو بالنار عُذِّبَ ذا وذاك في جنَّــة الفردوس قد نعما
١٣ــ لكان ينعم هذا من تنعم ذا وكان يألــم هــذا ذلك الألمــا
١٤ــ حُسن اتِّفاقٍ بظهر الغيب بينهما في كلِّ حال تراه الدهرَ ملتئما
١٥ــ لو مسَّ ذا سَقَمٌ قامتْ قيامتُه لعِلمه أنَّ مَنْ يهواه قد سقما
١٦ــ كذا يكون وداد الأصفياء ، كذا تصفو القلوبُ فيجلو نورُها الظُّلَما
١٧ــ سَقياً لإلفَيْن لو هَمَّا بمَقْلِيَةٍ ما هَمَّ أنْ يبلغا(١٣٨) من حيرةٍ نَدَما
١٨ــ تشاكلا في دوام العهد فائتلفا والختل والغدر من هذا وذا عَدِما
١٩ــ استخلصا خلوات الأُنس بينهما محضاً فلو أبصرا(١٣٩) ظلَّيهما احتشما
٢٠ــ لو خُلِّيا سرمدَ الدنيا قد انفردا (١٤٠)
عنــد التغازل(١٤١) ما مَلاّ(١٤٢) ومابَرِما

(١٣٧) في الأصل : ما اشتبها ، وهو تصحيف .
(١٣٨) في الأصل : او سلفا .
(١٣٩) في الأصل : فلما ابصرا .
(١٤٠) في الأصل : لانفردا .
(١٤١) في الأصل : التغارل .
(١٤٢) في الأصل : ماملالا .

٢١- ولا أرادا(١٤٣) اعتزالاً طول عمرهما
كأنما شَرِبا من ذا وقد(١٤٤) طَعِما

٢٢ - يالتذُّ هذا لشكوى ذا(١٤٥) ويَعْلَمُه(١٤٦)
وفي التذاذهما تصديق ماعُلِما

٢٣- كلٌّ له حَرَمٌ من صون صاحبه ولن يُصاد مصونٌ يألف الحَرَما

٢٤- فكلّ ما فعلا قبل اعتصامهما بالودِّ(١٤٧)قدطهرا منه مذ(١٤٨)اعتصما

٢٥- كالجاهليَّة بالاسلام قد غُسِلتْ ذنوبُها(١٤٩) ونفى(١٥٠) الاسلامُ ما اجترما

٢٦- صارالهوى لهما(١٥١) ديناًفصانهما عن المساءة ما عيبا ولا اتُّهِما

٢٧- إنَّ المُحِبيَّيْن إنْ داما على ثقة تَهنَّيا العيشَ والدنيا صفتْ لهما

٢٨- [٥٨/ب] كُلٌّ لصاحبه تُبْلى(١٥٢) سرائرُه
بكلٍّ(١٥٣) ما أظهرا من بعدما كتما

٢٩- فللمحبِّينَ في صفو الهوى نِعَمٌ إنْ يشكروهنَّ يزدادوا بها نِعَما

٣٠- يارَبِّ إنَّ الهوى لاكاد يَحمِله(١٥٤) الاّ الكرام فزِدْ أهلَ الهوى كرما

---

(١٤٣) في الأصل : ولا أراد .
(١٤٤) في الأصل : ودا .
(١٤٥) كذا في الأصل ، والا لتذاذ يقتضي : لنجوى ذا .
(١٤٦) في الأصل : ونعلمه .
(١٤٧) في الأصل : فالود .
(١٤٨) في الأصل : مدا .
(١٤٩) في الأصل : فعنها .
(١٥٠) في الأصل : نبعى .
(١٥١) في الأصل : لها .
(١٥٢) تبلى : أي تختبر .
(١٥٣) في الأصل : فكل .
(١٥٤) في الأصل : يخلعه .

[١٨٧]

وقال أيضاً :

١ ـ بوصل الحبيب تطيب الحياةُ وعقلُ الحبيب تمام النِّعَمْ
٢ ـ أيا واحد الحسن يا من غدا له الحسنُ مُتَّبِعاً مُقتَسَمْ
٣ ـ بردف الكثيب وقدّ القضيب وعين الغزال ووجه الصَّنَمْ
٤ ـ اذا أنت سارَرْتَ في مجلسٍ فانك في أهله مُتَّهَمْ
٥ ـ فهذا يقول : قد اغتابنا(١٥٥) وذا يستريب وذا يحتشِمْ(١٥٦)
٦ ـ يقولون : لو كان هذا السّرا رُ خيراً(١٥٧) لَما كان بالمُتَّهمْ(١٥٨)
٧ ـ ولن يُخدَع المرءُ في مجلسٍ كما لا تُصاد الظّبا في الحَرَمْ
٨ ـ كذاك الرِّعاءُ تُسيءُ الظنونَ اذا ما الذئاب خلتْ بالغَنَمْ
٩ ـ ومَنْ يتعدَّ حدودَ الظِّراف خشيتُ عليه حلولَ النِّقَمْ
١٠ ـ فضربُ العصا مؤلمٌ ساعةً وضربُ اللسان طويل الألمْ

[١٨٨]

وقال أيضاً :

١ ـ اخيَّ أذابَني هَمٌّ قديمٌ وصيّرني كعرجونٍ قديمِ
٢ ـ وخفتُ [من](١٥٩) الهموم ذهابَ عقلي فطارَدْني بطاردة الهمومِ
٣ ـ على أنْ ليس لي فيها نديمٌ ولكنْ ذِكْرُ مَنْ أهوى نديمي(١٦٠)

(١٥٥) في الأصل : فهذا نقل مدارانانا ، وما اثبتناه من محاضرات الادباء .
(١٥٦) يحتشم : اي يستحيي . وفي محاضرات الادباء : وذا يتهم .
(١٥٧) في الأصل : خر ، وهو لحن الا اذا كان الصواب في صدر البيت : لوكان في ذا السرار .
(١٥٨) تقدمت هذه القافية في البيت الرابع ، ولعلها ـ هنا ـ مصحفة .
(١٥٩) زيادة لابد منها .
(١٦٠) في الأصل : ندم .

[١٨٩]

وقال أيضاً [٥٩/أ] :

١ — كم استغاثَ السقامُ من سقمي(١٦١) في ليلةٍ لم أنَمْ ولم أُنِمِ
٢ — ما زلتُ أبكي والليلُ مُعتكِرٌ حتّى بكتْ لي حنادسُ الظُّلَمِ
٣ — لا تنصحوني فانني كَلِفٌ أرى نصيحي بعين(١٦٢) مُتَّهِمِ
٤ — لم أرَ مثلَ الهوى له نِقَمٌ يذاق منها حلاوةُ النِّعَمِ

[١٩٠]

وقال أيضاً :

١ — من أين للبدر مثل مبسمِهِ(١٦٣) واللؤلؤ الرَّطبِ لُؤْلؤٍ بفَمِهْ(١٦٤)
٢ — من أين للغصن حُسن قامته أصبح بدرُ السماء من خدَمِهْ
٣ — وأين حدُّ الحسام من نظرٍ يحكم في لحم عبدِهِ ودَمِهْ
٤ — نورٌ من النور لو تأمَّلَهُ لقمانُ يوماً لظلَّ(١٦٥) من حشَمِهْ

[١٩١]

وقال أيضاً :

١ — هبوني قد أسأتُ — أنا الـمُقِرُّ [به](١٦٦) — كما زعما(١٦٧)
٢ — تراه يريد سفكَ دمي بلا جرمٍ لقد ظلما

(١٦١) في الأصل : سقم .
(١٦٢) في الأصل : ارى نصيحى مى نعن .
(١٦٣) هكذا وردت الكلمة في الأصل ، وهي صحيحة ، ولكني أرجح انها : مبتسمه .
(١٦٤) في الأصل : واولؤ الرطب لولوى نعمه . ولعل الصواب ما أثبتنا .
(١٦٥) كذا في الأصل ولكن بلا نقط ، وأظنها : (لكان) أو (لصار) .
(١٦٦) زيادة تقتضيها سلامة الوزن .
(١٦٧) كذا البيت في الأصل .

٣ ـ فلستُ بجاعلٍ ألّلـه (١٦٨) فيما بيننا حكَما
٤ ـ حَذارِ أنْ يعاقبَه فيُصبح هالكاً (١٦٩) نقِما

[١٩٢]

وقال أيضاً :

١ ـ أتتْنا بليلٍ والنجومُ كأنّها قلادةُ جزْعٍ حُلّ منها (١٧٠) نظامُها
٢ ـ فما برحتْ حتى حللتُ إزارَها وقبّلْتُها عشراً وقلّ احتشامُها

[١٩٣]

وقال أيضاً [٥٩/ب] :

١ ـ سألتُ وما أدري حياءً وحيرةً : أباذلَ وجهي كنتَ أم سافكاً دمي ؟
٢ ـ ولا عذر لي إنْ لم أسَلْكَ ، ولم يكن لو اجد ماء يجتزي بالتيمّمِ
٣ ـ وما شرف الانسان الاّ فعالُه فكلُّ امرىءٍ يُؤتي (١٧١) المكارم مُكرمِ (١٧٢)
٤ ـ وكلُّ امرىءٍ لا يُرتجى (١٧٣) لعظيمةٍ ولو (١٧٤) أنه خير الورى ـ لم يُعظّمِ

[١٩٤]

وقال أيضاً :

١ ـ يا قمراً صار حُسْنُه علَما قتلتَ خلْقاً وما سفكتَ دَما

---

(١٦٨) جعل الشاعر الف (الله) الف قطع ، وذلك من ضرورات الشعر .
(١٦٩) في الأصل : فاصبح مالكا ، ولعل الصواب ما اثبتنا .
(١٧٠) في الأصل : حل فيها ، والصواب ما أثبتنا .
(١٧١) في الأصل : ياتى .
(١٧٢) كذا في الأصل ، واظنه (يكرم) مبنيا للمجهول ، وكسر الميم خطأ نحوي .
(١٧٣) في الأصل : مدرىحى ، والسياق يقتضي ما اثبتنا .
(١٧٤) في الأصل : فلو .

٢ ـ قاسمتَ بدرَ الدجى محاسنَه وازددتَ طَرْفاً ومبسماً وفمـــا
٣ ـ لو كان في جاهليَّةٍ سـلفتْ صُوِّرَ تمثال حُسْنِه صَنَمـا

[١٩٥]

وقال أيضاً :

١ ـ أرِبَتْ(١٧٥) مودَّ تُكم على الأيامِ فَتَرَ الإخاءُ(١٧٦) لفترةِ الإسلامِ(١٧٧)
٢ ـ واذا أضاع الناسُ ذِمَّةَ دينهم لم يحفظوا(١٧٨) بمودةٍ وذِمـامِ
٣ ـ لو أنها دارُ المقام لَعُدِّلَتْ(١٧٩) لكنَّها خُلِقَتْ لغيرِ مـقامِ

[١٩٦]

وقال أيضاً :

١ ـ اجعلْ فؤادي دواةً والمدادَ دمي وهاكَ فابْرِ(١٨٠) عظامي موضعَ القَلَمِ
٢ ـ وامددْ جفونيَ قرطاساً(١٨١) فإنْ ألِمَتْ مما تخطُّ فزدْ في ذلك الألَـمِ
٣ ـ ياذا الذي أضحك العُذّالَ بي وبكوا مما بقلبي وعينيه من السَّـقَمِ
٤ ـ ترى العواذل لم يدروا(١٨٢) بمن دنفي وأنت أشهرُ في الديوان من عَلَـمِ

(١٧٥) اربت : فسدت .
(١٧٦) في الأصل : فرا الاحا .
(١٧٧) كذا في الأصل ، فان صح فكأنه يعني بذلك ضعف العقيدة وقلة الايمان .
(١٧٨) أي لم يحتفظوا او يتحفظوا .
(١٧٩) لعدلت : أي لسويت وأقيمت بالعدل .
(١٨٠) في الأصل : فاتر ، وهو تصحيف .
(١٨١) في الأصل : فرطاس ، والصواب ما اثبتنا .
(١٨٢) في الأصل : لايدروا ، وما اثبتنا هو الصواب .

نهاية الاندلس

مستهل

اللواء الركن محمود شيت خطاب

(عضو المجمع)

سقطت قواعد الاندلس الشهيرة ، في سلسلة من المعارك والمحن الطاحنة ، التى تقلب فيها المسلمون في الاندلس ، منذ انهيار صرح الخلافة الاموية في الاندلس ، في أواخر القرن الرابع الهجرى ، وظهرت دول الطوائف الصغيرة المفككة ، على أنقاض دولة عظيمة شامخة . وكان سقوط كل قاعدة من هذه القواعد الاندلسية الشهيرة ، يمثل ضربة مميتة للدولة الاسلامية في الاندلس ، ويحدث أعمق الاثر في جنبات الدول الاسلامية شرقا وغربا .

وكان المسلمون الاندلسيون ، كلما سقطت قاعدة من قواعدهم الشهيرة ، في يد عدوّتهم القديمة المتربصة بهم ــ اسبانيا النصرانية ــ ألفوا عزاءهم في قواعدهم الباقية الاخرى ، وهرعوا اليها استبقاء لحرياتهم ودينهم وكرامتهم ، حتى لم يبق من تلك القواعد غير غرناطة وأعمالها تؤلف مملكة اسلامية صغيرة ، استطاعت أن تثبت أمام العاصفة أكثر من قرنين من عمر الزمن .

والحق ، أن مصير الاندلس ، كان في مهب الريح ، منذ أخفقت دول الطوائف في توحيد صفوفها ، فغلب عليها الخلاف والتفرق ، وانحدرت الى معترك الحرب الاهلية ، تفسح لعدوها الخطر مجال التفوق عليها ، والضرب والتفريق بينها . وقد استطاع بعض العقلاء من الاندلسيين المسلمين ، حتى في ذلك العصر ، الذى كان الاسلام يسيطر فيه على معظم أنحاء الاندلس ،

أن يستشفوا ما وراء هذا التفرق من خطرداهم على حاضر المسلمين ومستقبلهم في الاندلس ، فنرى ابن حيان مؤرخ الاندلس في القرن الخامس الهجري ، يقول لنا بعد أن يصف حوادث سقوط (بربشتر) من أعمال الثغر الاعلى (أراجون) ، في يد النصارى في سنة ٤٥٦هـ (١٠٦٣م) وما اقترن بسقوطها من القتل والسبى وشنيع الاعتداء : « وقد أشفينا بشرح هذه الحالة الفادحة ، مصائب جليلة مؤذنة بوشك القلعة طالما حذر أسلافنا لحاقها ، بما احتملوه عمن قبلهم من آثاره . ولاشك عند ذوى الالباب ، أن ذلك مما دهانا من داء التقاطع ، وقد أمرنا بالتواصل والالفة ، فأصبحنا من استشعار ذلك والتجارى عليه على شفا جرف يؤدى الى الهلكة لامحالة » . ويندد ابن حيان بعد ذلك بتواكل أهل الاندلس وتخاذلهم عن نصرة دينهم واخوانهم[1].

وبدا واضحا ، حينما سقطت طليطلة أول قاعدة اسلامية كبيرة ، في يد النصارى في سنة ٤٧٨هـ (١٠٨٥م) أن الاندلس أضحت على وشك الفناء ، وأن دول الطوائف المنهوكة المزقة ، سوف تسقط تباعا في يد النصارى الاسبان ، وأن الاسلام سوف ينتهى في الاندلس وقد ساد الفزع جنبات الاندلس كلها يومئذ ، حتى قال شاعرهم حينما سقطت طليطلة :

يا أهل أندلس شـدوا رحالكـم
فمـا المقام بهـا الا من الغلـط
السـلك ينثر من أطرافـه وأرى
سـلك الجزيرة منثورا من الوسط
من جـاور الشر لا يأمن بوائقـه
كيف الحياة مـع الحيات في سفط

(١) نفح الطيب (مصر) (٥٧٦/٢) .

ولكن الدرس كما يبدو كان عميق الاثر ، فجنح زعماء الطوائف الى الرشاد ، وجمعت المحنة كلمتهم ، فقصدوا (المرابطين) اخوانهم في الدين ، وكان المرابطون يومئذ في عنفوان دولتهم ، وأميرهم يوسف بـن تاشفين يبسط سلطانه القوى على أمم المغرب ، من المحيط غربا حتى تونس شرقا . فاستجاب المرابطون الى صريخ ملوك الطوائف ، وعبروا البحر الى الأندلس مع قوات ضخمة ، والتقت قوات المسلمين المتحدة بقيادة يوسف بن تاشفين ، بالجيوش النصرانية المتحدة بقيادة الفونسو السادس زعيم اسبانيا النصرانية ، في سهول الزلاقة ، في شهر رجب من سنة ٤٧٩هـ (أكتوبر تشرين الاول سنة ١٠٨٦م) ، فأحرز المسلمون على النصارى نصراً عظيما ـ وكانت موقعة الزلاقة من أيام الاندلس المشهورة ، وانتعشت دول الطوائف ، وقويت نفوس المسلمين في الاندلس ، وبدأت الاندلس حياة جديدة . ولكن سرعان مـا اختلف المرابطون مع الطوائف ، فحطموا دول الطوائف ، وبسطوا حكمهم على الاندلس زهاء نصف قرن . ولما سقطت دولة المرابطين في المغـرب ، وقامت على أنقاضها دولة الموحدين ، عبر الموحدون البحر الى الاندلس ، وبسطوا عليها حكمهم زهاء قرن آخر ، وفي ظل الموحدين ، أحرزت الاندلس المسلمة كما أحرزت في الزلاقة أيـام المرابطين ، نصرها الحاسم على اسبانيا النصرانية ، بقيادة يعقوب المنصور ملك الموحدين ، وذلك في موقعة الارك الشهيرة (٥٩٣هـ ـــ ١١٩٥م)[٢] ، ولكنها ما لبثت أن لقيت هزيمتها الحاسمة ، بعد ذلك بقليل ، على يد اسبانيا النصرانية في موقعة العقـاب (٦٠٩هـ ـــ ١٢١٢م)[٣] ، وكانت هزيمـة العقاب ضربة شديـدة لسلطان الموحديـن وللاندلس المسلمة ، فعاد شبح الفناء يلوح للاندلس قويا منذرا ، وسرى هذا

(٢) وتعرف في الاسبانية بموقعة : Alarcos .

(٣) وتعرف في الاسبانية بموقعة : Las Navas de Jalasa

التوجس الى كتاب العصر وشعرائه ، وظهر واضحاً في رسائلهم وقصائدهم ، ومن ذلك ما قاله أبو اسحق ابراهيم بن الدباغ الاشبيلى معلقا على موقعة العقاب :

وقائلـــة أراك تطيل فـكراً
كأنك قد وقفت لدى الحساب
فقلت لهـا أفكر في عقـاب
غـدا سـبباً لمعركـة العقاب
فما في أرض أندلس مقـــام
وقد دخل البلا من كل باب(٤)

وفي خلال ذلك ، كانت الاندلس ، تضطرم بأشنـع ضروب الخـلاف والفتن ، والثغور والقواعد يتناوبها الرؤساء والمتغلبون ، واسبانيا النصرانية تنزل ضرباتها المتوالية بالمسلمين ، وتستولى تباعاً على القواعد والثغور .

والحقيقة أن الجهـد المضطرم الذي بذلتـه اسبانيا النصرانية يومئذ ، لانتزاع القواعد الاندلسية لم يكن سوى الذروة من مرحلة طال أمدها ، من حركة الاسـتيلاء والاسترداد النصرانية La Reconajista وقد بـدأ هذا الاسترداد من جانب اسبانيا النصرانية لاراضيها المفتوحـة منذ عصر مبكر جداً ، أى منذ قامت المملكة النصرانية الشمالية عقب الفتح الاسلامي بقليل في حمى الجبال الشمالية ، واشتد ساعدها بسرعة ، واستطاعت منذ منتصف القرن الثامن الميلادي أن تدفع حدودها تباعا نحو الجنوب ، وكانت أولى القواعد الاسلامية التي سقطت هى (لك) في أقصى الشمال الغربى لشبـه الجزيرة الأندلسية ، واسترقه في شمال نهر دويرة ، وشـلمنقة وشـقوبية

(٤) نفح الطيب (مصر) ، (٢/٥٨٢) .

وسمورة وآبلة في الناحية الاخرى من دويرة • ولم تتأثر الأندلس المسلمة كثيرا بفقد هذه القواعد الاولى ، لبعدها ولقربها من المملكة النصرانية • ولكن الأندلس شعرت بالخطر الحقيقي ، منذ استطاع النصارى عبور نهر التاجة متوسط شبه الجزيرة في غزوات قوية ، واستيلائهم بعد ذلك على طليطلة ثالثة القواعد الاندلسية الكبرى بعد قرطبة واشبيلية • ووضع نصر الزلاقة ، وقيام سلطان المرابطين في شبه الجزيرة حداً مؤقتاً لتقدم النصارى في وسط شبه الجزيرة وشرقيها • ولكن موجة جديدة من الغزو النصراني اجتاحت شمال شرقي الاندلس منذ بداية القرن السادس الهجري ، فسقطت سرقسطة في يد النصارى (٥١٢هـ ــ ١١١٨م) وتطيلة (٥٢٤هـ ــ ١١٢٩م) ، ثم تلتها لاردة وافراغة وطرطوشة (٥٤٢هـ ــ ١١٤٨م) • وفي ذلك الوقت ذاته ، بدأ سقوط القواعد الاسلامية في غربي شبه الجزيرة أي في البرتغال ، فسقطت أشبونة وشنترة وشنترين في يد النصارى في سنة ٥٤٢هـ ــ ١١٤٧م وسقطت باجة بعد ذلك بقليل في سنة (٥٥٦هـ ــ ١١٦١م) ، ثم تلتها بابرة في سنة (٥٦١هـ ــ ١١٦٥م) •

ولما توطد سلطان الموحدين في الاندلس في اواخر القرن السادس الهجري ، توقفت حركة الاسترداد النصراني مدة من الزمن ، ثم عادت تضطرم قوته بعد احراز اسبانيا النصرانية لفوزها الحاسم على الموحدين في موقعة العقاب (٦٠٩هـ) • ومنذ اوائل القرن السابع الهجري ، اجتاحت الاندلس المسلمة موجة عارمة من الغزو النصراني ، فسقطت قواعد المسلمين التالية بيد النصارى : جزيرة ميورقة (٦٢٧هـ ــ ١٢٢٩م) ، وأبَّدة (٦٣١هـ ــ ١٢٣٣م) ، ثم قرطبة (٦٣٣هـ ــ ١٢٣٨م) وبياسة واستجة والمدور (٦٣٤هـ ــ ١٢٣٧م) وبلنسية (٦٣٦هـ ــ ١٢٣٨م) وشاطبة ودانية (٦٣٨هـ ــ ١٢٤٠م) ولقنت وأوريولة وقرطاجنة (٦٤٠هـ ــ ١٢٤٢م) ومرسية (٦٤١هـ ــ

١٢٤٣م) وجيان (٦٤٤هـ ــ ١٢٤٦م) ، ثم اشبيلية (٦٤٦هـ ــ ١٢٤٨م) • واجتاحت غرب الاندلس في الوقت نفسه موجة مماثلة من الغزو النصراني ، فسقطت بطليوس (٦٢٦هـ ــ ١٢٢٨م) وماردة (٦٢٨هـ ــ ١٢٣٠م) وشلب (٦٤٠هـ ــ ١٢٤٢م) وشنتيرية الغرب (٦٤٧هـ ــ ١٢٤٩م) وولبة (٦٥٥هـ ــ ١٢٥٧م) ، ثم سقطت قادس (٦٦٧هـ ــ ١٢٦٢م) ، وتلتها شريش (٦٦٣هـ ــ ١٢٦٤م) • وهكذا لم يأت منتصف القرن السابع الهجرى ــ القرن الثالث عشر الميلادي ــ حتى كانت ولايات الاندلس الشرقية والوسطى كلها قد سقطت في يد اسبانيا النصرانية ، ولم يبق من الدول الاسلامية في الاندلس ، سوى بضع ولايات صغيرة في طرف اسبانيا الجنوبى[٥] •

مملكة غرناطة

وأخذت الاندلس عندئذ ، تواجه شبح الفناء مرة أخرى من جديد ، وطافت بالامة الاندلسية المسلمة التي احتشدت يومئذ بالجنوب الاندلسي ، في بسيطها الضيق ، ريح التوجس والفزع ، وعاد النذير يهيب بالمسلمين ، أن يغادروا ذلك الوطن الذى يهدد مصيرهم بالخطر ، والذى يتخاطف العدو أشلاءه الدامية ، وسرى في الامة الاندلسية شعور عميق بمصيرها المحتوم •

ولكن شاء القدر ، أن يرجىء هذا المصير بضعة أجيال أخرى ، وشاء أن يسبغ على الدولة الاسلاميـــة في الاندلس ، حياة جديدة في ظل مملكـــة غرناطة ، التى استطاعت أن تبرز من غمرة الفوضى ضئيلة في البداية ، وأن توطد دعائم قوتها شيئا فشيئا ، وان تذود عن الاسلام ودولته الباقية بنجاح أكثر من قرنين • وكان من حسن طالع هذه المملكة الاسلامية الصغيرة ، أن

(٥) محمد عبدالله عنان ــ نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين ــ (١٢ ــ ١٦) ــ ط ٢ ــ القاهرة ــ ١٣٧٨هـ .

شغلت عدوتها القوية اسبانيا النصرانية مدى حين ، بمنازعاتها وحروبها الداخلية ، فلم تستطع تحقيق غايتها الكبرى ، وهى القضاء على دولة الاسلام في الاندلس ، وعلى الامة الاندلسية المسلمة بصورة نهائية ، الا بعد أن تهيأت لذلك جميع الظروف والأسباب • ولم يكن ذلك قبل مائتين وخمسين عاما ، عاشتها مملكة غرناطة الصغيرة ، أبية كريمة ، ترفع لواء الاسلام عاليا في تلك الربوع ، التى افتتحها الاسلام قبل ذلك بعدة قرون ، وأنشأ بها المسلمون حضارتهم العظيمة التى حفلت بأرقى نظم الحياة المادية والمعنوية ، وأرفع ضروب العلوم والفنون والاداب التى عرفت في العصور الوسطى[٦] •

وقد كانت غرناطة وقت فتح الاندلس مدينة صغيرة من أعمال ولاية البيرة ، تقع على مقربة من مدينة البيرة قاعدة الولاية من الناحية الجنوبية[٧] ، أفتتحها المسلمون عقب انتصارهم على القوط بقيادة طارق بن زياد سنة (٩٢هـ ــ ٧١١م) • ولما اضطرمت الفتنة بالاندلس ، ودب الخلاف بين القبائل ، عقب موقعة بلاط الشهداء سنة ٧٣٢م واشتد التنافس على الامارة بين الشاميين من ناحية ، والعرب والبربر من ناحية أخرى ، فرأى أمير الاندلس أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبى أن يعمل على تهدئة الفتنة بتمزيق عصبة الشاميين ، ففرقهم في أنحاء الاندلس ، وأنزل جند الشام بكورة البيرة ، وجند حمص باشبيلية ، وجند فلسطين بشذونة والجزيرة ، وجند الاردن برية ، وهكذا نزل الشاميون منذ البداية بولاية البيرة ، وغدوا بمضى الزمن كثرة فيها •

---

(٦) نهاية الاندلس (١٦ ــ ١٧) .

(٧) البيرة : وبالاسبانية (Elvira) ، مدينة رومانية قديمة كانت تسمي أيام الرومان (Iliboris) ، وكانت عاصمة الولاية التي تسمي بهذا الاسم ، وكانت أيام الفتح الاسلامي مدينة كبيرة عامرة .

واستمرت البيرة قاعدة لهذه الولاية ومركز قضائهـا في ظل الدولـة الاموية ، حتى اواخر القرن السابع ، حينما انهارت الخلافة الاموية ، وتعاقبت الفتن ، وعاث البربر في البلاد ، وخربت مدينة البيرة شيئاً فشيئاً ، حتى غدت غرناطة قاعدة الولاية مكانها ، وغلب اسم غرناطة على الولاية نفسها ، ومـن ذلك الحين اختفى اسم البيرة كقاعدة من قواعد الاندلس ، وذكر اسم غرناطة مكانها ، والواقع ان البيرة وغرناطة تعتبران في معظم الاحيان ، ولاسيمـا في المراحل الاولى لتاريخ الاندلس اسمين لمكان واحد ، وقد جرى كثير من المؤرخين والجغرافيين على المزج بينهما[٨] .

وغرناطة ، او اغرناطة ، اسم قديم ، يرجع الى عهد الرومان والقوط ، وقد اختلفت اراء الباحثين في اصل هذه التسمية ، فيرى قسم منهم انه مشتق من الكلمة الرومانية (Granata) اي الرمانة ، وانها سميت كذلك لجمالها وكثرة حدائق الرمان التي تحيط بها [٩] . ويرى قسم آخر ان التسمية ترجـع الى اصل قوطي او انها ترجع الى اصل بربري مشتق من اسم احدى القبائل ، وارجح الرأي الاول . وغرناطة تتمتع بموقع فائق في الحسن ، فهي تقع في واد عميق ، يمتد من المنحدر الشمالي الغربي لجبال سييرا نفادا ، وتظللهـا الآكام العالية من الشرق والجنوب ، ويحدها من الجنوب نهـر شنيل فرع الوادي الكبير[١٠] ، وهو ينبع من جبال سييرا نفادا ، ويخترقها فرعه المسمى نهر حدرة[١١] او هدرة (El Darro) ، ويلتقي به عند جنوبي المدينة . وقد كان شنيل وفرعه حدرة ايام المسلمين يفيض بالماء ، ولاسيمـا في الصيف ،

(٨) الاحاطة في اخبار غرناطة ـ ابن الخطيب (١/٩٩ ـ ١٠٥) ـ القاهرة ـ ١٩٥٥م .

(٩) معجم البلدان (٦/٢٧٩ ـ ٢٨٠) .

(١٠) شنيل : هو بالاسبانية (Xanil) أم (Genil) ، ويسمى ايضا عند الاندلسيين بنهر سنجيل مشتقا من اللاتيني

(١١) في معجم البلدان (٦/٢٨٠) ورد اسم النهر : حداره .

حيث تذوب الثلوج ، وكانت ضفافها خضراء يانعة تغص بالحدائق الغنّاء ، اما اليوم فقد جف مجرى شنيل ، وقلما يجري فيه الماء الا القليل ايام الشتاء . وأما فرعه فيخترق المدينة من الشرق عند سفح التل الذي تقع عليه (الحمراء) ، ويتصل بشنيل عند القنطرة الاندلسية القديمة . وهو يكاد يختفي اليوم ، ولم يبق من مجراه سوى الجزء الصغير المجاور لتل الحمراء . اما جزؤه الذي كان يخترق وسط المدينة ، فقد غُطّي اليوم بشارعها الرئيسي الأوسط المسمى : (شارع الملكين الكاثوليكيين) وامتداده في الميدان الكبير حتى قنطرة شنيل .

وتشرف غرناطة من الجنوب الغربي ، على بسيط شاسع اخضر وافر الخصب ، هو المرج او الفحص الشهير : (La Vega) (١٢) الذي يمتد غرباً حتى مدينة لوشة ، ومن الجنوب الشرقي على جبال سييرا نفادا (جبل شلير أو جبل الثلج) التي تغطي الثلوج اكامها الناصعة . ويطلق الجغرافيون الاندلسيون اسم : شلير او جبل الثلج على جبال سييرا نفادا ، فاما شلير فهو محرف عن اللاتينية (Solarius) ومعناها جبل الشمس ، وذلك لان الشمس تسلط اشعتها الساطعة على تلك الجبال ، فينعكس ضوؤها على الثلوج الناصعة التي تغطيها . واما تسميتها بجبل الثلج ، فهي ترجمة عربية مطابقة لاسمها القشتالي : (Sierra Nevada) .

وكانت غرناطة ايام الدولة الاسلامية ، جنة من جنات الدنيا ، تغص بالغياض والبساتين اليانعة ، التي كانت لوفرة خصبها وروعة نضرتها تعرف بالجنات ، فيقال للمزرعة أو البستان : (جنة كذا) أو (جنة فلان) ، مثل جنة

(١٢) وهي كلمة اسبانية معناها : المرج ، ويبدو أنها مشتقة من كلمة : (فحص) العربية .

الجرف وجنة العرض وجنة الحفرة ، ومدرج نجد ، ومدرج السبيكة ، وجنة ابن عمران ، وجنة العريف ، وغيرها • وقد ذكر ابن الخطيب ، ان هذه الجنات الغرناطية الشهيرة كانت تبلغ في عصره زهاء المائة • كما ذكر لنا ، ان منطقة غرناطة كانت تضم زهاء ثلاثمائة قرية عامرة ، منها ما كان يبلغ سكانه الألوف ، ومنها ما كان يملكه مالك واحد او ملاك قلائل هذا عدا الاملاك السلطانية والحصون[١٣] • وبذلك نستطيع ان نقدر ان مدينة غرناطة كانت تضم ايام كانت عاصمة الدولة الاسلامية في الاندلس ، اكثر من نصف مليـون مـن الانفس • اما المرج او الفحص ، فقد كان بسيطاً رائع الخضرة ، يشبهونـه بغوطة دمشق ، وتخترقه الجداول والانهار ، ويغص بالقرى والجنات ، ويهرع اليه الرواد في ليالي الربيع والصيف ، فيغدو مسرح الاسمار والانس •

وكانت غرناطة نموذجاً بديعاً للعمارة الاسلامية ، تغص بالصروح والابنية الفخمة ، وتتخللها الميادين والطرقات الفسيحة • وكانت مدينة : الحمراء ، او دار الملك اروع ما فيها ، تطل على احيائها في سمت من القبلـة ، تشرف عليه من الشرفات البيض والابراج السامية والمعاقل المنيعة ، والقصور الرفيعة، تغشي العيون وتبهر العقول ــ كما يقول ابن الخطيب في كتابه : الاحاطة في اخبار غرناطة •

وقد أشاد بمحاسن غرناطة وفضائلها كتاب الاندلس وشعراؤها ، قال ابن الخطيب :

بلد تحفّ به الرياض كأنه
وجه جميل والرياض عذاره

(١٣) الاحاطة في أخبار غرناطة (١٢٢/١ ــ ١٢٣) وانظر تفاصيل القرى في (١٣١/١ ــ ١٣٨) والهوامش حيث تبين مواقع هذه القرى وأسماءهـا الاسبانية حاليا •

وكأنما واديه معصم غادة

ومن الجسور المحكمات سواره

أما اليوم ، فقد غدت غرناطة مدينة متواضعـة ، لايزيد سكانهـا على مائة وثلاثين الفاً ، وهي عاصمة الولاية الاندلسية المسماة بنفس الاسـم . وبالرغم من انها فقدت بهاءها السابق ، فانها مازالت تتشح بطابع خاص من التحفظ والنبل المؤثر ، وقد اختفت معظم خططها الاسلامية ، وقامت علـى انقاضها مدينة اوروبية حديثة ، بيد ان غرناطة مازالت مع ذلك تحتفظ ببقية من صروحها ومعالمها الاندلسية ، وتجتمع هذه البقية بالاخص في قسمهـا الشرقي ، حيث تربض ابراج (الحمراء) فوق هضبتها العالية . وأعظم آثارها الباقية هي بلاريب : قصر الحمراء الملكي الذي مـازال يحتفظ بكثير مـن روعته القديمة ، وقصر جنة العريف الواقع في شرقه على مسافة قليلة ، وقد كان مصيفا لملوك غرناطة . وبقية من قصر شنيل[١٤] ، وهي تقع في ضاحيـة ارملة (ارمليا) على مقربة من شنيل ، والخان[١٥] وهو ذو عقد عربي رائع ، ويقع على مقربة من دار البريد . اما المسجد الجامع وبقية المساجد الاسلامية ، فقد هدمت جميعا وقامت على انقاضها الكنائس . واما ما بقي من خططهـا الاسلامية ، فهو ظاهر بالاخص في : حي البيازين[١٦] الواقع في شمالهـا الغربي ، والميدان الكبير الذي مـازال يحمل اسمـه القديم : رحبـة باب الرملة[١٧] ، والى جواره القيصرية القديمة[١٨] ، وهذا فضلا عما يبدو فـي

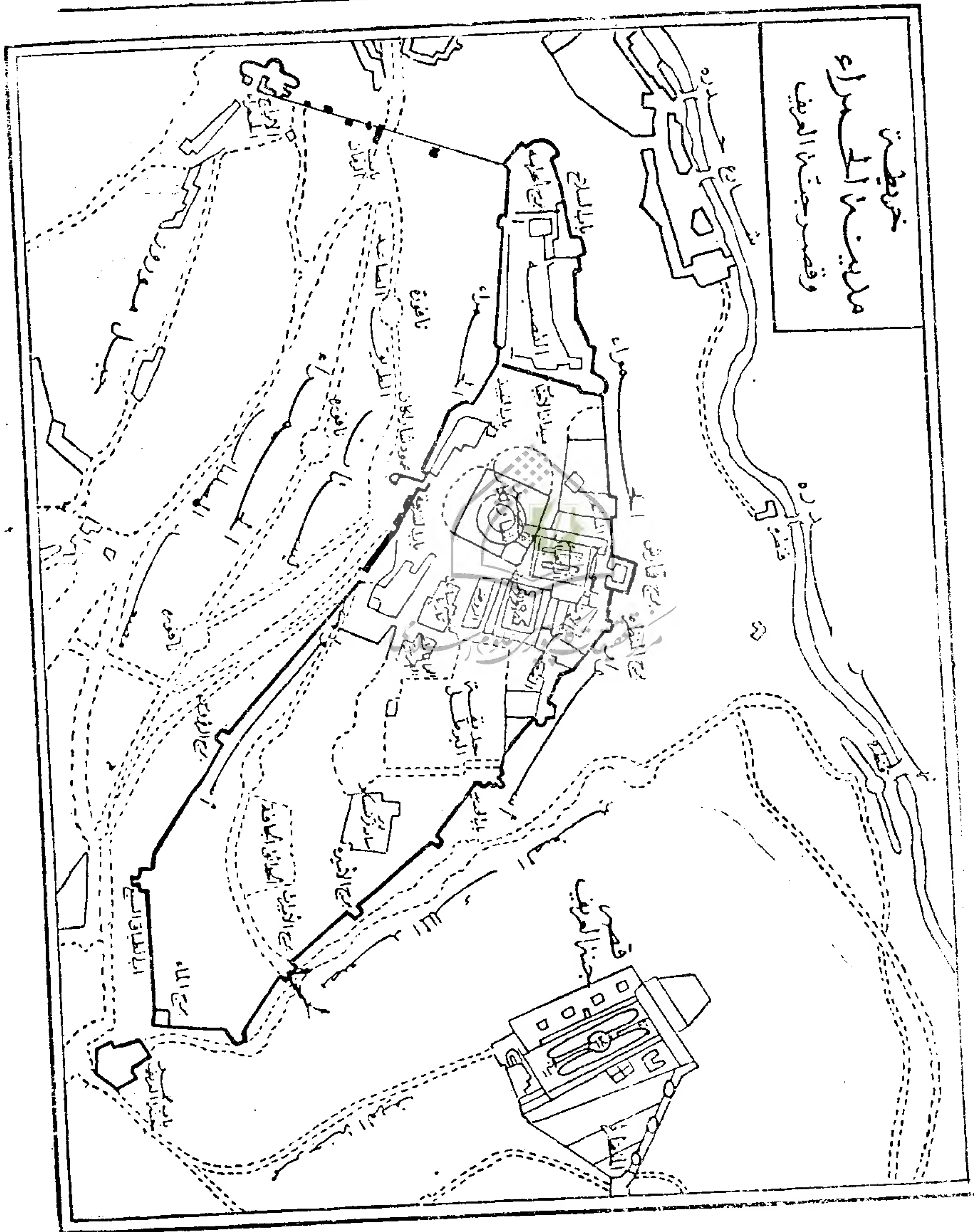
(١٤) هو القصر الذى يعرف في تاريخ غرناطة بقصر السيد ، وقد انشىء في سنة (٦١٥هـ ــ ١٢١٨م) أيام الموحديـن ، وكان أيام ملوك غرناطـة يستعمل قصرا للضيافة ، وهو بالاسبانية : Alcazar Genil

(١٥) الخان : وهو بالاسبانية Alhonaiga .

(١٦) حي البيازين : وهو بالاسبانية Algaicin .

(١٧) رحبة باب الرملة : وهى بالاسبانية Plaza de Bibramble .

(١٨) القيصرية القديمة : وهى بالاسبانية : Alcaicaria .



كثير من دروبها الضيقة الصاعدة ومنازلها العديدة ذات الطراز الاندلسي ، من الملامح الاندلسية الواضحة .

كذلك بقيت قطعة كبيرة من اسوار غرناطة الاسلاميــة ، وبضعة مــن ابوابها القديمــة ، مثل : باب البنود ، وباب البيرة ، وباب البيازين ، وبابـ فحص اللوز ، وباب الشريعة ، وهو مدخل الحمراء الرئيسي . ومازال قنطرة شنيل قائمة على النهر عند التقائه بفرعه : حدرة ، وتحمل اسمها الاســلامي القديم(١٩) .

وتوجد في متحف غرناطة الأثري طائفة كبيرة من الألواح والنقــوش والتحف الاندلسية(٢٠) .

نشأة مملكة غرناطة
وقيام الدولة النصرية

كانت غرناطة ايام الدولة الاموية ، قاعدة متواضعة من قواعد الاندلس الجنوبية ، وهي تحتل مكان البيرة شيئاً فشيئاً ، حتى كانت ايام الفتنة عقب انهيار الدولة الاموية في اواخر القرن الرابع الهجري ، فاخــذت القواعــد الجنوبية تغدو بعد تخريب قرطبة ، ونأي الثغور الشرقية والشمالية ، مركز التجاذب والتنافس بين زعماء الفتنة . ووقعت غرناطة يومئذ من نصيب البربر ، واستولى عليها زعيم صنهاجة زاوي بن زيري واتخذها دار ملكه ، وقامت في قرطبة دولة بني حمود الادريسية ، واستمرت الحرب والفتنــة مــدى حين سجالا بين المتغلبين من فلول بني أمية وبني عامر وفتيانهم ومواليهم ، وبــين زعماء البربر . ولما ظهر المرتضى ، وهو من عقب بني امية ، ودعــا لنفســه

(١٩) اسمها Peante del Genil .

(٢٠) انظر التفاصيل في : نهاية الاندلس (١٧ ـ ٢٢) .

بالخلافة ، سار في عصبة الامويين والموالي الى غرناطة ، لانتزاعها واتخاذها دار ملكه ، فرده عنها صاحبها زاوي الصنهاجي في موقعة دموية (٤٠٨هـ) . واستقر زاوي في حكم غرناطة واعمالها بضعة اعوام ، ثم غادرها الى دار قومه في تونس ، واستخلف عليها ابن اخيه حبّوس بن ماكسن ، فحكمها حتى توفي سنة (٤٢٩هـ) . وخلفه في ولايتها ولده باديس وتلقب بالمظفر ، واستولى على مالقة من يد الادارسة (بني حمود) ، واتسع ملكه ، ولبث طول حكمه الذي استطال حتى سنة (٤٦٧هـ) ، في قتال مستمر مع بني عباد امراء اشبيلية ، اعظم واقوى ملوك الطوائف يومئذ . ولما توفي باديس المظفر ، خلفه في حكم غرناطة واعمالها ، حفيده عبدالله بن ملكّن بن باديس ، واستمر في حكمها الى ان عبر المرابطون البحر الى الاندلس في سنة (٤٨٣هـ) بقيادة عاهلهم يوسف بن تاشفين ، واستولوا عندئذ على غرناطة ، كما استولوا على قواعد الاندلس الاخرى وانتهت بذلك دول الطوائف التي قامت على انقاض الخلافة الاموية في الاندلس ، وعاشت زهاء ستين عاما .

واستمر المرابطون في حكم الاندلس وقواعدها زهاء ستين عاما اخرى ، وتعاقب في حكم غرناطة عدة من امراء اللمتونيين(٢١) وسادتهم ، من قرابة يوسف بن تاشفين ، فلما انهارت دولتهم في افريقية ، جاز الموحدون المتغلبون على دولتهم الى الاندلس في سنة (٥٤٠هـ — ١١٤٦م) ، واخذوا يستولون تباعا على القواعد والثغور ، وسقطت غرناطة بايديهم بعد ذلك بثلاثة اعوام في سنة (٥٤٣هـ — اواخر سنة ١١٤٨م) بالرغم مما بذله المرابطون بقيادة قائدهم الشهير يحيى بن غانية وحلفاؤهم النصارى من جهود عظيمة للدفاع عنها .

(٢١) لمتونة : اسم قبيلة بربرية كان المرابطون ينتمون اليها ، ولذا يسمون أحيانا باللمتونيين .

ولبثت غرناطة كباقي القواعد الاندلسية في يد الموحدين ، يتناوب حكمها الامراء والسادة من بني عبدالمؤمن وقرابته ، حتى كانت ثورة ابي عبدالله محمد بن يوسف بن هود سليل بني هود امراء سرقسطـة السابقين علـى الموحدين ، وانتزاعه معظم قواعد الاندلس من ايديهم •

وذلك انه لما توفي ابو يعقوب يوسف المستنصر بالله سلطان الموحدين في سنة (٦٢٠هـ) دون عقب ، قام ابن اخيه ابو عبدالله محمد ولد يعقوب المنصور بالاندلس ، واعلن نفسه اميرا على بلنسية ، باسم العادل بالله ، وقام اخوه ابو علي ادريس في اشبيلية ، واتخذ لقب المأمون ، وبسط سلطانـه على الاندلس ولما توفي اخوه العادل امير بلنسية قتيلا بيد الثوار بعد ذلـك باربعة اعوام (٦٢٤هـ) خلفه في رياستها ، وولى عليها اخاه السيد ابا عبدالله ليحكمها من قبله • ثم شغل المأمون في الاعوام القلائل التالية ، بالعمل على توطيد سلطانه بالمغرب ، واستبد بالحكم واستعمل العنف الشديد ، وقضى على رسوم المهدي وتعاليمه ونظام حكومته باعتبارها نظما رجعية لاتتفق مع روح الدين الصحيح ، فسرت روح السخط بين القبائل ، واخـذ الزعمـاء المتوثبون يرقبون الفرص • وبينمـا كان المغـرب يضطرم بعوامـل الثـورة على هذا النحو ، والمأمون يشغل بقمع الخوارج عليه ، كان سلطان الموحدين بالاندلس يضطرب في الوقت نفسه ، ويتداعى بسرعة ، وينهار حكمهم تباعا •

ففي تلك الاونة ، ظهر ابن هود يدعو الى دعوة جديدة ، تمثل فيهـا روح الاندلس الحقيقية ، وهي : وجوب العمل على تحرير الاندلس من نير الموحدين والنصارى معا • وكان المأمون حينما اشتد عليه الامر بالاندلس ، قد تحالف مع ملك قشتالة ، وتنازل له عن عدد من القواعد والحصون ، وتعهد بان يمنح النصارى في اراضيه امتيازات خاصة ، وذلك لقاء معاونة ملك قشتالة له على محاربة خصومه • وكان تحالف الموحدين مع النصارى على هذا النحو

يسبغ على دعوة ابن هود قوة خاصة ، ويدفع الاندلسيين الـى الانضواء تحت لوائه ، وظهر ابن هود لاول مرة في احواز مرسية في سنة (٦٢٥هـ ــ ١٢٢٨م) في الوقت الذي اخذ فيه سلطان الموحدين يضطرب ويتصدع في الثغور والنواحي ، ثم اغار على مرسية في عصبته القليلة ، واستطـاع ان ينتزعها من حاكمها السيد ابي العباس . واخذ نجمه يتألق من ذلك الحين ، فاعلن انه يعتزم تحرير الاندلس من الموحدين والنصارى معا ، والعمل على احياء الشريعة وسننها ، ودعا للخلافة العباسية ، وكاتب الخليفـة المستنصر العباسي ببغداد ، فبعث اليه بالخلع والمراسيم ، وتلقب بالمتوكل على اللـه . ولم يمض سوى قليل ، حتى دخلت في طاعته عدة من قواعد الاندلس ، منها جيان وقرطبة وماردة وبطليوس ، ثم استطاع ان ينتزع غرناطة قصبة الاندلس الجنوبية من المأمون في سنة (٦٢٨هـ ــ ١٢٣١م) .

وفي العام التالي (٦٢٩هـ) توفي المأمون ملك الموحدين ، وهو في طريقه الى مراكش ، ليعمل على انقاذ عرشه من المتغلبين عليه . وبينما كان سلطان الموحدين بالاندلس يدنو سراعا من نهايته ، كانت دولتهم بالمغرب تدخل في دور الانحلال ، في ظل نفر من الامراء الضعاف ، ثم تختتم حياتها بعد ذلك بنحو اربعين عاما في سنة (٦٦٨هـ) لتقوم على انقاضها دولة بني مرين .

واستمر ابن هود حيناً يخوض معارك متعاقبة مع الموحدين والنصارى ، ونشبت بينه وبين فردنياند الثالث[٢٢] ملك قشتالة ، في ظاهر ماردة معركة انتهت بسقوط ماردة وبطليوس في يد النصارى سنة (٦٢٨هـ ــ ١٢٣٠م)[٢٣] .

وانتهز فرديناند الثالث ملك قشتالة تلك الفرصة التي اضطرمت فيهـا

---

(٢٢) وهى في الاسبانية فرناندو (Fernendo)

(٢٣) نهاية الاندلس (٢٦ ــ ٢٧) .

المملكة الاسلامية في الاندلس كلها بنار الحرب الاهلية ، فسير قواته لمقاتلة ابن هود ، وكان يبدو في نظره يومئذ زعيم الاندلس الحقيقي • وكان ابن هود في ذلك الوقت ، قد استطاع أن يبسط سلطانه على الولايات والشواطئ الجنوبية ، فيما بين الجزيرة الخضراء والمرية ، وفيما بين قرطبة وغرناطة ، وكان يرى في مقاتلة النصارى عاملا لتدعيم دعوته وسلطانه ، فسار للقائهم ، والتقى الجيشان في فحص شريش على ضفاف وادى لكة ، ولكن ابن هود هزم بالرغم من تفوقه في العدد ، وكان ذلك في (أواخر ٦٣٠هـ ــ ١٢٣٣م) ، وسار فرديناند بعد ذلك لاجتياح أبده ، فسقطت في يده بعد حصار قصير (٦٣١هـ ــ ١٢٣٤م) •

على أن سقوط قرطبة ، كان أعظم ضربة نزلت يومئذ بالاندلس • كان ابن هود عقب هزيمته قد جمع قواته وسار لقتال خصمه ومنافسه الجديد محمد بن الاحمر في أحواز غرناطة • وألفى النصارى من جانبهم الفرصة سانحة للزحف على قرطبة التي كان فيها الامر فوضى ليس فيها من يجمع الكلمة ويتزعم الدفاع عنها • وفاجأ القشتاليون بعض أبراج المدينة في البداية ، ولكنهم رأوا أن الاستيلاء عليها ليس بالأمر السهل ولابد لتحقيقه من قوات جسيمة • وعلم فرديناند الثالث وهو في طريقه الى ليون بما تم من استيلاء قواته على بعض أبراج المدينة ، وبما تبين من ضعف وسائل الدفاع عنها ، فارتد اليها مسرعا تلاحقه قواته من سائر الأنحاء• وبادر أهل قرطبة بالتأهب للدفاع عن مدينتهم ، وأرسلوا الى ابن هود أميرهم الشرعى يطلبون الغوث والانجاد• وقدر ابن هود خطورة الموقف ، واعتزم أن يسير الى انجاد الحاضرة المحصورة ، ولكنه علم في طريقه أن جيش القشتاليين يفوقه في الاهبة والكثرة ، ووصله من جهة أخرى صريخ أبى جميل زيان أمير بلنسية لمعاونته

ضد خايمى[٢٤] ملك أراغون الذي اشتد في مناوأته وارهاقه ، ولاح لـه أن السير الى بلنسية التى كان يطمح الى امتلاكها أيسر وأجدى ، فترك قرطبة لمصيرها مؤملا أن يثبت أهلها دفاعا عنها ، أو يستطع انقاذها فيما بعد . ولبث النصارى على حصار قرطبة بضعة أشهر ، ودافع أهل قرطبة عن مدينتهم ودينهم وحرياتهم أعنف دفاع وأروعه ، ولكنهم اضطروا في النهاية وبعد ان أرهقهم الحصار وفقدوا كل أمل في الغوث والانقاذ الى التسليم . ودخل النصارى قرطبة في (٢٣ شوال سنة ٦٣٣هـ — ٢٩ حزيران — يونيو سنة ١٢٣٦م) ، وفي الحال حولوا مسجدها الجامع الى كنيسة[٢٥] ، وقد كان هذا شعارهم كلما دخلوا قاعدة أندلسية ، ايذانا بظفر النصرانية على الاسلام وكان لسقوط قرطبة عاصمة الخلافة الثالثة ، أعظم وقع في الاندلس وفي سائر أصقاع العالم الاسلامى ، وكانت ضربة مميتة أخرى صوبتها اسبانيا النصرانية ، الى قلب الاندلس المفككة المنهوكة القوى[٢٦] .

(٢٤) خايمى : Jaime ، وهو الرسم الاسباني لاسم يعقوب .

(٢٥) ومازال جامع قرطبة العظيم قائما الى اليوم بأروقته وعقوده وأعمدتـه الاسلامية كاملا كما كان ايام المسلمين بيد انه حول الى كنيسة قرطبـة الجامعة ، واقيمت الهياكل في سائر جوانبه تحت عقوده القديمة ، واقيم في وسطه مصلى على شكل صليب Crucero ، وقد ازيلت قبابـة ونقوشه الاسلامية ، ولم يبق محتفظا بنقوشه القديمة سوى محاريبـه الثلاثة . وما زال هذا الاثر الاندلسي العظيم الى جانب تسميته بكتدرائية قرطبة يحمل اسمه الاسلامى القديـم : المسجد الجامـع (La Nezguita Aljama) ، انظر الاثار الاندلسية الباقية ٢٠ — ٢٧) — محمد عبدالله عنان .

(٢٦) انظر سقوط قرطبة في : ابـن خلدون (٤/١٦٩ و ١٨٣) ونفح الطيب (٢/٥٨٥) حيث يشير اليه اشارة عابرة مع تحريف في التاريخ ، وانظر أيضا تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين للمؤرخ الالمانى اشباخ وترجمة محمد عبدالـلـه عنان (٢/١٨٥ — ١٨٧) ونهاية الاندلـس (٢٧ — ٢٨) .

ولم يلبث ابن هود أن توفي في أوائل سنة (٦٣٥هـ ــ ١٢٣٧م) ، وكانت وفاته في ثغر ألمرية في ظروف غامضة ، وقد كان سار اليها معتزما أن ينقل بعض قواته في البحر لانجاد أمير بلنسية ، فقيل ان وزيره ونائبه في ألمريـة أبا عبد الله محمد بن عبدالله الرميمى استضافه في قصره ودبر قتله غيلة ، وزعم في اليوم التالى أنه توفي مصروعا • وكان الرميمى قد قام بدعوتـه في ألمرية ووفد عليه في مرسية ، فقدر عونه وولاه وزارته وعينه حاكما على ألمرية ، ثم تغير عليه فيما يقال من أجل جارية حسناء أغراها الرميمى ، فسار الى المرية لمعاقبته ، فخشى الرميمي العاقبة ، فدبر مصرعه ولجأ الى الجريمـة احتفاظا بسلطانه(٢٧) •

وهكذا توفى ابن هـود ، وهو في ذروة سلطانه ومشاريعه ، ولم تطل وثبته التى أشاعت في الاندلس مدة قصيرة أملا سرابا ، فانهارت بوفاته دولته التى لم يتح لها كثير من أسباب الاستقرار والامن(٢٨) •

وعلى أثر وفاة ابن هود وانهيار دولته ، بادر خايمى ملك أراغون بانتهاز فرصته السانحة ، فغزا ولاية بلنسية ، وكان قد استولى قبل ذلك بأعوام

(٢٧) ابن خلـدون (١٦٩/٤) ونفح الطيب (٥٨٢/٢ ــ ٥٨٣) ، ولايصدق العقل هذا الاتهام ، لان ابن هود كان على خـلاف مع الرميمي ، وقـدم المرية خصيصا لمعاقبته ، لما قبل الاستضافة الرميمي وائتمن عدوه على حياته ، وكان بامكانه أن يلجأ الى مكان آمن في المرية، ثم يستدعي الرميمي ويعاقبه ، دون أن يعرض حياته الى الخطر من بعيد أو قريب ، ويبدو أن المؤرخين : ابن خلدون وابن الخطيب ، نقلا ماكان شائعا بين الناس على أسباب موت ابن هود ، والاشاعات لاتصدق دائما ، فمنها مايصدق ، ومنها مالايصدق •

(٢٨) تراجع ثورة ابن هود ووفاته في : ابن خلدون (١٦٨/٤ ــ ١٧٠) والاحاطة (٩٠/٢ ــ ٩٤) ونفح الطيب (٥٨١/٢ ــ ٥٨٣) وانظر تاريخ الموحدين والمرابطين في الاندلس (١٦٠/٢ و ١٦١ و ١٨٧ و ١٨٦) •

قلائل على الجزائر الشرقية (جزائر البليار) في سنة (٦٢٧هـ - ١٢٣٠م) ، وكانت بلنسية قد بقيت بيد الموحدين ، وتولى امارتها السيد أبو عبدالله محمد أخو المأمون ، وتلقب بالعادل كما ذكرنا ، وكان منذ رأى خطر ابن هود على امارته قد استغاث بملك أراغون وانضوى تحت لوائه وتعهد له بأداء الجزية . عند ذاك ثار أهل بلنسية واختاروا لهم أميرا اخر هو أبو جميل زيان سليل آل مردنيش أمراء بلنسية السابقين ، ففر أبو عبدالله أمام السخط العام ، والتجأ الى ملك أراغون واعتنق النصرانية . ثم غزا خايمى بلنسية وحاصرها ، ودافع أهلها عن مدينتهم ببسالة ، واستغاث أميرها أبو جميل زيان بأمير تونس الحفصى فلم يغنهم ذلك شيئا . وسقطت بلنسية بيد النصارى في صفر سنة (٦٣٦هـ - ١٢٣٨م)(٢٩) ، واتبع خايمى الاستيلاء على بلنسية بالاستيلاء على شاطبة ودانية في سنة (٦٣٨هـ - ١٢٤١م) . أما ولاية مرسية ، فقد استولى عليها في البداية الامير أبو جميل زيان عقب فقده لبلنسية ، ولكن الزعماء المحليين آثروا الانضواء تحت حماية ملك قشتالة ، فتقدموا اليه يلتمسون مهادنته ومحالفته على الوضع المأثور ، وهو أن يسمح لهم باستبقاء المدن في طاعته وتحت حمايته ، فأجابهم فردناند الى ملتمسهم ، وبعث اليهم ولده الفونسو . ودخل النصارى مرسية صلحا سنة (٦٤١هـ - ١٢٤٣م) ، وبذلك سقطت ولاية بلنسية ومرسية وشرقي الاندلس كله بيد النصارى في أعوام قلائل فقط ، وكانت نفس المأساة تتكرر في ذلك الوقت نفسه ، بصورها وأوضاعها المحزنة في غربي الاندلس(٣٠) .

وفي تلك الاونة ، كانت عناصر الفتنة والفوضى تتمخض عن قيام مملكة اسلامية جديدة في جنوبي الاندلس هي مملكة غرناطة . وقيام هذه المملكة

(٢٩) ابن خلدون (١٦٧/٤) .
(٣٠) نهاية الاندلس (٢٩ - ٣٠) .

في الطرف الجنوبى للدولة الاسلامية القديمة ، يرجع الى عوامل جغرافية وتاريخية واضحة ، ذلك أن القواعد والثغور الجنوبية التى تقع فيما وراء نهر الوادي الكبــير آخر الحواجز الطبيعية بين أسبانيا النصرانية والاندلس المسلمة ، كانت أبعد المناطق عن متناول العدو وأمنعها ، وكانت في الوقت نفسه أقربها الى الضفة الاخــرى من البحر ، الى عــدوة المغرب وشمالى افريقية ، حيث تقوم دول اسلامية شقيقة ، وحيث تستطيع الاندلس وقت الخطر الداهم ، أن تستمد الغوث والعون من اخوانها في الدين . وقد كان لهــا في ذلك منذ أيام الطوائف أسوة ، بل لقد كان صريخ الاندلس يتردد في تلك الاونة ذاتها على لسان شاعرها وسفيرها ابن الابار القضاعى ، حينمادهم العدو بلنسية في سنة (٦٣٦هـ ــ ١٢٣٨م) ، وكان الصريخ موجها من أميرها أبى جميل زيان الى أبى زكريا الحفصى ملك افريقية (تونس) ، وهو الذى ردده الشاعر في قصيدته الشهيرة التى مطلعها :

أدرك بخيلك خيــل اللــه أندلسا

ان السبيل الى منجاتها درســا(٣١)

وكان موقف ابن الاحمر من هذه الحوادث موقفا شاذا مؤلما ، فقــد كان يقف الى جانب اعداء امته ودينه ، وكان يبذل للنصارى ما استطاع من العون المادي والمعنوي ، وكان معظــم الزعمــاء المسلمين من حكــام المدن والحصون الباقية ، وقد ايقنوا بانهيار سلطان الاسلام بالاندلس ، يهرعون احتذاء امثاله من الخونة والى الانضواء تحت لواء ملك قشتالة . وكانت هذه المناظر المؤلمة تتكرر في تاريخ الاندلس منذ الطوائف ، حيث نرى كثيرا من

(٣١) تراجع هذه القصيدة في نفح الطيب (٥٧٨/٢) وما بعدها ، وفي ازهار الرياض (٢٠٧/٣) وما بعدها ، وفي نهاية الاندلس (٣٠) .
وهي من غرر القصائد الاندلسية السياسية .

الحكام المسلمين يظاهرون النصارى على اخوانهم في الدين ، احتفاظا بالملك والسلطان • ولكن ابن الاحمر ، كان يقبل هذا الوضع المؤلم انقاذا لتراث لم يكتمل الرسوخ بعد ، وتنفيذا لامنية كبيرة بعيدة المدى ، ذلك انه كان يطمح الى جمع كلمة الاندلس تحت لوائه ، وادماج ماتبقى من تراثها واراضيها في مملكة موحدة ، تكون ملكا له ولعقبه ، ولم تكن تحدوه رغبة في توسع يجعله الى الابد اسيرا الى حلفائه النصارى ، مثلما كان يفعل اسلافه زعماء الطوائف ، بل كانت تحدوه قبل كل شيء رغبة في الاستقلال ، والتوطد داخل امارته المتواضعة • وقد لبث يعمل على تحقيق هذه الغاية في ولاية غرناطة والولايات المجاورة ، وهو يصانع النصارى ويتجنب الاشتباك معهم ، ويشهد التهامهم لاشلاء الوطن الممزقة ، وقلبه يتفطر حزناً وأسى •

على ان ابن الاحمر ، لم يكن يعتزم المضي في ذلك المسلك المؤلم المهين الى النهاية ، فقد كانت نفسه الوثابة تحدثه من وقت لآخر ، بان يحطم هذه الاغلال الشائنة التي صفدته بها محالفة النصارى ، وكان كلما آنس ازدياد قوته ورسوخ سلطانه ، صلبت قناته وذكا عزمه • وكان يتجه ببصره الى ماوراء البحر ، الى اخوانه في الدين في عدوة المغرب • وكانت حوادث الغرب تتمخض في ذلك الحين بالذات عن قيام دولة جديدة قوية هي دولة بني مرين الناشئة • ومع ان الكفاح بين دولة الموحدين المحتضرة وبين دولة بني مرين كان يحول دون انجاد الاندلس بصورة فعالة ، فان كتائب المجاهدين من بني مرين والمتطوعة من اهل المغرب ، لم تلبث ان هرعت الى غوث الاندلس ، وعبر القائد ابو معروف محمد بن ادريس بن عبدالحق المريني واخوه الفارس عامر البحر ، في نحو ثلاثة آلاف مجاهد ، جهزهم ابو يوسف يعقوب بن عبدالحق سلطان بني مرين • وكانت حوادث الاندلس المحزنة تحدث وقعها العميق في المغرب ، وكانت رسائل الاندلس تترى الى أمراء المغرب وأكابرهم

بالصريخ مما تكابده من عدوان النصارى واستطالتهم ، والاستنصار باهل العدوة اخوانهم في الدين ، وكان علماء المغرب وادباؤها وخطباؤها وشعراؤها يبثون دعوة الغوث والانجاد ، ومن ذلك قصيدة مؤثرة وضعها ابو الحـكم مالك بن المرحل ، وقرئت في جامع القرويين بفاس في يوم جمعة من ايـام سنة ٦٦٢هـ ، وبكى الناس تأثرا لسماعها ، ومما جاء فيها :

استنصر الدين بـكم فاسـتقدموا
فانـكم إن تسـلموه يسـلم
لاذت بـكم أندلـس ناشـدة
برحـم الديـن ونعـم الرحـم
فاسـترحمتكم فارحموهـا إنـه
لايرحـم الرحمـن مـن لايرحـم
مـاهي إلاّ قطعـة من أرضـكم
وأهلهـا منـكم وأنتم منهـم (٣٢)

وكان لاهتمام المغرب بانجاد الاندلس صداه ، وكان ابن الاحمر فـي الوقت نفسه قد بدا يشعر بمقدرته على مواجهة النصارى والخروج علـى طاعتهم ، وحماية مملكته الفتية من عدوانهم . ولما فاتحه النصارى بالعدوان وغزوا اراضيه في سنة (٦٦٠هـ ــ ١٢٦١م) استطاع بمعاونـة قوات مـن المتطوعة والمجاهدين الذين وفدوا من وراء البحر ، ان يهزمهم وان يردهم عن اراضيه ، وبذلك ظهرت الاندلس على عدوها في ميدان الحرب لاول مرة منذ انهيار دولة الموحدين . ولما عبرت الكتـائب المرينية بعـد ذلك بقليل

(٣٢) راجع الذخيرة السنية (١٠٨ ــ ١١٢) حيث يورد القصيدة بأكملها .

(٦٦٢هـ) ، استطاع قائدهم الفارس عـامر بن ادريس ، ان ينتزع مدينـة شريش من يد النصارى ولكن لمدة قصيرة فقط[٣٣] .

وقد كانت هذه بارقة أمل متواضعة ، ولكن الحوادث مالبثت أن تجهّمت للأندلس مرة أخرى ، ذلك أن ملك قشتالة الفونسو العاشر ، خشي هذه المبادرة على خططه وغزواته ، وخشي بالأخص أن تتضاعف الامدادات من وراء البحر، فيشتد ساعد أمير غرناطة ، ومن ثم فقد عوّل أن يضاعف أهبته وضغطه عـلى القواعد الأندلسية البـاقية ، ففي أواخر سـنة (٦٦٢هـ ـــ ١٢٦٣م) نزل ابن يونس صاحب مدينة إستجة عنها الى النصارى[٣٤] ، ودخلها دون خيل قـائد القشتاليين ، فأخرج أهلها المسلمين منها ، وقتل وسبى كثيراً منهم . وفي العام التالي (٦٦٣هـ) ظهرت نيات ملك قشتالة واضحة في العمل على الاستيلاء على ما بقى من القواعد الأندلسية ، وسرى الخوف الى نواحي الأندلس ، وعادت الرسائل تترى الى أمراء المغرب وزعمائه بالمبادرة الى إمداد الأندلس وإغاثتها قبل أن يفوت الوقت ، خصوصاً وقد بدأ عدوان النصارى يحدث أثره ، وبدأت هزائم قوات ابن الأحمر في ذلك الوقت على يد دون نونيو دي لارا (دونه) صهر ملك قشتالة وقائده الاكبر (٦٦٣هـ ـــ ١٢٦٤م) . وأعلن ابن الأحمـر بيعته للملك المستنصر صاحب تونس ، فبعث اليه المستنصر هديـة ومـالا لمعاونته[٣٥] ، ولكن هذه المساعي لم تسفر عن نتيجة سريعة نـاجعة ، وبقيت

(٣٣) الذخيرة السنية (١١٢) .
(٣٤) سبق أن أشرنا الى سقوط استجة في يد النصارى سنة (١٢٣٧م) ، أعنى قبل ذلك بخمسة وعشرين عاما ، والظاهر أنها بقيت خلال هذه المدة بيد حكامها المسلمين تحت حماية ملك قشتالة على نسق كثير من المدن الاندلسية الاخرى ، التي لبثت حينا بيد حكامها المسلمين بعد تسليمها صلحا للنصارى .
(٣٥) الذخيرة السنية (١٢٥) .

الأندلس أعواماً أخرى تواجه عدوها القوي بمفردها ، وتتوجس من ســوء المصير .

ولما تفاقم عدوان القشتاليين وضغطهم ، لم ير ابن الأحمر مناصاً من أن يخطو خطوة جديدة في مهادنة ملك قشتالة ومصادقته ، فنزل له في أواخـر سنة (٦٥هـ ـ ١٢٦٦٧م) عن عدد كبير من البلاد والحصون ، منها شريش والمدينة والقلعة وغيرها . وقيل : ان ما أعطاه ابن الأحمر يومئذ من البـلاد والحصون المسوّرة للنصارى بلغ أكثر من مائة موضع ، ومعظمها في غــرب الأندلس[٣٦] ، وبذا عقد السلم بين الفريقين مرة أخرى[٣٧] .

وهكذا خسرت الأندلس معظم قواعدها التالدة في نحو ثلاثين ســنة فقط ، في وابل مروع من الأحداث والمحن ، واستحال الوطن الأندلسي الذي كان قبل قرن فقط ، يشغل نحو نصف الجزيرة الأسبانية ، الى رقعة متواضعة هي مملكة غرناطة[٣٨] .

وقضى ابن الأحمر الأعوام القليلة الباقية من حكمه ، في توطيد مملكته واصلاح شئونها ، وكان منذ سنة (٦٦٢هـ) قد أعلن البيعة بولاية العهد لمحمد أكبر أولاده ، وبذلك أسبغ على رياسة بني نصر صفة الملوكية الوراثية[٣٩] .

---

(٣٦) انظر الذخيرة السنية (١٢٧) ، وقد سبق ان اشرنا الى تنازل ابن الاحمر لملك قشتالة عن أرض الفرنتيرة ، وفيها تقع شريش وقادس وغيرهما ، ولكن هذا التنازل كان اسميا ، واضطر النصارى الى الاستيلاء على هذه المدن بصورة فعلية ، وكان سقوط شريش وقادس بيد الفونسو العاشر سنة ١٢٦٢م ، والظاهر أن المقصود هنا ، هو مصادقة ابن الاحمر على استيلاء النصارى على هذه القواعد .

(٣٧) يضع ابن الخطيب تاريخ عقد ابن الاحمر الصلح مع النصارى للمرة الثانية في سنة ٦٦٢هـ .

(٣٨) نهاية الاندلس (٤٠ ـ ٤٢) .

(٣٩) الاحاطة (٢/٦٥) واللمحة البدرية (٣٦) .

ولم تقع في تلك الأيام حوادث ذات شأن ، فقد لزم النصارى السكينة حيناً . ولكن ظهرت عندئذ أعراض الانتقاض على بني أشقيلولة أصهار بني الأحمر ومعاونيه ، وكان ابن الأحمر قد زوج في سنة (٦٦٤هـ) إحدى بناته لابن عمه الرئيس أبى سعيد بن اسماعيل بن يوسف ووعده بولاية مالقة ، فنمى ذلك الى واليها أبى محمد بن أشقيلولة ، وهو أيضاً زوج ابنته ، فغضب لذلك وأعلن العصيان والاستقلال بحكم المدينة ، فسار ابن الأحمر لقتاله ، تعاونه قوة من حلفائه النصارى ، وحاصروا مالقة ثلاثة أشهر ، ولكنهم ارتدوا عنها خائبين (٦٦٥هـ — ١٢٦٦م) . وعاد ابن الأحمر ، فسار الى مالقة مرة أخرى سنة (٦٦٨هـ) ولكنه لم ينل منها مأربا (٤٠) .

وفي تلك الآونة ، عاد النصارى الى التحرش بالمملكة الاسلامية ، وسار ملك قشتالة الى الجزيرة الخضراء فعاث فيها فسادا ، وعاد ابن الأحمر يتوجس شراً من النصارى ، فبعث الى أمير المسلمين السلطان أبى يوسف المريني ملك المغرب يطلب منه الغوث والانجاد ، ولكن ابن الأحمر لم يعش ليرى نتيجة هذه الدعوة ، اذ توفى بعد ذلك بقليل .

وكان محمد بن الأحمر يتمتع بخلال باهرة من الشجاعة والاقدام وشغف الجهاد ، والمقدرة على التنظيم ، وكان جم التواضع والبساطة . وكان يعرف بالشيخ ويلقب بأمير المسلمين ، وهو اللقب الذي غلب على سلاطين غرناطة فيما بعد . وهو الذي ابتنى حصن الحمراء الشهير ، وجعله دار الملك ، وجلب له الماء ، وسكنه بأهله وولده . وأما تسميته بابن الاحمر ، فقد اختلفت في شأنها الرواية ، ويقال : ان هذه التسمية ترجع الى نضارة وجهه واحمرار شعره . ويرى بعضهم أنها أسبغت عليه لانشائه حصن الحمراء ، ولكن سوف

(٤٠) الذخيرة السنية (١٢٥ و ١٢٩) .

نرى عن تاريخ الحمراء ، أن هذا الاسم أقدم من الدولة النصرية ببضعة قرون وأنه لاصلة بين هذا الاسم الذي أطلق على الحصن والقصور الملكية التي أنشأها محمد بن يوسف وبنوه من بعده ، وبين تلقيبهم ببني الأحمر . كما أنه ليس ثمة بين القبائل العربية أية قبيلة تحمل هذا اللقب ، ويمكن أن ينسب اليها بيت غرناطة الملكي[٤١]. وكان ابن الاحمر يباشر الأمور بنفسه، ويدقق في جمع الأموال والجبايات ، حتى امتلأت خزائنه بالمال والسلاح . وكان يعقد للناس مجالس عامة يومين في الأسبوع ، يستمع فيهما الى الظلامات وذوي الحاجات ، ويستقبل الوفود ، وينشده الشعراء . وكان يجري في تصريف شئون الملك على قاعدة الشورى ، فيعقد مجالس يحضرها الأعيان والقضاة ومن اليهم من ذوي الرأي ، للاسترشاد برأيهم ونصحهم[٤٢]. وكان في مقدمة وزرائه أبو مروان عبدالملك بن يوسف بن صناديد زعيم جيان ، وهو الذي مكّنه من التغلب عليها . وتوفى محمد بن الأحمر في التاسع والعشرين من جمادى الثانية سنة (٦٧١هـ ــ كانون الأول ــ ديسمبر ــ ١٢٧٢م) على أثر سقطة من جواده ، حين عودته من معركة رد فيها جمعا من الخوارج الذين حاولوا الزحف على الحمراء ، فحمل جريحا الى القصر ، وتوفى بعد ذلك بأسبوعين ، وقد قارب الثمانين من عمره ، ودفن بالمقبرة العتيقة بأرض السبيكة[٤٣]. وكانت مملكة غرناطة قد رسخت دعائمها نوعاً ما ، واستقر بها

(٤١) انظر مقدمة أطلس الحمراء (Alhambra) الذى وضعه (Owen Jones and Goury) وكتبها المستشرق جاينجوس (London 1842) ص (٥) الهامش ، وتسمى الدولة النصرية على الاغلب بدولة بنى الاحمر ، ويؤشر ابن خلدون تسميتها بذلك الاسم ، انظر ابن خلدون (١٧٠/٤ وما بعدها) .

(٤٢) ابن خلدون (١٩٠/٧) واللمحة البدرية (٣١) .

(٤٣) الاحاطة (٦٦/٢) ، وكان اسم السبيكة يطلق على البسيط الذى يقع جنوب شرقى الحمراء .

ملك بني نصر الفتى على أسس ثابتة . وكان من حسن الطالع أنه لم يظهر في مملكة غرناطة في بداية أمرها زعماء خوارج ينازعون بني نصر زعامتهم ، ولذا لم نشهد في هذه المنطقة مأساة الطوائف مرة أخرى ، وان كان تاريخ الدولة النصرية لم يخل من ثورات وانقلابات محلية عديدة . وكان من الغرائب ، أن هذه المملكة الاسلامية الصغيرة ، استطاعت أن تعيد لمحة من مجد الأندلس الذاهب ، كما استطاعت بكثير من الشجاعة والجلد ، أن تسهر على تراث الاسلام في الأندلس ، زهاء مائتين وخمسين عاماً أخرى(٤٤) .

طوائف الاندلسيين في عصر الانحلال

١ – مملكة غرناطة وحدودها

كانت مملكة غرناطة عند قيامها في أواسط القرن السابع الهجري ، تشمل القسم الجنوبي من الأندلس القديمة وتمتد فيما وراء نهر الوادي الكبير الى الجنوب ، حتى شاطىء البحر الأبيض المتوسط ومضيق جبل طارق ، ويحدها من الشمال ولايات جيان وقرطبة واشبيلية ، ومن الشرق ولاية مرسية وشاطىء البحر الابيض الممتد منها الى الجنوب ، ومن الغرب ولاية قادس وأرض الفرنيترة . وكانت تشتمل عندئذ على ثلاث ولايات كبيرة ، وهي ولاية غرناطة الواقعة في الوسط والممتدة جنوبا حتى البحر ، وأهم مدنها العاصمة غرناطة ، ووادي آش ، وبسطة ، وأشكر ، وحصن اللوز ، ولوشة ، والحامة ، وأرجبة ، وشلوبانية ، وولاية المرية ، وهي تمتد من ولاية مرسية حتى البحر ، وأهم مدنها ثغر المرية والبيرة ، والمنصورة ، وبرشانة ، وبرجة ، ودلاية ، وأندرش . وولاية مالقة ، وهي تقع على البحر غربي غرناطة ، وأهم مدنها ثغر

(٤٤) نهاية الاندلس (٤٤ – ٤٦) وانظر ماجاء عن ابن الاحمر في : Scott : Themoorish Empire in Europe, V. 11. P. 433 — 434 .

مالقة ، وبلش مالقة ، وطرش ، وقمارش ، وأرشدونة ، وأنتقيرة ، ورنـدة ، ومربلة ، ويلحق بها الجزيرة الخضراء ومنطقة جبل طارق وطريف .

وتخترق مملكة غرناطة في الوسط جبال سييرا نفادا (جبل شلير) الشاهقة ، وهضاب البشرات الوعرة وبسائطها الخضراء ، كما تخترقها عدة أنهار منهـا شنيل فرع الوادي الكبير ، ونهر أندرس الصغير ، وفي الشرق نهر المنصورة. وكانت خواصها الطبيعية التي تجمع بين مزيج مدهش من المروج والوديـان الخصبة ، والجبال والهضاب الوعرة ، تمدها بثروات زراعية ومعدنية حسنة ، ينميها ويضاعفها الشعب الأندلسي الموهوب ، بذكائه ونشاطه وبراعته المأثورة، وهكذا كانت مملكة غرناطة الصغيرة ، تستمد من مواردها الطبيعية أسـباب القوة والمنعة والرخـاء[٤٥] .



٢ ــ عنـاصر السكان :

كانت منذ الفتح منزل قبائل الشام ، وقد مكثت أعقاب هذه البطـون مدى عصور كثيرة في تلك الولاية ، ولما اضطرمت الفتن بالاندلس عقب انهيار الدولة الأموية ، تقاطر البربر من الضفة الاخرى من البحر على قواعد غرناطة، ثم غدت غرناطة مدى حين إمارة بربرية ، وأصبح البربر عنصرا بارزا في سكان هذه المقاطعة ، وكانت الثغور الجنوبية بطبيعة الحال منزل البربر كلما عـبروا الى الاندلس ، خاصة أيام المرابطين والموحدين ، وكانت طوائف كثيرة مـن المجاهدين ، تتخلف في هاتيك الوديان النضرة وتستقر فيها ، ويجذبهم خصبها ونعماؤها . ولما أخذت قواعد الاندلس الشرقية والوسطى تسقط تباعا في أيدي النصارى ، هرع الى القواعد والثغور الجنوبية كثير من الأسر المسلمة الكريمة ، التي آثرت الهجرة الى أرض الاسلام ، على التدجن والبقاء تحت

(٤٥) نهاية الاندلس (٤٧ ــ ٤٨) .

سلطان النصارى • على أنه بقيت في القواعد والثغور التي احتلتها النصارى من الأسر المسلمة التي حملتهم ظروف الاسرة ودواعي العيش على البقاء في الوطن القديم تحت حكم الاسبان النصارى ، وأولئك هم المدجنون (٤٦) (بالاسبانية Mudejares) أو أهل الدجن • وقد شاع استعمال هذا اللفظ منذ القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، أو بعبارة أخرى منذ كثر استيلاء النصارى على بلاد المسلمين ، وكثر عدد الرعايا المسلمين الذين تضمهم اسبانيا النصرانية •

٣ ـ المدجنون وتاريخهم وحياتهم في ظل الممالك النصرانية :

ولهذا المجتمع الاسلامي الاسباني من المدجنين تاريخ طويل مؤثر ، فقد لبث المدجنون عصرا يتمتعون في ظل ملوك قشتالة وأراغون ، بنوع من الطمأنينة والرخاء والأمن ، فكان يسمح لهم بالاحتفاظ بدينهم وشريعتهم ومساجدهم ومدارسهم ، وكان لهم في العصور الاولى قضاة منهم يحكمون في سائر المنازعات التي تقع فيما بينهم وفقاً للشريعة الاسلامية • أما المنازعات التي تقع بين مسلم ونصراني ، فكان ينظرها أحيانا قاض نصراني ، أو تنظرها محكمة مختلطة من قضاة من المذهبين • وكان من امتيازاتهم ألاّ يدفعوا من الضرائب غير ما كانوا يؤدونه من قبل لملوكهم ، ثم ترك هذا الامتياز بمضي الزمن • وأصدر الفونسو العاشر في سنة ١٢٥٤م لسكان اشبيلية امتيازاً يخولهم حق شراء الارض من المسلمين في منطقتهم ، مما يدل على أنه سمح للمسلمين بالاحتفاظ بأراضيهم ، وكان لهم حق البيع والشراء في العقارات • فلما تطورت الحوادث ، وغلبت النزعة الرجعية على المتغلبين النصارى في

(٤٦) من دجن وتدجن : اى اقام ، ومصدره الدجن او التدجن ، ومنه دواجن البيوت ، وهي طيور وحيوانات اليفة مقيمة .

أواخر القرن الثالث عشر ، صدر قانون يحرم على المسلمين شراء الاراضي من النصارى ، ولكن ترك هذا القانون فيما بعد • وكان يسمح للمدجنين أيضـا بحمل السلاح ، ويلزمون بتأدية الخدمة العسكرية ، ويعتبر الاعفاء منها امتيازاً خاصا • ثم أعفي المدجنون بعد ذلك من الخدمة العسكرية نظير جزية سنوية يؤدونها ، وكان انضمامهم الى الجيوش النصرانيـة يقـع في حدود نسبتهم العددية • ولما توالى استيلاء الاسبان على القواعد والثغور الاندلسية ، كان يخصص للمدجنين في كل مدينة مفتوحة حي خاص لاقامتهم ، يفصل بينـه وبين أحياء النصارى سور ضخم [٤٧] •

وتوجد وثائـق في كتدرائية سرقسطة عربية تلقى ضوءاً على تاريـخ المدجنين وأحوالهم في مملكة أراغون منذ القرن العاشر الميلادى الى القرن الخامس عشر ، وهى عبارة عن طائفة من عقود البيع والشراء والوديعة وغيرها التى عقدت بين أفراد من المدجنين وبين المدجنين والنصارى • ويستفاد من تلاوتها أن المدجنين في مملكة أراغون كانوا حتى سنة ١٤٩٢م ، الى هذا العصر المتأخر ، حتى بعد سقوط غرناطة في يد الاسبان يحتفظون بدينهم الاسلامي ، وأنه كانت ماتزال ثمة بعض مساجد قائمة في بعض أنحاء ولاية سرقسطة[٤٨] •

وكانت مسألة التدجن هذه وبقاء المسلمين في البلاد التى يستولى عليها النصارى ، تثير كثيراً من المسائل الفقهية ، وكان بعض الفقهاء يرمى أولئك المدجنين بالمروق عن الاسلام لبقائهم تحت حكم النصارى • على أن هذه الاعتبارات الدينية لم تحل دون بقاء طوائف كبيرة من المسلمين في الاراضى التي يقتطعها النصارى تباعـا من الوطـن الاندلسي ، وكانت الاعتبارات

(٤٧) Dr. H. Ch. Lea : History of the Inguisition in Spain, V. 1. P. 62 — 64.

(٤٨) انظر نماذج من هذه الوثائق في : نهاية الاندلس (٤٩ ـ ٥٢) .

الدنيوية ، وظروف الاسرة ، ودواعي العيش ، تغلب على كل الاعتبارات الاخرى ، وكان تسامح النصارى في البداية وتركهم رعاياهم المسلمين ، يتمتعون بتطبيق شريعتهم وأحكام دينهم فيما بينهم كما ذكرنا ، يخفف عن أولئك المدجنين مرارة الانسلاخ عن مجتمعهم القديم والانتماء الى المجتمع النصراني . ولكن هذا الوضع أخذ يتبدل منذ اتسع نطاق التوسع النصراني في الاندلس ، وزاد بذلك عدد المدجنين في مختلف المناطق الاسبانية المستولى عليها ، وكانت الكنائس تبغض هذه الطوائف الاسلامية القائمة في قلب المجتمع النصراني ، وتنقم على المدجنين هذه الدعة وهذا التسامح ، وترى في احتفالهم بدينهم ولغتهم نوعا من التحدي المذموم ، وتأخذ على ملوك قشتالة وأراغون تسامحهم في معاملتهم ، وتسعى جاهدة لتحريضهم على اتباع سياسة الانتقام والعنف ، ازاء أولئك الرعايا المسالمين . ومنذ أوائل القرن الثالث عشر تتوالى أوامر البابوية وقراراتها ضد المدجنين ، والحث على استرقاقهم أو تنصيرهم ، ومن ذلك ما أمر به البابا أنوسان الرابع في سنة ١٢٤٨م ، ملك أراغون خايمي الاول ، من وجوب استرقاق المسلمين في الجزائر الشرقية ، ولكن خايمي لم يأبه بذلك الامر . ولما استولى النصارى على ثغر بلنسية في سنة ١٢٣٨م ، سمح للمسلمين أن يبقوا فيه كمدجنين . وكان ملوك قشتالة وأراغون يعارضون هذه السياسة العنيفة ، لبواعث وأسباب تتعلق بمصالحهم القومية ورخاء بلادهم ، لان المدجنين كانوا بين رعاياهم أفضل العناصر وأنشطها وأكثرها دأباً ومثابرة وأوفرها تأدية للضرائب ، وكانوا ساعد النبلاء الايمن في زراعة أراضيهم واستغلالها ، وكانوا يستأثرون بالتفوق في العلوم والفنون والمهن ، وكانوا أبرع الاطباء والمهندسين والبنائين ، وكان لهم الفضل الاول في ادخال محاصيل عديدة في اسبانيا النصرانية ، مثل القصب والقطن والارز والحرير والتين والبرتقال

واللوز وغيرها ، وما زالت مشاريع الرى التى أنشأوها ، ولاسيما في مناطق اسبانيا الشرقية والشمالية الشرقية ، تشهد بعبقريتهم في هذا المضمار . وهم الذين وضعوا أسس الصناعة الاسبانية ،وكانوا أساتذة الصناعات الدقيقة،وكانت صناعاتهم ، ولاسيما المنسوجات القطنية والحريريـة ، والفخار والخـزف والجلود ، نماذج بارعة تحذو حذوها الصناعة الاوروبية ، فلم يكن ثمة أشهر من خزف مالقة ، ولا أقمشة مرسية ، ولا حرير ألمرية وغرناطة ، ولاالاسلحـة طليطلة ، ولا منتجات قرطبة الجلدية ، وكانت بلنسية التى تضم كتلة كبيرة من المدجنين ، تعتبر من أغنى ثغور أوروبا بما تنتجه من السكر والنبيذ وغيرهما من المنتجات العديدة . وكان المدجنون مثـال النشـاط والدأب ، يزاولون التجارة بنجاح وشرف ، وكانوا أفضل التجار وأوفرهم أمانة ونزاهة . ولـم يكن بينهم متسولون ، اذ كانوا يعولون فقراءهـم ، وكانوا مثلا للنظـام والسكينة ، يحسمون منازعاتهم بأنفسهم . وعلى الجملة ، فقد كانوا يؤلفون أصلح عنصر بين السكان الذين يمكن أن تحتويهم أي البلاد[٤٩] .

وقد لبث ملوك قشتالة عصوراً يحرصون على الانتفاع بنشاط المدجنين وحمايتهم ، ونستطيع أن نقول على ضوء الوثائق التى سبقت الاشارة اليها ، انه كانت ثمة طوائف كبيرة منهم حتى القرن الخامس عشر الميلادى ، تعيش في أنحاء كثيرة من اسبانيا النصرانية محتفظة بدينها ولغتها وتقاليدها ، وكانت البابوية تسير على خطتها من التحريض عليهم والمطالبة بتجريدهم من دينهم ، والعمل على تنصيرهم بطريق الاضطهاد والعنف ، وتردد الكنيسة الاسبانيـة من جانبها هذا التحريض . ولكن هذه السياسة الباغية لم تحدث أثرها الا

(٤٩)
Dr Lea : History of the Inguistion in Spain, V. 11. P. 66 — 67.
Dr Lea : The Moriscos of Spain, P. 57.

ببطء ، ولم يتسع نطاقها الا في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي عندما أشرفت الدولة الاسلامية في غرناطة على نهايتها • وكان قيام مملكة غرناطة في ذاته ، عنصراً من عناصر تكييف السياسة الاسبانية ازاء المدجنين ، ذلك أن ملوك اسبانيا فوق ما كان يحدوهم من رغبة في المحافظة على مصالحهم وسكينة بلادهم بايثار الرفق في معاملة المدجنين ، كانوا أيضا يخشون سياسة الانتقام من النصارى المقيمين في غرناطة • وفيما وراء البحر في بلاد المغرب ، بل وفي الممالك الاسلامية الاخرى مثل مصر وتركيا وأرض الشام والجزيرة والعراق • على أن العوامل الاجتماعية والمحلية من جهة أخرى ، كانت تحدث أثرها في مجتمع المدجنين • ذلك أنه بالرغم من جميع الفوارق التى كانت تفصل بينهم وبين النصارى ، فقد جنح الكثير منهم الى التشبه بجيرانهم ، وانتهوا بمضى الزمن وأثر الاختلاط والتزاوج الى فقد دينهم ولغتهم ، ومميزاتهم الجنسية والقومية ، والاندماج شيئا فشيئا في المجتمع الذى يعيشون فيه ، وهكذا أضحوا بالتدريج قشتاليين ونصارى ، وأضحى علماؤهم يكتبون كتب الدين والشريعة بالقشتالية للرجوع اليها • وقام أيضا بين المدجنين أدب قشتالي استمر عصورا حتى بعد اخراج العرب المتنصرين من اسبانية(٥٠) على أن المدجنين لبثوا بالرغم من هذا الاندماج الاجتماعى تطبعهم مسحة خاصة تباعد بينهم وبين المجتمع النصرانى القديم(٥١) •

كان نظائر هؤلاء الاندلسيين المدجنين ، جمهرة من النصارى الاسبان ، يعيشون في القواعد والثغور الاسلامية ويعرفون بالنصارى المعاهدين

---

(٥٠) المقصود هنا ادب الالخمارو Aljamiado ، وهو عبارة عن كتابة اللغة القشتالية المحرفة بحروف عربية مشكلة ، وكان العرب المتنصرون يضطرون الى كتابة كتبهم الدينية بهذه اللغة بعد أن حرمت عليهم لغتهم العربية •

(٥١) Dr Lea : History of the Inguisition, V. 1 P. 65.

أو المستعربين (Mozdrabes) ، وقد لبثوا عصورا يتمتعون في ظل الحكم الاسلامى بضروب الرعاية والتسامح • وكانت الحكومات الاندلسية حتى في أزهى عصورها ، تحافظ على سياسة التسامح التي اتبعت إزاءهم منذ الفتح ، وتعاملهم بالرفق وتحترم شعائرهم الدينية وتقاليدهم القومية ، وتتجنب أيـة محاولة لارغامهم على اعتناق الاسلام • وكان من ضروب هذه الرعاية ، أن أنشىء في ظل حكومة قرطبة منذ عهد الحكم بن هشام ، ديوان خاص للنظر في شئون أهل الذمة (النصارى ويهود) يتولاه كبير من الأحبار النصارى يطلق عليه : « قومس أهل الذمة » • وهكذا استطاعوا دائما أن يحتفظوا بدينهم ولغتهم ، ومميزاتهم القومية والاجتماعية • وكانت حال النصارى في ظل الحكم الاسلامى ، أفضل بكثير مما كانت عليه أيام القوط ، وكثيرا ماكان يعهد اليهم بمناصب القيادة والوزارة ، أو ينتظمون في البـلاط والحرس الملكى • ومع ذلك ، فقد كانت منهم دائما طوائف متعصبة تسيء استعمال هذا التسامح ، وتحاول بمختلف الوسائل أن تكيد للاسلام ودولته ، ومن ذلـك ماحدث في عهد عبد الرحمن بن الحكم (أواسط القرن التاسع الميلادى) من الحوادث الدموية التى أثارها تعصب النصارى[٥٢] • وهكذا فان النصارى المعاهدين ، لم يشعروا دائما بالولاء والاخلاص للدولة الاسلامية التى يعيشون في ظلها ، والتى توليهم كثيرا من رعايتها ورفقها ، وكانوا دائما يتربصون بها ، وينتهزون الفرص لمناوأتها والكيد لها ، ويستعدون عليها الوطن القديـم ، كلما اضطربت شئونها ، وعصفت بها عواصف الثورة والحـرب الاهليـة • وكانت أعظم خيانة ارتكبوهـا من هذا النوع ، في أواخر أيـام المرابطين ، حينما دعوا الفونسو الاول ملك أراغون الملقب بالمحارب عقب استيلائه على سرقسطة ، الى أن يسير الى غزو الاندلس ، بعد ما لاح من انحلال سلطان

(٥٢) محمد عبدالله عنان ـ دولة الاسلام في الاندلس ـ ط ٢ ـ • (٢٥٣-٢٦١)

المرابطين فيها . واستجاب ملك أراغون لتحريضهم ، وسار مخترقاً الاندلس بجيوشه ، والنصارى والمعاهدون في كل قاعدة ينهضون الى معاونته بوسائلهم ، وذلك في سنة (٥١٩هـ - ١١٢٥م) ، حتى انتهى الى فحص غرناطة وحاصرها حينا ، ثم غادرها الى الجنوب ، ونشب القتال بينه وبين المرابطين فهزمهم ، ولبث حينا يعبث في تلك الانحاء ، والنصارى المعاهدون يهرعون الى شد أزره ، ويمدونه بالاقوات والمؤن . ثم عاد ثانية الى الاندلس من أراغون ، وقد انضم الى جيشه آلاف من النصارى المعاهدين . ولفتت هذه الغزوة أنظار المسلمين الى خطر بقاء أولئك المعاهدين في الثغور والقواعد الاندلسية ، فانقلبت الحكومة الاسلامية الى مطاردتهم ، وأفتى القاضي أبو الوليد بن رشد الجد باداتتهم في نقض العهد والخروج على الذمة ، ووجوب تغريبهم واجلائهم عن الاندلس ، وأخذ أمير المرابطين علي بن تاشفين بهذه الفتوى ، وغربت ألوف من النصارى المعاهدين الى افريقية ، وفرقوا هناك الى أماكن مختلفة ، وهلك الكثير منهم بسبب الطقس وتغير وسائل التغذية ، وضم السلطان كثيرا منهم الى حرسه الخاص ، وكانت هذه المحنة سببا في تمزيق عصبتهم واضعاف شوكتهم(٥٣) .

وقد كان مجتمع المستعربين أو النصارى المعاهدين ، حتى في القواعد الأندلسية التي سقطت بيد اسبانيا النصرانية ، وبسط عليها النصارى حكمهم ، يتأثرون بمجتمع المدجنين وبأحواله وتقاليده ، حتى أنهم كانوا يتخذون اللغة العربية لغة التعامل ولغة التخاطب أحيانا الى جانب لسانهم القومي .

على أن الكثرة الغالبة من المسلمين في القواعد الاندلسية الذاهبة ، كانت تؤثر الالتجاء الى أرض الاسلام ، والتشبث بلواء الدولة الاسلامية . وهكذا

(٥٣) انظر الاحاطة (١/١١٥ - ١٢٠) والحلل الموشية (٧٠ و ٨١) وتاريخ المرابطين والموحدين لاشباخ (١٥٥ و ١٥٧) .

أخذت غرناطة تموج منذ أواسط القرن السابع الهجري بسيول الوافدين عليها من بلنسية ومرسية وقرطبة واشبيلية وجيان وبياسة وغيرها ، وهكذا غـدت مملكة غرناطة الصغيرة تضيق بسكانها المسلمين ، بعد أن احتشدت بقايا الأمة الاندلسية المتداعية في تلك المنطقة الضيقة • ومن المرجح أن مملكة غرناطة ، كانت تضم في عصورها الاخيرة ، زهاء خمسة أو ستة ملايين من الأنفس ، وكانت غرناطة وحدها تضم أكثر من مليون نفس •

٤ ـ التكوين العنصرى لسكان مملكة غرناطة

وكانت هذه الهجرة الغامرة من مختلف القواعد الأندلسية في الشرق والغرب ، الى ذلك الوطن الاندلسي الجديد غرناطة ، تضفي على التكويـن العنصري لسكان مملكة غرناطة طابعا خاصا ، وبالرغم من أن العناصر الاساسية التي تتكون منها الأمة الأندلسية ، هي العرب والبربر والمولدون ــ وهم أعقاب الاسبان الذين اسلموا منذ الفتح ــ لبثت على كر العصور دون تغيير ، فانـه يلاحظ أن الجموع الوافدة على المملكة الاسلامية الجديدة ، كانت تضم كثيرا من العناصر التي صقلتها حضارة أرقى ، ومن ثم فانه يمكن القول : ان الأمـة الأندلسية الجديدة ، كانت تمثل أطيب وأثمن مـابقى من القيم العنصريـة والحضارية للأندلس • وكان المولدون يمثلون في المجتمع الاندلسي الجديد مثولا قويا ، وكان أولئك المولدون قد نموا بمضي الزمن حتى غدوا عنـصرا مهما بين سكان الامة الاندلسية ، وكان العرب والبربر ينظرون اليهم بشيء من الريب ، وكانوا بالرغم من تمتعهم في ظل الحكومات الاسلامية المتعـاقبة بنفس الحقوق التي يتمتع بها باقي المسلمين ، ينزعون الى الثورة في أحيان كثيرة ، وكان لهم شأن يذكر في اضرام بعض الثورات الخطيرة التي اضطرمت ضد حكومة قرطبة ، مثل ثورة الربض ، وثورة طليطلة أيام الحكم بن هشام، وثورة بني قسي في الثغر الأعلى ، وقد كان جدهـم الكونـت قسي قوطيـاً

نصرانيا • وكان المولدون أعوان ابن حفصون ، أعظم وأخطر ثوار الأندلس، وهو الذي استطاع بمؤازرتهم وبمؤازرة النصارى المعاهدين ، أن يؤسس مدى حين مملكة مستقلة في منطقة رندة (أواخر القرن التاسع الميلادي) ، وكان ابن حفصون مولدا يرجع الى أصل نصراني • على أن المولدين كان لهم موقف آخر ضد القادمين من افريقية ، فقد وقفوا الى جانب مواطنيهم الأندلسيين ضد المرابطين ثم الموحدين ، وكان عماد الثورة ضد المرابطين زعيم أندلسي من المولدين هو محمد بن سعد بن مردنيش أمير بلنسية ومرسية • وكان يتحدث القشتالية ويرتدى الملابس الافرنجية ، ويحشد في حيشة كثيرا من الضباط والجند النصارى[٥٤] • ولم يكن للعاطفة الدينية في تلك العصور وفي تلك الظروف دائما كبير أثر ، بل كانت تغلب في معظم الأحيان عواطف القومية والمصلحة الخاصة[٥٥] • كذلك كان بين سكان غرناطة أقلية يهودية قوية ، معظمهم من طائفة « البيفرديم » القديمة أو اليهود الاسبان ، وكان ليهود في ظل الحكومات الاسلامية نفوذ يذكر ، وكانت العروبة تغلب على السكان المدنيين في مملكة غرناطة ، ولاسيما بعد أن نزح اليها على أثر سقوط القواعد الاندلسية بيد النصارى ، كثير من سادات البطون العربية القديمة ، ويذكر لنا ابن الخطيب عشرات من الانساب العربية العريقة التي كان ينتمي اليها أهل غرناطة .• ويصف ابن الخطيب الغرناطيين بوسامة الوجوه ، واعتدال القدود ، وسواد الشعر ، ونضرة اللون ، واناقة الملبس، وحسن الطاعة والاباء، يتحدثون بعربية فصيحة تغلب عليها الامالة • ويصف نساءهم بالجمال والرشاقة والسحر ونبل الخلال ، ولكنه ينعى عليهن المبالغة في التفنن بالزينةوالتبهرج فيعصره.• أما الجند ، فكانت فيهم كثرة ظاهرة من البربر ، ولاسيما من قبائل زناتة

(٥٤) الاحاطة (٨٧/٢) .

(٥٥) Dr. Lea : History of the Inguisition, V. 1. P. 50.

ومغراوة وبني مرين ، ويرجع ذلك الى أن طوائف البربر التي تخلفت منذ عهد المرابطين والموحدين بالاندلس ، كان أغلبها من الجند ، وقد بقيت على عهدها تؤثر الجندية على الزراعة والمهن والفنون المدنية(٥٦) .

وهكذا كان الشعب الاندلسي ، حين آذنت شمسه بالمغيب ، كما كان يوم مجده ، يتكون من هذا المزيج العربي الافريقي الاسباني الذي أطلق عليه الغربيون عبارة : (عرب الاندلس) أو (مسلمي الاندلس)(٥٧) .

وكانت الأمة الاندلسية ، تتمتع حتى عصورها الاخيرة بحضارة زاهرة ، كانت مثار التقدير والاعجاب في سائر الأمم الاوروبية ، وكان يحج اليها والى معاهدها ومدارسها وجامعاتها العلمية كثير من التلاميذ والطلاب من مختلف أنحاء أوربا .

وكان الشعب الغرناطي ، من أهل السنة ، يدين بمذهب مالك ، وهو المذهب الذي غلب على الأمة الاندلسية منذ أواخر القرن الثاني الهجري ، أعني منذ عصر هشام بن عبدالرحمن الداخل ، ولم تتأثر غرناطة في نزعتها المذهبية ولاتقاليدها الدينية السمحة ، بما توالى عليها من سيادة المرابطين والموحدين حيناً من الدهر(٥٨) .

---

(٥٦) انظر الاحاطة في أخبار غرناطة (القاهرة ١٩٥٥) ـ (١/١٤٠ ـ ١٤٥) واللمحة البدرية (٢٧ ـ ٢٨) .

(٥٧) وهي بالاسبانية (Los Moros) وبالانكليزية (The Moors) وبالفرنسية (Les Maures) .

(٥٨) نهاية الاندلس (٥٢ ـ ٦٥) .

من مظاهر الدرس الشعوبي في الأدب العربي

الدكتور نوري حمودي القيسي

عميد كلية الآداب / جامعة بغداد

الأدب صورة حية من صور المجتمع تتحدد مساربه من خلال تطور حياتها وتتجسد اتجاهاته في ظل تطلعاته وتتأثر مضامينه بما يفرضه الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي لتتجلّى آثار ذلك في موضوعاته وتتلون بما تفرضه عليه لتكتسب صوره من ملامحه ما يميزها من حيث البناء وتزدحم الفاظه بما تضخه مفرداته لتظهر في اساليبه متميزة وتبرز في معانيه واضحة وتستقر في صيغة مألوفة تتداولها الألسن وتشيع بين المعاصرين معبرة عن الانماط التي تسود وتنتشر في أروقة المجالس حقيقة بما أكتسبته في اطار الموحيات المؤثرة والعوامل الفاعلة وهي تستحوذ على رضا الجمهور لانهم يجدون فيها لمسات جادة مما يعانون ويستطيبون من نسمات تعابيرها ما يوافق هواهم ويجانس مشاعرهم حتى يكتب لهذا الأدب أن يأخذ مساحته على أوسع نطاق ليتحول أحيانا الى قنوات متصلة وتتسرب فيها أدق المعاني وتمر عبرها أشد الاحاسيس تأثيرا وأسماها عاطفة وأرقها شوقا وحنينا . ولما كان الأدب الواجهة المرئية والنبض الدافق لكوامن النفس والتعبير الواعي لدواخل الذات كانت خفقاته صوتا له نبراته ، وكانت ومضاته اشعاعا يلون الاغراض بما تحمله تلك الومضات من خطوط ، وقد شهد الأدب العربي وهو يتجاوز مراحل التاريخ ويتخطى عتبات المواجهة ويتحدى دواعي الانعطاف عبر مراحله الطويلة أساليب من التأثير استطاع أن يتعامل معها على وفق ما يتمتع

به من حصانة فكان الرقص والتمثيل والتطويع نماذج استغلت جانبا من أغراضه وكان الاستيعاب والتأثر والتطوير جانبا آخر وجد فيها ما يغني تجربته ويواكب حياته ويعينه على الوصول الى كل قلب ليعبر بما اتيح له من وسائل عن حاجات جديدة ومطامح مشروعة ونزعات ارتضتها طبيعة الحياة ووجدت فيها اغناء وبمقدار ماكانت عوامل التحدي تزداد ضعفا وقوة ، وكانت اسباب المجابهة تشتد صلابة ، كانت قدرة المناهضة تتضاعف قدرة وتتماسك اقتدارا وتتجدد حيوية وابداعا . وكانت آثار كل حالة من هذه الحالات ترتسم في قصائد الشعراء فرائد نادرة وتلوح في كتابات الأدباء مقالات فكرية راسخة تعيد الى الاجيال ريادة دور الأمة وتحدد لهم الخطوات الأساسية التي يمكن من خلالها التصدي لكل حركة مناهضة والرد على كل فكرة ضالة معتمدين الاستلهام التاريخي الذي سجله الرجال الأماجد ومستندين الى قاعدة ثابتة أفاض بها الاسلام الحنيف بقيمه الخيرة ومبادئه السامية ومثله النبيلة معززين دورهم بما اكتسبوه من ثقافة موروثة وحصانة علمية تحول دون التشكيك بما ورثوه وتمنع نوازع التيارات المضادة من اختراق حاجز التحصين المبني على الوعي والقائم على دعائم الثقة وكان انسياح العرب حملة المبادىء الخيرة وخروجهم من الجزيرة آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر ليستقروا في بيئات جديدة قد خلق مجتمعا اختلطت فيه اللغات وامتزجت الاجناس وتميزت الظواهر وتحكمت ضوابط لم يألفها المجتمع واخضع الناس فيها الى تشريعات اقتضتها دواعي الحياة واوجدتها احكام الدولة وبدأت مظاهر التعقيد تبدو واضحة على امتداد الامصار الاسلامية بعد ان شمل التغيير كل مصر بما يوافق واقعه ويعبر عن طبيعته وينسجم مع ظروفه التي لازمت نشأته ، فالكوفة

والبصرة لهما خصوصية تميزت بها وهي تختلف عن بقية الامصار ومكة والمدينة لهما ظروفهما الخاصة التي نقلتها الى حياة أفاض الباحثون في الحديث عنها بعد ان اصبحت مراكز للفقه ومنطلقا للتشريع ومحطا لانظار الصحابة الذين غادروها مع قوافل المحررين وبقيت قلوبهم رهينة بما تركوا فيها من تاريخ حافل بالمواقف وذكريات مليئة بالعطاء .

ومن الطبيعي ان يأخذ التغيير مجراه في كل ضرب من ضروب الحياة فمجالس العلماء لها اماكنها وحلقات الدرس لها رجالها واصحاب الفكر لهم بيئتهم التي يناقشون فيها مايجدّ من المسائل ومايطرق من التساؤلات التي اصبحت ظاهرة لازمة والاسلام يحتضن هذه الاجناس البشرية ويستوعب الاديان القديمة ويحيط بما حملوه من جذور تبتعد عن التوحيد وتختلف مع ما جاء به من تقديس الفرد واباحة كل شيء وافعال بما حرم واستخفاف بما نهى عنه ، وقد تركت هذه الافكار آثارها وهي تنشط في كل حقل وتعلن عن مبادئها عند كل مناقشة وتبشر بأفكارها كلما وجدت الفرصة سانحة لها وتؤكد اخبار التاريخ الهجري ان المهدي جدّ في طلب الزنادقة والبحث عنهم في الآفاق كما يقول الطبري[1] وولى امرهم عمر الكلواذي واصبح لقب صاحب الزنادقة بداية لمن يتولى هذا المنصب ، وحين مات ولي مكانه حمدويه وهو محمد بن عيسى من اهل ميسان وقد تولى قتال الزنادقة في بغداد المهدي نفسه[2] واقتفى الهادي طريقة المهدي حيث اشتد طلبه لهم بعد ان تمادوا في الاعلان عن زندقتهم[3] والافصاح عن استخفافهم بالمقدسات والتعريض بمناسك الحج . وكثيرا ماكانت تجري مجالسة هؤلاء امام الناس لتكشف

(١) الطبري . تاريخ الطبري / أحداث سنة سبع وستين ومائة .
(٢) الطبري . تاريخ الطبري / أحداث سنة ثمان وستين ومائة .
(٣) الطبري . تاريخ الطبري / أحداث سنة تسع وستين ومائة .

نواياهم وتعرف بواطن معتقداتهم وتظهر خبايا ماكانوا يبطنونه من معتقدات .

وذكر محمد بن عطاء بن مقدّم الواسطي[٤] .. ان اباه حدثه ان المهدي قال لموسى يوما ـ وقد قدم اليه زنديق ، فاستتابه ، فأبى ان يتوب ، فضرب عنقه وامر بصلبه : يابني ، ان صار لك هذا الامر فتجرد لهذه العصابة ـ يعني اصحاب ماني ـ فانها فرقة تدعو الناس الى ظاهر حسن ، كاجتناب الفواحش والزهد في الدنيا والعمل للآخرة ، ثم تخرجها الى تحريم اللحم ومس الماء الطهور وترك قتل الهوام تحرجا وتحوبا ، ثم تخرجها من هذه الى عبادة اثنين : احدهما النور والآخر الظلمة .

لقد شاعت في القرن الثاني الهجري مذاهب غريبة وعقائد مختلفة نتيجة اختلاط العرب بغيرهم من الامم وكانت الثنوية التى تضم فرق المانوية والديصانية والمرقونية والمزدكية من اكثر الفرق انتشارا وهي فرق الغلاة التي ترجع اصولها الى افكار فارسية ذات تأثير واضح في معظم تيارات العبث والمجون واللامبالاة التي ظهرت في المجتمع ، وكانت بذورا لظهور الزندقة والافكار الغريبة التي بقيت تغذي حركات الارتداد وتثير نزعات الشر وتحيي موات الفرق الغالية .. وقد وجدت هذه الفرق مجالها الخصيب وبيئتها الصالحة لتستحوذ على بعض العقول وتترسخ في اذهان من وجدت عندهم استعدادا لقبول افكارها وتبني مبادئها واذا كانت آثار هذه الفرق قد نفذت الى قنوات الحياة بما اشاعته من عادات وتبنته من افكار فان روافد ثقافية عربية كثيرة كانت تمد الحياة بحركة عقلية وهي تستمد عناصرها من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والتشريع والفقه وعلوم اللغة العربية واحداث التاريخ وايام العرب وما حفلت به الحياة العربية من مظاهر واحتفظت

---

(٤) الطبري . تاريخ الطبري / احداث سنة سبعين ومائة .

به من مكارم وسعت اليه من قيم نبيلة وقد اسهمت هذه الروافد في ايجاد صيغ جديدة للدراسات القرآنية وتدوين الحديث والتوسع في علومه وبداية تدوين العلوم العربية بما فيها الشعر والايام والتاريخ والانساب وما يتعلق بها من معارف وكانت الثقافة العربية التي التزمت بمنهجها في البحث واصولها في التأليف وخصائصها في التثقيف قادرة على هضم ماوفد من ثقافات وترجم من معارف وطرح من افكار لتصبح ثقافة عالمية لاتحول دون انتشارها حوائل ولاتمنع تدفقها موانع •• وقد شهد القرن الثاني والثالث الهجريان حركة ثقافية واسعة لم تقتصر على طبقة بعينها ولم تقف عند حدود فئة وانما شملت الجمهور بطبقاته واصبحت الامصار الاسلامية محافل فكرية يتبارى فيها العلماء وتناقش فيها الآراء وتقوم في مجالسها ماتزخر به عقول المجتهدين من اصحاب الرأي وما يعرضه الدعاة من عقائد فانعقدت حلقات الدرس واقيمت مجالس العلم ، وكانت المساجد ودور العلماء اماكن يلتقي في رحابها الرواد وتناقش في اروقتها قضايا الفقه وعلوم الحديث ودواعي الاجتهاد ••

واذا كانت الثقافة وقضايا الفكر قد اتسعت الى هذا الحد فان الشعر كان صفحة مميزة لطبقة الحياة لأنه كان اشد تأثيرا واوضح تعبيرا واسرع وسيلة لنقل المشاعر التي كانت تفرضها حالة الاندفاع وتوجهها اساليب التعبير التي تدور في اذهان اولئك الذين تشبعوا بالافكار المناوئة واتخذوا لهم مستمسكا يقوض البناء العام ويقطع اسباب التواصل ويضعف اواصر الشد التي تحكم بناء الانسان •

وعلى الرغم من ان كثيرا من النقاد قد وقفوا عند ظاهرة الاستخفاف بالوقوف عند الاطلال وعللوها بما اقتنعوا به من اسباب فان الظاهرة التي يمكن ان تلاحظ في هذا التوجه هي ان الطلل كان يمثل الوطن الذي استقرت بين احجاره عواطف النشأة وشهدت اثافية ملاعب الصبا ، وكانت له في

نفس الشاعر العربي مواقف عزيزة وفي ذكرياته نوازع حية حتى كانت وقفته وقفة تأمل واستغراقة استغراق امتداد رهين بما تثيره تلك الرؤى الواعية في اعماقه .. وان حديثه عنها كان حديثا عن الزمن المتحرك ووقوفه بين شخوصها وقوفا على السنوات الخالية التي ازدهر فيها شبابه وارتسمت في لحظاتها معالم حياته فهي في عرف كل المؤمنين بالارض عزيزة وهي في ذاكرة كل الحريصين على التراث كريمة ، ومن الطبيعي ان تكون هذه الصورة بعيدة عن احساس اولئك الذين لم تشدهم - من غير العرب - بهذه الخوافق مشاعر ، ولم تخالط نفوسهم احاسيس ولم يشعروا برابطة واحدة تحركهم او تستثيرهم لمثل ماكانت تستثير غيرهم من الشعراء ، وقد وجدوا في هذا الوقوف سببا للتقليل من شأنه او الاستخفاف به او السخرية مما يحيط به فانبروا - وهم يدركون - اثره الى اعلان دعوتهم الصريحة ونزعتهم الظالمة ليعبروا عما يداخلهم او يخالج نفوسهم فكان بشار وابو نواس ومطيع بن اياس وسلم الخاسر وعبدالله بن ابي امية ، وكان غيرهم ممن نعى على الشعراء هذا التوجه بعد ان وجدها خالية من اهلها ولم يقتصر هذا الاتجاه على لون واحد وانما كانوا يوغلون في استخفافهم فيعرضون لها بما يوحي بالاستهجان وهم يؤكدون دروسها ومحولها وطول الوقوف غير المجدي بها والانصراف للحديث عن احجارها وتقليل شأن الشعراء الذين ينتسبون الى القبائل العربية والنفاذ الى وصم هذه القبائل بما كانت تثيره نعرات الحاقدين على العرب والذين وجدوا في الاسلام انهاء لما كانوا يعتقدون به وادركوا ان التوحيد لايعني الا الانقياد الى الله سبحانه وتعالى وان امة العرب كانت الامة التي وضعت فيها رسالة الاسلام ، وان الرسول الكريم صلوات الله عليه كان النبي الامين والهادي البشير وان الصحابة الاخيار الذين استوعبوا الرسالة والقادة الميامين الذين نشروا مباديء الاسلام كانوا من العرب الذين استقر الايمان في قلوبهم وتوحدت الدعوة في نفوسهم

وترسخ الجهاد في حياتهم ليكونوا دعاة امناء فكانت قوافل الشهداء الذين دافعوا عن الاسلام فهم وقفوا بوجه اكبر امبراطوريتين واستطاعوا ان يقيموا اول دولة عربية في القرن الاول الهجري لترفع راية الاسلام وتبشر بمبادئه وتسعى الى نشر رسالة الاسلام .. وقد تمثل هذا التوجه في كثير من القصائد التي لم يكن الغرض منها العبث المجرد او اللهو العابر وانما كانت تعني فلسفة وفكرا وتتبنى سياسة لها مراميها ومقاصدها ..

فابو نواس حين يقول ...(٥)

مالي بـدار خلت من أهلها شغل
ولاشجاني لها شخص ولاطلل
ولارسوم ولا أبكي لمنزلة
في مرفقيها اذا استعرضتها فتل
ولاشتوت بها عاما فأدركني
فيها المصيف فلي عن ذاك مرتحل
ولاشددت بها من خيمة طنبا
جاري بها الضب والحرباء والورل
لا الحزن مني برأي العين اعرفه
وليس يعرفني سهل ولاجبل

لاتشده بالارض صلة ولايشجيه من أنينها شاخص أو دارس ولايحن الى طلل سكبت عليه عبرات الزمن الراحل ولاتهزه الحجارة الكريمة التي تعرف اصحابها ولها في نفوسهم مابنفسها منهم فهي حجارة صلدة وانما حياة تتحرك فيها المروءة . فالحزن الذي يرافق الطلل والذي تعكسه صورته

---

(٥) أبو نواس . الديوان / ٦٩٨ . الغزالي .

لايعرفه لغربته عنه . والجبل أو السهل لاصلة له به .. وهنا تتجلى غربة ابي نواس مع نفسه وغربته مع حياته وغربته مع البيئة التي لم تفارق وجدان الشاعر العربي ولم تنفصل عن احساسه فكانت بضعة بكل نبض وجزء بكل مايعتمل في اعماقه ..

ومثل ابي نواس عبدالله بن أبي أمية الذي يوغل في الايذاء ويتجاوز المألوف وينعت الذين يقفون عندها بالجهل ويدعو الشعراء الى ترك الحديث عن دار ليلى أو الوقوف بدارسات الطلول أو الانتظار بالربع المحيل ...(٦)

دع دارسات الطلول — وكل ربع محيل
ولاتصف دار سلمى — ذرها لكل جهول
ولاتقل آل ليلى — قد آذنوا برحيل ....

فالصورة عند هذين الشاعرين وعند غيرهم من الشعراء كانت واحدة والأحساس مشتركا والنظرة الى ماوجد فيه الشاعر العربي صلة بالماضي لاتمس ماكان يستقر في ذات المولدين مما وجدوا أنفسهم في عالم لاتربطهم به روابط ولاتوثق صلتهم وشائج ولاتحرك هواجسهم أحاسيس .

وتبقى صرخة أبي نواس الشعوبية التي تبناها وعد من غلاتها لما جاهر به من قصائد وتبناه من أفكار تبقى هذه الصرخة دليلا لما ظل يتردد صداه في شعره ويجاهر به في اغراضه . وتؤكد قصيدته التي يقول فيها ..

عاج الشقي على دار يسائلها
وعجت أسأل عن خمارة البلد

(٦) ابن المعتز . طبقات الشعراء / ٣٢٣ .

لايرقىء اللـه عيني من بكى حجرا
ولاشفى وجد من يصبو الى وتـد
قالوا ذكرت ديار الحي من أسـد
لادر درك قل لي من بنو أسـد
ومن تميم ومن قيس واخوتهـم
ليس الاعاريب عند الله من أحـد

الى أن يقـول ...

كم بين من يشتري خمرا يلذ بهـا
وبين بـاك على نؤي ومنتضـد

وبنفس النفس يسخر أبو نواس من هذا التذكر الذاتي ليجد الحديث عن الخمرة اجدى من الوقوف والتبذل أفضل من الوفاء والانصراف الـى اللهو اجدى من الحنين الى الربع ..

قـل لمـن يبكي على رسـم درس
واقفـا مـاضرٌ لـو كان جلس
اتـرك الربـع وسلمى جانبـا
واصطبح كرخية مثل القبـس

ولم تأت هذه الخواطر مجردة عند أبي نؤاس أو غيره ولكنها فلسفـة قائمة لأن مديح الفرس والاشادة بهم وتعظيمهم ونعتهم ببني الاحرار ، كان صوتا آخر يرتفع ومكابرة اخرى تمتد على مرأى ومسمع وتغشى بيوت اللهو فيقول ..

بيلدة لم تصل كلب بها طنبا
الى خباء ولاعبس وذبيان
ليست لذهل ولاشيبانها وطنا
لكنها لبني الاحرار أوطان
أرض تبنى بها كسرى دساكره
فما بها من بني الرعناء انسان
وما بها من هشيم العرب عرفجة
ولابها من غذاء العرب حطبان

فالصورة التي يمكن أن يحددها نهج هذه الفئة من الشعراء كانت تعني تحللا من القيم الاجتماعية التي ظلت واضحة في سلوك الناس والاقبال على المتعة الذاتية التي تحقق لهم رغباتهم وتشبع طموحهم وتبعدهم عن البيئة التي كان المجتمع يرى فيها صورته والاديب يحس فيها وجوده والعالم يقرأ فيها معالم مايرغب الوقوف عليه من لغة سليمة ورواية موثقة وفكر أصيل ..

ولم تأت فكرة النزوع لاستبعاد صورة الطلل معزولة عن امتداد هذه الافكار التي كانت واجهات فكرية عميقة وظواهر أدبية اتخذت لنفسها هذا المنحى لاضعاف الامة من الداخل واسقاط قيمها الاخلاقية التي كانت عماد وجودها واضعاف المثل النموذجية التي عاشت في وجدانها واكتسبت من القداسة ما جعلها جوهرا لما اتصفت به من سماحة ومروءة وعرفت به من صدق وأمانة وتضحية ومسؤولية .

لقد وجدت هذه الفئة في بيئة الكوفة والبصرة مايترك لها عنان رغبتها فأنطلقت تمارس عبثها اللاهي ومجونها الخليع بكل ماأوتيت من اجهار في ارتكاب الاعمال المخلة بالآداب العامة والأعراف السائدة والتقاليد التي ظلت

تحكم هاتين البيئتين بلاحياء وتعلن مباذلها على مرأى من الناس بلا تستر واستغرقت الموضوعات الشعرية التي كانت تسرب هذا الضرب من الشعر وتتسلّل الى الاتجاهات التي تعبر عن الانحرافات النفسية والاجتماعية بما تراه مناسبا لها أو متفقا مع اغراضها أو معبرا عن سلوكها فكانت الخمريات مسوغا لتنظيمها مايدور في أذهانهم من معاني أو يرغبون في تمريره من افكار أو يرون له وجها اذا جاء في أوصافها متجاوزين المحرمات التي التزم بها المجتمع وعازفين عن النواهي التي وجد فيها المؤمنون اخلاصا لعقيدتهم ووفاء لدينهم وحفاظا على نقاء اسلامهم وصفاء نفوسهم •

وعلى الرغم من أن بروكلمان يشير الى ان مرداس بن خذام الأسدي الكوفي كان أول من انحرف بأشعار الغزل الى المجون بعد أن شبب بزوجته وكانت فارسية من الري"(٧) الا ان المسألة تأخذ أبعادا أخرى لأن الظواهر لايمكن أن تبدأ كاملة أو تتضح وهي ظاهرة جلية دون أن تكون لها من البدايات مايهيىء لها المناخ المناسب ويدفع بأصحابها الى أن يجاهروا بما أنفقوا عليه أو يعلنوا عن هذا الانحراف دون مقدمات ومع هذا فأن بيئة الكوفة والبصرة كانت مهيأة لمثل هذه التيارات التي اتخذت مديات أبعد في القرن الثاني الهجري بعد أن انتشرت مذاهب الغلاة واتسعت أبواب الأدب الذي انتقل الى هذين المصرين من بلاد فارس فكان لها تأثير في دفع تيار الادب الماجن واغراق المجتمع بالادب المكشوف الذي تداولته ايدي المترجمين وبعد أن قيض للغلاة أن يتبنّوا المعتقدات الغريبة والمذاهب الباطنية وكل الحركات التي تجد في الاسلام دينا يناقض مانشأوا عليه وفي العرب أمة تحمل رسالة التوحيد لايبطنون لها الا الحقد وبالعربية لغة القرآن الكريم لغة دين وثقافة وتشريع وحضارة ولايرون فيها تعبيرا عن احساسهم ، وليس

(٧) بروكلمن . تاريخ الادب العربي : ٢٠٣/١ .

غريبا بعد هذا أن تكون الزندقة في القرن الثاني الهجري والتي ازدهرت في الكوفة والبصرة أن تكون موجهة وفي هذه المرحلة وفي هاتين البيئتين الى التقليل من شأن العرب والسخط عليهم واستهجان عاداتهم والاستخفاف بقيمهم وحضارتهم واخلاقهم والمجاهرة بعدائها للأسلام وقد اتخذت وسائلها مما تفشى من فلسفات وانتشر من مذاهب ووجدت في التشكيك ـ وهو ليس حالة طارئة ـ بداية لزعزعة القيم واضعاف الثقة وتركيز حالة الاحباط • وليس من الضروري أن تكون عناصر الزندقة من غير العرب لأن اتفاق التيارات المناهضة للدولة وتوحد الاهداف التي تجمع كل الحاقدين عليهم والساعين الى اسقاط دولتهم ، كانت تبعد هذا التصور وتؤشر الحالات التي كانت غاياتها أبعد وربما وجد بعض العرب ممن امتلأت قلوبهم بالحقد وانتفخت اوداجهم من الضغينة في تلك الفئات ـ كما وقع فعلا ـ قوى تخدم مصالحها وتقوي موقفها وتساهم في الاندفاع معها لتحقيق ماكانت تريده • وقد جاءت المصادر على ذكر اسماء عربية كان لها ضلع في دعم هذه التيارات مما حمل الخليفة المهدي على مطاردتها والتنكيل بها والقضاء عليها واذا كانت بعض العناصر غير العربية قد اتخذت الاسلام دينا ظاهرا تمارس من خلاله دعواها السرية وتدعو الى المانوية أو الزرادشتية فأن الباطنية عند هذه الفئات كانت مدعاة للشك وتبقى مقولة الشريف المرتضى في حق هؤلاء صورة لما كانوا يظهرونه وما كانوا يبطنونه ••

هؤلاء جماعة ممن يتستر بأظهار الاسلام ويحقن (بأظهار شعاره والدخول في جملة أهله) دمه وماله ، زنادقة ملحدون ، وكفار مشركون ، فمنعهم عز الاسلام عن المظاهرة والمجاهرة ، والجأهم خوف القتل الى المساترة • وبلية هؤلاء على الاسلام وأهله أعظم وأغلظ ،لأنهم يدخلون في الدين ويموهون على المستضعفين بجأش رابط ، ورأي جامع ، فعل من قد

أمن الوحشة ، ووثق بالأنسة بما يظهره من لباس الدين الذي هو منه على الحقيقة عار ، ويأتوا به غير متوار[8] .

وتكاد تجمع المصادر التي عرضت لبدايات الزندقة أن عبدالله بن المقفع هو الرأس المدبر والفكر الموجه لهذه الحركة بما كتبه وماألفه وتستدل على هذه الحقيقة من خلاصة ماوقفنا عليه وهي تتابع عقيدته فهولايؤمن بالله ولايقيم وزنا للاسلام وانه يدين بالمانوية ... والذي يمكن أن نستنتجه مما وقفنا عليه أن الباطنية كانت فكرة تكاد تغلب على كل المناوئين لأن أصحابها يضمرون مايؤمنون به ويعملون على تثبيته ويتخذون من الاسلام ستارا يحمون به اوكارهم ويحفظون لاتباعهم مايمكن أن يتعرضوا له وقد أدى ذلك الى اتساع نشاطهم على المستوى الرسمي بعد أن وجدوا في البرامكة انصارا وفي غيرهم من الرؤس مظلات يحتمون بها وان الاسترسال وراء تلك الدعاوى يرسم الصورة الكبيرة التي كانت تحيط بالواقع ويحدد الاطار العام الذي أوشك أن يطوي بساط الدولة العربية .

لقد امتدت آثار وظهور الفرق وانخراط الآلاف من الموالي تحت راية الغلاة والحركات المتطرفة ، وماكانت تضمره للاسلام والى الشعر وأصبحت قصائد هذا النفر من الشعراء شعارات يلوح بها وتعليمات يروج لها وتثقيفا لمن يجد في نفسه قدرة على أن يكون في صفوف هذه الحركات المناوئة ، ولم تكن أوصاف هؤلاء الشعراء خافية على المؤرخين فأبو دلامة كان فاسد الدين رديء المذهب مرتكبا للمحارم مضيعا للفروض وجاهرا بذلك كما يقول أبو الفرج[9] .

وكان خليعا ماجنا اعتاد حانات الخمارين والخلعاء والمجان ويتقلب في

---

(8) المرتضى . الامالي : ١٢٧/١ . (9) ابو الفرج . الاغاني : ٢٥٦ .

حانات الخمارين بسواد الكوفة كما يقول ابن المعتز[١٠] . وبشار خبث دينه وكان على دين كسرى[١١] وكان يرمى بالزندقة والحمادون الثلاثة يرمـون بالزندقة[١٢] ولوالبة في المجون والفتك والخلاعة ماليس لأحد[١٣] فهو ماجن خليع مايبالي بما يقول وما يصنع[١٤] وكان مطيع بن إياس أحـد الخلعـاء المجان[١٥] وأبو الهندي خبيث السكر يشرب على قارعة الطريق[١٦] والبطين فاسق معلنا بفسقه[١٧] والحسين بن الضحاك كثير المجون[١٨] . وكثيرا ماكان الاتفاق يتم بين مجموعة من الشعراء على أن يستفرغـوا في صفـة الخمر أشعارهم حتى يبقوا على ذلك حتى الموت كما اجتمع أبو السفاح الانصاري وعبدالله بن رضا واسماعيل بن يوسف وهم من الخلعاء المجان[١٩] وأخبارهذه المجموعة وغيرها تملأ كتاب الاغاني وغيره من كتب التراجم التي فاضت بذكر أخبارهم وتوسعت في الحديث عن مباذلهم وما ارتكبوه من آثام وتجاوزوه من محارم حتى أوشـك العصر أن يصطبغ بهـذه الصبغة ويطبع بهذا اللون الماجـن وخالفوه من تقاليد وأصروا عليه من مجاهرة لكل ماهو خارج على الاعراف .. وتؤشر عليه علامات كبيرة حاولت أن تفقده رونقه الحضاري لتطمس معالمه الفكرية وتذهب عن وجهه جهود علمائه ومفكريه وفلاسفته ومثقفيه وأدبائه وشعرائه واعلامه .

(١٠) ابن المعتز . طبقات الشعراء ٦٠ ـ ٦١ .
(١١) ابن المعتز . طبقات الشعراء /٢٣ .
(١٢) ابن المعتز . طبقات الشعراء /٦٩ .
(١٣) ابن المعتز . طبقات الشعراء /٨٨ .
(١٤) ابن المعتز . طبقات الشعراء /٨٩ .
(١٥) ابن المعتز . طبقات الشعراء /٩٦ .
(١٦) ابن المعتز . طبقات الشعراء /١٣٦ .
(١٧) ابن المعتز . طبقات الشعراء /٢٤٨ .
(١٨) ابن المعتز . طبقات الشعراء /٢٧١ .
(١٩) ابن المعتز . طبقات الشعراء /٣٣٩ .

ومنقذ بن عبد الرحمن كان خليعا ماجنا متهما في ذمته يرمى بالزندقة وابراهيم بن سيابة الشاعر كان يرمى بالزندقة ، واسحاق بن خلف وسلم الخاسر وعلي بن ثابت ورمى بها كثرة من الشعراء الذين اسرفوا في هذا التيار وغالوا في حديثهم عن المجون وأصبحوا يمثلون اتجاها واضحا ومجموعة من الشعراء التي تبشر به وتحمل افكاره وتجاهر به في كل مجلس .

ومهما تكن مبررات التفسير التي لحقت بهؤلاء الشعراء وماذهب اليه الباحثون بشأن مذاهبهم التي ذهبوا اليها أو معتقداتهم التي بشروا بها أو أساليبهم الكلامية التي استخدموها فان الحقيقة التي تظل ملازمةلأفكارهم تؤكد انغماسهم في مباذل المجون وخضوعهم لتيارات العبث وانهم من خلال تلك المباذل وما أشاعوه كانوا يعبرون عن معتقداتهم التي تخالف القيم الاسلامية وتدعو الى الاباحية والالحاد وفي اطار هذه المادية المحسوسة التي استغرقت حياتهم واستقرت في وجودهم وأصبحت أهدافا مشتركة لهذه الفئة تبشر بها وتنشر مبادءها تتضح أركان الزندقة التي أصبحت سمة لهم يعرفون بها واذا جاز لنا أن نتحدث عن الآثار التي تتركها الزندقة في كل جانب من جوانب الحياة قلنا أن هناك زندقة اجتماعية تناولت تهديم العلاقات واباحة المحرمات وارتكاب المعاصي . وهناك زندقة دينية توجهت الى اضعاف دعائم الدين والتقليل من شأن اركان العبادة والاستخفاف بأمور الشريعة وافكار البعث والقيامة وكل ماجاء به الاسلام ، وهناك زندقة أدبية وجدت في الأدب قنوات انتشارها وفي اغراض الشعر أسباب تسربت لما كانت تمرره من شعر عابث وأدب ماض وتهتك فاضح على ان الهدف العام الذي يحرك هذه المجاميع كان يتسع لكل مايسيء الى الامة ويسعى الى

اسقاط دورها التاريخي واضعاف قدرتها على مواجهته مايبيت لها على يد هؤلاء أو على يد غيرهم ممن حملوا راية التمرد المسلح أو الدعوة الى اسقاط الخلافة وتمزيق الدولة .

وقد حاولت أن اتجنب الابيات التي مثلت هذه الانواع من الزندقة لما أشعر به من حراجة في الكتابة أو القراءة وما توحي به من مخالفة للشريعة ومجانبة للدين وتجاوز على كل معتقد ..



العرب والمحيط الهندي في العصور الاسلامية الوسطى

الدكتور علي محمد الميّاح
(عضو المجمع)

مقدمة :

لم تكن علاقة العرب باحداث المحيط الهندي سلبية طوال تاريخ صلتهم به ، بل انهم على نقيض ذلك ، جعلوا من مياهه وسيلة لنقل الايمان والخير والاستقرار الى شعوبه . وظلوا سادة فيه طوال سبعة قرون متواصلة شهدت فيه شعوب هذا المحيط أمناً ورخاءً انحسرت خلالها عن تلك الشعوب كل نوازع العدوان والتسلط الأجنبي . واذا كانت بعض ثوابت المحيط الهندي لاتزال تحتفظ بخصائصها موقعاً وأرضاً ومناخاً ، فإنّ وظائفها خضعت لتغيرات مستمرة ارتبطت بتغير مصادر الثروة ، وتباين مواقعها ، وتغير الاوضاع السياسية ، واختلاف مواقع الكثافة السكانية ، ودرجة تركزها ، وتعدد مراكز القوى وتضارب مصالحها ، إضافة الى التطور التقني الذي أوجد أوضاعاً جديدة . ان هذه الحقائق مجتمعة تحدث متغيرات لها صلتها بعلاقة العرب في هذا المحيط . ولكن البحث سيقتصر على ابراز بعض ما كان عليه الحال في العصور الاسلامية الوسطى . وهذه تكون مشكلة يحاول هذا البحث ان ينهض بها ويتقصّى ملامحها العامة . وهي مهمة علمية تقتضي ضروراتها الاولية عرض جغرافية هذا المحيط بصورة عامة توضح بعض الجوانب الاساسية التى لها صلة بموضوع البحث .

المحيط الهندي :

تأتي تسمية هذا المحيط متباينـة في تراثنـا العلمي العربي ، إذ يقول البيروني (وهذا البحر يسمى في اكثر الاحوال باسم مافيه أو ما يحاذيه ونحن نحتاج الى ما يحاذي أرض الهند فيسمى بهم)(١) . ولذلك فهو البحر الحبشي عند المسعودي(٢) ، والبحر الصيني كما يسميه المقدسي(٣) ، في حين يذهب شيخ الربوة الى تسميته بالبحر المحيط الجنوبي(٤) . ولم يكتب عن تاريخ هذا المحيط رغم اهميته سوى النزر القليل . وهو تاريخ كان للعرب شأن كبير في أحداثه وتفاصيل حضارته .

تبلغ مساحة المحيط الهندي ٢٨ مليون ميل مربع بما في ذلك بحاره وخلجانه . ويعتبر البعض البحر الأحمر والخليج العربي وخليج البنغال أجزاءً منه(٥) . وهذه حقيقة ذكرها علماء العرب في كتب التراث وأوردها المسعودي ، كما نص عليها النويري وهو يتحدث عنه حيث يقول (ويخرج

(١) ابو الريحان محمد بن أحمد البيروني (ت ٤٤٠) ، تحقيق ما للهند من مقولة ، مطبعة مجلس دائـرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، ١٣٧٧هـ /١٩٥٨م ، ص ١٥٧ .

(٢) ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦هـ) ، التنبية والاشراف ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨٦م ، ص ٦٢ .

(٣) شمس الدين ابو عبد الله محمد بن أحمد بن ابى بكر البناء الشامي المقدسي المعروف بالبشاري (ت ٣٨٠هـ) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ليدن ، مطبعة بريل ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٧ ، ص ١٢ .

(٤) شيخ الربـوة شمس الديـن ابو عبد اللـه بـن ابي طالـب الصوفي الدمشقي (ت ٧٢٧هـ) نخبة الدهـر في عجائـب البـر والبحـر ، أوتو هارسو فيتز ، لايبزك ، ١٩٢٨م ، ص ١٤٨ .

(٥) William W. Jeffries edt., Geography and National Power, George Banta Co., Menasha, Wisconson, 4th edition, 1967, P. 149.

من هذا البحر خليجان أحدهما بحر القلزم والآخر بحر العرب)[٦] • وعليه فهو أصغر المحيطات الكبرى في العالم مساحة • ويكاد يأخذ المحيط شكل مُعَيَّن هندسي تمثل القارة القطبية الجنوبية ضلعه الجنوبي ، في حين تكوّن شبه جزيرة الهند وشبه جزيرة العرب ضلعه الشمالي • ويمثل ضلعه الشرقي مجموعة جزر اندونيسيا وقارة استراليا • ويمتد ضلعه الغربي بمحاذاة ساحل افريقيا الشرقي • (خريطة ١) •

وتنحصر أوسع جهاته بين خطي طول (٤٠°) غرباً و (١١٠°) شرقاً ، وبين القارة القطبية الجنوبية ودائرة عرض (٣٠°) شمالاً • وهذا موقع فلكي يضع أكبر مساحاته على مقربة من خط الاستواء ، ويجعل مياهه دافئة صالحة للملاحة طول العام • وهي مياه عميقة يبلغ معدل عمقها حوالي (٣٨٧٣) متراً[٧] • وهكذا تتمتع السفن المحيطيّة فيه بحركة ملاحية حرة ، وتستطيع ان تتخطى المناطق الضحلة أو الحواجز المرجانية التي تكتنف بعض سواحله • وليس في هذا المحيط تيارات محيطية تعيق الملاحة ، ولا تجتاحه عواصف شديدة تعرض السفن لخطر الضياع ، الا مايحدث نادراً في بعض جهاته الشمالية الشرقية في فصل الصيف •

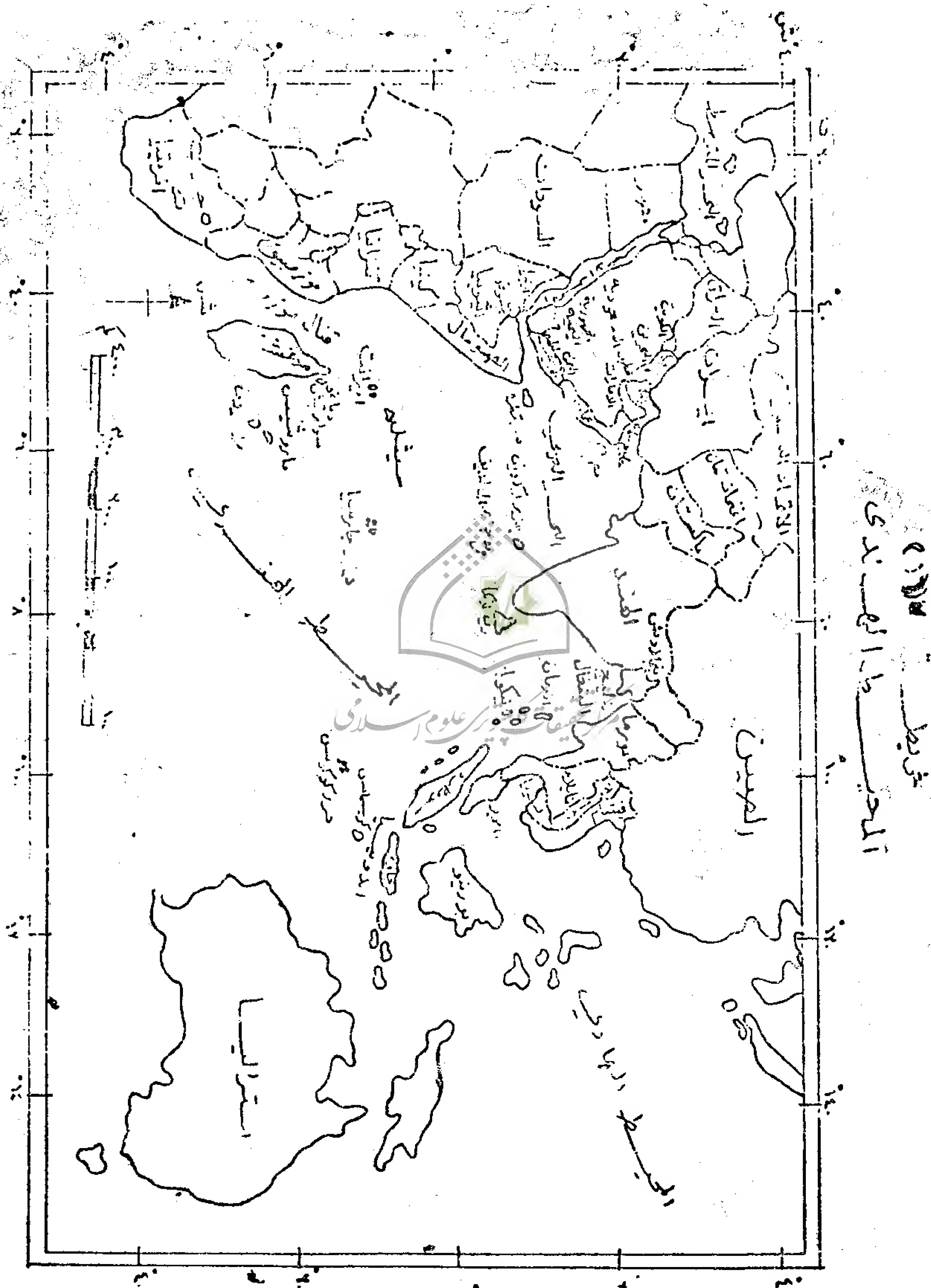
وتنتشر في هذا المحيط كثير من الجزر تنتظم في مجموعات واضحة في الجنوب والوسط والشمال • واذا تركنا مجموعة الجزر الجنوبية جانباً لقلة

---

(٦) شهاب‌الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري (ت ٧٣٣هـ) نهاية الأرب في فنون الأدب ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، السفر الاول ، ط ٢ ، ١٩٢٩م ، ص ٢٣٣ .

(٧)

R. Sengupta and S. Z. Qasim, An Environmental Overview, in the Sharma edt., The Ocean Realities and Prospects, Rajesh Publications, New Delhi, 1985, P. 9.



سكانها وموقعها القصي عن مراكز النشاط الملاحي والاحداث التاريخية المهمة ، فان المجموعة الوسطى تشمل جزيرة مدغشقر وجزيرة ماروشيس وأرخبيل تشاكوس وجزر كوكس • وجزيرة مدغشقر اكبر جزر المحيط الهندي ويفصلها عن ساحل موزمبيق قنال عرضه (٥٠) ميلاً • وتعتبر مجموعة جزر كوكس محطة تقع على الطريق الملاحي الذي يربط بين الهند واستراليا • أما المجموعة الشمالية فتكونها جزر كثيرة أهمها جاوة وسومطرة وأرخبيل أندمان وسري لانكا وجزر لاكديف و مالديف • وهذه اكثر مجموعات جزر المحيط الهندي أهميته لموقعها القريب من اليابس الاسيوي ولارتباطها به من الناحية البشرية والاقتصادية إضافة الى أهميتها السوقية • وكانت للعرب مراكز استقرار فيها او صلات تجارية معها • وتتحكم هذه الجزر بالممرات والمضايق التي تربط المحيط الهندي ببقية المحيطات ، وتكون جزءاً من المنطقة الجزرية الهلالية التي تحيط بقارة آسيا ، وقلاعاً دفاعية خارجية[٨] •

وللمحيط الهندي ممرات كثيرة تتحكم بمداخله أهمها من الناحية الغربية ، رأس الرجاء الصالح وقناة السويس وباب المندب ومضيق هرمز • واذا استثنيا الممر الاول فان بقية مضايقه في هذه الجهة تقع في الأرض العربية • وتعد مضايق ملقا أهم مداخله من الناحية الشرقية • وللانهار القابلة للملاحة أهمية خاصة على الصعيدين الاقتصادي والعسكري • فهي من ناحية ، تمهد طريق نقل رخيص يتعمق في اليابسة وييسر استيراد نواقص الحاجات وتصدير فائض المواد والسلع • وتقع الانهار ، من ناحية اخرى ، تحت رحمة الاسطول وتصبح بذلك من متطلبات السيطرة على المحيط والتحكم فيه •

(٨) William W. Jeffries editor, Geography and National Power, op. cit., PP. 150 — 151.

ويستمد المحيط الهندي أهميته من غنى المناطق التي تحاذيه بثرواتها الزراعية والمعدنية •

هذا الموقع الجغرافي وسط ثراء عريض وحركة ملاحية طليقة طوال العام ، جعلت من المحيط الهندى ـ منذ القدم ـ مركز احتكاك بشري ، تارة يتسم بتبادل حضارى سلمي ، وتارة يتحول الى صدام مسلح • ويزخر التاريخ بوقائع تنافس الدول القريبة منه والبعيدة عنه للحصول على نصيب من هذا الثراء والاستحواذ على موضع قدم فيه • بل ان تضارب المصالح الاستعمارية في المحيط الهندي أدت الى كثير من الحروب بين الدول الاروبية بعيداً عن ساحته • إن هذه الخصائص التي يتميز بها هذا المحيط سواء أكانت طبيعية أم اقتصادية ، فضلا عن حقائق الجوار الجغرافي التي وضعت مناطق واسعة من الأرض العربية على صلة به ، تركت آثارها على نشاط العرب فيه وأمنهم القومي ، منذ اقدم العصور التاريخية • وهي صلات تنجت عنها ظواهر متباينة ، سيرد ذكر تفاصيلها في تضاعيف البحث •

ترتبط الأرض العربية بالمحيط الهندي ارتباطاً وثيقاً لاانفصام فيه • ويبرز ذلك الارتباط في ناحيتين هما :

١ ـ الجوار الجغرافي المباشر حيث تطل الأرض العربية بسواحل طويلة على المحيط ذاته وعلى مايتفرع منه من بحار وخلجان ولاسيما البحر العربي والخليج العربي والبحر الاحمر • إذ يبلغ طول السواحل العربية على المحيط الهندي ٧١٠٠ (كم) ، وطولها على البحر الاحمر ٥٥٢٠ (كم) بينما يصل طولها على الخليج العربي الى ١٠٨٩ (كم) • وتظهر آثار العرب واضحة على جبهات المحيط التي تجاور الأرض العربية حتى اقتبست تسمياتها منها مثل خليج عدن وخليج عمان والبحر العربي • وهي تسميات تعكس صلة ايجابية بين العرب والمحيط كما تعكس مؤثراتهم الحضارية في مختلف جهاته • وهي تسميات تحمل في

طياتها ، دون شك ، قوة الامة العربية ومكانتها المتقدمة على المستوى الدولي .

٢ ــ صلة عبر مباشرة تبرز من موقع الأرض العربية بين البحر المتوسط والمحيط الهندي . هذا الشريط الذي يمتد من سواحل فلسطين الى البصرة من شمال الخليج العربي ، كان ولايزال من أهم الممرات السوقية البرية التى تربط بينهما . إذ من السهل نسبياً المرور من الخليج العربي الى البحر المتوسط عبر نهر الفرات ووادي نهر العاصي ، بين جبال لبنان الشرقية والغربية ، ونهر الليطاني وأعالي نهر الأردن ومن ثَمَّ سهل مرج بني عامر مروراً بمجدّو . ويحدثنا التاريخ ان الموقع كان مسلكاً لسير القوافل أو مكاناً لتجمع الجيوش ، حيث يمكن الوصول من هذا السهل الى مصر عبر شريط صحراوي ضيق . ومعنى هذا القول ان وظيفة دجلة والفرات لاتنحصر فيما يحملان من ماء فيه كل الخير والنماء لسكان واديهما ، وانما يكونان من الناحية الاقتصادية والعسكرية طرقاً مهمة للحركة .

لقد كتب مولتكه ، القائد الألماني المعروف ، لصديق يبين له أهمية هذا الطريق قائلاً : (يصل الفرات اقصى نقاطه الغربية عند مدينة Rumkela « بيرجك الحالية » . وهي مدينة قطعت من الصخر . وكانت سابقاً موقعاً لقلعة زويجما Zeugma الرومانية . وكان على الفرات عند هذه المدينة جسر للعبور في الأزمنة القديمة . ولعل هذا هو السبب الذي حمل الرومان على إقامة مستعمرة لهم في مكان مثل هذا يستحيل المرور عبره . وفي ليلة سطعت نجومها وقفت وسط خرائب زويجما . وكان الفرات في الاسفل يتلألأ وهو يجري في وادٍ صخري ضيق . وكانت سكينة الليل تسود المكان لايعكر صفوها سوى خرير ماء الفرات . هنا مرت أمامي ، في ضوء القمر ، أطياف الاسكندر وزينفون وجوليان . كل هؤلاء نظروا من هذه البقعة الصخرية الى الأرض الممتدة عبر النهر ، بقعة لم يستطع الوقت ولا الطبيعة

من تغيير معالمها)[٩] • وكانت الرسائل التى كتبها مولتكه عن تركيا ووادي الرافدين مهمة جداً من الناحية العسكرية بحيث ان اللورد ولزلي Wolseley قرأها وهو في الخنادق يحارب على جبهة سواستيبول[١٠] •. وهذا يعني ان شريط اليابس الممتد من الخليج العربي الى البحر المتوسط يكون إقليماً متصلاً ، يسند بعضه بعضاً ، ويترك آثاراً أمنية متبادلة • ولعل تفريع الموضوع في هذه المرحلة من البحث ييسر مناقشته وذكر تفاصيله •

مرحلة الاستقرار والأمن

تتميز السواحل العربية المطلة على المحيط الهندي والبحار والخلجان المتفرعة منه بدفء مياهها وقلة اضطرابها طول العام ، فضلاً عن كثرة خلجانها واخوارها • وهذه عوامل اساسية تتيح ظروفاً ملائمة جداً لحركة ملاحية حرة • وقد ساعدت هذه الظروف المثالية نسبياً في تطور أول مدرسة ملاحية عرفها التاريخ على سواحل الخليج العربي • ونقل الفينيقيون ، وهم في الأصل من عرب الخليج ، مهارتهم في ركوب البحر الى البحر المتوسط وأقاموا على سواحله الشرقية دولة تجارية بحرية لها مكانتها في التاريخ ، ابتداء من سنة (١٦٠٠) ق• م• [١١] وكانت لهم مراكز تجارية حصينة انتشرت على سواحل البحر المتوسط ، في مالطا ومرسيليا وصقلية وعلى ضفاف نهر الوادي الكبير

---

(٩) T. Miller Maguire, Outlines of Military Geography, Cambridge, University Press, 1900, P. 286.

(١٠) Ibid., P. 10.

(١١) John R. Spears, Master Mariners, London, William and Norgate, Year — , P. 10.

وقادس . كما انهم انشأوا مدينة قرطاجنة . وبذلك تحول البحر المتوسط على ايديهم من ساحة مائية حاجزة الى طريق عام يربط بين قارة اسيا وأوربا وأفريقيا .

ولم يدم الحال على ما هو عليه فقد برزت روما قوة في البحر المتوسط تحاول ان تمد نفوذها الى مناطق بعيدة ، بما في ذلك شبه جزيرة العرب وسواحلها المطلة على المحيط الهندي . إذ تذكر المصادر التاريخية ان أوكتافيوس أغسطس لما فرغ من الاستيلاء على مصر ، وجعلها تابعة لحكم قياصرة روما ، أوعز الى حاكم مصر أوليوس غالوس بغزو شبه جزيرة العرب للاستيلاء على ثروتها العظيمة ، التي اشتهرت بها من الاتجار بالمرّ واللبان والبخور والأفاويه ، فضلا عن ضمان مصالح روما في ذلك الجزء من العالم . وجعل البحر الأحمر بحراً رومانياً[١٢] . وكان للصمغ الظفاري اسواق في سورية ومصر ، كما كانت تجارته من أسباب رخاء سكان شبه جزيرة العرب[١٣] . وبدأت الحملة العدوانية سنة (٢٤) ق.م من سواحل مصر على البحر الأحمر . وكان عدد الجند حوالي عشرة آلاف نقلوا على ظهر (١٣٠) سفينة ، رست بهم في ميناء (لويكة كومة) ، وهو ميناء ينبع او الحوراء على ساحل الحجاز . وقطعت الحملة (٩٠٠) ميل . الا أن سوء تقدير الرومان واستهانتهم بطبيعة شبه جزيرة العرب وجهلهم قساوة البيئة في داخليتها وعدم تمكن الجيوش النظامية من المحاربة فيها ، تحت وطأة عطش شديد ، أرغمت الجيش الروماني على التراجع بعد أن هلك معظم أفراده وأصيبت مطامع روما

(١٢) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، سنة ١٩٧٧ ، ج ٢ ، ص ٤٣ .

(١٣) ولفريد ثيسجر ، رمال العرب ، ترجمة نجدة هاجر وابراهيم عبد الستار ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ، ط ١ ، سنة ١٩٦٦ ، ص ٤٤ .

والمشاريع التي رسمتها وأرادت أن تحققها في شبه جزيرة العرب بنكسة كبيرة •

يدل هذا الحدث على ما يأتي :

ا ـ ان الحفاظ على الأمن القومي في البحر المتوسط وحدة لاتنفصم عن أمنه في منطقة المحيط الهندي • ولاسيما ان المسافة بين بحر القلزم (البحر الاحمر) وبين بحر الروم (المتوسط) على سمت الفرما أربع مراحل(١٤) •

ب ـ ان العدوان الروماني كان يهدد الأمن القومي من الناحية العسكرية والاقتصادية في آن واحد • إذ يحقق للرومان مواضع سوقية على أرض الجزيرة وسواحلها ويسلب العرب بعض مصادر ثروتهم وغناهم وقوتهم •

جـ ـ ان سعة الأرض العربية وعمقها السوقي يعدان عاملين مهمين في صد العدوان وكسر شوكة المعتدي • فالمداخل الخلفية العربية ، حيث يقل السكان وتسود ظروف البيئة الصحراوية ، كانت ، ولا تزال ، سبيلا وعرا لايستطيع الاعداء اختراقه •

د ـ ان قوات العدو المحمولة بحرا تتعرض لمصاعب إدارية جسيمة كلما بعدت عن قواعد إمدادها الرئيسة ، مما يعرضها لهزيمة منكرة ، إذا ما حاولت التوغل في عمق الأرض العربية •

لقد أقام العرب على ساحل الخليج العربي منذ أقدم الأزمنة قلاعاً حصينة، عند مدخله وعلى طول سواحله الشرقية ، حفاظاً على أمن موطنهم وحماية

(١٤) ابو إسحق ابراهيم بن محمد الاصطخري المعروف بالكرخي ، (النصف الاول من القرن الرابع الهجري) المسالك والممالك ، ليدن ، مطبعة بريل ، ١٩٦٧م ، ص ٧ .

لنشاطهم التجاري . وكانت هذه القلاع تمثل خط الدفاع الأمامي لصد عدوان المعتدين . وكان لهم من العدة والبأس والقوة بالرجال والدواب والكراع ما يصعب على أحد أمرهم ، إذا أراد تحيّفهم وتهضّمهم . واكثرهم من ولد كرد بن مُرد بن عمرو بن عامر (١٥) . ومن هؤلاء آل عُمارة ويعرفون بآل الجُلَندى . وبني الجلندى ابن كركر من القبائل اليمانية وكانت لهم مملكة عريضة وضياع كثيرة وقلاع على سيف البحر قبل عهد موسى (ع) وهم قوم من أزد اليمن(١٦) . ويقول صاحب كتاب الأكليل لما تفرقت الأزد بعد خراب سد مأرب ، نزلت فرقة منها عمان فقيل لهم أزد عمان ، وفرقة نزلت السراة ، وهو موضع باطراف اليمن مما يلي عسير ، أو أزد شنوءة وهم أيضاً بالسراة ، ولهم بقية الى يوم الناس هذا(١٧) . وكانت لهم قلعة في البحر لايقدر أحد أن يرتقي اليها إلا أن يُرقى بشيء من البَحْر . وهي مرصد لآل عمارة في البحر تنسب الى الجُلَنْدى بن كنعان(١٨) .

وتختلف ظروف واسباب انتشار العرب في المحيط الهندي اختلافاً ظاهراً يمكن الحديث عن تفاصيله ، على النحو الآتي :

ا ــ انتشارهم في شرق المحيط الهندي :

للعرب نصيب وافر في أحداث المحيط الهندي وتاريخه . فقد أتاحت لهم معرفتهم بفنون الملاحة ومسالك البحر وعلم الفلك مكانة رفيعة فيه ،

(١٥) ابو القاسم بن حوقل النصيبي ، (النصف الثاني من القرن الرابع الهجري) ، صورة الارض ، بيروت ، مكتبة الحياة ، ص ٢٤٠ .
(١٦) الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص ١١٦ ــ ١١٧ .
(١٧) ابو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني . (ت ٣٥٠هـ) ، كتاب الأكليل للسان اليمن ، حققه وعلق عليه محمد بن علي الاكوع ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٧ ، ج ١ ، ص ٢٨٠ .
(١٨) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٢٤١ .

وازدهرت تجارتهم البحرية وأحاطوا بكل متطلبات نموها وتطورها . ويتحدث المقدسي عن مهارتهم الملاحية وتكامل أوجه نشاطهم البحري فيقول : (صاحبت مشايخ فيه ولدوا ونشأوا ربّانيين وأشاتمة * ورياضيين ووكلاء وتجّار ، ورأيتهم أبصر الناس به وبمراسيه وأرياحه وجزائره ، فسألتهم عنه وعن أسبابه وحدوده ورأيت معهم دفاتر في ذلك يتدارسونها ويعوّلون عليها ويعملون فيها)[١٩] . وكانت للعرب صلات تجارية واسعة في أرجاء المحيط الهندي قبل ظهور الاسلام . وتذكر المراجع التأريخية ان اكثر ثراء العربية الجنوبية من التجارة البرية والتجارة البحرية والاتجار بالمواد الناتجة في شبه جزيرة العرب ذاتها ، والاتجار بالمواد المستوردة من الخارج ولاسيما من السواحل الافريقية والهند[٢٠] . ويبدو أن انتشارهم الواسع وازدهار تجارتهم في انحائه بدأ في القرن الاول للهجرة . وان العرب وصلوا الى جزر الهند الشرقية ، لاسيما جزيرة سومطرة ، في وقت مبكر من القرن الاول الهجري حيث استقرت ناقلتهم في الساحل الغربي من هذه الجزيرة . ويذكر النويري أن في جهة المشرق مما يلي بلاد الصين ست جزائر تسمى جزائر السيلي (سيليبس)** يقال ان ساكنيها قوم من العرب هاجروا اليها أيام الأمويين[٢١] . كما يذكر ان سفنهم كانت تصل ميناء لوقين (هانوي) أول مرافىء الصين ، وخانقو (كانتون) فرضة الصين العظمى[٢٢] .

(*) أشاتمة ، تعني الربابنة .
(١٩) المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ص ١٠ .
(٢٠) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٧ ، ص ٢٦٢ .
(**) سيليبس — من مجموعة الجزر الخارجية في اندونيسيا الواقعة في الجزء الشرقي منها . يتركز سكانها في شبه الجزيرة الشمالية واهم مدنها (مكسر) . ويزاول سكانها صيد الاسماك ، وجمع جوز الهند ، كما يعدّن القصدير فيها .
(٢١) النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ص ٢٢٠ .
(٢٢) المصدر نفسه ، ص ٢٣٠ .

ويذكر المقدسي تفاصيل السلع والبضائع التجارية المتبادلة فاذا هي : (آلات الصيادلة والعطر كلّه حتى المسك والزعفران والبقم والساج والساسم والعاج واللؤلؤ والديباج والجزع واليواقيت والأبنوس والنارجيل والقند والاسكندروس والصبر والحديد والرصاص والخيزران والغضار والصندل والبلّور والفلفل وغير ذلك . وتزيد عدن بالعنبر والشروب والدرق والحبشي والخدم وجلود النمور ... وبتجارات الصين تضرب الأمثال) (٢٣) .

وتطورت بفضل هذه التجارة المتنوعة الواسعة كثير من الموانىء على طول السواحل العربية ، وظهرت في مواضع سوقية تطل على المحيط الهندي والخليج العربي والبحر الاحمر لتوفير مستلزمات هذه التجارة وتقديم أسباب نموها وازدهارها . ومن أهم هذه الموانىء ما يأتي :

١ ـ البصرة :

وهي من أقدم موانىء الخليج العربي وإحدى أمّهات مدن العراق الشهيرة الذكر في الآفاق الفسيحة الأرجاء (٢٤) . وقد ساعدت عدة عوامل مجتمعة لجعل موقعها ذا أهمية خاصة . فبالاضافة الى موقعها السوقي المتقدم لصد خطر الفرس وعدوانهم المستمر على الأرض العربية ، فهي موضع التقاء عدة طرق بحرية وبرية . أو كما يقول ابن بطوطة هي مجمع البحرين الأجاج والعذب(٢٥) . إذ تقع البصرة عند الطرف الشمالي للخليج العربي . وإليها ينتهي ، أو يبدأ منها ، الطريق السوقي الرئيسي الذي يربط بين المحيط الهندي والبحر المتوسط عبر دجلة والفرات كما ورد ذكره . وينتهي عندها ايضاً

---

(٢٣) المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ص ٩٧ .

(٢٤) أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن ابراهيم اللواتي ثم الطنجي ، المعروف بابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، دار التراث ، بيروت ، ١٩٦٨م ، ص ١٨١

(٢٥) المصدر نفسه ، ص ١٨١ .

طريق رئيسي آخر يبدأ من اليمامة في قلب جزيرة العرب ماراً بالنبّاج وكاظمة . أي ان البصرة كانت مركزاً رئيسياً لتوزيع تجاري (entrepot) يشمل تجارة الصين والهند وشرق افريقيا ، من ناحية ، وتجارة شبه الجزيرة العربية وأوربا والبحر المتوسط من ناحية اخرى . ويفرض موقعها تغير واسطة النقل من السفينة الى قوافل البر وما يترتب على ذلك من تفريغ البضائع والسلع واعادة حملها ، وتوفير خدمات تجارية عامة ليس من السهل الحصول عليها الا في مدينة كبيرة . لذلك تزايد عدد سكانها منذ تأسيسها سنة (١٧)هـ زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رض) ، حتى أصبحت في القرن الثاني للهجرة مدينة الدنيا ومعدن تجارتها واموالها[٢٦] . وأخذت تجارة موانىء الخليج العربي الاخرى تنتقل اليها تدريجياً حتى غدت منطلقاً لتجارة الهند وسرنديب (سريلانكا) وجزائر الهند الشرقية والصين ، فزاد غنى الناس وعظمت ثروتهم حتى بلغت جباية الدولة من أحد تجارها مائة ألف دينار في العام[٢٧] . وتتوسع المراجع الجغرافية العربية في ذكر تجارتها وصناعتها ، فاذا البصرة تشتهر بخزّها وبزها وطرائفها وبأرزّها . وهي معدن اللآلىء والجواهر وفرضة البحر ومطرح البر ... منها تحمل التمور الى الاطراف والحنّاء ، ولهم خزّ وبنفسج وماورد ، وبالأبلة تصنع الثياب الكتانية الرفيعة[٢٨] .

(٢٦) احمد بن يعقوب بن واضح الكاتب المعروف باليعقوبي (ت ٢٨٤) ، كتاب البلدان ، ليدن مطبعة بريل سنة ١٨٩١ ، ص ٣٢٣ ، النجف المطبعة الحيدرية سنة ١٩١٨ ، ص ٨٥ .

(٢٧) جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامي ، دار الهلال القاهرة ، ج ٢ ، سنة ١٩٦٨ ، ص ١٧٧ .

(٢٨) المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ص ١٢٨ .

٢ ـ جـدة :

مدينة على البحر ... آهلة ، أهل تجارات ويسار ، خزانة مكة ومطرح اليمن ومصر [٢٩] .

٣ ـ عـدن :

عدن بلد جليل عامر آهل حصين خفيف دهليز الصين وفرضة اليمن وخزانة المغرب ومعدن التجارات[٣٠] .

٤ ـ سُقُطْرى

جزيرة كأنها صومعة في البحر المظلم وهي سد البوارج . ويسمى المقدسي هذا البحر (بحر العرب)[٣١] . والبوارج ، مفردها بارجة ، التي يعترض بها أهل المنصورة (على نهر السند) مراكب المسلمين المجتازة الى الهند والصين وجدة والقلزم وغيرها . وهي كالشواني في بحر الروم (البحر المتوسط)[٣٢] . ويذكر أهل الاخبار انها كانت مركزاً هاماً من مراكز التجارة وقد اشتهرت بالصبر الجيد الذي لايوجد مثله في غيرها[٣٣] .

٥ ـ **الشحر ـ على الساحل الجنوبي لجزيرة العرب ـ**

الشحر مدينة على البحر معدن السمك العظيم يُحْمل الى عمان وعدن ثم الى البصرة وأطراف اليمن[٣٤] .

(٢٩) المصدر نفسه ، ص ٧٩ .
(٣٠) المصدر نفسه ، ص ٨٥ .
(٣١) المصدر نفسه ، ص ١٤ .
(٣٢) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٦٥ .
(٣٣) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٧ ، ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠ .
(٣٤) المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ص ٨٧ .

٦ ـ صحار :

صحار هي قصبة عُمان ليس على بحر الصين اليوم أجلّ منه ... دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق ومغُوثة اليمن . ممتدة على البحر ، دورهم من الآجر والساج شاهقة نفيسة(٣٥) .

إن هذا الازدهار التجاري والثراء العريض الذين شهدتهما الموانىء العربية في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي يعنيان ان المحيط الهندي أصبح ـ دون منازع ـ ميداناً لنشاط تجاري عربي ، أشاع الأمن والاستقرار في الأرض العربية والمناطق المجاورة لهذا المحيط . إذ لايمكن لنشاط تجاري ان ينمو ويزدهر الا في ظل حالة أمن وسلام . وقد ساعدت هذه الاوضاع التجارية والاقتصادية المتنامية في انتشار العرب في جنوب شرق آسيا حتى اصبحت لهم في نهاية القرن السادس الهجري مناطق استقرار ومراكز تجارية انتشرت على طول ساحل ملبار بالهند . ثم انتشروا شرقاً فوصلوا الى الملايو ومضايق ملقا ، وانتقلوا بعد ذلك حتى جنوب الفلبين (ديبا) . وفي خضم نشاطهم هذا نقلوا الى سكان هذه المناطق دينهم ولغتهم وحضارتهم ومبادئهم الانسانية النبيلة . وهي معالم لاتزال شواهدها ماثلة في انحاء هذا الجزء من العالم . وقد اشتد ساعد العرب هنا بكثرة من دخل الاسلام من سكان تلك المناطق ، إذ تعاظمت اعداد معتنقيه منذ نهاية القرن السادس الهجري لأنه دين الفطرة الذي صلحت به أمورهم واصبح سداً منيعاً حال دون الطغيان الهندوكي الوافد من شبه جزيرة الهند وما حمله من نظام طبقي صلب مغلق(٣٦) .

---

(٣٥) المصدر نفسه ، ص ٩٢ .
(٣٦) فيصل السامر ، الأصول التاريخية للاسلام في اندونيسيا ، مجلة الاقلام ، مطابع دار الحرية ، بغداد ، ١٩٦٩ ، ص ٨ .

ب ـ إنتشار العرب في غرب المحيط الهندي :

لم ينحصر انتشار العرب ودينهم وحضارتهم في شرق المحيط الهندي ، بل امتدت في وقت مبكر الى غربه على طول الساحل الشرقي لافريقيا والمناطق الداخلية القريبة منه . وقد ساعدت عوامل عدة على سهولة انتقال العرب الى هذه السواحل . فالبحر الأحمر لايكوّن فاصلا مائياً مانعاً لضيق طرفه الجنوبي وكثرة الجزر المنتشرة فيه . إذ لايزيد عرض هذا البحر عند باب المندب على ٢٢ كيلو متراً . وتزيد عرضه ضيقاً مجموعة جزر صغيرة تتوزع بين ساحليه أهمها جزر دهلك وحالب وفاطمة وغيرها . واتخذ الملاحون من هذه الجزر معابر ترسو فيها سفنهم في مراحل رحلتهم بين الساحلين العربي والافريقي .

ويسّرت الرياح حركة الملاحة وانتقال السفن من حضرموت واليمن الى السواحل الشرقية من افريقيا . حيث يتعاقب هبوبها من الشمال والجنوب بصورة موازية لهذه السواحل دون تغير ملحوظ في جهة هبوبها ومعدل سرعتها في فصول السنة المختلفة[٣٧] .

وتثبت المصادر التأريخية أن العرب ، ولاسيما العمانيين منهم ، استقروا في الساحل الشرقي الافريقي وأقاموا حكماً فيه منذ القرن الاول للميلاد . وأن أزد عمان نزحوا الى زنجبار في شرق افريقية بزعامة سعيد وسليمان إبني عباد الجلندى ، بعد أن قمع ثورتهم الحجاج بن يوسف الثقفي[٣٨] . وزنجبار كلمة محرفة عن أصلها العربي (بر الزنج) . وذكر ان جزيرة مدغشقر كانت معروفة عند العرب وقد وفدوا اليها من منطقة الخليج العربي وساحل افريقيا

---

(٣٧) دبليو . ج . كندرو ، مناخ القارات ، ترجمة على محمد المياح وآخرين ، مطبعة جامعة بغداد ، بغداد ، ١٩٦٧م ، ج ١ ، ص ٩٧ .

(٣٨) فاروق عمر ، تاريخ الخليج العربي في العصور الاسلامية الوسطي ، الدار العربية ، بغداد ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٦م ، ص ١٢٠ .

الشرقي. واستقروا في الجزء الشمالي الغربي منها ، وفي جهاتها الساحلية الشرقية . وان تجار العرب الاوائل كانوا يعرفون ، دون شك ، جزر موريشيس[٣٩] .

وقد خضعت زنجبار من الناحية التاريخية لسلطنة عمان أيام حكم اليعاربة* والبو سعيد . وكان حكم عمان ونفوذها يمتدان الى مومباسا وماليندي جنوباً والى مقديشو وأسمرة شمالا . أي أن سيادة العرب امتدت على ساحل افريقيا الشرقي شمال وجنوب خط الاستواء ، واتصل بذلك العمق السوقي العربي على طول هذا الساحل من جنوبه حتى خليج السويس. وأصبح هذا الامتداد السوقي خطاً دفاعياً مانعاً حال دون أية محاولة عدوانية أجنبية . كما أصبح ، في الوقت نفسه ، قاعدة لانتشار حضاري سلمي حمله العرب الى الجهات التي استقروا فيها .

نعمت هذه المناطق الساحلية والجزر القريبة منها في ظل الوجود العربي مدة طويلة تقرب من ألف عام ، تطورت خلالها الزراعة والموارد الاقتصادية الأخرى . وكان النشاط التجاري والنقل البحري من أبرز أعمالهم . واصبح ازدهار اقتصادهم قاعدة رصينة لقوتهم ومنعتهم ومتمماً لمقومات وجود العرب ونشاطهم في شرق المحيط الهندي .

ان القوة والسيادة العربية في هذا المحيط أدتا الى ظهور أوضاع

(٣٩)
L. Dudly Stamp, Africa, John Wiley and Sons, Inc., New York, The Seventh Printing, 1963, PP. 504 — 506.

(*) اليعاربة قبيلة قحطانية كانت من اوائل قبائل اليمن التي نزحت الى عمان بعد انهيار سد مأرب . ولاتزال القلعة التي بنوها في نزوى في القرن السابع عشر ناطقة بتقدم فن العمارة العربية .

جديدة فيه وفي الخليج العربي • فقد انفرد العرب بقوة بحرية لم تجد لها منافساً من أي نوع كان • وامتد حكمهم ورسخت قواعد أمنهم من ساحل المحيط الأطلسي الى الخليج العربي والبحر الاحمر والمحيط الهندي والهند • وكان البحر المتوسط واسطة اتصال في انتظام هذا الامتداد • واصبحت بايدي العرب مفاتيح الطرق البرية والبحرية التي تربط بين الشرق والغرب ، واصبح العرب تجاراً من الطراز الاول • ومع ان سيلان (سريلانكا) لم تخضع لحكم عربي اسلامي الا أنها مع ذلك اصبحت مركزاً من مراكز التجارة العربية في القرن الثامن الميلادي(٤٠) ، وبقيت تجارة العرب في ارجاء المحيط مزدهرة على مدى ٧٠٠ سنة • وما ان حلّ القرن الثالث عشر الميلادي الا كان للعرب مناطق استقروا فيها ومراكز تجارية انتشرت على طول ساحل ملبار بالهند • وانتشروا شرقاً فوصلوا الى الملايو ومضايق ملقا وانتقلوا بعد ذلك في هذا الاتجاه حتى جنوب الفلبين • وفي خضّم نشاطهم هذا نقلوا معهم الى سكان هذه المناطق دينهم الحنيف ولغتهم وحضارتهم التي لاتزال معالمها ماثلة في كل هذه الانحاء •وخلال ذلك أوجد العرب في المحيط الهندي ، من الناحية العسكرية ، نوعاً من توازن القوى لم يكن معروفاً آنذاك مما أتاح لمختلف مناطقه استقراراً وأمناً ظلت تنعم بهما قروناً طويلة • ولم يكن انتشارهم في أرجاء هذا المحيط توسعاً بمعناه العسكري والسياسي ، وانما كان وسيلة لاقامة صلات تجارية وعلاقات حضارية سلمية(٤١) •

---

(٤٠) James Fairgrieve, Geography and World Power, University of London Press Ltd., London, 1924, P. 126.

(٤١) راجع Frence A. Vali, Politics of the Indian Ocean Region, New York, The Free Press, 1976.

الخاتمة :

هذه المعلومات التاريخية الجغرافية العامة تكشف عن عنصر مشوّق يمكن عن طريقه تطوير جوانب معينة تخرج الدراسة الجغرافية الى حيّز العمل والتطبيق . وهذا يدعو الى ابراز جوانب الجغرافية السوقية التي حققت للعرب حفظ أمن المحيط الهندي أمداً طويلا بما يتفق وأمن الأمة ذاتها . ويمكن ان نجمل بعض هذه الجوانب على النحو الآتي :

١ ــ ان التوزيع الجغرافي للمراكز العربية ومواطن استقرارهم في المحيط الهندي أتاحت لهم السيطرة على مواضع سوقية في غاية الأهمية . فوجودهم في جزر الهند الشرقية واشتداد ساعد الاسلام في هذه المناطق منذ نهاية القرن الثاني عشر الميلادي أتاحا لهم السيطرة على مداخله الشرقية ولاسيما مضايق ملقا ، كما أتاح لهم وجودهم في الساحل الشرقي من أفريقيا ، على مقربة من نهايته الجنوبية في جزيرة مدغشقر ، سبل التحكم في مداخله الغربية . ولم تظهر طلائع العدوان الاوربي الا في نهاية القرن الخامس عشر بعد أن أصبح الطريق البري الذي يربط قارة أوربا والبحر المتوسط والخليج العربي غير مطروق كما كان في السابق بسبب سيطرة العثمانيين على بعض أجزائه . وكانت سفن الاوربيين من القلة والضعف بحيث لم تشكل قوة منافسة خطيرة في باديء الأمر .

٢ ــ اسطول بحري عربي قادر على اداء مهامه الأساسية من نقل البضائع وحماية التجارة البحرية . والأهم من ذلك قدرة سفنه الحربية على مجابهة سفن العدو وتدميرها في المعارك البحرية . وينقل الباحثون ان حكام اليعاربة المتعاقبين جعلوا من مسقط حتى سنة ١٧١٨م أعظم قوة بحرية غير أوربية في المياه الشرقية(٤٢) . وكانت لهم الى جانب ذلك قوات برية مقاتلة مكّنت

(٤٢) صالح محمد العابد ، دور القواسم في الخليج العربي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٧٦م ، ص ٤١ .

لسلطان (سلطان بن سيف) في نهاية القرن السابع عشر الميلادي من دحر البرتغاليين وطردهم من أقوى حصونهم في مومباسا . وتطبيقاً لمواريث السوق القومي العربي لم يكتف العمانيون بكسب معركة مومباسا وسحق العدو في ساحتها وازاحتهم عن الساحل الافريقي ، بل لاحقوهم الى عمقهم السوقي في هذا المحيط ودمروا مرتكزاتهم فيه . فقد هاجمت سفنهم مواقع البرتغاليين وقواعدهم التي أقاموها على السواحل الهندية في بومبي وديو وكونك وباسين في أوقات متلاحقة ابتداءً من سنة ١٦٦١م الى ١٦٧٤م(٤٣) . وفي سنة ١٨٣٢م نقل سلطان عمان من مسقط الى زنجبار وأصبحت سلطنة منفصلة يمتد نفوذها على مناطق واسعة من شرق افريقيا(٤٤) . واصبحت القوة البحرية تجد في محاور القوة الداخلية سنداً لها وردءاً يمكنانها من حماية الحصون الداخلية كلما دعت الضرورة الى ذلك .

٣ ــ الحفاظ على علاقات توازن القوى في المحيط الهندي والعمل على استمرار الظروف التي تحقق ذلك بالحيلولة دون انتشار قوة أو فكرة معادية. وكان حصر العدو ، على مايبدو ، من اكثر اساليبهم نفعاً في هذا المجال . ويبرز هذا واضحاً في ميدانين هما :

ا ــ حصر الخطر الفارسي المباشر والعمل على سلب مقوماته . فقد تغلغل الأزد في أعماق فارس واصبحت لهم قوة ومنعة وغلبوا عليها منهم علي بن الحسين بن بشر من الأزد المقيمين في بخارى وكان من الشحنة .

ب ــ التصدي لمحاولات الاستعمار الاوربي الذي حاول زعزعة توازن القوى الذي أقاموه على مدى قرون طوال في المحيط الهندي .

(٤٣) المصدر نفسه ، ص ٤٠ .

(٤٤) L. Dudiy Stamp, Africa, op. cit., P. 396.

جـ ــ ان تماسك القوة البحرية المتركزة على سواحل الجزيرة العربية وسواحل شرق افريقيا مع محور القوة البرية في الداخل وامتداد عمقها البشري السوقي في أودية دجلة والفرات حتى البحر المتوسط لم يوفرا للأمة العربية حصناً منيعاً يضمن أمنها فحسب ، بل انه حال دون أي اختراق أوربي من الغرب نحو قارتي آسيا وافريقيا . وقد بلغ هذا التماسك ذروته في القرن الثالث عشر للميلاد .»





* * *

تفسير أوجه استعمال حروف الجر

الدكتور
محيي الدين عبد الرحمن رمضان
جامعة اليرموك ـ الاردن

استقر عند العلماء عامة مذهبان في هذا الموضوع : أحدهما امتناع تناوب حروف الجر بعضها في موضع بعض . وأما الذي يظهر انه كذلك ، فيُحمل على وجه من التأويل ، ولاسيما التضمين . وثانيهما وقوع التناوب بينها ، وشواهده كثيرة ، وفيه وجوه من التعليل قوية . وأكثر العلماء لايعنيهم غير ذلك . واذا تحدث المتحدثون وكتب الكاتبون ، مضى بهم الكلام ، واستوفت الكتابة حقها من حيث استعمال هذا الصنف من ألفاظ اللغة . غير أن طائفة منهم وممن يهتمون بدقة الفرق في استعمال حرف الجر وغيره من الكلام ، وصواب الأسلوب ، يستدركون كثيرا من ذلك بالتوجيه والتقويم ، ويردّون بعضه بالخطأ والتجهيل . ولباحث كريم وصف لهذا الجانب يقول : « وللعلماء فيه مذاهب شتى ، ودروب متباينة ، وتأويلات مختلفة ... لأن النظر فيه عمل من أعمال العقل ، تنقدح الحقائق للناظر فيه بعد طول تأمل وإمعان نظر ... »[1] .

فماذا وراء هذين المذهبين غير مافُهم واستقر عند الناس منهما ؟ وهل هناك مذاهب أخرى تفسر ظاهرة التناوب اذا تحقق وقوعها ؟ وما تفسير استعمال هذه الحروف اذا لم تعدّ تناوبا في ما بينها ؟ وماذا في كلام العلماء من قدماء ومحدثين في ذلك ؟

---

(١) تناوب حروف الجر في القرآن للدكتور محمد حسن عواد / ص ٥ .

تقتضي الاجابة عن هذا كله أن نعرض للمذهبين المتقدمين بما يوضحهما، ذلك أن في عرضهما تجديدا لفهم مراد القائلين بهما •

فأما المذهب الأول ، وهو القائل بمنع التناوب بين الحروف ، فان فيه عدة وجوه ، لاتشرح المنع ، ولا تقدّم تفسيره بقدر ماتشرح وقوع الظاهرة ، وتحاول أن تضع لها أحكاما وقواعد • ويظهر ذلك فيما يلي :

(أ) بُطلان النيابة بين الحروف بقياس ، مثلُها في ذلك مثل أحرف الجزم وأحرف النصب ، لايقوم أحد الصنفين مقام أحد الصنف الآخر[٢] ، وإن ذُكرت بعض الشواهد من الجزم بالناصب وعكسه •

(ب) بعض ذلك متوهم [٣] ، ونحو هذا عند أهل البصرة مؤوّل بما يناسب اللفظ ، نحو قوله تعالى : (ولأصلبنكم في جذوع النخل) (طه ٧١) • فالحرف (في) ليس بمعنى (على) ، لكن شبه المصلوب لثباته في جذع النخلة ، بمن حل في الشيء واستقر • وقوله تعالى : (هل لك الى أن تزكى) (النازعات ١٨) ، واذا قيل : هل لك ، استعمل معه حرف (في) ، أي: هل لك في كذا ؟ لأن الآية من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دعاء ، تقديره : أدعوك وأرشدك الى أن تزكّى وهذا هو التضمين ، أي : هو لون من الاتساع والمجاز[٤] ، أي : أن يكون الفعل الذي تعدّى بحرف الجر المذكور بمعنى فعل آخر يتعدّى بحرف الجر • ومثله قوله جل وعز (من أنصاري الى الله) (آل عمران ٥٢) • فلما كان المعنى : من ينضاف في نصرتي الى الله ؟ جاز أن يؤتى بـ (الى) ، وهو ما وضحه ابن يعيش بقوله [٥] :

---

(٢) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ١١١ •
(٣) الجنى الداني في حروف المعاني ٢٥٢ •
(٤) الخصائص ٢/٣٠٨ ، وهمع الهوامع شرح جمع الجوامع ٢/٣٠ •
(٥) شرح المفصل ٨/١٥ •

« والتحقيق في ذلك أن الفعل اذا كان بمعنى فعل آخر أحدهما يصل الى معموله بحرف والآخر يصل بآخر ، فان العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه ، ايذانا بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر » . والحق أن كثرة وقوعه تبطل ادعاء التوهم فيه .

(جـ) وقوعه مقتصر على موضع دون آخر ، وبحسب أحوال دعت اليه وسوّغته . وهو ماذكر أبو الفتح ابن جني من قبوله بالتناوب ، مقيدا ذلك بأن مجيء الحرف بمعنى حرف آخر في موضع بعينه لا في كل موضع ، وبأنه بحسب دواع ومسوغات ، فان انتفى هذا القيد امتنع التناوب[6] . وذكره ابن يعيش في قوله عز وجل : (يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق ..) (المائدة ٦)[7] . وفيه وجه ثان : أن . (الى) هنا غاية في الإسقاط ، وذلك أنه لما قال : (اغسلوا وجوهكم وأيديكم) ، تناول جميع اليد كما تناول جميع الوجه . واليد اسم الجارحة من رأس الأنامل الى الإبط ، فلما قال : (الى المرافق) فصار إسقاط الى المرافق ، فالمرافق غاية الاسقاط ، فلم تدخل في الاسقاط ، وبقيت واجبة الغسل . وتفسير ذلك في ما نص عليه بعض العلماء ، وهو ما يفيد غير التضمين ، نحو قولهم[8] : وأوّلوا ما تقدم على التضمين وغيره ، فأما (غيره) أي تحتمل أي شيء فضلا عن التضمين ، وهو مثل ما تقدم من كلام ابن يعيش السابق .

(د) كون الحرف له معنى أصلي ، ومعان أخَر ترجع الى المعنى الأصلي . فاللام تفيد الاختصاص ، وهو معنى لها ، وتفيد معنى التعليل .

(٦) الخصائص ٢/٣٠٨ .
(٧) شرح المفصل ٨/١٥ .
(٨) همع الهوامع ٢/٢٨ .

وعدّ ابن هشام لها اثنين وعشرين معنى. وكذا حرف (من) يفيد ابتداء الغاية، ويفيد معنى التبعيض، وعدّ ابن هشام له خمسة عشر معنى، وقد أثبت ذلك مثل المبرد وابن السراج [٩].

(هـ) الحرف على معناه حقيقة أو مجازاً. وهذا منصوص عليه في كتب النحو. فقد ذكر المرادي حرف (في)، وأنه لايكون إلا ظرفاً حقيقة أو مجازاً، وبمثل ذلك قال السيوطي [١٠].

(و) التناوب مسألة ينقصها الاطّراد. وإذا صحّت أو صحّ بعضها، كان الأولى أن تحمل على السماع [١١]. وشواهد التناوب تقبل التأويل على نحو مقبول. ثم إن الظاهرة لاتتصل بالتناوب الذي هو مذهب أهل الكوفة، ولا بالتضمين، وهو مذهب أهل البصرة. لكنّها ترجع الى التركيب والى دلالات الألفاظ [١٢]، وهي مسألة معجمية. وهذا واضح في أن لكل لفظ معنى واحداً أو أكثر يؤدي عنه بحسب السياق، ولاحاجة الى التضمين [١٣]. ومما يوضح هذا المذهب ماجاء في كلام صاحبه، وهو أن قوله جلّ وعزّ: (سَأَلَ سائلٌ بعذاب واقع)، فالفعل (سأل) عنده ليس بمعنى دعا، ولايتضمن معنى دعا، ولكن من معانيه دعا، والفرق بين الفعلين دقيق. ثم يذكر بعد ذلك أن في الآية وجوهاً كثيرة، منها أن الفعل بمعنى دعا وحرف الجر، وهو الباء، في موضعه، كما عند أبي حيان، وأن في الآية قراءة أخرى رويت لنافع وابن عمر وابن عباس، وهي بغير همز، واحتج لها بما روي عن زيد بن ثابت من تفسيره لـ « سائل » قوله: في جهنم واد يسمى سايلاً،

(٩) الجنى الداني ١٠٩، ٣١٥، ومغني اللبيب ١٠١، ٣٠٨.
(١٠) الجنى الداني ٢٥٢، وهمع الهوامع ٢/٣٠.
(١١) شرح التصريح ٢/٤.
(١٢) تناوب حروف الجر في القرآن / ص ٢٠.
(١٣) تناوب حروف الجر في القرآن / ص ٦.

وساق خبره[١٤]. وصاحب هذا الرأي يبطل التناوب ، مستدلاً بأن التضمين مسألة دلالية صرفية ، أي أنها مسألة لغوية معجمية[١٥].

والمذهب الثاني ، وهو الذي يقرر التناوب ، يتبين فيما يلي :

(أ) هو مذهب أهل الكوفة عامة ، وهو كثير الاستعمال ، ووصفه ابن الحاجب بقوله : « وإقامة بعض حروف الجر مقام بعض غير عزيز»[١٦] ، ووضّحه بمثل قوله : وتعرف «من» الابتدائية بأن يحسن في مقابلتها «الى»، أو مايفيد فائدتها ، نحو قولك : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ؛ لأن معنى « أعوذ به » ألتجىء اليه ، وأفِر اليه . فالباء ههنا أفادت معنى الانتهاء»[١٧].

(ب) الحروف مشتركة في معانٍ يقع بعضها موضع بعض . فابن عقيل يذكر أن انتهاء الغاية يدل عليه أحرف : الى وحتى واللام ، وإن كان الأصل في ذلك يرجع الى « الى » ، ويحتج لذلك باختلاف جر كل حرف واستعماله[١٨] . وعزي الى الفراء أن (حتى) تجر نيابة عن « الى » ، وهي في ذلك مثل الواو في نيابتها عن « رُبَّ »[١٩] .

(جـ) التناوب حملا على الضد . وهذا ما ذكره ابن جني من مذهب الكِسائي في وقوع الحرف موضع غيره ، نحو قول الشاعر :

إذا رضيت عليَّ بنو قُشَيرٍ
لعَمرُ الله أعجبني رضاها

(١٤) تناوب حروف الجر في القرآن / ص ٣٣ .
(١٥) المصدر السابق ٧١ .
(١٦) شرح الكافية ٣٢١/١ .
(١٧) المصدر السابق ٣٢١/٢ .
(١٨) شرح ابن عقيل ١٧/٢ .
(١٩) همع الهوامع ٢٤/٢ .

فعليّ في موضع عني ؛ لأن الرضى عن الشيء حبه والاقبال عليه • فقد حمل « رضي » على «سخط» ، كما يحمل على نظيره ، وهو ما تقدم في كلام الفراء• وقد استحسن أبو علي الفارسي هذا المذهب • وذكر ابن جني أن هذا من مذهب سيبويه في المصادر من حمل أحدها على ضده(٢٠) •

(د) التناوب من الترادف • وهو ما حاول ابن جني توضيح ظاهرة التناوب به ، فقد ذكر أنه شاهد على من ينكر وقوع لفظين في اللغة بمعنى واحد • فقد وصف من حاول أن يجد فرقاً بين قعد وجلس ، وبين ذراع وساعد ، بأنه متكلف ثم خلص الى مذهب البصريين في الظاهر ، وهو التضمين • فالرفث في قوله جل وعز : (أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم) (البقرة ١٨٧) بمعنى الافضاء ، «وهل لك» في قوله : (هل لك الى أن تزكى) بمعنى : أدعوك الى(٢١) •

(هـ) التناوب لغة قوم • وأمثلة ذلك فيما روي عن مثل أبي زيد الأنصاري والأخفش والفراء ، في نحو قول الشاعر :

لعلّ أبي المِغـوار منك قريب

فذلك لغة عقيلية • وأنكرها قوم وتأولوا البيت • ومثل ذلك الجر بـ (متى) ، كما قال الشاعر :

شَرِبْنَ بماءِ البحر ثمّ ترَفّعَتْ
متى لُجَجٍ خُضرٍ لهنّ نَئيجُ

وحكي : وضعها متى كمه • وهذا من لغة هذيل(٢٢) •

(٢٠) الخصائص ٢/٣١١ •
(٢١) الخصائص ٢/٣١٠ •
(٢٢) همع الهوامع ٢/٣٣ ، ٣٤ •

(و) تناوب الحروف بشروط • ومن أبرز الشروط تقارب المعاني بين الحروف التي يستعمل بعضها في موضع بعض ، ويسمى هذا بالمعاقبة ، وذلك نحو : فلان بالدار ، وفي الدار • ومما حكي منه : كنت بالمال حرباً وفي المال حرباً ، وهو يستعلي الناس بكفه وفي كفه • وقول طرفة بن العبد :

وإن يلتقِ الحيُّ الجميعُ تلاقني
الى ذِروة البيت الكريم المُصَمَّدِ

فالباء تفيد الالتصاق والاتصال ، و (في) تفيد الاحاطة والاحتواء • وإن لم تتقارب المعاني ، فلا [٢٣] •

(ز) تداخل أصناف الأفعال أحدث التناوب • وذلك أن طائفة من الأفعال لم تتجاوز الفاعل الى المفعول بأنفسها ، فاستعين بهذه الحروف لايصال أثر الأفعال الى مفعوليها ، نحو : عجبت من فلان ، ونظرت الى علان • وكل صنف من هذه الأفعال اختص بطائفة من الحروف • وذكر السيوطي نحو هذا بقوله : وما وقع بعد وجب أو شبهه أو كبر أو صعب ونحوه مما فيه ثقل ، أودل على تمكن نحو : (أولئك على هدى) ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت[٢٤] • ويفهم هذا الوجه أي التداخل مما نقله السيوطي من كلام ابن فلاح في المغني قوله : « تعلق حروف الجر بالفعل يأتي لسبعة معان ، تعلق المفعول به ، وتعلق المفعول له كجئتك للسمن واللبن ، وتعلق الظرف ، ك : أقمت بمكة ، وتعلق الحال ، ك : خرج بعشيرته ، وتعلق المفعول معه نحو مازلت بزيد حتى ذهب ،وتعلق التشبيه بالمفعول به نحو قام القوم حاشا زيد وخلا زيد ، لأنها نائبة عن الا ، والاسم نحو : ياسيد ما أنت من

(٢٣) الاصول في النحو ١/٤١٤ .
(٢٤) همع الهوامع ٢/٢٨ .

سيد »[٢٥] • وحكى ابن الأعرابي عن العرب ، نحو : مررت زيداً ، على اعمال الفعل بحسب المعنى ، لكنه قليل شاذ[٢٦] •

ومذهب المانعين من التناوب والقائلين به على ما وقفنا عليه ، يوهم أن التناوب يشمل جميع الحروف •

وهذا مما يشكل في فهم الموضوع ونتائجه بالرغم من أن بعض أصحاب المذهبين خص بكلامه على الظاهرة بعض الحروف دون بعض ، وجاء النص عند أكثر هؤلاء في كتبهم على تصنيف الحروف • فأبو بكر ابن السراج ذكر عدة أحرف ملازمة للجر ، وهي : « من ، الى ، في ، الباء ، اللام » ، ولم يذكر بينها بقية الحروف • ونص على أن لـ : « رُبَّ » باباً لخروجها عن أسلوب أخواتها[٢٧] • وأوضح المتأخرون هذا الجانب ، وتابع اللاحق السابق في ذكر عدة الحروف وأقسامها ، واختلفوا في أصنافها وفي عملها واختصاصها• فسيبويه يعد « لولا » حرف جر تختص بالمضمر ، واختلفوا معه في اعراب ما بعدها • ونصَّ ابن عقيل على هذا الخلاف بقوله : « وقلَّ مَنْ ذكر كي ولعل ومتى في حروف الجر »[٢٨] • وجعل ابن عصفور حروف الجر أربعة أقسام • وذكر السيوطي أن ثلاثة من الحروف لا تجر الا شذوذاً ، وهي : « لعل وكي ومتى » • وعدة منها لاتجر الا الظاهر ، وعدة تجر الظاهر والمضمر • ومثل ابن الدهان جعل « من » أقوى حروف الجر[٢٩] • وزعم بعض العلماء أن « على » اسم دائماً وهو معرب ، لعدم ظهور علامة البناء فيها ، ولا يشبهها حرف في معناها وقلة تصرفها • وجعل بعض آخر ذلك

(٢٥) الاشباه والنظائر ١٠٦/٢ •
(٢٦) شرح المفصل ٧/٨ — ٩ ، ومعاني القرآن (الاخفش) ٣٧٤/٢ •
(٢٧) الاصول في النحو ٤٠٨/١ •
(٢٨) شرح ابن عقيل ٣/٢ •
(٢٩) الاشباه والنظائر ١٠٤/٢ •

قياساً ، وأضاف اليها « عن والكاف ومذ ومنذ » ؛ لأن فيها معنى الحرف ، فحملت على (على) [٣٠] .

ولو أن هذه المسألة جعلت في أصناف الحروف مما وقع بعضه موقع بعض ، والنصوص التي اشتملت على ذلك ، والمعاني المرادة في كل حرف ، ولاسيما النص العزيز ، لجاءت النتائج أوضح ، وانتفى كثير من الخلاف .

ومما ألحق بالمسألة من غموض كثرة الافتراضات التي أراد العلماء بها توضيح مذهبهم وإبطال مذاهب الآخرين ، فمن ذلك نحو : « ألا ترى أنك اذا أخذت بظاهر هذا القول غفلا هكذا لامقيداً ، لزمك عليه أن تقول : سرت الى زيد ، وأنت تريد : معه ، وأن تقول : زيد في الفرس ، وأنت تريد : عليه ، وزيد في عمرو ، وأنت تريد : عليه في العداوة.. ونحو ذلك مما يطول ويتفاحش »[٣١] . ونحو : « والبصريون قالوا : لو كان لها هذه المعاني ، لوقعت موقع هذه الحروف ، فكنت تقول : وليت عليه ، أي : عنه ، وكتبت على القلم ، أي : به ، وجاء زيد على عمرو ، أي : معه والدرهم على الصندوق ، أي : فيه ، وأخذت على الكيس ، أي : منه..»[٣٢] ولاشك أن مثل هذا أراد به أصحابه توضيحا وتوجيها ، وكان يكفيهم مابين أيديهم من النصوص يوضحون ويشرحون بها .

وكلا المذهبين يريد أصحابه تفسير المسألة . والمانعون يضيّقون نطاق حدوث الظاهرة بشرط التضمين في العامل الذي يدخل على الحرف ، وبالتأويل مما يقبله اللفظ ، وهو ما عبّر عنه بعضهم بالاتساع[٣٣] .

(٣٠) همع الهوامع ٢/٢٩ .
(٣١) الخصائص ٢/٣٠٨ .
(٣٢) همع الهوامع ٢/٢٨ .
(٣٣) الاصول في النحو ١/٤١٤ ، وشرح المفصل ٨/١٥ .

ولبعض المعاصرين من المتابعين لأهل البصرة في ضوابطهم وأحكامهم مذهب جديد ، يقول في المسألة : « ووجدتها مسألة معجمية تندرج في بحث دلالات الألفاظ على وجه مباين للوجه أو الوجوه التي رسمها السلف ، ذلك أن لكل لفظ معنى واحداً أو أكثر يؤديه من غير حاجة الى تضمين »(٣٤) ويقول في موضع آخر : « أن مسألة التضمين دلالية صرفية ، أي : مسألة لغوية معجمية »(٣٥) ، ويقول في موضع ثالث : « والحق أن المسألة راجعة الى التركيب والى دلالات الألفاظ ، والدليل على ذلك أن البلغاء والفصحاء ، على مستوى الاستعمال ... يأبون هذه النيابة ، ولا يجرون كلامهم مجراها »(٣٦) . ومثل هذه النتائج قيمة ، وذات شأن في مجال البحث اليوم ؛ لانها تعقد في تناول الظاهرة بين أكثر من علم من علوم العربية . وأما تقريره بأن المسألة معجمية تندرج في بحث دلالات الألفاظ ، فالأمر غير ذلك اذا فهم أن الجانب المعجمي كما يفهم من قوله يقتصر على لفظ الكلمة في ذاتها . والأمر في معجمات العربية وفي معجمات اللغات الأخرى لاتقتصر على لفظ الكلمة في ذاتها . ولايفوت الباحث الكريم هذا الجانب في المعجمات ، وهو مااصطلح عليه أن الألفاظ في المعجمات بحسب المعاني في سياق الكلام ، وليس من كلام الا اخذ بجانبين : أحدهما مذاهب أهل اللغة في الاستعمال ، والآخر مراد المتكلم الذي جعله في الكلام المشتمل على تلك الألفاظ ، أي : أن ألفاظ الكلمات ومعانيها في المعجمات مستوفاة من التركيب ، والا فكيف تم للباحثين وعلماء النحو واللغة النظر في المسألة ؟ وآخر ما في كلام الأخ الباحث ما ذهب الى تقريره من أن مسألة التناوب

(٣٤) تناوب حروف الجر في القرآن / ص ٦ .
(٣٥) المصدر السابق / ص ٧١ .
(٣٦) المصدر السابق / ص ٢٠ .

يعوزها الاطراد ، وحمل ما صح منها على السماع[٣٧] . فأما السماع ، فأمر تنتهي عنده المسألة ، لان التناوب اليوم لايقع في الفصيحة الا خطأ او جهلا في أغلبه ، ويقع في العاميات بحسب تطور كل لهجة وعادة المتكلمين بها . وماذا يقول ، وهو يعلم أن أكثر ماجاء من التناوب انما هو في النص العزيز ، فبم يصف ذلك ؟ وأما الاطراد ونقصه في هذه الظاهرة فلا ينبغي أن يفهم منه الاخذ به واتيانه شيئا مرفوضا ، فالشواهد من غير النص العزيز ، مما جاء به ، وناقشه ، تعني أن لطائفة المبدعين من الأبْـنِـاءِ أن يفعلوا ذلك دون حرج.

ومما يفسر المسألة ماذكره سيبويه ، وهو من قبيل السماع قوله (٣٨) : وسألته عن قوله : على كم جذع بيتك مبني ؟ فقال : القياس النصب وهو قول عامة الناس . فأما الذين جروا فانهم أرادوا معنى(من ، ولكنهم حذفوها ههنا تخفيفا على اللسان ، وصارت (على) عوضا منها .

ومثل ذلك : الله لا أفعل ، واذا قلت : لاها الله لا أفعل ، لم يكن الا الجر ، وذلك أنه يريد : لا والله ، ولكنه صار (ها) عوضا من اللفظ بالحرف الذي يجر وعاقبه » . ففي هذا نيابة حرف عن آخر محذوف أثر الجر في اللفظ . وكلام سيبويه صريح في تفسير التناوب قوله : فما اتسع من هذا في الكلام فهذا أصله[٣٩] .

ومما يوضح المسألة في فهم مذهب أهل الكوفة ماجاء من مذهب الكسائي أن جر ما بعد « حتى » لايكون بها ، وانما هو بـ « الى » ، بحجة أن العامل ينبغي أن يكون لازما بصنف من الكلام الاسماء أو الافعال ، « وحتى » تدخل الصنفين[٤٠] ، ونحو ذلك « حتى » العاطفة تدخل على

(٣٧) المصدر السابق / ص ١٦ . (٣٨) الكتاب ١٦٠/٢ .
(٣٩) الكتاب ٢١٧/٤ .
(٤٠) شرح الكافية ٣٢٤/٢ .

مجرور ، فالاختيار اعادة الجار معها دفعا لكونها الجارة نحو : نزلت بالقوم حتى بسعد[41] .

وهناك ملاحظة اقتصر ذكرها على المحدثين ، فالمرحوم عباس حسن يرد جواز وضع حرف موضع حرف الا بشروط لانه « يؤدي الى افساد المعاني والقضاء على الغرض من اللغة »[42] . ويقول الدكتور محمد حسن عواد : « وليعلم القارىء أيضا بما أسلفناه أن مسألة التعاوز يأباها الاستعمال ، وتفضي الى مشكلات لغوية ، والى اضطراب كثير .. »[43] . ولم أقف على مثل هذه الملاحظة عند المتقدمين ، بل قرأت في أكثر ماكتب في المسألة عندهم نحو قول ابن يعيش : « هي متساوية في ايصال الافعال الى ما بعدها وعمل الخفض وان اختلفت معانيها في أنفسها ولذلك قال هي فوضى في ذلك ، أي : متساوية .. »[44] . ففي كلام ابن يعيش ، ومثله جواب عن الملاحظة السابقة . وفيه أن مسألة التناوب واقعة لاشك فيها . ولها تفسير غير ماتقدم ، سوف يلي ثبت ما جاء من الظاهرة في النص العزيز وعدة نصوص أخرى . ففي المعلقات السبع بشرح الزوزني اثنا عشر موضعا : نصيب الباء منها : (٧) ، والسين موضع ، واللام موضعان ، و « عن » و « على » لكل منهما موضع ، وفي الاصمعيات واحد وعشرون موضعا : للباء (٤) ، و « من » : «٢» ، و « الى » : (٢) ، و « على » : (٧) ، و « عن » : (٥) . وفي المفضليات اثنان وعشرون موضعا : لحرف « عن » (١) ، والباء (٤) ، واللام (٢) ، و « الى » (٣) و « على » : (٦) .

---

(٤١) المصدر السابق ٢/٣٢٦ .
(٤٢) النحو الوافي ٢/٥٣٧ .
(٤٣) تناوب حروف الجر في القرآن / ص ٤٤ .
(٤٤) شرح المفصل ٨/٧ .

وفي النص العزيز سبعة وعشرون ومئة ، لحرف الباء (٢٣) ، و « في » : (١) ، و « الى » : (١٤) ، واللام : (١٠) و « من » : (١٤) ، و « عن » : (١٧) ، و « على » : (٤٨) •

وأغلب الشواهد التي عرض لها الباحثون ، على مدى قرون هي ، من النص العزيز • ولا أملك أن أقطع بها من حيث كميتها في الشعر والنثر من نصوص الشواهد ، الا ماذكرته مما هو في المعلقات والاصمعيات والمفضليات • ولا معنى لهذا الا أن المسألة مما يتصل بالاعجاز في النص العزيز ، وبالقدرة البيانية في الكلام شعراً وانشاءً ، أي : أن المعنى اقتضى أن يكون هذا الحرف في موضعه من الكلام لاداء الغرض • وهذا هو تفسير ماذهب اليه الباحثون من تسمية هذه الظاهرة بالتناوب ، وهي تسمية مجحفة وملبسة •

وكلام أصحاب المذهبين من المتقدمين ، لايفهم منه تقعيد للظاهرة بالموافقة أو بالمنع ، وانما يفيد تفسيرا لها ، أو اجتهادا في تفسيرها ، وان كانت نصوص شواهدها تعرض نماذج تحتذى عند أهل البيان • والدليل على ذلك تقسيم أهل اللغة والنحو لحروف الجر مابين مختص بالجر ، ومشترك بين الاسم والحرفية ومشترك بين الفعلية والحرفية ، ومختلف فيه (٤٥) •

ولا يعني كلام المانعين ومحاولتهم تعليل وقوع الحرف في موضع الاخر الا أن للظاهرة عندهم وجهين : وجها هو الذي في نصوص شواهدها ، وهي غير مطردة الا في مستوى من النصوص التي تمتاز ببيان واعجاز فيه ، ولذا فهم مهتمون بتفسيره والبحث عن وجهه ، ولاسيما في النص القرآني ، وهو

(٤٥) شرح ابن عقيل ٢/٣ ، ٧ .

بعض الاعجاز الذي تضمنه الكتاب الكريم . ووجها آخر ، هو ماتقدم ذكره في نصوص لسيبويه وابن جني[٤٦] ، وان كان المشهور من كلام الاخفش مايقطع بهذا الجانب ، ويجعل الترادف تفسيرا للظاهرة ، فهو يقول في نحو : (مستخف بالليل وسارب بالنهار) : فيقول مستخف يقول ظاهر ، والسارب المتواري . وقد قرئت أخفيها أي : أظهرها ، لانك تقول : خفيت السر ، أي : أظهرته ، وأنشد :

ان تكتموا الداء لا نخفيه وان تبعثوا الحرب لانقعد

وزعموا أن تفسير « أكاد » أريد ، وأنها لغة ، لان « أريد » قد تجعل مكان « أكاد » مثل (جدارا يريد أن ينقض) ، أي يكاد أن ينقض ، فكذلك « أكاد » انما هي أريد ، قال الشاعر :

كادت وكدت وتلك خير ارادة
لو عاد من لهو الصبابة ما مضى[٤٧]

ويقول في نحو : « يستحبون الحياة الدنيا على الاخرة »، فأوصل الفعل بـ « على » كما قالوا : ضربوه في السيف ، يريدون بالسيف ، وذلك أن هذه الحروف يوصل بها كلها ، ويحذف ، نحو قول العرب : نزلت زيدا ، تريد : نزلت عليه[٤٨] ، ونحو ذلك ما ساقه الثعالبي في الظاهرة في فصل عنوانه : « مجمل وقوع حروف المعنى موقع بعض ، قال » : أم : يقع موقع بل ، كما قال عز وجل : (أم يقولون شاعر) ، أي : بل يقولون شاعر . قال سيبويه : أم : تأتي بمعنى الاستفهام ، كقوله تعالى : (أم تريدون أن تسألوا رسولكم) ، أي : أتريدون أن تسألوا رسولكم .. ان الخفيفة بمعنى : لقد ،

(٤٦) الكتاب ٢/١٦٠ والخصائص ٢/٣١٠ .
(٤٧) معاني القرآن ٢/٣٧٠ .
(٤٨) معاني القرآن ٢/٣٧٤ .

كما قال تعالى : (وان كنا عن عبادتكم لغافلين) ، أي : ولقد كنا ... الا بمعنى لكن كما قال عز ذكره : (لست عليهم بمسيطر الا من تولى وكفر) معناه : لكن من تولى وكفر ، وقيل : في معنى قول الشاعر :

وبلـــدة ليس بهـــا انيس
الا اليعافـير والا العيس[٤٩]

وهذا ما اختاره بعض المحدثين . يقول المرحوم عباس حسن : « ولا غرابة أيضا في اشتراك عدد من الحروف في تأدية معنى واحد لان هذا كثير في اللغة ويسمى المشترك اللفظي »[٥٠] . ويصف الظاهرة بقوله : « فما الحرف الا كلمة كسائر الكلمات الاسمية والفعلية ، وهذه الكلمات الاسمية والفعلية تؤدي الواحدة منها عدة معان حقيقية لا مجازية »[٥١] ، ويقرر اختياره بقوله فاذا كان المعنى المراد هو من الشيوع ، والوضوح وسرعة الورود على الخاطر بالصورة التي ذكرناها ، ففيم المجاز أو التضمين أو غيرهما ؟ ان المجاز أو التضمين أو نحوهما يقبلان ، بل يحتمان حين لا يتبدر المعنى المراد الى الذهن ولا يسارع الذهن الى التقاطه ، بسبب عدم شيوعه شيوعا يجعله واضحاً جلياً ، وبسبب عدم اشتهاره شهرة تكفي لكشف دلالته في يُسر وجـلاء . أما اذا شاع واشتهر وتكشف للذهن سريعاً فان هذا يكون علامة الحقيقـة كما قلنا ، فلا داعي للعدول عنها ولا عن قبولها براحة واطمئنان .

وهذا رأي نفيس أشار بالأخذ به والاقتصار عليه كثير من المحققين[٥٢].

وجانب مما جاء في شواهد الظاهرة من غير النص القرآني إنما هو من قبيل اختلاف اللغات ، أي اللهجات . وقد مرت الاشارة الى هذا المذهب .

(٤٩) فقه اللغة وسر العربية ٥٣١ . (٥٠) النحو الوافي ٢/٥٤٢ .
(٥١) النحو الوافي ٢/٥٤٠ .
(٥٢) المصدر السابق ٢/٥٤١ وتناوب حروف الجر في القرآن / ص ٢٠ .

فيما أثبته البغدادي زيادة توضيح قوله ، قال المبرد في الكامل : وبنو كعب ابن ربيعة بن عامر يقولون : رضي الله عليك ...[٥٣] .

فيما أحصيته من الحروف في النصوص أن الحروف التي وقع بعضها موقع بعض أصناف : صنف لايبدو أنه وقع بعضه في موقع بعض ، لغلبة الاستعمال فيه ، مثل الأحرف : « في ، الباء ، اللام ، الى » . وصنف فيه خصائص ، وهو مشترك بين الاسمية والحرفية ، ويفيد المعنى بدقة ، مثل : عن ، على . وصنف ثالث قلّ وقوعه ، وهو من شأن استعمال قوم دون غيرهم ، مثل : متى ، لعل . والحجة في هذا ما ذهب اليه أهل اللغة والنحو من تقسيم الحروف من حيث هذا الوجه .

ومن نافلة القول إن معاني الحروف مستقراة من النصوص التي وردت فيها ، أي أن استعمالها ومذاهب المنشئين حدّدت لها معاني ، ما بين شائع واضح وقليل غامض . وذلك بحسب الأغراض وفنون القول . وفي هذا يقول السيوطي : « في نحو (كتَبَ على نفسه الرحمة) لتأكد التفضل ، لا الايجاب والاستحقاق . وكذا في نحو (ثم إن علينا حِسابَهم) لتأكيد المجازاة »[٥٤] .

قال بعضهم : واذا ذُكرت النعمة في الغالب مع الحمد ، لم تقترن بـ « على » واذا أريدت النعمة أتي بها ، ولهذا كان صلى الله عليه وسلم اذا رأى مايعجبه قال : « الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات» . واذا رأى ما يكره قال : « الحمد لله على كل حال » . فيما قرره الزركشي أن الحرف لا يعطي في سياق الكلام الواحد أكثر من معنى بعينه[٥٥] ، بل نص على ذلك بقوله : « في الكلام على المفردات من الأدوات والبحث عن معاني الحروف

(٥٣) خزانة الأدب ٣/٢٨٣ . (٥٤) الانقان ٢/٢٠٢ .
(٥٥) البرهان في علوم القرآن ٤/١٨١ .

مما يحتاج إليه المفسر ، لاختلاف مدلولها . ولهذا توزع الكلام على حسب مواقعها ، وترجح استعمالها في بعض المحال على بعض بحسب مقتضى الحال. كما في قوله تعالى : (وإنّا أو إيّاكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) ، فاستعملت « على » في جانب الحق ، و « في » في جانب الباطل ..»(٥٦) .

وفي بناء النحو على كلام العرب شعرا ونثرا واستيفاء أحكامه منه ، نهج لاستعمال حروف الجر كما هي فيه ، أي : أن يحتذي أرباب الكلام والبيان أصحاب النصوص الشواهد في الاتيان بحرف الجر بما يفي بغرضهم من المعنى الذي يريدون في كل موطن . وهم في ذلك بازاء عدة مستويات من استعمال حرف الجر . وفي النص القرآني ما يؤنس البلغاء في ايقاع حرف مما جاء في النص العزيز موضع حرف آخر لمعنى يرونه أوفق ، ولأسلوب يطلبونه أوفى .

على أن المستوى الغالب استعمال الحروف بحسب أصنافها ، وبمقتضى الأغراض والمعاني التي يؤديها أسلوب أو أساليب دون أخرى . وقد ثبت هذا وتقرر بكلام العرب . وإن تجاوز بعض المنشئين ذلك وعدل عنه الى شيء ، فان في فن الأساليب ــ ومذاهب الدارسين لها ــ مايكشف عن المراد عند هؤلاء وغايتهم .

والاختيار من هذا كله الاستعمال واختلاف أغراض المتكلمين بالفصيحة والترادف الذي يدخل فيه تباين اللغات واللهجات ، والأخذ بما يفسر الظاهرة من حيث وقعت من كلام مفسري النص القرآني ، وبصنف من الحروف يكثر فيه التناوب . فهذا أجدى على اللغة أداء ، وعلى المتكلمين بها سعة وبحبوحة.

---

(٥٦) البرهان في علوم القرآن ١٧٥/٤ ؛ والاتقان في علوم القرآن ١٤٩/٢ .

إسهام العراقيين المعاصرين في تحقيق التراث*

الدكتور حاتم صالح الضامن
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

تشكل المخطوطات جزءاً من تراث الأمة ووثيقة هامة من وثائق وجودها الحضاري والقومي ، ومن هذا المنطلق سعت الأمم الى صيانة مخطوطاتها والتفنن في سبل هذه الصيانة .

إن الايمان بالتراث والعمل على احيائه وتحليله ودراسته بروح علمية متزنة هو مظهر من مظاهر الإيمان بالأمة ذاتها ، فهو في حقيقته يمثل إرادة الأمة وعزمها ويقينها بقوة وجودها ، وهو عامل ثقة ووحدة ، وعامل ثورة وبناء إذا ما أحسن استعماله ودراسته في هدي النظرة الصائبة والنهج الموضوعي الملتزم ، وهذا ماتعمل عليه حكومة الثورة في العراق في توجيه الطاقات المبدعة ورعايتها للقيام باحياء التراث العربي الاسلامي .

وفي ضوء هذا التوجه بدأت منذ ربع قرن نهضة مباركة في العراق لجمع شعر الشعراء الذين لم تصل الينا دواوينهم ودلّ ذلك على حرص هذا الجيل على تراث الأمة الخالد إذ بلغ عدد هؤلاء الشعراء نحو ثلاث مئة شاعر ، وقد ألحقنا ثبتاً باسمائهم .

واتجه آخرون الى التنقير عن المخطوطات العربية لتحقيقها على أسس علمية أصبحت معروفة عند الباحثين ، وقوي هذا الاتجاه بعد أن فتحت جامعات

* القي هذا البحث في ملتقى ابن باديس الثالث بقسنطينة في الجزائر في ١٩٨٩/٥/٢٢ .

القطر صدرها لتحقيق التراث حصولاً على شهاداتها العليا ، وكان لي الشرف في ادخال تحقيق النصوص في الماجستير والدكتوراه ، وكان ومازال يُدَرَّس في الفصل الأول نظرياً وفي الفصل الثاني عملياً .

ولم يقف أمام هذا الاتجاه إلاّ مَنْ كان في قلبه دَغَلٌ ، وهم بحمد الله قليل .

وقد أربت المخطوطات المحققة على الاربع مئة ، وقد أدرجنا أسماءها وأسماء مُحَقِّقيها في بحثنا هذا ليقف عليها العلماء والمختصون والدارسون ، ولا أزعم أنني استوفيت ذكرها .

وبمرور الزمن اتسمت هذه النهضة بسمات خاصة اختلفت عن سائر البلدان وأصبحت المدرسة العراقية متميزة بها ، ومن هذه السمات :

أولاً – التسلسل الزمني في ذكر مصادر التخريج ، لأنّ الفضل للمتقدم وأنّ المتأخر اعتمد في أخباره على المتقدم . وأمامي كتاب لأحد المحققين المشهورين خرّج فيه بيتاً من الشعر على الوجه الآتي :
خزانة الأدب ، الأغاني ، طبقات فحول الشعراء . فلم يراع المحقق الفاضل التسلسل الزمني ، وكان حقُّها أن تكون :
طبقات فحول الشعراء ، الأغاني ، خزانة الأدب ، لأن ابن سلاّم توفي ٢٣١هـ ، وأبو الفرج الأصبهاني توفي نحو ٣٦٠ هـ ، وعبد القادر البغدادي توفي ١٠٨٩ هـ .

ثانياً – الاكتفاء بالتخريج من الدواوين الشعرية المطبوعة ، المحققة أو المجموعة والإشارة الى الخلاف في الرواية إنْ وجد إذ لاحاجة لسرد المصادر التي جاء فيها هذا البيت أو ذاك فهي كثيرة ولا يمكن حصرها .

ويخالفنا في هذا كثير من اخواننا واساتذتنا المحققين ، ولكننا التزمنا هذا النهج ولن نحيدَ عنه إذ أصبح سِمةً مميزةً من سمات المدرسة العراقية في

تحقيق التراث ، وهو بعدُ يؤكد رجوعَ المحقّق الى الدواوين للوقوف على الرواية الصحيحة أولاً ، وعلى مصادر تخريج البيت المذكورة في الديوان ثانياً .

ثالثاً — الرجوع الى المصادر القديمة والمتخصصة في التراجم .

فثمة من يكتفي بالاشارة الى الأعلام للزركلي أو معجم المؤلفين لكحالة ، وهو منهج لقسم من المحققين الذين يطلبون الأسهل والأمكن .

ونرى قسماً آخر يخبط خبط عشواء فيُشير الى الأعلام مرة والى كشف الظنون أخرى والى ميزان الاعتدال ثالثة والى خزانة الأدب رابعة وهكذا . . . وهذا منهج ليس بسليم .

ونحن في العراق اتبعنا نهجاً أحسب أنّنا تفرّدنا به ، وهو :

— الرجوع في تراجم المفسرين الى الكتب التي اختصت بهم ككتابي السيوطي والداودي في طبقات المفسرين .

— الرجوع في تراجم المحدثين الى الكتب الخاصة بهم وهي على سبيل المثال لا الحصر : تهذيب الكمال للمزي وتذكرة الحفاظ للذهبي وتهذيب التهذيب لابن حجر .

— الرجوع في تراجم أصحاب المذاهب الأربعة الى كتب طبقات الشافعية والحنفية والحنابلة والمالكية وهي كثيرة بحمد الله .

— الرجوع في تراجم القُرّاء الى الكتب التي ترجمت لهم ، منها : معرفة القرّاء الكبار للذهبي وغاية النهاية لابن الجزري .

— الرجوع في تراجم النحاة واللغويين الى الكتب التي اختصت بتراجمهم ككتب أبي الطيب اللغوي وابي سعيد السيرافي وأبي بكر الزبيدي والقفطي وغيرهم . . .

— الرجوع في تراجم الضعفاء من المحدّثين الى كتب الضعفاء والمجروحين لابن حبّان والدارَ قُطني والذهبي وغيرهم . . .

- الرجوع في تراجم الشعراء الى الكتب التي اختصت بهم ككتاب طبقات فحول الشعراء وطبقات الشعراء المحدثين ومعجم الشعراء . . . الخ

رابعاً - الرجوع في التحقيق الى الكتب المتخصصة لمعرفة ما يعنّ لك في الكتاب المحقّق وضبطها وفهم معناها :

- فلمعرفة كلمة تخصّ النبات يجب الرجوع ، على وفق منهجنا ، الى كتب النبات للأصمعي ولأبي حنيفة الدينوري .

- ولمعرفة كلمة في الأضداد يجب الرجوع الى كتاب من كتب الأضداد العشرة المطبوعة .

- ولمعرفة كلمة في المشترك اللفظي يُرجع الى الكتب المؤلفة في هذا الباب لليزيدي وأبي العميثل وكُراع النمل في كتابه (المُنَجَّد في اللغة) .

- ولمعرفة كلمة ضادية أو ظائية يُرجع الى كتب الضاد والظاء وهي كثيرة .

- ولمعرفة المذكر والمؤنث يرْجع الى كتب المذكر والمؤنث ، وقد طُبع منها عشرة كتب أصيلة .

- ولمعرفة مَثَل من الأمثال يرجع الى كتب الأمثال ، وقد طُبع منها ستةَ عشرَ كتاباً .

- ولمعرفة المقصور والممدود يُرجع الى الكتب المؤلفة في هذا الباب ، وهي ثمانية كتب عدا المنظومات لابن دريد وابن مالك وغيرهما .

- ولمعرفة الأزمنة والأنواء يرُجع الى الكتب المؤلفة في هذا الباب لقطرب وابن قتيبة والمرزوقي وابن الأجدابي .

- ولمعرفة تحديد موضع أو اسم مدينة يُرجع الى معجم ما استعجم للبكري ومعجم البلدان لياقوت والروض المعطار للحميري .

- ولمعرفة كلمة في المثلث اللغوي يُرجع الى الكتب المؤلفة في هذا الباب ، وقد طبعت أربعة كتب أصيلة فيها .

خامساً – تخريج الأقوال من كتب أصحابها إن كانت كتبُهُم مطبوعة وإنْ لم تصل الينا توثق من المصادر الأخرى .

إنّ أهمية تخريج الأقوال والنصوص من كتبِ أصحابها تعين الباحث دائماً على توثيق النص وضبطه . فعلى سبيل المثال أقول : إنني انتهيت في نيسان عام ١٩٧٣ من تحقيق كتاب (مشكل اعراب القرآن) لمكي بن أبي طالب القيسي المغربي المتوفى سنة ٤٣٧ هـ ، وفي الكتاب نقول عن سيبويه والخليل والمبرد والفرّاء قمت بتخريجها جميعاً وعانيت كثيراً في تخريج أقوال سيبويه والخليل من الكتاب لأنّ فهرس الشيخ عضيمة ، رحمه الله ، صدر عام ١٩٧٥ وكذا فهرس الكتاب لعبد السلام هارون ، رحمه الله ، صدرعام ١٩٧٧ . ووجدت اضطراباً عند مكي إذ نسب أحياناً قول الخليل الى سيبويه ، وقول سيبويه الى الخليل فأشرت الى ذلك . وبعد سنة ونصف السنة ظهر الكتاب نفسه مطبوعاً بدمشق إذ تعجّل أحد الأخوة في نشره فترك ستة وأربعين قولاً لسيبويه والخليل من غير الرجوع الى كتاب سيبويه وهذا مُخلّ بالتحقيق العلمي فبقي الاضطراب من غير اشارة إليه ، كذا ترك أربعة عشر قولاً للمبرد في كتابه (المقتضب) من غير تخريج ، وأربعة أقوال للفرّاء في كتابه (معاني القرآن) .

سادساً – عدم اثقال الحواشي والتوجه الى ضبط النص واخراجه سليماً .

فقد وقفنا على تحقيقات الجيل الذي سبقنا فرأينا فيها العجب العجاب ، فثمة ترجمة لأبي بكر (رض) تقع في صفحتين ، وأخرى لعمر بن الخطاب (رض) تقع في ثلاث صفحات وهلمّ جرّا . .

سابعاً – الاعتماد على الطبعات المحققة تحقيقاً علمياً واسقاطُ غيرها في التخريجات والإحالات .

على سبيل المثال : كتاب (مايجوز للشاعر في الضرورة) للقزّاز المتوفى سنة ٤١٢ هـ طُبع مرتين الأولى في تونس والثانية في الاسكندرية ، وصدرت له طبعة ثالثة في القاهرة بتحقيق د . رمضان عبد التواب ود . صلاح الدين الهادي أسقطت الطبعتين السابقتين .

وكذا كتاب (اشتقاق الأسماء) للأصمعي الذي طُبع مرتين في بغداد وصدرت له طبعة ثالثة في القاهرة بتحقيق د . رمضان عبد التواب ود . صلاح الدين الهادي أسقطت طبعتي بغداد .

فنحن في العراق نحاسب الطالب الذي يعتمد على طبعة غير محققة تحقيقاً علمياً .

ثامناً — الأمانة العلمية واحترام النص . فقد وقفنا على تحقيقات لاساتذة أفاضل تصرفوا بالنص فقدموا وأخروا وأضافوا وحذفوا وهذا ليس من التحقيق في شيء، على سبيل المثال : كتاب (**اصلاح** الوجوه والنظائر في القرآن الكريم) للدامغاني، نشرة عبد العزيزسيد الأهل نشرة فيها اضافات كثيرة وفيها تغيير لترتيب المؤلف وهي نشرة ساقطة لايعتمد عليها .

وبعد فانّ هذا المنهج أيها الاخوة منهج صعب يوجب على المحقق الرجوع الى مصادر كثيرة قد لا تكون في متناول اليد، وقد ألزمنا طلبتنا في الدراسات العليا باتباع هذا المنهج ليخرج الطالب متمكناً عارفاً المصادر في كلّ باب ، فهو واسع الافق يتتبع كلّ جديد في التراث، وهذا التواصل بينه وبين الجديد له أثر كبير في اتقان التحقيق والتمكن منه .

والتحقيق أيها الاخوة ليس عملاً هيّناً يسيراً ، بل هو عمل شاقّ مرهق ، والحرص على احياء تراثنا المجيد جعلنا نتغلب على هذه الصعاب ، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وماكنا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله .

جهود العراقيين في نشر الشعر

- ابتسام مرهون الصفار :

١ ــ مالك ومتمم ابنا نويرة بغداد ١٩٦٨

٢ ــ شعر زياد الأعجم بغداد ١٩٧٨

- ابراهيم السامرائي :

١ ــ شعر عروة بن حزام (بالمشاركة) بغداد ١٩٦١

٢ ــ ديوان القطامي (بالمشاركة) بيروت ١٩٦١

٣ ــ ديوان قيس بن الخطيم (بالمشاركة) بغداد ١٩٦٢

٩ ــ شعر الأحوص النجف ١٩٦٩

٥ ــ شعر أبي فراس الحمداني عمان ١٩٨٣

٦ ــ ديوان ابن الفارض عمان ١٩٨٥

- أحمد حاجم :

شعر أبي الوليد الحميري (المورد) (بالمشاركة) بغداد ١٩٨٨

- أحمد خطاب :

شرح القصائد التسع المشهورات : للنحاس بغداد ١٩٧٢

- أحمد مطلوب :

١ ــ شعر عروة بن حزام (بالمشاركة) بغداد ١٩٦١

٢ ــ ديوان القطامي (بالمشاركة) بيروت ١٩٦١

٣ ــ ديوان أبي حيان الأندلسي (بالمشاركة) بغداد ١٩٦٩

٤ ــ ديوان قيس بن الخطيم (بالمشاركة) بغداد ١٩٦٢

٥ ــ ديوان ديك الجن (بالمشاركة) بيروت ١٩٦٩

- أحمد النجدي :

١ – شعر الحمدوي (المورد) بغداد ١٩٧٣
٢ – أشعار صاحب الزنج (المورد) بغداد ١٩٧٣

– أحمد نصيف الجنابي :
شعر العكوك النجف ١٩٧١

– أيهم عباس حمودي :
شعر ورقة بن نوفل (المورد) بغداد ١٩٨٨

– بهجة عبد الغفور الحديثي :
١ – ديوان أمية بن أبي الصلت بغداد ١٩٧٥
٢ – ديوان أبي نواس (رواية الصولي) بغداد ١٩٧٩

– جابر الخاقاني :
١ – شعر ابن طباطبا العلوي بغداد ١٩٧٥
٢ – شعر المهلبي (المورد) بغداد ١٩٧٥

– جاسم محمد جاسم :
ديوان ابن دنينير (رسالة دكتوراه) : بغداد ١٩٨٧

– جبار تعبان جاسم :
شعر تأبط شراً : (بالمشاركة) النجف ١٩٧٣

– جليل العطية :
ديوان الميكالي بيروت ١٩٨٥

– جميل ابراهيم حبيب :
الدرر الغوالي من أشعار الإمام الغزالي بغداد ١٩٨٥

– جميل سعيد :
ديوان محمد بن عبد الملك الزيات القاهرة ١٩٤٩

ـ حاتم صالح الضامن : بغداد ١٩٧٣

١ ـ شعر يزيد بن الطثرية بغداد ١٩٧٣

٢ ـ شعر الخليل بن أحمد الفراهيدي (البلاغ) بغداد ١٩٧٣

٣ ـ شعر المخبل السعدي (المورد) بغداد ١٩٧٣

٤ ـ شعر بكر بن النطاح (البلاغ) بغداد ١٩٧٥

٥ ـ شعر الكميت بن معروف (المورد) بغداد ١٩٧٥

٦ ـ شعر نهشل بن حرّيّ بغداد ١٩٧٥

٧ ـ شعر مزاحم العقيليّ (بالمشاركة) القاهرة ١٩٧٦

٨ ـ ديوان معن بن أوس (بالمشاركة) بغداد ١٩٧٧

٩ ـ شعر سويد بن كراع (المورد) بغداد ١٩٧٩

١٠ ـ شعر قيس بن الحدادية (المورد) بغداد ١٩٧٩

١١ ـ قصائد نادرة من منتهى الطلب (المورد) بغداد ١٩٧٩

١٢ ـ شعر عاصم والقعقاع (شاعران من فرسان القادسية) بغداد ١٩٨١

١٣ ـ شعر القحيف العقيلي (المجمع العلمي العراقي) بغداد ١٩٨٦

١٤ ـ شعر الفند الزّماني (المجمع العلمي العراقي) بغداد ١٩٨٦

١٥ ـ شعراء مقلون بيروت ١٩٨٧

١٦ ـ ديوان شعر عدي بن الرقاع (بالمشاركة) بغداد ١٩٨٧

١٧ ـ شعر أبي وجزة السعدي (تحت الطبع)

ـ حبيب الحسني :

ديوان السريّ الرّفاء بغداد ١٩٨١

ـ حسين علي محفوظ :

١ ـ ديوان ابن سينا طهران ١٩٥٧

٢ ـ شعر بدر الدين يوسف بن لؤلؤ بغداد ١٩٦٨

٣ — مختارات ديوان ابن الخيمي بغداد ١٩٧٠

— حكمت علي الأوسي :

شعر الغزال بغداد ١٩٧١

— حميد آدم ثويني :

١ — شعر السليك بن السلكة (بالمشاركة) بغداد ١٩٨٤

٢ — شعرابن الاطنابة (المورد) بغداد ١٩٨٥

— خديجة الحديثي :

ديوان أبي حيان الأندلسي (بالمشاركة) بغداد ١٩٦٩

— خضر الطائي :

ديوان العرجي (بالمشاركة) بغداد ١٧٧٦

— خلف رشيد نعمان :

١ — ديوان أبي تمام (رواية الصولي) بغداد ١٩٧٧ — ١٩٨٢

٢ — شرح المشكل من أبيات أبي تمام (للمرزوقي) بيروت ١٩٨٧

٣ — النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام (لابن المستوفي) بغداد ١٩٨٩

— خليل ابراهيم العطية :

١ — ديوان المزرد بغداد ١٩٦٢

٢ — ديوان ليلى الأخيلية (بالمشاركة) بغداد ١٩٦٧

٣ — ديوان توبة بن الحميّر بغداد ١٩٦٨

٤ — ديوان لقيط بن يعمر بغداد ١٩٧٠

٥ — ديوان مسكين الدارمي (بالمشاركة) بغداد ١٩٧٠

٦ — ديوان عمرو بن قميئة بغداد ١٩٧٢

٧ — شعر نهار بن توسعة (المورد) بغداد ١٩٧٥

– خليل بنيان :

شعر أشجع السلمي بيروت ١٩٨١

– خيرية محمد محفوظ :

ديوان كشاجم بغداد ١٩٧٠

– داود سلوم :

١ – شعر ابن مفرغ الحميري بغداد ١٩٦٨

٢ – شعر نصيب بن رباح بغداد ١٩٦٨

٣ – شعر الكميت بن زيد النجف ١٩٦٩

٤ – شرح هاشميات الكميت لأبي رياش (بالمشاركة) بيروت ١٩٨٦

– رزوق فرج رزوق :

شعر أبي سعد المخزومي بغداد ١٩٧١

– رشيد الصفار :

ديوان المرتضى مصر ١٩٥٨

– رشيد عبد الرحمن العبيدي :

١ – تنبيه الأديب على ما في شعر أبي الطيب من الحسن والمعيب بغداد ١٩٧٧

٢ – شعر أبي طالب المأموني بغداد ١٩٨٩

– رشيد علي العبيدي :

ديوان العرجي (بالمشاركة) بغداد ١٩٥٦

– رضوان مهدي العبود :

شعر سديف بن ميمون النجف ١٩٧٩

– زكي ذاكر العاني :

١ – ديوان العكوك بغداد ١٩٧١

٢ ـ شعر الحارثي بغداد ١٩٨٠

٣ ـ شعر ربيعة الرقي دمشق ١٩٨١

ـ زهير غازي زاهد :

١ ـ شعر عبد الصمد بن المعذل النجف ١٩٧٠

٢ ـ شعر ابن لنكك البصرة ١٩٧٤

ـ سامي مكي العاني :

١ ـ ديوان كعب بن مالك بغداد ١٩٦٦

٢ ـ شعر عبد الرحمن بن حسان بغداد ١٩٧١

٣ ـ شعر أبي اليمن الكندي (بالمشاركة) بغداد ١٩٧٧

ـ سعاد جاسم محمد :

ديوان الأبله البغدادي (رسالة ماجستير لم تطبع بعد) الموصل ١٩٨٥

ـ سعيد الغانمي :

١ ـ شعر أبي العيناء البصري (البلاغ) بغداد ١٩٧٦

٢ ـ شعر ابن العلاف (البلاغ) بغداد ١٩٧٧

ـ سلمان داود القره غولي :

شعر تأبط شرّاً (بالمشاركة) النجف ١٩٧٣

ـ سليم النعيمي :

شعر النجاشي (مجلة المجمع) بغداد ١٩٦٦

ـ شاكر العاشور :

١ ـ ديوان سويد بن أبي كاهل البصرة ١٩٧٢

٢ ـ ديوان عمارة بن عقيل البصرة ١٩٧٣

٣ ـ ديوان ابن حازم (المورد) بغداد ١٩٧٧

ـ شاكر هادي شكر :

١ ـ ديوان السيد الحميري بيروت (لا. ت)

٢ ــ ديوان الشاب الظريف النجف ١٩٦٧

٣ ــ ديوان حيص بيص (بالمشاركة) بغداد ١٩٧٤

٤ ــ ديوان الصوري (بالمشاركة) بغداد ١٩٨١

٥ ــ ديوان ابن معصوم بيروت ١٩٨٨

ــ صاحب أبو جناح :

شعر ابن السيد البطليوسي (المورد) بغداد ١٩٧٧

ــ صاحب شنون :

ديوان الحاجري (رسالة ماجستير لم تطبع بعد)

ــ صالح محمد خلف :

شعر أرطاة بن سهية (المورد) بغداد ١٩٧٨

ــ صبحي ناصر :

١ ــ شعر حماد عجرد (مجلة ــ كلية التربية) البصرة ١٩٨١

٢ ــ شعر المأمون (تحت الطبع)

ــ صبيح رديف :

١ ــ شعر النامي بغداد ١٩٧٠

٢ ــ شعر السلامي بغداد ١٩٧١

٣ ــ شعر الخباز البلدي بغداد ١٩٧٢

٤ ــ شعر ابن العلاف بغداد ١٩٧٤

ــ صفاء خلوصي :

ديوان المتنبي بشرح ابن جني (الفسر) بغداد ١٩٦٩

ــ صلاح الفرطوسي :

شعر أبي عيينة (رسالة ماجستير لم تطبع بعد)

ــ ضياء الدين الحيدري :

شعر الأعور الشني (البلاغ) بغداد ١٩٧٥

– عاتكة الخزرجي :

ديوان العباس بن الأحنف القاهرة ١٩٥٤

– عادل البياتي :

١ – شعر الربيع بن زياد بغداد ١٩٧١

٢ – شعر الحارث بن ظالم المري بغداد ١٩٧٢

٣ – شعر قيس بن زهير النجف ١٩٧٢

٤ – شعر ربيعة بن مكدم بغداد ١٩٧٥

٥ – شعر افنون التغلبي بغداد ١٩٧٦

٦ – شعر الربيع بن ضبع الفزاري بغداد ١٩٨٩

– عباس توفيق :

شعر أبي نخيلة (المورد) بغداد ١٩٧٨

– عباس الصالحي :

شعر الجزري بغداد ١٩٨٠

– عبد الأمير مهدي :

ديوان ابن نباتة السعدي بغداد ١٩٧٧

– عبد الجبار المطلبي :

الصبابة من شعر عبد الله بن معاوية (مجلة الكتاب) بغداد ١٩٧٥

– عبد الحسين المبارك :

شعر عقيل بن علفة (مجلة كلية الآداب بالبصرة) البصرة ١٩٨٦

– عبد الحميد الراضي :

شعر عبد الله بن معاوية دمشق ١٩٧٦

– عبد الصاحب الدجيلي :

ديوان دعبل — النجف ١٩٦٢

– عبد العظيم عبد المحسن :

ديوان أبي دهبل — النجف ١٩٧٢

– عبد القادر عبد الجليل :

شعر بشامة بن الغدير (المورد) — بغداد ١٩٧٧

– عبد الكريم الدجيلي :

ديوان أبي الأسود الدؤلي — بغداد ١٩٥٤

– عبد الله الجبوري :

١ – أشعار أبي الشيص — النجف ١٩٦٧

٢ – ديوان ابن النقيب — دمشق ١٩٦٣

٣ – ديوان أبي الهندي — النجف ١٩٦٩

٤ – ديوان ديك الجن (بالمشاركة) — بيروت ١٩٦٤

٥ – ديوان ابن الدهان الموصلي — بغداد ١٩٦٨

٦ – ديوان مسكين الدارمي (بالمشاركة) — بغداد ١٩٧٠

– عبد الله الخطيب :

١ – شعر صالح بن عبد القدوس — بغداد ١٩٦٧

٢ – ديوان نصر بن سيار — بغداد ١٩٧٢

– عبد الله محمود طه :

ديوان النشالة (رسالة ماجستير لم تطبع بعد)

– عبد المجيد الملا :

ديوان العباس بن الأحنف — القاهرة ١٩٤٧

- عبد المنعم أحمد صالح :

ديوان الحماسة (لأبي تمام) بغداد ١٩٨٠

- عبد الوهاب العدواني :

١ - ديوان ذي الاصبع العدواني (بالمشاركة) الموصل ١٩٧٣

٢ - شعر ابن الحلاوي (بالمشاركة) الموصل ١٩٨٠

- عدنان راغب العبيدي :

ديوان محمود الوراق بغداد ١٩٦٩

- علي جواد الطاهر :

١ - ديوان الخريمي (بالمشاركة) بيروت ١٩٧١

٢ - ديوان الطغرائي (بالمشاركة) بغداد ١٩٧٦

- عماد عبد السلام رؤوف :

ديوان العشاري (بالمشاركة) بغداد ١٩٧٧

- فاخر جبر :

شعر أبي الوليد الحميري (بالمشاركة) (المورد) بغداد ١٩٨٧

- قاسم راضي مهدي :

شعر أبي عطاء السندي (المورد) بغداد ١٩٨٠

- قحطان رشيد التميمي

شعر مروان بن أبي حفصة النجف ١٩٦٦

- قحطان عبد الستار :

١ - شعر عبد الله بن طاهر (مجلة الخليج العربي) البصرة ١٩٧٦

٢ - شعر عبيد الله بن عبدالله بن طاهر (مجلة كلية الآداب) البصرة ١٩٨٢

- كامل سعيد عاوان :

شعر السليك بن السلكة (بالمشاركة) بغداد ١٩٨٤

ـ كامل مصطفى الشيبي :

١ ـ ديوان أبي بكر الشبلي بغداد ١٩٦٧

٢ ـ ديوان الحلاج بيروت ١٩٧٤

ـ كمال عبد الرزاق العجيلي :

شعر عُليّة بنت المهدي بيروت ١٩٨٦

ـ ماجد السامرائي :

شعر ثابت قطنة بغداد ١٩٧٠

ـ ماجد العزي :

ديوان اسحاق الموصلي بغداد ١٩٧٠

ـ مجاهد مصطفى بهجت :

١ ـ شعر الشافعي الموصل ١٩٨٦

٢ ـ شعر الإمام عبد الله بن المبارك القاهرة ١٩٨٧

٣ ـ الباقيات الصالحات من أشعار منصور الفقيه (مجلة الجامعة المستنصرية) بغداد ١٩٨٨

ـ محسن غياض :

١ ـ شعر الحسين بن مطير بغداد ١٩٧١

٢ ـ شعر اليزيديين النجف ١٩٧٣

٣ ـ ديوان ذي القرنين (مجلة المجمع) بغداد ١٩٧٤

٤ ـ شعر أبي هلال العسكري بيروت ١٩٧٥

٥ ـ تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي :
(لأبي المرشد المعري) (بالمشاركة) بيروت ١٩٧٩

– محمد بديع شريف :

ديوان الأمير عبد الله بن المعتز — القاهرة ١٩٧٧

– محمد جبار المعيبد :

١ – ديوان عدي بن زيد — بغداد ١٩٦٥
٢ – ديوان طمهان — بغداد ١٩٦٨
٣ – ديوان ابن هرمة — النجف ١٩٦٩
٤ – شعر العطوي (المورد) — بغداد ١٩٧١
٥ – ديوان الخريمي (بالمشاركة) — بيروت ١٩٧١
٦ – شعر الجاحظ (المورد) — بغداد ١٩٧٣
٧ – شعر الحمدوي (في كتاب : شعراء بصريون) — البصرة ١٩٧٧
٨ – شعر أبي محمد الفقعسي (تحت الطبع)
٩ – شعر محمد بن وهيب الحميري (مجلة الخليج العربي) — البصرة ١٩٨٥

– محمد حسن آل ياسين :

١ – ديوان السموأل — بغداد ١٩٥٥
٢ – شعر المثقب العبدي — بغداد ١٩٥٦
٣ – ديوان الصاحب بن عباد — بيروت ١٩٧٤
٤ – ديوان أبي الأسود الدؤلي — بيروت ١٩٧٤
٥ – ديوان الخبز أرزي (مجلة المجمع) — بغداد ١٩٨٩

– محمد حسين الأعرجي :

شعر الحمّاني (المورد) — بغداد ١٩٧٤

– محمد قاسم مصطفى :

١ – ديوان الباخرزي (رسالة ماجستير لم تطبع بعد)

٢ ـ شعر ابن كناسة (مجلة آداب الرافدين) الموصل ١٩٧٥

٣ ـ ديوان الأرجاني بغداد ١٩٨٠

٤ ـ شعر ابن الحلاوي (بالمشاركة) الموصل ١٩٨٠

ـ محمد مجيد السعيد :

١ ـ شعر المعتضد بن عباد (المورد) بغداد ١٩٧٦

٢ ـ شعر ابن اللبانة الداني البصرة ١٩٧٧

٣ ـ شعر ابن بقي القرطبي (المورد) بغداد ١٩٧٨

ـ محمد محمود يونس :

ماتبقى من شعر الحاجب المصحفي (مجلة آداب المستنصرية) بغداد ١٩٨٥

ـ محمد نايف الدليمي :

١ ـ شعر ابن ميادة الموصل ١٩٧٠

٢ ـ ديوان ذي الاصبع العدواني (بالمشاركة) الموصل ١٩٧٣

٣ ـ شعر الحكم بن عبدل (المورد) بغداد ١٩٧٦

٤ ـ شعر مطرود الخزاعي (البلاغ) بغداد ١٩٧٧

٥ ـ شعر موسى شهوات (البلاغ) بغداد ١٩٧٨

٦ ـ شعر العجير السلولي (المورد) بغداد ١٩٧٩

٧ ـ المختار من شعر ابن دانيال الموصل ١٩٧٩

٨ ـ شعر أبي الطمحان القيني (المورد) بغداد ١٩٨٨

ـ محمد الهاشمي :

ديوان ابن الدمينة القاهرة ١٩٣٦

ـ محمود عبد الله الجادر :

شعر الثعالبي بيروت ١٩٨٧

– مزاحم أحمد البلداوي :

شعر هدبة بن الخشرم (رسالة ماجستير لم تطبع بعد مصر ١٩٧٨

– مزهر السوداني :

١ – شعر الحمّاني البصرة ١٩٧٤

٢ – شعر جحظة النجف ١٩٧٧

٣ – شعر الناشئ (مجلة كلية التربية) البصرة ١٩٧٩

٤ – شعر ابن بسام (المورد) بغداد ١٩٨٦

– مكي السيد جاسم :

١ – ديوان حيص بيص (بالمشاركة بغداد ١٩٧٤

٢ – ديوان الصوري (بالمشاركة) بغداد ١٩٨١

– منجد مصطفى بهجت :

١ – شعر ابن جبير الأندلسي (مجلة آداب الرافدين) الموصل ١٩٧٨

٢ – ديوان ابن الجزار السرقسطي (روضة المحاسن) بغداد ١٩٨٧

– مهدي عبد الحسين النجم :

١ – شعر الفضل اللهبي (البلاغ) بغداد ١٩٧٦

٢ – شعر محمد بن صالح العلوي (البلاغ) بغداد ١٩٧٦

٣ – شعر مالك الأشتر (البلاغ) بغداد ١٩٧٨

٤ – شعر ابن المولى (البلاغ) بغداد ١٩٨٠

– مهدي عبيد جاسم :

١ – شعر الحصين بن حمام المري (المورد) بغداد ١٩٨٨

٢ – شعر مالك بن حريم (المورد) بغداد ١٩٨٩

– ناصر الحاني :

شعر الراعي النميري دمشق ١٩٦٤

– ناصر خلاوي :

١ ــ شعر العتابي	البصرة ١٩٦٥
٢ ــ شعر البعيث	البصرة ١٩٧٩

ــ ناظم رشيد شيخو :

١ ــ ديوان الملك الأمجد	بغداد ١٩٨٢
٢ ــ ديوان عماد الدين الأصبهاني	الموصل ١٩٨٣
٣ ــ ديوان ابن الظهير الاربلي	الموصل ١٩٨٨

ــ نجم عبد علي رئيس :

شعر ابن مرج الكحل (المورد)	بغداد ١٩٨٩

ــ نوري حمودي القيسي :

١ ــ شعر زيد الخيل	النجف ١٩٦٨
٢ ــ شعر خفاف بن ندبة	بغداد ١٩٦٨
٣ ــ شعر أبي زبيد الطائي	بغداد ١٩٦٨
٤ ــ شعر ربيعة بن مقروم (مجلة كلية الآداب)	بغداد ١٩٦٨
٥ ــ شعر النمر بن تولب	بغداد ١٩٦٩
٦ ــ شعر الأسود بن يعفر	بغداد ١٩٧٠
٧ ــ شعر المرقش الأصغر (مجلة كلية الآداب)	بغداد ١٩٧٠
٨ ــ شعر المرقش الأكبر (مجلة العرب السعودية)	الرياض ١٩٧١
٩ ــ شعر مزاحم العقيلي (بالمشاركة)	القاهرة ١٩٧٦
١٠ ــ ديوان معن بن أوس (بالمشاركة)	بغداد ١٩٧٧
١١ ــ ديوان أبي بكر محمد بن داود الأصفهاني	بغداد ١٩٧٩
١٢ ــ ديوان جران العود	بغداد ١٩٨٣
١٣ ــ ديوان الراعي النميري (بالمشاركة)	بغداد ١٩٨٠
١٤ ــ شعر أبي نجيد نافع بن الأسود (المورد)	بغداد ١٩٨٢

١٥- شعر القعقاع وعاصم (شاعران من فرسان القادسية (بالمشاركة) بغداد ١٩٨١
١٦ - شعر الأسود بن قطبة (المورد) بغداد ١٩٨٤
١٧ - شعر حاجب الفيل (المورد) بغداد ١٩٨٦
١٨ - شعر زفر بن الحارث (مجلة المجمع) بغداد ١٩٨٤
١٩ - شعر عبد الله بن همام السلولي (مجلة المجمع) بغداد ١٩٨٦
٢٠ - شعر عبدالله بن عبد الأعلى الشيباني (مجلة كلية الآداب) بغداد ١٩٨٨
٢١ - ديوان شعر عدي بن الرقاع (بالمشاركة) بغداد ١٩٨٧
٢٢ - شعر عبد الله بن العجلان النهدي (مجلة العرب) الرياض ١٩٨٩
٢٣ - شعر حريث بن محفض (المورد) بغداد ١٩٨٨
٢٤ - شعراء أمويون (الجزء الأول) وفيه شعر : الموصل ١٩٧٦

(١) مالك بن الريب (٢) عبيد الله بن الحر
(٣) السمهري العكلي (٤) جحدر المحرزي
(٥) عبيد بن أيوب العنبري (٦) الخطيم المحرزي
(٧) العديل بن الفرخ

٢٥ - شعراء أمويون (الجزء الثاني) وفيه شعر : الموصل ١٩٧٦

(٨) حارثة بن بدر الغداني (٩) كعب بن معدان الأشقري
(١٠) المرار بن سعيد الفقعسي (١١) الشمردل اليربوعي

٢٦ - شعراء أمويون (الجزء الثالث) وفيه شعر : بغداد ١٩٨٢

(١٢) طريح الثقفي (١٣) محمد بن نمير الثقفي
(١٤) محمد بن بشير (١٥) يزيد بن الحكم
(١٦) المغيرة بن حبناء (١٧) الوليد من عقبة
(١٨) عويف القوافي (١٩) جبيهاء الأشجعي
(٢٠) شبيب بن البرصاء

٢٧ ـ شعراء أمويون (الجزء الرابع) وفيه شعر : بيروت ١٩٨٥

(٢١) أبو صخر الهذلي (٢٢) الأغلب العجلي

(٢٣) المقنع الكندي (٢٤)الأشهب بن رميلة

(٢٥) الأبيرد الرياحي (٢٦)عبد الله بن الحجاج

(٢٧) أبو جلدة اليشكري

٢٨ ـ شعر مضرس بن ربعي الأسدي (مجلة المجمع) بغداد ١٩٨٦

٢٩ ـ شعر أنس بن زُنيم الدؤلي (مجلة المجمع) بغداد ١٩٨٦

٣٠ ـ شرح هاشميات الكميت لأبي رياش (بالمشاركة) بيروت ١٩٨٦

٣١ ـ شعر رقيع الوالبي (مجلة المجمع) بغداد ١٩٨٥

ـ هاشم الطعان :

١ ـ ديوان عمرو بن معديكرب بغداد ١٩٧٠

٢ ـ ديوان الحارث بن حلزة بغداد ١٩٦٩

ـ هاشم طه شلاش :

١ ـ شعر قيس بن عاصم (البلاغ) بغداد ١٩٧٥

٢ ـ شعر ضمرة بن ضمرة (المورد) بغداد ١٩٨١

ـ هدى شوكة بهنام :

١ ـ شعر أبي بكر بن القوطية (المورد) بغداد ١٩٨٥

٢ ـ شعرابيعامربن مسلمة (المورد) بغداد ١٩٨٩

ـ هلال ناجي :

١ ـ ديوان علي بن عبد الرحمن الصقلي بغداد ١٩٧٦

٢ ـ شعر المريمي (المورد) بغداد ١٩٨٦

٣ ـ شعر أبي اليمن الكندي (بالمشاركة) بغداد ١٩٧٧

٤ ـ شعر الأقرع بن معاذ القشيري (المورد) بغداد ١٩٧٨

٥ ـ شعر الأخيطل الأهوازي (مجلة الخليج العربي) البصرة ١٩٧٨

٦ — شعر الحسن بن أسد الفارقي | الرياض ١٩٧٨
٧ — شعر أبي هفان (المورد) | بغداد ١٩٨٠
٨ — ديوان الراعي النميري (بالمشاركة) | بغداد ١٩٨٠
٩ — ديوان الناشئ الأكبر (المورد) | بغداد ١٩٨٢
١٠ — ديوان الببغاء (مجلة المجمع) | بغداد ١٩٨٣
١١ — ديوان التنوخي الكبير (المورد) | بغداد ١٩٨٩
١٢ — ديوان ابزون العماني (حوليات جامعة قطر) | قطر ١٩٨٩
١٣ — المختار من شعر شعراء الأندلس : لابن الصيرفي المغرب (لا . ت)
١٤ — بديعيات الآثاري | بغداد ١٩٧٧

— وليد الأعظمي :

١ — ديوان العشاري (بالمشاركة) | بغداد ١٩٧٧
٢ — ديوان الأخرس | بيروت ١٩٨٧



— يحيى الجبوري :

١ — ديوان العباس بن مرداس | بغداد ١٩٦٨
٢ — شعر النعمان بن بشير | بغداد ١٩٦٨
٣ — شعر عروة بن أذينة | بيروت ١٩٧٠
٤ — شعر المتوكل الليثي | بيروت ١٩٧١
٥ — شعر الحارث المخزومي | النجف ١٩٧٢
٦ — شعر عبدة بن الطبيب | بيروت ١٩٧٢
٧ — شعر عبد الله بن الزبير | بغداد ١٩٧٤
٨ — شعر أبي حيّة النميري | دمشق ١٩٧٥
٩ — شعر هدبة بن الخشرم | دمشق ١٩٧٦
١٠ — ديوان الطغرائي (بالمشاركة) | بغداد ١٩٧٦
١١ — شعر عمرو بن شأس | النجف ١٩٧٦

١٢ ـ شعر عمر بن لجأ بغداد ١٩٧٦

١٣ ـ قصائد جاهلية نادرة (المورد) بغداد ١٩٨٠

١٤ ـ شعر عبد الله بن الزبعرى بيروت ١٩٨١

١٥ ـ شعر خداش بن زهير دمشق ١٩٨٦

ـ يونس السامرائي :

١ ـ أشعار سعيد بن حميد بغداد ١٩٧١

٢ ـ شعر ابن المعتز بغداد ١٩٧٨

٣ ـ شعر آل وهب بغداد ١٩٧٩

٤ ـ ديوان خالد الكاتب ١٩٨١

٥ ـ شعر علي بن هارون المنجم (مجلة المجمع) بغداد ١٩٨٢

٦ ـ شعراء عباسيون (الجزء الأول) وفيه شعر : بيروت ١٩٨٦

(١) محمد وهيب الحميري (٢) أحمد بن أبي فنن

(٣) يزيد المهلبي (٤) ابراهيم بن المدبّر

٧ ـ شعراء عباسيون (الجزء الثاني) وفيه شعر : بيروت ١٩٨٧

(٥) أبو دلف العجلي (٦) أبو علي البصير (٧) ابن بسام

٨ ـ شعر العتبي(مجلة كلية الآداب) بغداد ١٩٨٩

٩ ـ شعر علي بن يحيى المنجم(مجلة المجمع) بغداد ١٩٨٥

جهود العراقيين في تحقيق التراث

– ابتسام مرهون الصفار :

١ – الاقتباس من القرآن الكريم : للثعالبي

٢ – تحفة الوزراء : المنسوب الى الثعالبي (بالمشاركة)

٣ – التعازي : للمدائني (بالمشاركة)

٤ – نسيم السحر : للثعالبي

– ابراهيم السامرائي :

١ – نزهة الألباء : لأبي البركات الأنباري

٢ – خلق الإنسان ؛ للزجاج

٣ – المرصع : لابن الإثير

٤ – المتشابه : للثعالبي

٥ – رسالتان في اللغة : للرماني

٦ – آداب التأليف : للسيوطي

٧ – الشماريخ في علم التاريخ : للسيوطي

٨ – كتاب الكتاب : لابن درستويه (بالمشاركة)

٩ – العين : للخليل بن أحمد (بالمشاركة)

١٠ – حاشية ابن بري على كتاب المعرّب للجواليقي : لابن بري

١١ – نهاية الايجاز في دراية الإعجاز : للرازي (بالمشاوكة)

١٢ – فوائد الموائد : لأبي الحسين الجزار

١٣ – النخل : لأبي حاتم السجستاني

١٤ – الزهرة : لمحمد بن داود الأصفهاني (بالمشاركة)

١٥ – الجبال والأمكنة والمياه : للزمخشري

١٦ – كتاب يفعول : للصاغاني

– أحمد الجنابي :

١ ــ قراءات القراء المعروفين بروايات الرواة المشهورين : للأندرابي
٢ ــ الرسالة العدوية في الياءات الإضافية : لابراهيم العدوي
٣ ــ فضائل القرآن وأهله واخلاقهم : للأندرابي

ــ أحمد الحسيني :
أمل الآمل : للعاملي

ــ أحمد خطاب العمر :
١ ــ القطع والائتناف : للنحاس
٢ ــ شرح أبيات سيبويه : للنحاس
٣ ــ في التعريب : لابن كمال باشا

ــ احمد عبد الرزاق الكبيسي :
أنيس الفقهاء : للشيخ قاسم القونوي

ــ أحمد عبد الستار الجواري :
المقرّب : لابن عصفور (بالمشاركة)

ــ أحمد مطلوب (بالمشاركة مع خديجة الحديثي):
١ ــ التبيان في علم البيان : لابن الزّملكاني
٢ ــ البرهان في وجوه البيان : لابن وهب الكاتب
٣ ــ الجمان في تشبيهات القرآن : لابن ناقيا البغدادي
٤ ــ البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن : لابن الزملكاني
٥ ــ تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب : لأبي حيان النحوي
٦ ــ البخلاء : للخطيب البغدادي
٧ ــ التمام في تفسير أشعار هذيل : لابن جني

ــ أسامة الرفاعي :
الفوائد الضيائية : للجامي

ــ اسامة النقشبندي :
١ ــ مستند الأجناد في آداب الجهاد : لابن جماعة الحموي

٢ ــ فضائل الرمي في سبيل الله : لابن القرّاب الدمشقي

ــ أكرم ضياء العمري :

١ ــ المعرفة والتاريخ : للفسوي

٢ ــ تركة النبي : لحماد بن اسحاق

ــ أكرم عثمان :

حسن التوسل الى صناعة الترسل : لشهاب الدين الحلبي

ــ بشار عواد معروف :

١ ــ التكملة لوفيات النقلة : للمنذري

٢ ــ تهذيب الكمال : للمزي

٣ ــ معرفة القراء الكبار : للذهبي (بالمشاركة)

٤ ــ سير اعلام النبلاء : للذهبي (بالمشاركة)

٥ ــ تاريخ الاسلام : للذهبي (بالمشاركة)

٦ ــ ذيل تاريخ مدينة السلام : لابن الدبيثي

٧ ــ مشيخة النّعال البغدادي : للمنذري (بالمشاركة)

ــ بهيجة باقر الحسني :

١ ــ خصائص العشرة الكرام البررة : للزمخشري

٢ ــ معجم السفر : للسلفي (ج)

ــ جايد زيدان مخلف :

١ ــ المكتفي في الوقف والابتداء : لأبي عمرو الداني

٢ ــ البديع (في قراءات الثمانية) : لابن خالويه

ــ جليل العطية :

١ ــ دَرج الغرر ودُرج الدّرر : لعمر بن علي المطوعي

٢ ــ الحنين الى الأوطان : لمحمد بن سهل الكرخي البغدادي

٣ ــ الوحوش : للأصمعي

٤ ــ الشوق والفراق : لابن المرزبان

– جميل سعيد :

١ – خريدة القصر : للعماد الأصبهاني (بالمشاركة)

٢ – الوشي المرقوم في حل المنظوم : لابن الأثير

حاتم صالح الضامن :

١ – مالم ينشر من الأمالي الشجرية : لابن الشجري

٢ – رسالة الريح : لابن خالويه

٣ – مشكل اعراب القرآن : لمكي بن أبي طالب القيسي

٤ – المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ : لابن الجوزي

٥ – عشر رسائل للجاحظ

٦ – فرائد الفوائد : للأنباري

٧ – رسالة البلاغة والايجاز : للجاحظ

٨ – مالم ينشر من تراث الجاحظ

٩ – الزاهر في معاني كلمات الناس : لابن الأنباري

١٠ – الاعتماد في نظائر الظاء والضاد : لابن مالك

١١ – المسائل السفرية في النحو : لابن هشام

١٢ – الناسخ والمنسوخ : لقتادة

١٣ – منثور الفوائد : للأنباري

١٤ – المدخل الى تقويم اللسان : لابن هشام اللخمي

١٥ – خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام : لابن بالي

١٦ – ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه : لابن البارزي

١٧ – معرفة الضاد والظاء : للصقلي

١٨ – كفاية الطالب : لابن الأثير (بالمشاركة)

١٩ – الحلبة في أسماء الخيل : للصاحبي التاجي

٢٠ – الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب : لابن عدلان

٢١ – السلاح : لأبي عبيد القاسم بن سلاّم

٢٢ – الفَرْق : لثابت بن أبي ثابت

٢٣ ــ الأزمنة : لقطرب

٢٩ ــ سهم الألحاظ في وهم الألفاظ : لابن الحنبلي

٢٥ ــ اصلاح غلط المحدثين : للخطابي

٢٦ ــ التذكرة الفخرية : للاربلي (بالمشاركة)

٢٧ ــ أسماء خيل العرب وفرسانها : لابن الأعرابي (بالمشاركة)

٢٨ ــ النخلة : لأبي حاتم السجستاني

٢٩ ــ غلط الضعفاء من الفقهاء : لابن بري

٣٠ ــ بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات : للمهدوي

٣١ ــ نسب الخيل : لابن الكلبي (بالمشاركة)

٣٢ ــ الفرق : لأبي حاتم السجستاني

٣٣ ــ الناسخ والمنسوخ : للزهري

٣٤ ــ دقائق التصريف : للمؤدب (بالمشاركة)

٣٥ ــ شرح مقصورة ابن دريد : للجواليقي (بالمشاركة)

٣٦ ــ موادّ البيان : لعلي بن خلف الكاتب

٣٧ ــ رسالة الخط والقلم : المنسوبة الى ابن قتيبة

٣٨ ــ مالم ينشر من كتاب العشرات للقزاز

٣٩ ــ الوجوه والنظائر في القرآن الكريم : لهارون بن موسى القارئ

٤٠ ــ ظاءات القرآن : للسرقوسي

٤١ ــ كحل العيون النجل في حلّ مسألة الكحل : لابن الحنبلي

٤٢ ــ الفوائد العجيبة في اعراب الكلمات الغريبة : لابن عابدين

٤٣ ــ أحكام كلّ وما عليه تدلّ : للسبكي

٤٤ ــ حصر حرف الظاء : للخولاني

٤٥ ــ الإفصاح ببعض ما جاء من الخطأ في كتاب الإيضاح : لابن الطراوة

٤٦ ــ وجوه القرآن : للحيري (تحت الطبع)

٤٧ ــ مسائل منثورة في التفسير والعربية والمعاني : لابن بري

ـ حازم الحلي :

البسيط في شرح الكافية : لركن الدين الاسترابادي

ـ حازم سعيد يونس :

موارد البصائر لفرائد الضرائر : لمحمد سليم بن حسين (رسالة ماجستير لم تطبع بعد)

ـ حذام جمال الدين الآلوسي :

طراز الحلة وشفاء الغلة بشرح بديعية ابن جابر : للغرناطي

ـ حسن الشرع :

١ ـ شرح لمع ابن جني : للواسطي الضرير (رسالة ماجستير لم تطبع بعد)

٢ ـ المستوفي في النحو : للفرغاني (رسالة دكتوراه لم تطبع بعد)

ـ حسن الشماع :

تاريخ ابن الفرات : لابن الفرات

ـ حسين محفوظ :

١ ـ رسالة في الهداية والضلالة : للصاحب بن عباد

٢ ـ فتيا فقيه العرب : لأحمد بن فارس

٣ ـ الحدود والحقائق : للبريدي الآبي

ـ حمدي عبد المجيد السلفي :

١ ـ معجم الطبراني الكبير : للطبراني

٢ ـ جامع التحصيل في أحكام المراسيل : للعلائي

٣ ـ الكواكب النيرات في معرفة من اختلط من الرواة والثقات : لابن الكيال

٤ ـ مسند الشهاب : للقضاعي

٥ ـ خلاصة البدر المنير في تخريج الأحاديث : لابن الملقن

ـ حمود عبد الأمير حمودي :

التعليقات والنوادر : للهجري

- خضير عباس المنشداوي :

١ - المعونة في علم الحساب الهوائي : لابن الهائم

٢ - المختار من تاريخ ابن الجزري : للذهبي

- خليل بنيان :

اللباب في علل البناء والإعراب : للعكبري

- خليل العطية :

١ - فعلت وأفعلت : لأبي حاتم السجستاني

٢ - التقفية : للبندنيجي

٣ - الفرق : لقطرب

٤ - العنوان في القراءات السبع : لأبي طاهر (بالمشاركة)

- رجاء السامرائي :

١ - تحفة الأدباء وسلوة الغرباء : للخياري

٢ - النقود والمكاييل والموازين : للمناوي

- رشيد عبد الرحمن العبيدي :

١ - تهذيب اللغة : للأزهري (الجزء الساقط من الكتاب المطبوع)

٢ - الحروف : للرازي

٣ - التنبيه على غلط الجاهل والنبيه : لابن كمال باشا

٤ - فنون الأفنان : لابن الجوزي

٥ - تحقيق معنى كاد : لابن كمال باشا

٦ - الاعراب عن قواعد الاعراب : لابن هشام

- زكي فهمي الآلوسي :

١ - شرح كافية ابن الحاجب (الهادية الى حل الكافية) : لعلي بن عبد الله التبريزي

٢ - شرح الحدود النحوية : للفاكهي

- زهير عبد المحسن سلطان :

١ - المجمل في اللغة : لابن فارس

٢ - النكت في تفسير كتاب سيبويه : للأعلم الشنتمري

- زهير غازي زاهد :

١ - اعراب القرآن : للنحاس

٢ - شرح أبيات سيبويه : للنحاس

العنوان في القراءات السبع : لأبي طاهر (بالمشاركة)

- سالم قدوري حمد :

الموضح في تعليل وجوه القراءات السبع : للمهدوي

- سامي خماس الصفار :

تاريخ إربل : لابن المستوفي

- سامي مكي العاني :

١ - الموفقيات : للزبير بن بكار

٢ - دمية القصر : للباخرزي

٣ - أشعار النساء : للمرزباني (بالمشاركة)

٤ - الدر الملتقط في تبيين الغلط : للصغاني

٥ - در السحابة : للصغاني

٦ - مختصر شرح القلادة السمطية : للصغاني(بالمشاركة)

- سعيد عبد الكريم

الحلل في اصلاح الخلل من كتاب الجمل : لابن السيد البطليوسي

- سليم النعيمي :

١ - ربيع الأبرار : للزمخشري

٢ - الروض النضر في ترجمة أدباء العصر : لعثمان العمري

٣ - شمامة العنبر : لمحمد الغلامي

- شاكر العاشور :

١ - المسائل والاجوبة : لابن قتيبة

٢ - المذاكرة في ألقاب الشعراء : للنشابي الكاتب

٣ – تحسين القبيح وتقبيح الحسن : للثعالبي

– شاكر محمود عبد المنعم :

العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك : للملك الأشرف الغسّاني

– شاكر هادي شكر :

أنوار الربيع : لابن معصوم

– صاحب جعفر أبو جناح :

١ – شرح جمل الزجاجي : لابن عصفور

٢ – مسائل في اعراب القرآن : لابن هشام

– صالح أحمد العلي :

١ – بغداد مدينة السلام : لابن الفقيه الهمداني

٢ – الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ : للسخاوي (ترجمة)

٣ – البلدان : للجاحظ

٤ – بلاد العرب : للغذة الأصبهاني (بالمشاركة)

٥ – المدخل الى علم الارثماطيق : لأبي الوفاء البوزجاني

٦ – مايحتاج اليه الصانع من علم الهندسة : لأبي الوفاء البوزجاني

– صالح مهدي عباس :

١ – الوفيات : لابن رافع السلامي

٢ – معرفة القراء الكبار : للذهبي (بالمشاركة)

٣ – تاريخ الاسلام : للذهبي (بالمشاركة)

٤ – الوسيلة الى كشف العقيلة : لعلم الدين السخاوي

٥ – منهاج التوفيق الى معرفة التجويد والتحقيق : لعلم الدين السخاوي

ـ صبحي السامرائي :

١ ـ الكامل في الضعفاء : لابن عدي
٢ ـ ذيل ميزان الاعتدال : للحافظ العراقي
٣ ـ الكشف الحثيث عمن رُمي بوضع الحديث : لبرهان الدين الحلبي
٤ ـ الأشربة : لأحمد بن حنبل

ـ صبيح التميمي :

١ ـ الرد على الزجاج : للجواليقي (بالمشاركة)
٢ ـ الشاء : للأصمعي
٣ ـ الفرق : للأصمعي
٤ ـ الفصيح : لثعلب
٥ ـ ماذكره الكوفيون من الإدغام : للسيرافي
٦ ـ علل التثنية : لابن جني
٧ ـ الفرق : لقطرب

ـ صلاح خالص :

طيف الخيال : للشريف المرتضى

ـ صلاح الدين السنكاوي :

المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات : لأبي علي النحوي

ـ صلاح الفرطوسي :

المثلث : للبطليوسي

ـ ضرغام محمود عبود :

الرشاد في شرح الارشاد : لابن الشريف الجرجاني

ـ طارق عبد عون الجنابي :

١ – المذكر والمؤنث : لابن الأنباري
٢ – المذكر والمؤنث : لابن جني
٣ – ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة : لعبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي الزّبيدي

– طارق نجم عبد الله :

١ – القصيدة الموشحة : لابن الحاجب
٢ – المذكر والمؤنث : لابن جني
٣ – التتمة في النحو : لعبد القاهر الجرجاني
٤ – الكافية : لابن الحاجب

– طالب عبد الرحمن التكريتي :

توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك : للمرادي (رسالة دكتوراه لم تطبع بعد)

– طه جابر فياض العلواني

المحصول في علم أصول الفقه : لفخر الدين الرازي

– طه محسن :

١ – الاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد : لابن مالك (بالمشاركة)
٢ – الجني الداني في حروف المعاني : للمرادي
٣ – الاستغناء في أحكام الاستثناء : للقرافي
٩ – شواهد التوضيح والتصحيح : لابن مالك
٥ – الدال والذال : للمرادي
٦ – اللامات : للنحاس
٧ – غاية المراد في معرفة اخراج الضاد : لابن النجار
٨ – مسألة في فتح همزة إنّ : لبدر الدين بن مالك
٩ – القواعد الثلاثون : للقرافي

١٠ ـ الجمل التي لها محل من الاعراب : للمرادي
١١ ـ تحفة الملا في مواضع كلا : للمحلي
١٢ ـ ارجوزة في الضاد والظاء : لابن مالك

ـ عباس الصالحي :

١ ـ المقامات الزينية : لابن الصيقل الجزري
٢ ـ تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد : لابن هشام النحوي

ـ عباس العزاوي :

النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس : لأبي الخطاب عمر بن أبي علي .

ـ عبد الأمير الأعسم :

١ ـ المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين : لسيف الدين الآمدي
٢ ـ خمس رسائل في الحدود : لجابر بن حيان والكندي والخوارزمي وابن سينا والغزالي

ـ عبد الأمير الورد :

معاني القرآن : للأخفش

ـ عبد الباقي الخزرجي :

مايحتاج إليه الكاتب من مهموز ومقصور وممدود : لابن جني

ـ عبد الجبار جعفر :

شرح الفصيح : لابن الجبان

ـ عبد الجبار المطلبي :

أخبار الدولة العباسية : لمؤلف مجهول من القرن الثالث الهجري (بالمشاركة)

ـ عبد الجليل التميمي :

المثلث المختلف المعنى : للفيروز آبادي

ـ عبد الحسين الفتلي :

١ ـ الاصول في النحو : لابن السراج
٢ ـ كتاب الكتّاب : لابن درستويه (بالمشاركة)
٣ ـ الموفقي في النحو : لابن كيسان (بالمشاركة)
٤ ـ الضاد والظاء : لابن سهيل النحوي
٥ ـ النكت الحسان في شرح غاية الإحسان : لأبي حيان النحوي
٦ ـ النحو : للغدة الأصبهاني
٧ ـ الخطّ : لابن السراج

ـ عبد الحسين المبارك :

١ ـ اشتقاق أسماء الله : للزجاجي
٢ ـ أخبار أبي القاسم الزجاجي : للزجاجي

ـ عبد الحميد العلوجي :

المساعد : للكرملي (بالمشاركة)

ـ عبد الرزاق عبد الرحمن السعدي

١ ـ المغني في النحو : لابن فلاح (رسالة دكتوراه لم تطبع بعد)
٢ ـ الكوكب الدري في تخريج الفروع الفقهية على المسائل النحوية : للأسنوي

ـ عبد الستار جواد :

ملاح الألواح في شرح مراح الأرواح : لبدر الدين العيني

ـ عبد العزيز الدوري :

أخبار الدولة العباسية : لمؤلف مجهول من القرن الثالث الهجري (بالمشاركة)

ـ عبد القادر عبد الرحمن السعدي :

الكشف في نكت المعاني والإعراب : لجامع العلوم النحوي (رسالة

دكتوراه لم تطبع بعد)

ـ عبد الكريم الدجيلي :

الفتح على أبي الفتح : لابن فورجة

ـ عبد الكريم الزبيدي :

١ ـ ارشاد الهادي : للتفتازاني

٢ ـ المتوكلي : للسيوطي

ـ عبد الله الجبوري :

١ ـ غريب الحديث : لابن قتيبة

٢ ـ تصحيح الفصيح : لابن درستويه

٣ ـ اصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث : لابن قتيبة

٤ ـ التذييل والتذنيب على نهاية الغريب : للسيوطي

٥ ـ المهذب فيما ورد في القرآن من المعرّب : للسيوطي

٦ ـ رسالة الطيف : لبهاء الدين الاربلي

٧ ـ المقرّب : لابن عصفور (بالمشاركة)

ـ عبد المحسن خلوصي

التنبيه على شرح مشكلات الحماسة : لابن جني

ـ عبد الملك عبد الرحمن السعدى : ميزان الاصول في نتائج العقول : للسمرقندي

ـ عبد المنعم أحمد صالح :

١ ـ الرد على الزجاج : للجواليقي (بالمشاركة)

٢ ـ شرح مقصورة ابن دريد : للجواليقي (بالمشاركة)

ـ عبد الهادي الفضلي :

١ ـ الناسخ والمنسوخ : للعتائقي

٢ ـ شرح الواضحة في تجويد الفاتحة : للمرادي

٣ ـ البصروية في علم العربية : للبصروي

٤ ـ اعراب سورة الفاتحة : للجنزي

٥ - بداية الهداية في علم التجويد : للويمي

٦ - اتحاف الانس في العلمين واسم الجنس : للأمير الكبير

- عبد الوهاب العدواني :

شرح الفصيح : لابن ناقيا البغدادي

- عدنان الدوري

١ - اتحاف الأمجاد : للآلوسي

٢ - شرح عمدة الحافظ : لابن مالك

٣ - الشوارد في اللغة : للصغاني

- علي جابر المنصوري :

١ - المسائل الشيرازيات : لأبي علي النحوي

٢ - المسائل العسكريات : لأبي علي النحوي

٣ - المسائل العضديات : لأبي علي النحوي

- علي الخاقاني :

أخبار الحمقى والمغفلين : لابن الجوزي

- علي صاحب حسون :

شرح مافي المقامات الحريرية من الألفاظ اللغوية : للعكبري

- علي الفضلي :

قواعد المطارحة : لابن اياز البغدادي (رسالة ماجستير لم تطبع بعد)

- علي محسن مال الله :

١ - شرح جمل الزجاجي : لابن هشام

٢ - الإفادة والاعتبار : لعبد اللطيف البغدادي

- عمر حمدان الكبيسي :

ارشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر للقلانسي

- عيد ضيف العبادي :

الفروسية والمناصب الحربية : لنجم الدين الأحدب

- غانم قدوري حمد :
  ١ - التمهيد في علم التجويد : لابن الجزري
  ٢ - التحديد في الاتقان والتجويد : لأبي عمرو الداني
  ٣ - الجامع لما يُحتاج اليه من رسم المصحف : لابن وثيق الأندلسي
  ٤ - البديع في معرفة مارُسم في مصحف عثمان : لأبي معاذ الجهني
  ٥ - الدرّ المرصوف في وصف مخارج الحروف : لأبي المعالي الموصلي
  ٦ - التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي : لعلي بن جعفرالسعيدي
  ٧ - بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء : لابن البناء
  ٨ - أخلاق حملة القرآن : للآجري البغدادي
- فاخر جبر :
  ١ - النكت : للسيوطي (رسالة ماجستير لم تطبع بعد)
  ٢ - المنهل الصافي : للدماميني (رسالة دكتوراه لم تطبع بعد)
- فاطمة الراضي :
  المجرد للغة الحديث : لعبد اللطيف البغدادي
- فيصل السامر :
  عيون التواريخ : لابن شاكر الكتبي (بالمشاركة)
- قحطان الدوري :
  الاقتراح في بيان الاصطلاح : لابن دقيق العيد
- قحطان رشيد صالح :
  لباب الآداب : للثعالبي
- كاظم بحر المرجان :
  ١ - التكملة : لأبي علي النحوي
  ٢ - المقتصد في شرح الإيضاح : لعبد القاهر الجرجاني
- كاظم المظفر :
  التطفيل : للخطيب البغدادي

– كوركيس عواد :

١ – تاريخ واسط : لبحشل الواسطي
٢ – المساعد : للكرملي (بالمشاركة)
٣ – الديارات : للشابشتي

– محسن اسماعيل محمد :

الفصوص : لصاعد البغدادي (رسالة دكتوراه لم تطبع بعد)

– محسن غياض :

١ – طبقات النحاة واللغويين (المحمدون) : لابن قاضي شهبة
٢ – الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي : لابن جني
٣ – الفتح على فتح أبي الفتح : لابن فورجة

– محمد أمين عواد عبيد الكبيسي :

الموشح في شرح الكافية : للخبيصي (رسالة ماجستير لم تطبع بعد)

– محمد بحر العلوم :

١ – عقلاء المجانين : للحسن بن محمد النيسابوري
٢ – أخبار الظراف والمتماجنين : لابن الجوزي

– محمد بهجة الأثري :

١ – أدب الكتاب : للصولي
٢ – خريدة القصر : للعماد الأصبهاني
٣ – بلوغ الأرب : للآلوسي
٤ – تفسير ارجوزة أبي نواس : لابن جني
٥ – النغم : للمنجم
٦ – النحت : للآلوسي
٧ – الضرائر : للآلوسي

- محمد جاسم الحديثي :

١ - نصيحة الملوك : للماوردي

٢ - قانون السياسة ودستور الرياسة : لمؤلف مجهول

٣ - الشروط والوثائق : لأبي نصر السمرقندي

٤ - مقامات العلماء : للغزالي

- محمد جبار المعيبد :

١ - يوم وليلة : لأبي عمر الزاهد

٢ - بغية المرتاد لتصحيح الضاد : لابن غانم المقدسي

٣ - عمدة القراء وعدة الإقراء : لابن الفصيح الكوفي

٤ - الفرق بين الضاد والظاء : للحريري

٥- السلاح للأصمعي

- محمد حسن آل ياسين :

١ - تاريخ العرب : للأصمعي

٢ - المحيط في اللغة : للصاحب بن عباد (لم يكمل بعد)

٣ - نسيم السحر : للثعالبي

٤ - الأضداد في اللغة : لابن الدهان

٥ - عنوان المعارف وذكر الخلائف : للصاحب بن عباد

٦ - العباب : للصغاني (لم يكمل بعد)

٧ - ايمان أبي طالب : للمفيد

٨ - التذكرة : للصاحب بن عباد

٩ - الإبانة عن مذهب أهل العدل : للصاحب بن عباد

١٠ - الاصول الاعتقادية : للشريف المرتضى

١١ - الكشف عن مساوئ المتنبي : للصاحب بن عباد

١٢ - شرح مشكل أبيات المتنبي : لابن سيده

١٣ - الفصول الأدبية : للصاحب بن عباد

١٩ - الروزنامجة : للصاحب بن عباد

١٥ - الاقناع في العروض : للصاحب بن عباد

١٦ - الفرق بين الضاد والظاء : للصاحب بن عباد

١٧ - الفرق بين الضاد والظاء · لمحمد بن نشوان الحميري . ولأبي حيان الأندلسي

- محمد حسين آل ياسين :

١ - الأضداد : للتوزي

٢ - الأضداد : للمنشي

- محمد حسين الزبيدي :

١ - المنتزع من كتاب التاجي لأبي اسحاق الصابي

٢ - الخراج : لقدامة بن جعفر

- محمد سعود المعيني :

١ - آداب الصحبة وحسن المعاشرة : للغزالي

٢ - بداية الهداية : للغزالي

- محمد عبد الكريم الراضي :

١ - نزهة الأعين النواظر في الوجوه والنظائر : لابن الجوزي

٢ - التنبيه على فضل علوم القرآن : لأبي القاسم الحسن بن محمد

- محمد عبد اللطيف جبارة :

متخير الألفاظ : لأحمد بن فارس

- محمد علي حسن :

شرح البردة : لخالد الأزهري

- محمد علي هادي الحسيني :

١ - الوافية في شرح الكافية : لنجم الدين الاسترابادي (رسالة ماجستير لم تطبع بعد)

٢ - تهذيب الخواص من درة الغواص : لابن منظور (رسالة دكتوراه

لم تطبع بعد)

- محمد قاسم مصطفى :

١ - رسالة الطرد : للباخرزي

٢ - يوميات أديب : للباخرزي

- محمد مولود خلف :

المستفاد من ذيل تاريخ بغداد : لابن النجار البغدادي

- محمود جاسم محمد :

١ - شرح مقصورة ابن دريد : لابن خالويه

٢ - علل النحو : للوراق (رسالة دكتوراه لم تطبع بعد)

٣ - الهجاء : لابن الدهان

٩ - شرح مقصورة ابن دريد وإعرابها : للمهلبي

- محمود شيت خطاب :

الأدلة الرسمية في التعابي الحربية : لمحمد بن منكلي

- محمود عبد الله الجادر :

اللطف واللطائف : للثعالبي

- محيي هلال السرحان :

١ - أدب القاضي : للماوردي

٢ - شرح أدب القاضي : للخصّاف

٣ - تحفة نجباء العصر : لزكريا الأنصاري

٤ - أدب القضاء : لابن أبي الدم الشافعي

٥ - أدب الفتيا : للسيوطي

٦ - تسهيل النظر وتعجيل الظفر : للماوردي (بالمشاركة)

- مصطفى جواد :

١ ــ تكملة اكمال الاكمال : لابن الصابوني
٢ ــ تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب : لابن الفوطي
٣ ــ الجامع المختصر في عنوان التواريخ : لابن الساعي البغدادي
٩ ــ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة : المنسوب الى ابن الفوطي
٥ ــ مختصر التاريخ : لظهير الدين الكازروني
٦ ــ نساء الخلفاء : لابن الساعي البغدادي
٧ ــ الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور : لابن الأثير (بالمشاركة)
٨ ــ الفتوة : لابن المعمار البغدادي النيلي (بالمشاركة)
٩ ــ رسائل في النحو واللغة : للرماني وابن فارس (بالمشاركة)
١٠ ــ المختصر المحتاج اليه من تاريخ ابن الدّبيثي : للذهبي

ــ مكي السيد جاسم :

١ ــ خلاصة الذهب المسبوك : لعبد الرحمن الاربلي
٢ ــ تلخيص البيان في مجازات القرآن : للشريف الرضي

ــ مناهل فخر الدين فليح :

نصرة الثائر على المثل السائر : للصفدي

ــ منيرة ناجي :

التحبير في المعجم الكبير : للسمعاني

ــ مهدي عبيد جاسم :

١ ــ شرح مقصورة ابن دريد : لابن هشام اللخمي
٢ ــ شرح الفصيح : لابن هشام اللخمي

- مهدي المخزومي :

العين : للخليل بن أحمد (يالمشاركة)

- موسى بناي العليلي :

١ -- الايضاح في شرح المفصل : لابن الحاجب

٢ - معرفة مايكتب بالضاد والظاء : للزنجاني

- ميخائيل عواد :

رسوم دار الخلافة : للصابىء

- ناجي حسن :

١ - جمهرة النسب : لابن الكلبي

٢ - المقتضب من كتاب جمهرة النسب : لياقوت الحموي

- ناجية عبد الله ابراهيم :

المصباح المضيء في خلافة المستضيء : لابن الجوزي

- ناظم رشيد شيخو :

شفاء القلوب في مناقب بني أيوب : لأحمد بن ابراهيم الحنبلي

- نبهان ياسين :

المطالع السعيدة في شرح الفريدة : للسيوطي

- نبيلة عبد المنعم داود :

١ - عيون التواريخ : لابن شاكر الكتبي (بالمشاركة)

٢ - نزهة الظرفاء وتحفة الخلفاء : للملك الأفضل الغسّاني

٣ - العيون والحدائق ج ٩ : لمجهول

٤ نكت الوزراء : للجاجرمي

- نجلاء قاسم عباس :

ترتيب العلوم : محمد المرعشي

- نهاد حسوبي صالح :

١ - عقد الخلاص في نقد كلام الخواص : لابن الحنبلي

٢ - غاية الاحسان في خلق الإنسان : للسيوطي

٣ - رسالة في المتصل والمنفصل : لابن الحنبلي

- نهاد فليح حسن :

التدريب في تمثيل التقريب : لأبي حيان الأندلسي

- نوري حمودي القيسي :

١ - البئر : لابن الأعرابي

٢ - الخيل : للأصمعي

٣ - الزهرة : لمحمد بن داود الأصفهاني (بالمشاركة)

٩ - كفاية الطالب : لابن الأثير (بالمشاركة)

٥ - التذكرة الفخرية : لبهاء الدين الاربلي (بالمشاركة)

٦ - نسب الخيل : لابن الكلبي (بالمشاركة)

٧ - اسماء خيل العرب وفرسانها : لابن الأعرابي (بالمشاركة)

٨ - مختصر أمثال الشريف الرضي : لابن الظهير الاربلي (باسشاركة)

٩ - الإماء الشواعر : لأبي الفرج الأصبهاني (بالمشاركة)

١٠ - رسائل ابن الأثير : (بالمشاركة)

- نوري ياسين حسين :

- ١ تاج علوم الأدب وقانون كلام العرب : لأحمد بن يحيى بن المرتضى (رسالة دكتوراه لم تطبع بعد)

- ٢ شرح الفريد : لعصام الدين الاسفراييني

ـ هادي حسن حمودي :

مجمل اللغة : لأحمد بن فارس

ـ هادي عطية مطر :

١ ـ كشف المشكل في النحو : لعلي بن سلمان الحيدرة

٢ ـ التبيان في علم المعاني والبديع والبيان : للطيبي

ـ هادي النهر :

شرح اللمحة البدرية في علم اللغة العربية : لابن هشام النحوي

ـ هاشم الرجب

١ ـ الأدوار : لصفي الدين الأرموي البغدادي

٢ ـ الرسالة الشرفية في النسب التأليفية : للأرموي

ـ هاشم الطعان :

البارع في اللغة : لأبي علي القالي

ـ هاشم طه شلاش :

١ ـ الموفقي في النحو : لابن كيسان (بالمشاركة)

٢ ـ إقامة الدليل على صحة التمثيل وفساد التأويل : لابن هشام النحوي

ـ هشام سعيد النعيمي :

المشكاة الفتحية على الشمعة المضية : للسيوطي

ـ هلال ناجي :

١ ـ متخير الألفاظ : لأحمد بن فارس

٢ ـ رسائل ابن الأثير : (بالمشاركة)

٣ ـ ديوان رسائل ابن الأثير (ج٢)

٩ ـ كفاية الطالب : لابن الأثير (بالمشاركة)

٥ ـ أشعار النساء : للمرزباني (بالمشاركة)

٦ — شرح بانت سعاد : لعبد اللطيف البغدادي
٧ — التوفيق للتلفيق : للثعالبي (بالمشاركة)
٨ — حلية المحاضرة : للحاتمي (الجزء الأول فقط)
٩ — جيش التوشيح : للسان الدين بن الخطيب
١٠ — تحفة أولي الألباب في صناعة الخط والكتاب : لابن الصايغ
١١ — الأنيس في غرر التجنيس : للثعالبي
١٢ — رسالة العفو : لابن الصيرفي
١٣ — العمدة : للهيتي
١٤ — المفتاح المنشا : لابن الأثير
١٥ — مختصر أمثال الشريف الرضي : لابن الظهير الاربلي (بالمشاركة)
١٦ — مختصر شرح القلادة السمطية : للصغاني (بالمشاركة)
١٧ — كتاب الخيل : للأصمعي
١٨ — منهاج الإصابة في معرفة الخطوط وآلات الكتابة : الزفتاوي
١٩ — بضاعة المجود في الخط : للسنجاري
٢٠ — شرح المنظومة المستطابة في علم الكتابة : لابن بصيص وابن الوحيد
٢١ — كتاب الكتاب وصفة الدواة والقلم وتصريفها : للبغدادي
٢٢ — بكاء الناس على الشباب وجزعهم من الشيب : لابن الجوزي
٢٣ — تحفة الواعظ ونزهة الملاحظ : لابن الجوزي
٢٤ — البدور المسفرة في نعت الأديرة : لمحمد بن علي الخطيب الدمشقي
٢٥ — ماخذ الازدي على الكندي : للأزدي
٢٦ — كتاب القُبل والمعانقة والمصافحة : لابن الأعرابي
٢٧ — رسالة الأزهار : لابن الأثير
٢٨ — رسالة السيف : للكندي

٢٩ ـ مناظرتان بين السيف والقلم : لابن نباتة وابن الوردي

٣٠ ـ الخيول اليمنية في المملكة الرسولية : للملك الرسولي

٣١ ـ كفاية الغلام : للآثاري (بالمشاركة)

٣٢ ـ التذكرة الحمدونية : لابن حمدون

٣٣ ـ تعزيز بيتي الحريري : للصغاني

٣٤ ـ أوجز السير لخير البشر : لابن فارس

٣٥ ـ الغادة في أسماء العادة : للصغاني

٣٦ ـ المستدرك على القسم المصري من خريدة القصر .

ـ يحيى الجبوري :

المحن : لأبي العرب التميمي

الأقوال الكافية والفصول الشامية : للملك الغسّاني

ـ يحيى علوان :

اللامات : للهروي

ـ يونس السامرائي :

١ ـ من غاب عنه المطرب : للثعالبي

٢ ـ الإماء الشواعر : لأبي الفرج الأصبهاني (بالمشاركة)



المعاني المجازية التي خرج اليها أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم

الدكتور قيس اسماعيل الأوسي
قسم اللغة العربية ـ كلية التربية

كان لعلماء التفسير دور رائد في دراسة أساليب التعبير اللغوي ، وذلك لأنّها سبيلهم إلى غايتهم الكشف عن أسرار بلاغة الآية القرآنية .

والزَّمَخْشَرِيّ ، وإن لم يكن طليعتهم ، كان عمدتهم وكبيرهم في هذا الميدان ، وذلك لأنّه قد نهج منهج الجُرْجاني في الكشف عن دلائل الإعجاز في النظم القرآني ، فلم يكن الزمخشري في « الكشاف » مفسراً لمعاني الكلمات ، وإنّما هو يجلو العبارات بنعم النظر في نظمها ، يفتش عن أسرار تأليفها وتركيبها ، تلك التي تقف وراء إعجازها ، وراح من خلال محاورات يعقدها مع الدارس لكتاب الله ، يكشف كيف أنّ المعنى يتلوّن في صياغة العبارة القرآنية وتشكيلها ، ومن ثَمَّ يقف وراء تألقّها .

إنّ هذا البحث يمثل ما يجب أن تكون عليه العناية بالشاهد القرآني في دراساتنا اللغوية والنحوية والبلاغية .

إنّ أساليب التعبيرِ اللغوي وفنون القول سوف نبقى بعيدِينَ عنها ، ولن نتمكن من استيعابها وتمثّلها وامتلاكها ، مالم نصحب القرآن ، ونخالطه ، ونعايشه ، ونحسن الاصغاء إلى قوله ، ونتدبر فنون تعبيره .

ويوم خاف عثمان رضي الله عنه على لسانِ الأُمّة أن يفقد شيئاً مَن فصاحته وبلاغته بعث إلى الأمصار بنسخ من القرآن ، فعلى أقسام اللغة العربية بجامعاتنا

وعلى لجان المحافظة على سلامة اللغة ، أن تستوعب هذه الحقيقة ، وأن تعمل على تحسين علاقة أبناء الأمة بقرآنهم .

في الاستفهام المجازي لايُريد المتكلِّم الفهم لنفسه ، وإنّما يريد بــه تفهيم المُخاطَب أو السامع ، يقول أبو عبيدة في قوله تعالى (أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ : اتَّخِذُونِي وأُمِّيَ إلهَيْنِ ؟) (١) : « هذا باب تفهيم ، وليس باستفهام عن جهل ليعلمه ، وهو يخرج الاستفهام ، وانّما يراد به النهي عن ذاك ويتهدّد به ، وقد علم قائله أكان ذلك أم لم يكن ويقول الرجــلُ لعبده : أَفعلتَ كذا ؟ ، وهو يعلم أنه لم يفعله ، ولكن يحذره وقال جرير (٢) :

أَلَستم خيرَ مَنْ رَكبَ المَطايا وأَندى العالَمينَ بُطُونَ راح ؟

ولم يستفهم ، ولو كان استفهاماً ما أعطاه عبدُ الملك مئة من الإبل برُعاتها (٣)

ويقول الزمخشريّ في قوله تعالى (واتْلُ عليهم نَبَأَ إبراهيمَ ، إذْ قالَ لأَبيه وقومه : ما تَعْبُدُونَ ؟) (٤) : « كان إبراهيم — عليه السلام — يعلم أنّهم عبدة أصنام ، ولكنه سألهم ليريَهم أنّ ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شيءٍ ، كما تقول للتاجر : (ما مالُكَ ؟) ، وأنت تعلم أنّ ماله الرقيق ، ثمّ تقول له الرقيقُ جمال ، وليس بمال » (٥) .

ويقول في قولــه تعالى « ويَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَميعاً ، ثُمَّ يَقُولُ للْمَلائِكَةِ : أهؤُلاءِ إيّاكُمْ كانُوا يَعْبُدُونَ ؟ قالُوا : سُبْحانَكَ

(١) سورة المائدة / الآية ١١٦ .

(٢) البيت من الوافر ، وقد ورد كذلك في : شرح المفصل ، ١٢٣/٨ ، ومغني اللبيب ، ١٧ ، وديوانه ، ص ٩٨ . (معجم شواهد العربية ، ٨٨/١) .

(٣) مجاز القرآن ، ١٨٣/١ — ١٨٤ .

(٤) سورة الشعراء/الآية ٦٩ — ٧٠ .

(٥) الكشاف ، ١١٦/٣ .

أَنْتَ وَلِيُّنا مِنْ دُونِهِمْ ، بَلْ كانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ، أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ » (٦) « هذا الكلام خطاب الملائكة وتقريع الكفار ، واردٌ على المَثَل السائر : « إيّاكِ أعْني وَاسْمَعي ياجارة » ، ونحو قوله تعالى : (أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنّاسِ اتَّخِذُوني وَأُمِّيَ إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ ؟) ، وقد علم سبحانه كونَ الملائكةِ وعيسى مُنَزَّهينَ براء مِمّا وُجِّه عليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير ، والغرضُ أن يقولَ ويقولوا ، ويسأل ويجيبوا ، فيكون تقريعهم أشدَّ ، وتعييرهم أبلغ ، وخجلُهم أعظمَ ، وهو انهم ألزم ، ويكون اقتصاصُ ذلك لُطفاً لِما سَمِعه، وزاجراً لمن اقتص عليه » (٧) .

ويقول في قوله تعالى (إلا أَصْحابَ الْيَمينِ في جَنّاتٍ يَتَساءَلُونَ عَنِ المُجْرِمينَ : ما سَلَكَكُمْ في سَقَرَ ؟ قالُوا : لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٨) : فانْ قُلْتَ : لِمَ يسألونهم وهم عالمون بذلك ؟ ، قُلتُ : توبيخاً لهم وتحسيراً ، وليكون حكايةُ الله ذلك في كتابه تذكرةً للسامعينَ » (٩) .

وقد يُراد بالاستفهام المجازي التخييل لتصوير المعنى ، يقول الزمخشري في قوله تعالى : (يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ : هَلِ امْتَلأْتِ ؟ ، وتَقُولُ : هَلْ مِنْ مَزيدٍ ؟) (١٠) : « سؤالُ جهنّمَ وجوابُها مِن باب التخييل) الذي يُقصد به تصويرُ المعنى في القلب وتثبيتُه ، وفيه معنيان : (أحدهما) : أنّها تمتلئ مع اتساعها وتباعد أطرافها حتى لايسعها شيءٌ ولايزاد على امتلائها ، لقوله تعالى : « لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ (١١) . (والثاني) : أنّها مِن السَّعة

(٦) سورة سبأ/الآية ٤٠ ـ ٤١ . (٧) الكشاف ، ٣/٢٩٣ .
(٨) سورة المدثر/الآية ٣٩ ـ ٤٣ .
(٩) الكشاف ، ٤/١٨٧ .
(١٠) سورة ق/الآية ٣٠ .
(١١) سورة الأعراف/الآية ١٨ ، وسورة هود/الآية ١١٩ ، وسورة السجدة/ الآية ١٣ ، وسورة ص/الآية ٨٥ .

وفيها موضع للمزيد . ويجوز يكون (هَلْ مِن مَزِيد ؟) استكثاراً للداخلين فيها ، واستبعاداً للزيادة عليهم لفرط كثرتهم ، أو طلباً للزيادة غيظاً على العصاة » (١٢) .

ويرى علماء التفسير أنّ أدوات الاستفهام إذا استُعملت في غير معناها الحقيقي ، انسلخ عنها معنى الاستفهام وتجرّدت المعاني المجازية المُستعملة ، فأبو عبيدة يرى أنّ (الهمزة) المستعملة في معنى (التقرير) تُغادر معنى (الاستفهام)، بل هي أداة ثانية مستقلّة عن همزة الاستفهام ، يقول في قوله « أَوَلَوْ كانَ آباؤُهُم لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً » (١٣) : «الألف» ليست ألفَ الاستفهام أو الشك ، إنّما خرجت مخرجَ الاستفهام تقريراً بغير الاستفهام ، أيْ : وإن كان آباؤهم (١٤) . ويقول في قوله تعالى (أَلَيْسَ في جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلكافِرِينَ) (٥) : « مجازه مجاز الإيجاب ، لأنّ هذه (الألف) تكون للاستفهام وللايجاب ، فهي ها هنا للايجاب ، وقال جرير :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا وَأَنْدَى العَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ

فهذا لم يشك ، ولكن أوجب لهم أنّهم كذلك ، ولولا ذلكَ ما أثابوه ، والرجل يُعاتب عبده ، وهو يقول له : (أفعلتَ كذا ؟) ، وهو لايشك » (٦) .

كما أنّ (هل) المستعملة في معنى (النفي) أداة ثانية غير أداة (الاستفهام) ، وهي غير (هل) المستعملة في معنى (التقرير) ، يقول أبو عبيدة في قوله تعالى (مَثَلُ الفَرِيقَيْنِ كالأَعْمى والأَصَمِّ والبَصِير والسَّمِيع هَلْ

(١٢) الكشاف، ٩/٤ . (١٣) سورة البقرة/الآية ١٧٠ .

(١٤) مجاز القرآن ، ٦٣/١ .

(١٥) سورة العنكبوت/الآية ٦٨ .

(١٦) مجاز القرآن ، ١١٨/٢ ، وينظر : ص ١٣٣ ، ١٥٠ ، ١٥٦ ، ج ١/ ٣٥ – ٣٦ .

يَسْتَوِيان مَثَلاً) (١٧) : « قالَ (هَلْ يَسْتَوِيَانِ) أيْ : لا يستوي المثلان مَثَلاً ، وليس موضع (هَلْ) ها هنا موضع الاستفهام ، ولكن موضعها هاهنا موضع الإيجاب أنّه لايستويان ، وموضع تقرير وتخبير أنّ هذا ليس كذاك . ولها في غير هذا موضع آخر : موضع (قد) ، قال تعالى : (هَلْ أَتى عَلى الإِنْسَان حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يكن شَيْئاً مَذْكُوراً) (١٨) معناها : قد أتى على الإنسانِ » . (١٩)

كما أنّ (الهمزة) و (أم) المُستعمَلتينِ في معنى (التسوية) قد انسلخ عنهما معنى » (الاستفهام) ، وتجرّدتا لمعنى (التسوية) ، يقول الزمخشري في قوله : (سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ) (٢٠) : « (الهمزةُ) و (أَمْ) مجرّدتان لمعنى (الاستواء) ، وقد انسلخ عنهما معنى (الاستفهام) رأساً ، قال سيبويه : « جرى هذا على حرف الاستفهام . كما جرى على حرف النداء قولك : « اللّهُمَّ اغفرْ لنا أيّتُها العصابةُ » » (٢١) يعني : أنّ هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام ، كما أنّ ذلك صورة النداء ولانداء » (٢٢) . وهكذا فإنّ (التسوية) لفظها لفظ الاستفهام ، وهي في حقيقتها إخبار ، يقول أبو عبيدة في قوله تعالى : (سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لايُؤْمِنُونَ » (٢٣) : لفظ الاستفهام وليس باستفهام . فخرج لفظها على لفظ الاستفهام ، وإنّما هي إخبار » (٢٤) .

---

(١٧) سورة هود/الآية ٢٤ .
(١٨) سورة الدهر/الآية ١ .
(١٩) مجاز القرآن ، ٢٨٧/١ ، وينظر : ١٤٩/٢ ، ٢٧٩ .
(٢٠) سورة البقرة/الآية ٦ .
(٢١) ينظر : الكتاب ، ١٧٠/٣ ـ ١٧١ ، ١٨٠ ـ ١٨١ ، و ٢٣٦/١ .
(٢٢) الكشاف ، ١٥٢ ـ ١٥٣ .
(٢٣) سورة يس/الآية ١٠ .
(٢٤) مجاز القرآن : ١٥٧/٢ ـ ١٥٨ .

والاستفهامُ المجازيّ لايستدعي الجواب الذي يستدعيه الاستفهام الحقيقي، وإنّما يكون الجواب على حسب ما تَعَرّفُ مِن غرض المُستفهِم في استفهامه، يقول الزمخشري في قوله تعالى: (إنَّ الَّذينَ تَوَفّاهُمُ المَلائِكَةُ ظالِمي أَنْفُسِهِم قالوا: فيمَ كُنْتُم؟، قالوا كُنّا مُسْتَضْعَفينَ في الأرض، قالوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ الله واسعةً فَتُهاجِروا فيها؟) (٢٥): «قالوا»: قال الملائكة المتوفين: «فيم كنتم؟» في أيّ شيءٍ كنتم مِن أمر دينكم؟، وهم ناس من أهل مكة أسلموا، ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة. فان قُلْتَ: كيف صَحَّ وقوعُ قوله «كُنّا مُستضعَفينَ في الأرض» جواباً عن قولهم «فيمَ كُنْتُم؟»، وكان حق الجواب أن يقولوا: «كنّا في كذا» أو «لم نكن في شيء»؟، قُلْت: معنى «فيمَ كنتم؟» التوبيخ بأنّهم لم يكونوا في شيءٍ من الدين، حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا، فقالوا: «كُنّا مُستضعَفينَ» اعتذاراً مِمّا وبّخوا به واعتلالاً بالاستضعاف، وأنّهم لم يتمكّنوا من الهجرة حتى يكونوا في شيءٍ فبكّتتهم الملائكة بقولهم: «أَلَمْ تكنْ أرضُ الله واسعة فتهاجروا فيها؟» (٢٦).

ويقول في قوله تعالى: (يومَ يجمعُ اللهُ الرُّسُلَ فيقولُ: ماذا أُجِبْتُم؟، قالوا: لا عِلْمَ لنا إنّكَ أَنْتَ علّامُ الغُيُوبِ) (٢٧): «فان قُلْتَ: كيفَ يقولون «لا علمَ لنا» وقد علموا بما أُجيبوا؟، قلت: يعلمونَ أنّ الغرض بالسؤال توبيخ أعدائهم، فيَكِلُونَ الأمر إلى علمه وإحاطته بما مُنُوا به منهم وكابَدُوا من سوءِ إجابتهم إظهاراً للتشكّي واللجاء إلى ربّهم في الانتقام منهم، وذلكَ أعظم على الكفرة، وأفتّ في

(٢٥) سورة النساء/الآية ٩٧.
(٢٦) الكشاف، ٥٥٦/١.
(٢٧) سورة المائدة/الآية ١٠٩.

أَعضادهم ، وأجاب لِحَسْرَتِهِم وسقوطهم في أيديهم إذِ اجتمع توبيخُ اللهِ وتَشَكّي أنبيائه عليهم . ومثالُهُ أن يَنكَبَ بعضُ الخوارج على السلطان خاصَّةً من خواصه نكبة قد عرفها السلطانُ وأطَّلع على كنهها وعزم على الانتصار له منه ، فيجمع بينهما ويقول له : (ما فعل بك هذا الخارجيّ ؟ » ، وهو عالم بما فعل به ، يريد توبيخه وتبكيته ، فيقول له : أنتَ أعلمُ بما فعل بي ، تفويضاً للأمر إلى علم سُلطانه ، واتكالاً عليه ، وإظهاراً لِلشكاية ، وتعظيماً لما حلّ به منه » (٢٨)

ويقول في قوله تعالى : (وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ : مَا تَعْبُدُونَ ؟ ، قَالُوا : نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ » (٢٩) : « كان إبراهيمُ ـــ عليه السلام ـــ يَعلمُ أنَّهم عَبَدَةُ أَصنام ، ولكنَّهُ سألهم ليريهم أنَّ ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شيْ . . فان قلتَ : « ما تعبدون ؟ » سؤال عن المعبود فحسب ، فكان القياس أن يقولوا : (أصناماً) ، كقوله تعالى : (يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ؟ ، قُلِ : الْعَفْوَ) (٣٠) ، (مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ ، قالوا : الْحَقَّ) (٣١) ، (ماذا أَنْزَلَ رَبكُمْ ؟ قالوا خَيْراً) (٣٢) . قلتُ : هؤلاء قد جاؤا بقصَّة أمرِهم كاملةً كالمبتهجين بها المفتخرين ، فاشتملت على جواب ابراهيم وعلى ما قصدوه مِن إظهار ما في نفوسهم من الابتهاج والافتخار ، ألا تراهم كيف عطفوا على قولهم « نَعْبُدُ » : (فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ) ، ولم يقتصروا على زيادة « نعبد » وحده . ومثله أن تقول لِبعض الشطّار : ما

(٢٨) الكشاف ، ١/٦٥٢ .
(٢٩) سورة الشعراء/الآية ٦٩ ـــ ٧١ .
(٣٠) سورة البقرة/الآية ٢١٩ .
(٣١) سورة سبأ/الآية ٢٣ .
(٣٢) سورة النحل/الآية ٣٠ .

تلبس في بلادكَ ؟ ، فيقول : ألبس البُرْدَ الأتحميَّ فأجرُّ ذيله بين جواري الحيّ » (٣٣) .

ويقول في قوله تعالى : (ويقولونَ : متى هذا الفتحُ إنْ كنتُمْ صادقين قلْ : يومَ الفتحِ لاينفع الذينَ كفروا إيمانُهُمْ ولا هُمْ يُنظَرون) (٣٤) : « فان قُلتَ : قد سألوا عن وقت الفتح ، فكيفَ ينطبقُ هذا الكلامُ جواباً على سؤالِهِم ؟ ، قُلتُ : كان غرضُهم في السؤال عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء ، فأُجيبوا على حَسَبِ ما عُرف مِن غرضهم في سؤالهم ، فقيل لهم : لاتستهزئوا ، فكأني بكم وقد حصَّلْتُم في ذلك اليوم ، وآمَنْتُمْ فلم ينفعكم الإيمان ، واستنظرْتم في إدراك العذاب فلم تُنْظَروا »(٣٥) .

ومِن المعاني المجازيّة التي خرج إليها أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم :

١ ــ التسوية :

يقول الزَّمَخْشَريّ في قوله تعالى : (إنَّ الذينَ كفروا سواءٌ عليهم أأنذَرْتَهُمْ أمْ لمْ تُنذِرْهُمْ) (٣٦) : (سواءٌ) : اسم بمعنى (الاستواء) ، وُصِف به كما يُوصَفُ بالمصادر ، ومنه قوله تعالى : (تعالَوْا إلى كلمةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وبَيْنَكُمْ) (٣٧) ، (في أربعةِ أيّامٍ سَواءً للسّائلينَ » (٣٨)

(٣٣) الكشاف ، ١١٦/٣ .
(٣٤) سورة السجدة/الآية ٢٨ ــ ٢٩ .
(٣٥) الكشاف ، ٢٤٧/٣ ، وينظر : ص ٢٩٠ في تفسير قوله تعالى « ويقولون : متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ؟ ، قل : لكم ميعاد يوم لاتستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون » (سورة سبأ/الآية ٢٩ ــ ٣٠) ، ص ٣٢٥ ــ ٣٢٦ في تفسير قوله تعالى « قالوا : ياويلنا من بعثنا من مرقدنا ؟ ، هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون » (سورة يس/الآية ٥٢) .
(٣٦) سورة البقرة/الآية ٦ .
(٣٧) سورة آل عمران/الآية ٦٤ .
(٣٨) سورة فصلت/الآية ١٠ .

بمعنى : مستوية ، وارتفاعه على أنّه خبر لـ « إنّ » ، و (أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ) في موضع المرتفع به على الفاعلية ، كأنّه قيل : إنّ الذين كفروا مُسْتَوٍ عليهم إنذارُكَ وعدمه ، كما تقول : إنّ زيداً مختصم وابن أخوه عمّه . أو يكون (أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تنْذِرْهُمْ) في موضع الابتداء ، و « سواء» خبراً مقدّماً ، بمعنى : سواءٌ عليهم إنذارك وعدمه ، والجملة خبرٌ لـ (إنّ) . فانْ قُلتَ : الفعل أُبداً خبر لا مُخْبَرٌ عنه ، فكيف صحّ الإخبار في هذا الكلام ؟ ، قُلتُ : هو من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ إلى جانب المعنى ، وقد وجدنا العرب يميلون في مواضع من كلامهم مع المعاني ميلاً بيّناً ، ومن ذلك قولهم : « لاتأكل السّمكَ وتشرَبَ اللبنَ » معناه : لايكن منك أكل السمك وشرب اللبن ، وإن كان ظاهر اللفظ على مالا يصح من عطف الاسم على الفعل .

و (الهمزة) و (أَمْ) مجرّدتان لمعنى (الاستواء) ، وقد انسلخ عنهما معنى (الاستفهام) رأساً ، قال سيبويه : «جرى هذا على حرف «الاستفهام» كما جرى على حرف « النداء » قولك : اللّهمّ اغْفِرْ لنا أَيّتها العِصابةُ » (٣٩) ، يعني أنّ هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام، كما أنّ ذلك جرى على صورة النداء ، ولا نداء .

ومعنى (الاستواء): استواؤهما في علم المُستفهِم عنهما ، لأنّه قد علِمَ أنّ أحدَ الأمرين كائن ، إمّا (الإنذار) وإمّا (عدمه)، ولكن لا بعينه فكلاهما معلوم بعلم غير معيّن » (٤٠) .

الكثير في كلام العرب وقوع الجملة الفعلية الماضية في (التسوية)، ويجوز

---

(٣٩) ينظر : الكتاب ، ج ٣ ص ١٧٠ ـ ١٧١ ، ١٨٠ ـ ١٨١ ، ج ١ ص ٢٣٦ .
(٤٠) الكشاف ، ١/١٥١ ـ ١٥٤ .

وقوع الاسمية ، يقول الفراء: « وقوله تعالى(سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صامِتُونَ) (٤١) ، ولم يقل أَمْ صَمَتُّمْ . وعلى هذا أكثر كلام العرب أن يقولوا : سواءٌ عليَّ أقمتَ أَمْ قعدتَ ، ويجوز : سواءٌ عليَّ أَقُمْتَ أَمْ أنت قاعد . . » (٤٢) .

وانّما غلب وقوع الجملة الفعلية الماضية في هذا الموضع ، لأنّ (التسوية)قد تَضَمَّنَتْ معنى الشرط ، والشرط سياق فعلي، لذلك جاءت التسوية في القرآن الكريم على مثال الماضي ، ولم يقع المضارع بعدها ، لكون افادة الماضي معنى الاستقبال أَدَلَّ على ارادة معنى الشرط فيه ، يقول الاستراباديّ في معنى قولهم سَوَاءٌ عليَّ أَقُمْتَ أَمْ قعدتَ : « أي : الأمران سواء .. وقولُكَ : أَقُمْتَ أَمْ قَعَدْتَ ، بمعنى : انْ قُمْتَ وانْ قَعَدْتَ ، والجملةُ الاسمية المُتَقَدِّمَة ، أيْ : الأمرانِ سواء ، دالّةٌ على جزاءِ الشرط ، أيْ : انْ قُمْتَ أَوْ قَعَدْتَ ، فالأمرانِ سواءٌ عليَّ . ولا شكَّ في تضمّن الفعل بعد (سواء) و (ما أُبالي) معنى الشرط ، ولذلك استهجن الأخفش على ما حكى أبو عليّ عنه في « الحُجَّة » أن يقع بعدهما الابتدائية، نحو : (سواءٌ عليَّ ، أو ما أُبالي أَدِرْهَمٌ مالُكَ أَمْ دينارٌ، ألا ترى إلى إفادة الماضي في مثله معنى المستقبل، وما ذلك إلاّ لتضمّن معنى الشرط . وأمّا قولُه تعالى : (سواءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صامِتُونَ » فَلِتَقَدُّمِ الفعليّة ، وإلّا لَمْ يجز.. وكذلك استقبح الأخفش وقوعَ المضارع بعدهما . نحو : سواءٌ عليَّ أتقومُ أَمْ تقعدُ ، لكون إفادة الماضي معنى الاستقبال أَدَلَّ على إرادة الشرط فيه . قال أبو عليّ : وممّا يَدُلُّ على ما قال الأخفش أنّ ما جاء في التنزيل من هذا النّحو جاءَ على مثال الماضي ، قال الله تعالى : (سَوَاءٌ علينا أجزعنا أَمْ صَبَرْنا)(٤٣)و (سواءٌ عَلَيْهِمْ

(٤١) سورة الأعراف/الآية ١٩٣ .
(٤٢) معاني القرآن ، ١/٤٠١ .
(٤٣) سورة ابراهيم/الآية ٢١ .

أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ (٤٤)) و(سَوَاءٌ عليهم أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ)(٤٥) .. وإنّما أفادت (الهمزةُ) فائدةَ (إن) الشرطية ، لأنَّ (إنْ) تستعمل في الأمر المفروض وقوعه المجهول في الأغلب ، يُقال : (إنْ غربت الشمس) ، وكذا حرف الاستفهام تستعمل فيما لم يتيقّن حصوله ، فجاز قيامُها مقامَها ، فَجُرِّدَت عن معنى الاستفهام ، وكذا (أَمْ) جُرِّدَت عن معنى الاستفهام ، وَجُعِلت بمعنى (أَو) ، لأنّها مثلها في إفادة أحد الشيئين أو الأشياء ، فمعنى سواءٌ عليَّ أَقُمْتَ أَمْ قَعَدْتَ : إنْ قُمْتَ أو قَعَدْتَ ويرشدكَ إلى أنَّ « سَوَاء » سادٌّ مَسَدَّ جواب الشرط ، لا خبر مُقَدَّم ، معنى سواءٌ عَلَيَّ أَقُمْتَ أَمْ قَعَدْتَ . و لا أُبالي أقمْتَ أَمْ قعدْتَ في الحقيقة واحد ، و (لا أُبالي) ليس خبرَ المبتدأ ، بل المعنى : إن قمت أو قعدت ، فلا أبالي بهما (٤٦) » .

وقد كشف الزمخشري السرَّ البلاغي لوقوع الجملة الاسمية في (التسوية يقول في قوله تعالى (سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صامِتُونَ) : « سواء عليكم أدعوتموهم أم صمتّم عن دعائهم في أنّه لا فلاحَ معهم . فإنْ قلتَ : هلاّ قيل : أمْ صمتُّمْ ، ولِمَ وُضعت الجملةُ الاسمية موضع الفعلية؟ ، قلتُ : لأنّهم كانوا إذا حزبَهم أمر دعوا الله دونَ أصنامهم ، كقوله : (وإذا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ) (٤٧) ، فكانت حالُهم المستمرة أن يكونوا صامتين عن دعوتهم ، فقيل : إذا دعوتموهم لم تفترق الحال بين إحداثكم دعاءهم وبينَ ما أنتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم» (٤٨) .

---

(٤٤) سورة المنافقون/الآية ٦ .
(٤٥) سورة البقرة/الآية ٦ . ، وسورة يس/الآية ١٠ .
(٤٦) شرح الكافية ، ٢/٣٧٥ .
(٤٧) سورة الروم/الآية ٣٣ .
(٤٨) الكشاف ، ٢/١٣٧ .

٢ ـ النفي :

إنّ استعمال (الاستفهام) في معنى (النفي) ، في القرآن الكريم ، لم يقتصر على أداة واحدة ، وإنما استعملت فيه أكثرُ من أداة ، ومن هذه الأدوات : (هَلْ) يقول الزمخشري في قوله تعالى : (هَلْ يُهْلَكُ إلاّ الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ) (٤٩) « أيْ : ما يهلك هلاكَ تعذيب وسخط إلّا الظالمون» (٥٠) .

وقد جاءت زيادة (مِن) مع (هَلْ) المستعملة في معنى (النفي) ، يقول الزمخشري في (من) الثانية في قوله تعالى : (هَلْ لَكُمْ مِنْ ما مَلَكَتْ أيْمانُكُمْ مِنْ شُرَكاء في ما رزَقْناكُمْ) (٥١) : مزيدة لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي(٥٢).»

وتأتي زيادة (من) مع (هل) حين يستدعي الاستفهام بها الجواب بالنفي ، قوله تعالى « يَقُولُونَ : هَلْ لنا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ؟ (٥٣) » : « قيل معناه : هل لنا من التدبير من شيء؟ يعنون : لم نَمْلِكْ شيئاً مِن التدبير (٥٤) » ، ويقول في قوله تعالى : (فاعْتَرَفْنا بِذنُوبِنا فَهَلْ إلى خُرُوجٍ مِنْ سَبيل؟ ذلِكُمْ بأنّهُ إذا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وإنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا) (٥٥) « فَهَلْ إلى خُرُوجٍ »أي الى نوع مِن الخروج سريعٍ أوْ بطيء مِن سبيلٍ قطّ ، أم اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه ؟ ، وهذا كلام مَنْ غلب عليه اليأس والقنوط . وإنّما يقولون ذلك تَعَلّلاً وتحيّراً ، ولهذا جاء الجوابُ على حَسَب ذلك ، وهو قوله

(٤٩) سورة الانعام/الآية ٤٧ .
(٥٠) الكشاف ، ١٩/٢ .
(٥١) سورة الروم/الآية ٢٨ .
(٥٤) الكشاف ، ٢٢١/٣ .
(٥٣) سورة آل عمران/الآية ١٥٤ .
(٥٤) الكشاف ، ٤٧٣/١ .
(٥٥) سورة المؤمن/الآية ١١ ـ ١٢ .

(ذلكم) ، أَيْ : ذلكم الذي أنتم فيه ، وأَنْ لا سبيلَ لكم الى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وايمانكم بالإشراك به» (٥٦) .

ومن أدوات (الاستفهام) المستعملة في معنى (النفي) : (مَنْ)، يقول الزمخشري في قوله تعالى : (وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ ابْراهيمَ إلاّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ؟) (٥٧) : « (مَنْ سَفِه) : في محل الرفع على البدل من الضمير في « يرغب» ، وصحّ البدل ، لِأنَّ «من يرغب» غير موجب ، كقولك : هل جاءك أحد إلاّ زيد ؟ » (٥٨) .

ويقول ابن فارس في قوله تعالى : (فَمَنْ يَهْدي مَنْ أَضَلَّ اللهُ؟» (٥٩) : « ظاهره استخبار ، والمعنى : لا هادى لمن أضلَّ الله ، والدليل على ذلك قوله في العطف عليه : (وما لَهُمْ مِنْ ناصِرينَ) (٥٩) (٦٠) » .

ويقول أبو حيَّان في قوله تعالى : (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً؟)(٦١) : « هذا (استفهام) ومعناه (النفي) ، أيْ : ولا أحد أحسن من الله صبغة »(٦٢) .

كما استعملت (كَيْفَ) في معنى (النفي) ، يقول الزمخشري في قوله تعالى : (فكيفَ آسى عَلى قَوْمٍ كافِرينَ) ؟ (٦٣) : « يعني أنّه لا يأسى عليهم ، لأَنَّهم ليسوا أَحِقّاءَ بالأسى(٦٤) » .

---

(٥٦) الكشاف ، ٣/٤١٨ ـ ٤١٩ ، وينظر : مجاز القرآن ، ٢/٣١ ، ١٢٣ في تفسير قوله تعالى « هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء ؟ » (سورة الروم : الآية ٤٠) ، والصاحبي ، ١٧٣ ، وخزانة الأدب ، ١/ ٢٠١ و ٣/٣٩٨ ، و ٤/١٢٤ .

(٥٧) سورة البقرة/الآية ١٣٠ .

(٥٨) الكشاف ، ١/٣١٢ ، وينظر : ٢/٣٩٣ في تفسير قوله تعالى « قال : ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون ؟ » (سورة الحجر/الآية ٥٦) .

(٥٩) سورة الروم/الآية ٢٩ .

(٦٠) الصاحبي ، ١٨٣ .

(٦١) سورة البقرة/الآية ١٣٨ .

(٦٢) البحر المحيط ، ١/٤١٢ .

(٦٣) سورة الأعراف/الآية ٩٣ .

(٦٤) الكشاف ، ٢/٩٧ .

٢ ـ التقرير :

(التقرير) لفظه لفظ (الاستفهام) ، ومعناه (الخبر) ، يقول الطبري في قوله تعالى : « (أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مثوىً لِلْكَافِرِينَ (٦٥) » : « هذا (تقرير) وليس باستفهام ، انّما هو كقول جرير :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المطايا
وأَنْدى العالَمِينَ بُطُونَ راحِ

انّما أخبر أنّ للكافرين بالله مسكناً في النارِ ، ومنزلاً يَثْوونَ فيه (٦٦) » .

و (الاستفهام) المُستعمَل في معنى (التقرير) هو في حقيقته (اخبار) ، لذلك يَصِحُّ أنْ يعطف عليه الخبر ، يقول الزمخشري في قوله تعالى : (أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وجاءَكُمُ النَّذِيرُ)(٦٧) : « فإنْ قُلْتَ : علامَ عطف (وجاءَكُمُ النَّذِيرُ) ؟ قُلْتُ : على معنى (أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ) ، لأنّ لفظه لفظ (استخبار) ، ومعناه (اخبار) ، كأنّه قيل : قد عَمَّرْناكُمْ وجاءَكُمُ النَّذِير (٦٨) » .

و (التقرير) قد يصحبُه معنى (التوبيخ) و (التعجيب) ، يقول الزمخشري في قوله تعالى (أَتَأْمُرُونَ الناسَ بِالْبِرِّ وتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتابَ أفَلا تَعْقِلُونَ ؟)(٦٩) : « (أَتَأْمُرُونَ ؟) : الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب مِن حالهم .. (أفَلا تَعْقِلُونَ ؟) : توبيخ عظيم بمعنى : أفلا تفطنُون لِقبح ما أقدمتم عليه حتى يصُدّكم استقباحُه عن

(٦٥) سورة العنكبوت /الآية ٦٨ .
(٦٦) جامع البيان ، ٢١/١٤ ، وينظر : مجاز القرآن ، ٢٨٧/١ .
(٦٧) سورة فاطر/الآية ٣٧ .
(٦٨) الكشاف ، ٣١١/٣ .
(٦٩) سورة البقرة/الآية ٤٤ .

ارتكابه ؟ ، وكأنّكم في ذلك مساوبو العقول ، لأنّ العقول تأباه وتدفعه(٧٠).

وقد يصحبه معنى (التعجيب) فقط ، يقول الزمخشري في قوله تعالى(أَلَمْ تَرَ الى الَّذينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وهُمْ أُلُوفُ حَذَرَ الْمَوْتِ فقالَ لَهُمُ اللهُ : مُوتُوا ، ثُمَّ أَحْيَاهُمْ) ؟ (٧١) : « (أَلَمْ تَرَ ؟) : تقرير لِمَنْ سمِعَ بِقِصَّتِهم من أهل الكتاب وأخبارِ الأوّلين وتعجيب من شأنهم ، ويجوز ن يُخاطَب به مَنْ لم يَرَ ولم يَسْمَعْ ، لِأنّ هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجيب (٧٢) » .

وقد يصحبه معنى (التقريع) كما في قوله تعالى : (أَوَلَمّا أَصابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْها قُلْتُمْ : أَنّى هذا) (٧٣) ؟ .

أو يصحبه معنى (الإنكار) و (الاستبعاد) ، كما في قوله تعالى : (أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرى) (٧٤) ؟ .

أو يصحبه معنى (الإنكار) و (التعظيم) ، كما في قوله تعالى : (أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِن دُونِ النِّساءِ) ؟ (٥٧) .

وإذا دخلت (همزة) الاستفهام على الجملة المنفيّة ، تكون مستعملة للتقرير بمضمون الجملة المنفيّة يقول الزمخشري في قوله تعالى : (أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ (٧٦) » : « (ألا) : مركبة من (همزة) الاستفهام

(٧٠) الكشاف ، ٢٧٧/١ ، وينظر : ص ٢٩٤ في تفسير قوله تعالى « أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ؟ » (سورة البقرة : الآية ٨٧)
(٧١) سورة البقرة/الآية ٢٤٣ .
(٧٢) الكشاف ، ٣٧٧/١ .
(٧٣) سورة آل عمران/الآية ١٦٥ ، وينظر : الكشاف ، ٤٧٧/١ .
(٧٤) سورة الأنعام/الآية ١٩ . وينظر : الكشاف ، ١٠/١ .
(٧٥) سورة الأعراف/الآية ٨١ ، وينظر : الكشاف ، ٩٢/٢ .
(٧٦) سورة البقرة/الآية ١٢ .

و(حرف) النفي ، لإعطاء معنى التنبيه على تحقّق ما بعدها . والاستفهامُ اذا دخل على النفي ، أفاد تحقيقاً ، كقوله : (أَلَيْسَ ذلكَ بقادرٍ) ؟ (٧٧) (٧٨)

ويقول ابو حيان في قوله تعالى : (قال : أَلَمْ أَقُلْ لكُمْ إنّي أعْلَمُ غَيْبَ السّمواتِ والأَرْضِ ؟) (٧٩) : « (أَلَمْ أَقُلْ ؟) : تقرير ، لأنّ (الهمزة) إذا دخلت على (النفي) كان الكلام في كثير من المواضع تقريراً ، نحو قوله تعالى : (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟) (٨٠) ، (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ؟) (٨١) ، (أَلَمْ نُرَبِّكَ فينا وَلِيداً ؟) (٨٢) ، ولذلك جاز العطف على جملة إثباتية ، نحو « ووَضَعْنا » (٨٣) و « لَبِثْتَ » (٨٤) (٨٥) .

ويقول أبو حيّان في تفسير قوله تعالى : (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ على كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ ؟) (٨٦) : « هذا (استفهام) ، معناه (التقرير) ، فلا يحتاج الى معادل البَتّة . . والاستفهام بمعنى التقرير ، كثير في كلامهم جدّاً ، خصوصاً اذا دخل على النفي : (أَوَلَيْسَ اللهُ بأَعْلَمَ بما في صُدُورِ العالَمينَ ؟) (٨٧) ، (أَلَيْسَ اللهُ بأَحْكَمِ الحاكِمينَ ؟) (٨٨) ،

(٧٧) سورة القيامة/الآية ٤٠ .
(٧٨) الكشاف ، ١/١٨٠ ، وينظر : ص ٣٠٣ في تفسير قوله تعالى « ألم تعلم ان الله على كل شيء قدير ؟ » (سورة البقرة/الآية ١٠٦) . و ٣/٢١٦ في تفسير « أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ؟ » (سورة الروم : الآية ٩) .
(٧٩) سورة البقرة/الآية ٣٣ .
(٨٠) سورة الأعراف/الآية ١٧٢ . (٨١) سورة الانشراح/الآية ١ .
(٨٢) سورة الشعراء/الآية ١٨ . (٨٣) سورة الانشراح/الآية ٢ .
(٨٤) سورة الشعراء/الآية ١٨ .
(٨٥) البحر المحيط ، ١/١٥٠ ، وينظر : ص ٣٤٤ ـ ٣٤٥ ، و ٢/٢٤٩ ، ٢٩٧ ـ ٢٩٨ .
(٨٦) سورة البقرة/الآية ١٠٦ .
(٨٧) سورة العنكبوت/الآية ١٠ .
(٨٨) سورة التين/الآية ٨ .

« أَلَمْ نُرَبِّكَ فينا وَلِيداً ؟) (٨٢) ، « أَلَمْ يَجِدْكَ يَتيماً فَآوى ؟)(٨٩)، (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ؟) (٨١) ، فهذا كُلُّه استفهام ، لا يحتاج فيه الى معادل ؛ لِأَنَّه إنّما يراد به التقرير ، والمعنى : قد علمت أيُّها المُخاطب أنّ الله قادر على كلّ شيء، فله التصرُّف في تكاليف عباده . . وحكمة إفراد المُخاطَب أنّه ما من شخصٍ إلّا يتوهم أنّه المخاطب بذلك ، والمُنَبَّهُ به ، والمُقَرَّرُ على شيءٍ ثابت عنده ، وهو أنّ قدرة الله — تعالى — مُتَعَلِّقَةٌ بالأشياء ، فلن يُعْجِزَهُ شيء »(٩٠) .

وهذه (الهمزة) في حقيقتها لِلانكار ، لِأنّها تفيد إنكار النفي ، وإنكار النفي إثبات ، يقول الزمخشري في قوله تعالى : (أَلَيْسَ في جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكافِرينَ ؟) (٩١) : « (أَلَيْسَ ؟) : تقرير لثوائهم في جهنّم ، كقوله :

* أَلَسْتُمْ خيرَ مَنْ رَكِبَ المَطايا ؟ *

. . وحقيقته أنّ (الهمزة) همزة الإنكار ، دخلت على النفي ، فرجع إلى معنى التقرير(٩٢) » .

ويقول في قوله تعالى : (يا مَعْشَرَ الْجِنّ والإِنْس أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آياتي ويُنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا ؟ ، قالُوا : شَهِدْنا على أَنْفُسِنا (٩٣) » : « يُقال لهم يوم القيامة على جهة التوبيخ : (أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ ؟) ، . . « قالُوا : شَهِدْنا عَلى أَنْفُسِنا » حكايةٌ لتصديقهم وإيجابهم قوله : (أَلَمْ يَأْتِكُمْ ؟) ، لِأنّ (الهمزة) الداخلة على (نفي إتيان الرسل) للانكار ، فكان تقريراً لهم (٩٤) » .

---

(٨٩) سورة الضحى/الآية ٦ .
(٩٠) البحر المحيط ، ١/٣٤٤ — ٣٤٥
(٩١) سورة العنكبوت /الآية ٦٨ .
(٩٢) الكشاف ، ٣/٢١٢ — ٢١٣ .
(٩٣) سورة الأنعام/الآية ١٣٠ .
(٩٤) الكشاف ، ٢/٥٠ — ٥١ .

ويقول في قوله تعالى : (أَلَيْسَ اللهُ بِكافٍ عَبْدَهُ ؟ (٩٥)) : « أدخلت همزة الإنكار على كلمة النفي ، فأفيد معنى إثبات الكفاية وتقريرها » (٩٦) .

ولكنّ الزمخشري قد شذّ في موضع من تفسيره ، فذهب إلى أنّ همزة التقرير قد يُراد بها التقرير بالنفي ، يقول في قوله تعالى : (قُلْتُمْ : لَنْ يَبْعَثَ اللهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً) (٩٧) : « ليس قولهم (لَنْ يَبْعَثَ اللهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً) بتصديق لرسالة يُوسُفَ ، كيف وقد شكّوا فيهـا وكفروا بها ، وإنّما هو تكذيبٌ لرسالة مَنْ بعده مضموم الى تكذيب رسالته . وقرئ (أَلَنْ يَبْعَثَ اللهُ ؟) على إدخال (همزة) الاستفهام على (حرف النفي) ، كأنّ بعضَهم يقرر بعضاً بنفي البعث(٩٨) » .

واذا كانت (الهمزة) للتقرير ، فيليها الشيء الذي تُقَرِّرُ المُخاطب به ، ولذلك لا يليها الفاعل أو المفعول إلاّ بعد وقوع الفعل وثبوته ، يقول الزمخشري في تفسير قوله تعالى : (قُلْ : أَبِاللهِ وَآياتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ؟)(٩٩) : « جُعِلُوا كأنّهم معترفون باستهزائهم وبأنّه موجود منهم .. حيث جُعِلَ المُستهزَأُ به يلي حرف التقرير ، وذلك إنّما يستقيم بعد وقـوع الاستهزاء وثبوته » (١٠٠) .

ويقول في قوله تعالى : (أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ الناسَ حَتّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ؟) (١٠١) : « يعني : انّما يَقدِرُ على اكراههم واضطرارهم الى الإيمان هو لا أنت ، وإيلاءُ الاسم حرفَ الاستفهام للاعلام بأنّ الإكراه ممكن مقدور عليه ، وانّما الشأنُ في المُكْرِهِ من هو ؟ »(١٠٢) .

---

(٩٥) سورة الزمر/الآية ٣٦ .
(٩٦) الكشاف ، ٣٩٨/٣ .
(٩٧) سورة المؤمن/الآية ٣٤ .
(٩٨) الكشاف ، ٤٢٧/٣ .
(٩٩) سورة التوبة/الآية ٦٥ .
(١٠٠) الكشاف (٢٠٠/٢ .
(١٠١) سورة يونس/الآية ٩٩ .
(١٠٢) الكشاف ، ٢٥٤/٢ .

ويقول في قوله تعالى : (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وما يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَقُولُ : أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبادي هؤلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ؟ ، قالُوا : سُبْحانَكَ ما كانَ يَنْبَغي لنا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِياءَ ولكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وآباءَهُمْ حَتّى نَسُوا الذِّكْرَ وكانُوا قَوْماً بُوراً)(١٠٣) : « إن قلت : ما فائدة « أَنْتُمْ » و « هُمْ » وهلاّ قيل : أَأَضْلَلْتُمْ عبادي هؤلاءِ أَمْ هم ضَلُّوا السَّبِيلَ ؟ ، قلتُ: ليس السؤال عن الفعل ووجوده ، لأنَّه لولا وجودُه لما تَوَجَّه هذا العتاب ، وإنّما هو عن مُتَوَلِّيه ، فلا بُدَّ من ذكره وإيلائه حرفَ الاستفهام حتى يعلم أنّه المسؤول عنه . فإنْ قلت : فالله سبحانه قد سبق علمه بالمسؤول عنه ، فما فائدة هذا السؤال ؟ ، قلت : فائدته أن يجيبوا بما أجابوا حتى يُبَكِّت عَبَدَتَهُمْ بتكذيبهم إيّاهم ، فيبهتوا وينخذلوا وتزيد حسرتهم ، ويكون ذلك نوعاً مِمّا يلحقُهم من غضب الله وعذابه ، ويغتبطَ المؤمنون ، ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة أولئك ، وليكون حكاية ذلك في القرآن لطفاً للمكلفين »(١٠٤) .

ولم تنفرد (الهمزة) بالاستعمال في معنى (التقرير) ، وإنّما شاركتها فيه أدوات أُخرى ، منها : (هَلْ) ، يقول الزمخشريّ في قوله تعالى : (قالَ: هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتالُ أَن لا تُقاتِلُوا) ؟ (١٠٥) : « خبر (عَسَيْتُمْ) : (أَنْ لاَ تقاتِلُوا) ، والشرطُ فاصلٌ بينهما . والمعنى : هل قاربتم أَن لا تقاتلوا ؟ ، يعني: هل الأمر كما أتوقّعه أَنّكُمْ لا تقاتلون ؟ ، أَراد أن يقول : (عَسَيْتُمْ أَنْ لا تُقاتِلُوا) بمعنى : أَتَوَقَّعُ جُبْنَكُمْ عن القتال ، فادخل « هَلْ » مُستفهماً عمّا هو متوقَّعٌ عنده ومظنون ، وأراد بالاستفهام : التقرير ، وتثبيتَ أنّ المتوقّع كائن وأنّه صائب في توقّعه ،

(١٠٣) سورة الفرقان/الآية ١٧ ــ ١٨ .
(١٠٤) الكشاف ، ٣/٨٤ ــ ٨٥ .
(١٠٥) سورة البقرة/الآية ٢٤٦ .

كقوله تعالى : (هَلْ أتى على الإنْسانِ ؟) (١٠٦) معناه : التقرير(١٠٧») .

ويرى الزمخشري أنّ (هَلْ) المستعملةِ في معنى (التقرير) تفيد معنى (قد) ، وهي لا تفيد معنى (قد) إلّا في الاستفهام التقريري خاصّة ، يقول في قوله تعالى: (هَلْ أتى على الانسانِ حينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً)(١٠٨) : « هَلْ » بمعنى (قدْ) في الاستفهام خاصّةً . والأَصلُ « أهَلْ ؟ » ، بدليل قوله (١٠٩) :

* أهَلْ رَأَوْنا بِسَفْحِ القاعِ ذي الأَكَمِ ؟ *

فالمعنى : (أقَدْ أتى ؟) على التقرير والتقريب جميعاً ، أيْ : أتى على الإنسان »(١١٠) .

ومِن الأدوات المستعملة في معنى التقرير : (كَمْ) ، يقول الزمخشري في قوله تعالى : (سَلْ بَني إسْرائيلَ كَمْ آتَيْناهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ)(١١١) : « فإنْ قلتَ : « كَمْ » استفهامية ، أمْ خبريّة ؟ ، قُلتُ : تحتملُ الأمرين ، ومعنى (الاستفهام) فيها (لِلتقرير) » (١١٢) .

---

(١٠٦) سورة الدهر/الآية ١ .
(١٠٧) الكشاف ، ٣٧٨/١ .
(١٠٨) سورة الدهر/الآية ١ .
(١٠٩) عجز بيت لزيد الخيل ، صدره :

× سائل فوارس يربوع بشدتنا ×

وهو من البسيط ، وقد ورد كذلك في : المقتضب ، ٤٤/١ ، و ٣/ ٢٩١ ، والخصائص ، ٤٦٣/٢ ، وشرح المفصل ، ١٥٢/٨ ، ١٥٣ . ومغني اللبيب ، ٣٥٢/٢ ، وهمع الهوامع ، ٧٧/٢ .

(معجم شواهد العربية ، ج ١ ص ٣٦٧)

(١١٠) الكشاف ، ١٩٤/٤ ، وينظر : ٢٤١/٢ في تفسير قوله تعالى « قل : اي وربي انه لحق » (سورة يونس/الآية ٥٣) .
(١١١) سورة البقرة/الآية ٢١١ .
(١١٢) الكشاف ، ٣٥٤/١ .

كما استُعملت فيه (كيف) ، يقول الزمخشري في قوله تعالى : (فأخَذْتُهُمْ فكَيْفَ كانَ عِقابِ ؟)(١١٣): « هذا تقريرٌ ، فيه معنى التعجيب »(١١٤) .

٤ ـ الانكار :

في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ، جاءت همزةُ الاستفهام مُستعمَلَةً في معنى (الإنكار) ، ومن ذلك قوله تعالى : (قالوا : أنُؤْمِنُ كما آمَنَ السُّفَهاءُ ؟ »(١١٥) ، « قالُوا : أتُحَدِّثُونَهُمْ بِما فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ لِيُحاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ ؟ » (١١٦) ، « أيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إذْ أنْتُمْ مُسْلِمُونَ ؟ (١١٧) » ، « أهؤُلاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنا ؟ (١١٨) » .

وقد يجتمع إلى (الإنكار) معنى (التعجيب) ، يقول الزمخشري في قوله تعالى : (أكانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أنْ أوْحَيْنا إلى رَجُلٍ مِنْهُمْ ؟ (١١٩)) : « « الهمزة » لإنكار (التعجب) والتعجيب منه .. فإن قلت : فما معنى (اللام) في قوله(أكانَ لِلنَّاسِ عَجَباً) ؟ ، وما الفرق بينه وبين قولك : (أكان عند الناس عجباً ؟)، قُلْتُ : معناهُ أنَّهم جعلوه لهم أعجوبة يتعَجَّبون منها ، ونصبوه عَلَماً لهم يوجِّهون نحوَه استهزاءَهم وإنكارَهم ، وليس في (عند الناس) هذا المعنى (١٢٠) » .

---

(١١٣) سورة المؤمن/الآية ٥ . (١١٤) الكشاف ، ٣/٤١٥ .
(١١٥) سورة البقرة/الآية ١٣ ، وينظر/الكشاف ، ١/١٨٢ .
(١١٦) سورة البقرة/الآية ٧٦ ، وينظر/الكشاف ، ١/٢٩١ .
(١١٧) سورة آل عمران/الآية ٨٠ ، وينظر/الكشاف ، ١/٤٤٠ .
(١١٨) سورة الأنعام/الآية ٥٣ ، وينظر/الكشاف ، ٢/٢٢ .
(١١٩) سورة يونس/الآية ٢ .
(١٢٠) الكشاف ، ٢/٢٢٤ ، وينظر : ص ٤٨٨ في تفسير قوله تعالى « أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو ؟ » (سورة الكهف : الآية ٥٠) .

وقد يستقل الإنكار بالتجهيل والتعجيب ، يقول الزمخشري في قوله تعالى: (وقالُوا : لَوْلا نُزِّلَ هذا القُرآنُ على رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظيمٍ . أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ ؟) (١٢١) : « هذه « الهمزة » للانكار المستقبل بالتجهيل والتعجيب من اعتراضهم وتحكّمهم ، وأن يكونوا هُم المُدَبِّرينَ لأمر النبوّة ، والمتخيِّرين لها ما يصلح لها ويقوم بها ، والمتولّين لقسمة رحمة الله التي لا يتولاّها إلاّ هو بباهر قدرته وبالغ حكمته (١٢٢)» .

وقد يجتمع الى (الإنكار) معنى (الاستبعاد) ، يقول الزمخشري في قوله تعالى : (قالُوا: أَجِئْتَنا لِنَعْبُدَ الله وَحْدَهُ ونَذَرَ ما كانَ يَعْبُدُ آباؤُنا ؟ (١٢٣) » : « أنكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة ، وترك دين الآباء في اتخاذ الأصنام شركاء معه ، حُبّاً لما نشأوا عليه وإلفاً لما صادفوا آباءهم يدينون به (١٢٤) » .

ويقول في قوله تعالى : (كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللهِ وعِنْدَ رَسُولِهِ كَيْفَ وإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فيكُمْ إلاً ولا ذِمّةً ؟ (١٢٥) : « (كيف) : استفهام في معنى الاستنكار والاستبعاد لأن يكون للمشركين عهد عند رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهم أضداد وغرة صدورهم ، يعني : محال أن يثبت لهؤلاء عهد ، فلا تطمعوا في ذلك ، ولا تحدّثوا به نفوسكم ، ولا تفكروا في قتلهم(١٢٦) ..

(١٢١) سورة الزخرف/الآية ٣١ — ٣٢ .
(١٢٢) الكشاف ، ٣/٤٨٦ .
(١٢٣) سورة الأعراف/الآية ٧٠ .
(١٢٤) الكشاف ، ٢/٨٧ .
(١٢٥) سورة التوبة/الآية ٧ — ٨ .
(١٢٦) العبارة غير مستقيمة ، ولعلها : ولا تفكروا في ترك قتلهم .

(كيف) – الثانية – تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد . وحُذِفَ الفعل ، لكونه معلوماً ، كما قال :

وخَبَّرْتُماني أنَّما المَوْتُ بِالْقُرى
فكيفَ وهاتا هضبة وقَلِيبُ ؟ !

يريد : فكيفَ ماتَ ؟! ، أيْ : كيف يكون لهم عَهْدُ ، وحالُهم أنَّهم إنْ يظهروا عليكم بعدَما سبق لهم من تأكيد الأيمان والمواثيق لم ينظروا في حلف ولا عهد ، ولم يُبقوا عليكم ؟ (١٢٧) » .

وإذا كانت (الهمزة) للانكار فيليها ما تنكره أفعْلاً كان أم فاعلاً أم مفعولاً ، يقول الزمخشري في قوله تعالى : (قُلْ : أغَيْرَ اللهِ أتَّخِذُ وَلِيّاً) ؟ (١٢٨) : « أولى « غيرَ الله » همزةَ الاستفهام ، دونَ الفعل الّذي هو « أتَّخِذُ » ، لِأنَّ الإنكار في اتّخاذ غير اللهِ وَلِيّاً لا في اتّخاذالوليّ ، فكان أولى بالتقديم ، ونحوه : (أفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونّي أعْبُدُ أيُّها الْجاهِلُونَ ؟(١٢٩)) (آللهُ أذِنَ لَكُمْ ؟) (١٣٠) (١٣١) » .

ويقول في قوله تعالى : (قالَتْ رُسُلُهُمْ : أفِي اللهِ شَكٌّ) ؟ (١٣٢) : « أدْخلَتْ « همزة » الإنكار على (الظرف) ، لِأنَّ الكلام ليس في (الشّكّ) إنّما في (المشكوك فيه) ، وأنّه لا يحتمل الشكّ لظهور الأدِلّة وشهادتها عليه » (١٣٣) .

(١٢٧) الكشاف ، ٢/١٧٥ – ١٧٦ .
(١٢٨) سورة الأنعام/الآية ١٤ .
(١٢٩) سورة الزمر/الآية ٦٤ .
(١٣٠) سورة يونس/الآية ٥١ .
(١٣١) الكشاف ، ٢/٨ ، وينظر : ص ٦٤ في تفسير قوله تعالى « قل : اغير الله أبغي رباً ؟ » (سورة الأنعام/الآية ١٦٤) .
(١٣٢) سورة ابراهيم/الآية ١٠ .
(١٣٣) الكشاف ، ٢/٣٦٩ .

ويقول في قوله تعالى : (قالَ : أراغِبٌ أنْتَ عَنْ آلِهَتِي يا إبْراهيمُ) ؟ (١٣٤) : « قَدَّمَ الخبر على المبتدأ في قوله (أراغِبٌ أنْتَ عَنْ آلِهَتِي يا إبراهيمُ) لِأَنَّه كان أهَمَّ عنده ، وهو عنده أعنى ، وفيه ضرب من التعجب والإنكار لرغبته عن آلهته ، وأنّ آلهته ما ينبغي أن يرغب عنها أحد». (١٣٥)

ويقول في قوله تعالى : (ويقولُ الإنسانُ : أإذا ما مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيّاً ؟)(١٣٦) : « تقديمُ الظرف وإيلاؤه حرفَ الإنكار من قِبَلِ أنّ ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة ، ومنه جاء إنكارهم ، فهو كقولك للمسيء إلى المحسن : أحينَ تَمَّتْ عليك نعمة فلان أسأتَ إليه؟»(١٣٧).

ويقول في قوله تعالى : (قالَ الَّذينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذينَ اسْتُضْعِفُوا: أَنَحْنُ صَدَدْناكُمْ عَنِ الْهُدى بَعْدَ إذْ جاءَكُمْ ؟ ، بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمينَ) (١٣٨) : « أولى الاسمَ — أعني : « نحن » — حرفَ الإنكار ، لِأنّ الغرض إنكار أن يكونوا هم الصادّين لهم عن الإيمان ، وإثبات أنّهم هم الذين صَدُّوا بأنفسهم عنه ، وأنّهم أتوا من قِبَلِ اختيارهم ، كأنّهم قالوا : أنحن أجبرناكم، وحلنا بينكم وبين كونكم مُمَكَّنينَ مُخْتارين ؟ (١٣٩) » .

ويقول في قوله تعالى : (أئِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللهِ تُريدُونَ) (١٤٠) : « إنَّما قُدِّم المفعول للعناية ، وقُدِّم (المفعول له) على (المفعول به) لِأَنَّه كان الأَهَمَّ عنده أن يكافحهم بأَنَّهم على إفْك وباطل في شركهم(١٤١) » .

---

(١٣٤) سورة مريم/الآية ٤٦ .
(١٣٥) الكشاف ، ٢/٥١١ .
(١٣٦) سورة مريم/الآية ٦٦ .
(١٣٧) الكشاف ، ٢/٥١٧ — ٥١٨ .
(١٣٨) سورة سبأ/الآية ٣٢ .
(١٣٩) الكشاف ، ٣ ص/٢٩٠ — ٢٩١ ، وينظر : المحتسب ، ٢/١٩٤ .
(١٤٠) سورة الصافات/الآية ٨٦ .
(١٤١) الكشاف ، ٣/٣٤٤ .

ويقول في قوله تعالى : (أَفأَنْتَ تُكْرِهُ النّاسَ حتّى يكونوا مُؤْمنينَ) ؟ (١٤٢) : « قوله تعالى « أَفأَنْتَ تُكْرِهُ ؟ » - بإدخال (همزة الإنكار) على (المُكْرِه) دون (فِعْلِهِ) - دليل على أنّ الله وحدَه هو القادر على هذا الإكراه دون غيره (١٤٣) » .

ويقول في قوله تعالى : (أَفأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدي العُمْيَ ومَنْ كانَ في ضَلالٍ مُبينٍ ؟) (١٤٤) : « إنكارٌ تعجيب من أن يكون هو الذي يقدر على هدايتهم ، وأراد أنّه لا يقدر على ذلك منهم إلّا هو وحده على سبيل الإلجاء والقسر ، كقوله تعالى : (إنّ اللهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشاءُ وما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ في القُبُورِ) (١٤٥) (١٤٦) » .

وقد تُكَرَّرُ (همزةُ) الإنكار توكيداً ، يقول الزَّمَخْشريّ في قوله تعالى : (أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ العَذابِ أَفأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ في النّارِ ؟)(١٤٧) : « أصلُ الكلام : أَمَنْ حَقَّ عليه كلمةُ العذاب فأَنْتَ تُنْقِذُهُ ؟ ، جملة شرطية دخل عليها همزة الإنكار ، « والفاء » فاء الجزاء ، ثُمَّ دخلت « الفاء » التي في أولها للعطف على محذوف يدلُّ عليه الخطاب ، تقديره : أأنتَ مالك أمرهم فَمَنْ حَقَّ عليه العذاب فأنتَ تنقذه ؟ ، و « الهمزة » الثانية هي الأولى كُرِّرَت لتوكيد معنى الإنكار والاستبعاد ، ووضع « مَنْ في النّارِ » موضعَ الضمير ، فالآية على هذا جملة واحدة (١٤٨) » .

ويجوز أن يعرّى الكلام مِن (همزة) الإنكار ، فيأتي في صورة الإثبات ومعناه النفي والإنكار ، وقد كشف الزمخشري السرَّ البلاغي لهذه التعرية : « فإن قلتَ : ما معنى قوله تعالى : (مَثَلُ الجَنّةِ الّتي وُعِدَ المُتَّقُونَ

---

(١٤٢) سورة يونس/الآية ٩٩ .
(١٤٣) الكشاف ، ٣/٤٦١ .
(١٤٤) سورة الزخرف/الآية ٤٠ .
(١٤٥) سورة فاطر/الآية ٢٢ .
(١٤٦) الكشاف ، ٣/٤٨٩ .
(١٤٧) سورة الزمر/الآية ١٩ .
(١٤٨) الكشاف ، ٣/٣٩٣ .

فيهَا أَنْهَارٌ . . كَمَنْ هُوَ خالدٌ في النَّارِ) ؟(١٤٩) ، قلت : هو كلام في صورة الإثبات ومعناه النفي والإنكار ، لانطوائه تحت حكم كلام مصدّر بحرف الإنكار ، ودخوله في حيِّزِه وانخراطه في سلكه ، وهو قوله تعالى : (أَفَمَنْ كانَ على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ ؟(١٥٠) ، فكأنّه قيل : أَمَثَلُ الجنَّةِ كَمَنْ هو خالدٌ في النار ؟ ، أيْ : كمثل جزاءِ مَنْ هو خالد في النار ؟ .

فإن قلتَ : فَلِمَ عري من حرف الإنكار ، وما فائدةُ التعرية ؟ ، قلتُ: تعريته من حرف الإنكار ، فيها زيادة تصوير لمكابرة مَنْ يسوّي بين المتمسِّك بالبيِّنة والتابع لهواه ، وأنّه بمنزلة مَنْ يثبت التسوية بين الجنة التي تجري فيها تلك الأنهار وبين النار التي يُسقى أهلُها الحَميم. ونظيره قول القائل(١٥١):

أَفْرَحُ أَنْ أُرْزَأَ الكِرَامَ ، وأَنْ
أُورَثَ ذَوْداً(١٥٢) شَصَائصاً نَبَلا

هو كلام منكر الفرح برزيّة الكرام ووراثة الذّود ، مع تعرّيه عن حرف الإنكار ، لانطوائه تحت حكم قول من قال : أتفرح بموت أخيك وبوراثة إبلِهِ ؟ . والذي طرح لأجله حرف الإنكار إرادة أن يصوِّر قبح ما أَزَنَّ به ، فكأنّه قال له : نعم ، مثلي يفرح بمرزأة الكرام وبأن يُستبدل منهم ذوداً يقِلُّ طائله . وهو من التسليم الذي تحته كلّ إنكار (١٥٣) » .

---

(١٤٩) سورة محمد/الآية ١٥ .
(١٥٠) سورة محمد/الآية ١٤ .
(١٥١) البيت لحضرمي بن عامر .(ينظر : خزانة الأدب ، ٤٢٩/٣ ـ ٤٣٠ ، و ١٢/٦ ، ولسان العرب : نبل) ، (شصص) .
(١٥٢) الذود من الابل : مابين الثلاث الى العشر . الشصائص : القليلة اللبن . النبل : الصغار الأجسام .
(١٥٣) الكشاف ، ٥٣٣/٣ .

ولم يكن خروج الاستفهام إلى معنى (الإنكار) مقتصراً على (الهمزة)، وإنّما شاركتها فيه أدوات أخرى ، منها (أنّى) ، يقول الزمخشري في قوله تعالى: (قالُوا : أنّى يَكُونُ لَهُ المُلْكُ عَلَيْنا ونَحْنُ أَحَقُّ بِالمُلْكِ مِنْه ولَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ المالِ ؟ (١٥٤)) : (« أنّى) : كيفَ ، ومِنْ أينَ ؟ ، وهو إنكار لتملّكه عليهم واستبعاد له (١٥٥) » .

ومنها أيضاً : (كيف) ، يقول الزمخشري في قوله تعالى : (وكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلى عَلَيْكُمْ آياتُ اللهِ وفيكُمْ رَسُولُهُ) ؟(١٥٦): « معنى الاستفهام فيه : الإنكار والتعجيب (١٥٧) » .

وإذا كانت (الهمزةُ) تستعمل لإنكار الشيء ، فإنّ » (كيفَ) تستعمل لإنكار الحال ، وقد يكون إنكار حال الشيء أقوى لإنكار ذاته وأبلغ ، يقول الزمخشري في قوله تعالى : (كَيْفَ تَكْفُرُونَ باللهِ وكُنْتُمْ أَمْواتاً فأَحْياكُمْ ثُمَّ يُميتُكُمْ ثُمَّ يُحْييكُمْ ثُمَّ إلَيْهِ تُرْجَعُونَ) ؟(١٥٨) : « معنى (الهمزة) التي في (كيف) مثله في قولك : (أتكفرونَ بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو إلى الإيمان ؟ وهو : الإنكار والتعجيب ، ونظيره قولك : أتطير بغير جناح ؟ وكيف تطيرُ بغير جناح ؟ .

فان قلت : قولك (أتطير بغير جناح) ؟ إنكار للطّيران لأنّه مستحيل بغير جناح ، وأمّا الكفر فغير مستحيل مع ما ذكر من الإماتة والإحياء . قلتُ : قد أُخرج في صورة المستحيل لما قوي من الصارف عن الكفر والداعي إلى الإيمان .

فإنْ قلت : قد تبيّن أمر (الهمزة) ، وأنّها لإنكار الفعل والإيذان

(١٥٤) سورة البقرة/الآية ٢٤٧ .
(١٥٥) الكشاف ، ١/٣٧٩ .
(١٥٦) سورة آل عمران/الآية ١٠١ .
(١٥٧) الكشاف ، ١/٤٥٠ .
(١٥٨) سورة البقرة/الآية ٢٨ .

باستحالته في نفسه ، أو لقوّة الصارف عنه ، فما تقول في (كيف) حيث كان لإنكار الحال التي يقع عليها كفرهم ؟ ، قلت : حال الشيء تابعة لذاته ، فإذا امتنع ثبوت الذات ، تبعه امتناع ثبوت الحال ، فكان إنكار حال الكفر ، لإنّها تبيعُ ذات الكفر ورديفها ، إنكاراً لذات الكفر وثباتها على طريق الكناية ، وذلك أقوى لإنكار الكفر وأبلغ ، وتحريره أنّه إذا أُنكِرَ أن يكون لكفرهم حال يوجد عليها ، وقد عُلِمَ أنّ كلّ موجود لا ينفكّ عن حال وصفه عند وجوده ، ومحال أن يوجد بغير صفة من الصفات ، كان إنكاراً لوجوده على الطريق البرهاني ، . . قد ذكرنا أنّ معنى الاستفهام في (كيف) الإنكار ، وأنّ إنكار الحال متضمّن لإنكار الذات على سبيل الكناية ، فكأنّه قيل : ما أعجبَ كفركم مع علمكم بحالكم هذه(١٥٩) » .

٥ ـ التهكم والسخرية والاستهزاء :

يقول الزمخشري في قوله تعالى : (قالُوا : يا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ ما يَعْبُدُ آباؤُنا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ في أَمْوالِنا ما نَشاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَليمُ الرَّشيدُ(١٦٠)) : « كانَ قومُه إذا رأوه يُصَلّي تغامزوا وتضاحكوا ، فقصدوا بقولهم « أصلاتك تَأْمُرُكَ ؟ » السخريةَ والهزء . والصلاة وإن جاز أن تكون آمرة على طريق المجاز ، كما كانت ناهيةً في قوله (إنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ (١٦١)) . . إلاّ أنّهم ساقوا الكلام مساق الطّنْز ، وجعلوا الصلاةَ آمرة على سبيل التهكُّم بصلاته ، وأرادوا أنّ هذا الذي تأمر به من ترك عبادة الأوثان باطل لاوجه لصحّته ، وأنّ مثله لا يدعوك إليه داعي عقل ولا يأمرك به آمر فطنه ، فلم يبق إلّا أن يأمرك به آمرُ هذيان ووسوسة شيطان ، وهو صلاتك التي تداوم

(١٥٩) الكشاف ، ٢٦٩/١ .
(١٦٠) سورة هود/الآية ٨٧ .
(١٦١) سورة العنكبوت/الآية ٤٥ .

عليها في ليلك ونهارك ، وعندهم أنَّها من باب الجنون ومِمَّا يتولَّع به المجانينُ والموسوسونَ مِن بعض الأقوال والأفعال . . وأرادوا بقولهم « لأنْتَ الحليم الرَّشيد » نسبته إلى غاية السَّفَه والغيّ ؛ فعكسوا ليتهكَّمُوا به كما يتهكم بالشحيح الذي لا يَبِضُ حَجَرُهُ (١٦٢) ، فيُقال له : لو أبصرك حاتم لسجد لك (١٦٣) » .

ويقول الزمخشريّ في قوله تعالى : (وإذا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : أَيُّكُمْ زادَتْهُ هذِهِ إيماناً ؟(١٦٤) » : « فمن المنافقين مَنْ يقول بعضهم لبعض : أَيُّكُمْ زادته هذه السّورة إيماناً ؟ ، إنكاراً واستهزاءً بالمؤمنين واعتقادهم زيادة الإيمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به(١٦٥)» .

ويقول الزمخشري في قوله تعالى : (وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ ما لا يَضُرُّهُمْ ولا يَنْفَعُهُمْ ويَقُولُونَ : هؤلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللهِ ، قُلْ : أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِما لا يَعْلَمُ في السَّمواتِ ولا في الأرْضِ ؟ ، سُبْحانَهُ وتَعالى عَمّا يُشْرِكُونَ (١٦٦)) : « أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِما لا يَعْلَمُ ؟ » : أتخبرونه بكونهم شُفَعاءَ عندَه ؟ ، وهو إنباءٌ بما ليس بمعلوم لله ، وإذا لم يكن معلوماً له ، وهو العالم بالذاتِ المحيط بجميع المعلومات ، لم يكن

(١٦٢) من الأمثال قولهم : « فلان لايبض حجره » اي : لاينال منه خير ، يضرب للبخيل ، أي : ماتندى صفاته . (لسان العرب : بضض) .
(١٦٣) الكشاف ، ٢/٢٨٦ – ٢٨٧ .
(١٦٤) سورة التوبة/الآية ١٢٤ .
(١٦٥) الكشاف ، ٢/٢٢٢ ، وينظر : ٢/٥٧ في تفسير قوله تعالى « أم كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا ؟ » (سورة الأنعام/الآية ١٤٤) ، ص ٥٩ في تفسير قوله تعالى « قل : هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ؟ » (سورة الأنعام : الآية ١٤٨) ، ص ٩٠ في تفسير قوله تعالى « قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم : اتعلمون ان صالحاً مرسل من ربه ؟ » (سورة الأعراف/الآية ٧٥) .
(١٦٦) سورة يونس/الآية ١٨ .

شيئاً ؛ لأنّ الشيء ما يُعلَم به ويُخبرُ عنه ، فكان خبراً ليس له مُخبَرٌ عنه . فإن قلت : كيف أنبأوا اللهَ بذلكَ ؟ ، قلت : هو تهكم بهم وبما ادّعوه من المحال الذي هو شفاعة الأصنام ، وإعلام بأنّ الذي أنبأوا به باطلٌ غير منطو تحت الصحة ، فكأنّهم يخبرونه بشيء لا يتعلّق به علمه ، كما يخبر الرجلُ الرجلَ بما لا يعلمه(١٦٧) » .

ويقول في قوله تعالى : (ويَسْتَنْبِئُونَكَ : أَحَقٌّ هُوَ؟ ، قُلْ : إِي ورَبّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) (١٦٨) : « «ويَسْتَنْبِئُونَكَ» : ويستخبرونَكَ فيقولون : أحقٌّ هو ؟ ، وهو استفهام على جهة الإنكار والاستهزاء . وقرأ الأعمش : « آلْحَقُّ هو ؟ » ، وهو أدخل في الاستهزاء لِتضمّنه معنى التعريض بأنّه باطل ، وذلك أنّ (اللام) للجنس ، فكأنّه قيل : أهو الحقُّ لا الباطل ؟ ، أوهو الذي سمّيتموه الحقّ ؟ ، والضمير للعذاب الموعود(١٦٩) » .

ويقول في قوله تعالى : (ولَئِنْ أَخَّرْنا عَنْهُمُ الْعَذابَ إلى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ : ما يَحْبِسُهُ ؟ ، أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِم لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ وحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) (١٧٠) : «ما يَحْبِسُهُ»؟ : ما يمنعه مِن النزول ؟ ، استعجالاً له على وجه التكذيب والاستهزاء ، . . (وحاق بهم) : وأحاط بهم « ما كانوا به يستهزئون » العذاب الذي كانوا به يستعجلون ، وإنّما وضع « يستهزئون » موضع « يستعجلون » لأنّ استعجالهم كان على جهة الاستهزاء ، والمعنى : ويحيق بهم ، إلاّ أنّه جاء على عادة الله في إخباره(١٧١) » .

(١٦٧) الكشاف ، ٢/٢٣٠ .
(١٦٨) سورة يونس/الآية ٥٣ .
(١٦٩) الكشاف ، ٢/٢٤١ .
(١٧٠) سورة هود/الآية ٨ .

وقد يجتمع الى (السخرية والتهكّم) معنى (الاستصغار والاستهانة)، يقول الزمخشري في قوله تعالى : (وإذا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوا أَهذا الَّذي بَعَثَ اللهُ رَسُولاً) ؟(١٧٢) : « (أهذا ؟) : محكيّ بعد القول المُضْمَر، وهذا استصغار، و (بَعَثَ اللهُ رَسُولاً)، وإخراجه في مَعْرِض التسليم والإقرار وَهُمْ على غاية الجحود والإنكار سخرية واستهزاء، ولو لم يستهزئوا لقالوا : أهذا الذي زعم أو ادّعى أنّه مبعوث من عند الله رسولاً؟(١٧٣)

ويقول في قوله تعالى : (وقالُوا : مالِهذا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعامَ ويَمْشي في الأَسْواقِ) ؟ (١٧٤) : « في « هذا » استهانة وتصغير لشأنه، وتسميته بالرسول سخريةٌ منهم وطنْز(١٧٥). كأنّهم قالوا : ما لهذا الزّاعم أنّه رسول ؟ ، ونحوه قول فرعون : « إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ » (١٧٦) (١٧٧) .

وقد يجتمع إلى (التهكّم) معنى (التقريع)، يقول الزمخشري في قوله تعالى : « يَوْمَ يُناديهِمْ : أَيْنَ شُرَكائي ؟(١٧٨) » : « (أَيْنَ شُرَكائي ؟) أضافهم إليه — تعالى — على زعمهم، وبيانُه في قوله تعالى : (أَيْنَ شُرَكائِيَ الَّذينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ؟(١٧٩) »، وفيه تهكم وتقريع (١٨٠) » .

---

(١٧١) الكشاف، ٢/٢٦٠ .
(١٧٢) سورة الفرقان/الآية ٤١ .
(١٧٣) الكشاف، ٣/٩٣ .
(١٧٤) سورة الفرقان/الآية ٧ .
(١٧٥) طنز ـ يطنز طنزاً : كلمه باستهزاء، والطنز : السخرية . قال الجوهري : أظنه مولداً أو معرباً . (لسان العرب : طنز) .
(١٧٦) سورة الشعراء/الآية ٢٧ .
(١٧٧) الكشاف، ٣/٨٢ .
(١٧٨) سورة فصلت/الآية ٤٧ .
(١٧٩) سورة القصص/الآية ٦٢، ٧٤ .
(١٨٠) الكشاف، ٣/٤٥٦ .

٦ ـ التوبيخ :

يقول الزمخشري في قوله تعالى: (وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ) ؟(١٨١) : « يعني أنَّ قد أتاكم من البيِّنات ما يوجب الاسلامَ ويقتضي حصوله لا محالة ، فهل أسلمتم ، أم أنتم بعد على كفركم ؟ ، وهذا كقولك لمن لخصتَ له المسألة ولمْ تُبْقِ مِن طرق البيان والكشف طريقاً إلّا سلكتَهُ : هَلْ فهمتَها ، لا أُمَّ لَكَ ؟ ، ومنه قوله عزَّ وعلا : (فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) ؟(١٨٢) بعدَ ما ذكر الصوارف عن الخمر والميسر ، وفي هذا استقصار وتعبير بالمعاندة وقلّة الإنصاف ، لأنَّ المُنْصِف إذا تجلَّت له الحُجَّة لَمْ يَتَوَقَّفْ إذعانُه للحق ، ولِلمعاند بعدَ تَجَلِّي الحُجَّة ما يَضْرِبُ أسداداً بينه الإذعان ، وكذلك في : هل فهمتها ؟ توبيخٌ بالبلادة وكلّة القريحة ، وفي (فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ؟) بالتقاعد عن الانتهاء والحرصِ الشديد على تعاطي المنهى عنه (١٨٣) » .

وحمل الزمخشري في موضع آخر الاستفهامَ في(فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ؟) على (النهي) ، يقول « قوله (فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ؟) من أبلغ ما ينهى به ، كأنّه قيل : قد تلي عليكم ما فيهما مِن أنواع الصوارف والموانع ، فهل أنتم مع هذه الصوارف منتهونَ ، أمْ أنتم على ما كنتم عليه كأن لم توعظوا ولم تُزْجَرُوا ؟ (١٨٤) » .

وقد يجتمع إلى (التوبيخ) معنى (العتاب) و (التنبيه على الخطأ) ، يقول الزمخشري في قوله تعالى : (وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ) ؟(١٨٥) :

(١٨١) سورة آل عمران/الآية ٢٠. (١٨٢) سورة المائدة/الآية ٩١ .
(١٨٣) الكشاف ، ١/٤١٩ ـ ٤٢٠ .
(١٨٤) الكشاف ، ١/٦٤٢ .
(١٨٥) سورة الأعراف/الآية ٢٢ .

(أَلَمْ أنهكما ؟) عتابٌ من اللهِ تعالى وتوبيخ وتنبيه على الخطأ ، حيث لم يتحذَّرا مَا حَذَّرَهُما اللهُ مِن عداوة إبليس(١٨٦) » .

وقد يجتمع الى (التوبيخ) معنى (الذم) و (التجهيل بمكان المنفعة) ، يقول الزمخشري في قوله تعالى : « وماذا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللهِ واليَوْمِ الْآخِرِ وأَنْفَقُوا مِمّا رَزَقَهُمُ اللهُ وكَانَ اللهُ بِهِمْ عَلِيماً » (١٨٧) : (وماذا عليهم ؟) : وَأَيُّ تَبِعة ووبال عليهم في الإيمان والإنفاق في سبيل الله ؟ ، والمراد : الذمّ والتوبيخ ، وإلّا فكلّ منفعة ومفلحة في ذلك ، وهذا كما يُقال للمنتقم : ما ضَرَّكَ لو عفوتَ ؟ وللعاقّ : ما كانَ يرزؤُكَ لو كنت باراً ؟ وقد عُلِمَ أنّه لا مضرةَ ولا مَرْزَأَةَ في العفو والبِرّ ، ولكنّه ذمٌّ وتوبيخ وتجهيل بمكان المنفعة (١٨٨) » .

وقد يجتمع الى (التوبيخ) معنى (التأنيب) ، يقول الطّبَري في قوله تعالى : « كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وكُنْتُمْ أَمْواتاً ؟ » (١٨٩) : « توبيخُ مُسْتَعْتِبٍ عِبادَهُ ، وتأنيب مُسْتَرْجِعٍ خَلْقَهُ مِن المعاصي إلى الطاعة ، ومن الضلالة إلى الإنابة »(١٩٠) .

٧ ـ الاستعجال والحث :

يقول الزمخشري في قوله تعالى : (وقِيلَ لِلنّاسِ : هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ؟) (١٩١) : « (هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ؟) : استبطاء لهم في الاجتماع ، والمراد منه استعجالهم واستحثاثهم ، كما يقول الرجل لغلامه : هل أنت منطلق ؟ إذا أراد أن يحرّك منه ويحثه على الانطلاق ، كأنّما يخيّل له أنّ الناس قد انطلقوا وهو واقف ، ومنه قول تأبّطَ شرّاً :

(١٨٦) الكشاف ، ٢/٧٣ .
(١٨٧) سورة النساء/الآية ٣٩ .
(١٨٨) الكشاف ، ١/٥٢٦ .
(١٨٩) سورة البقرة/الآية ٢٨ .
(١٩٠) جامع البيان ، ١/١٨٨ .
(١٩١) سورة الشعراء/الآية ٣٩ .

هل أنت باعث دينار لحاجتنـا أو عبد ربّ أخا عون بن مخراق؟

يريد : إبعثه إلينا سريعاً ولا تبطيء به » (١٩٢) .

ويقول في فائدة تكرار جملة الاستفهام (فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ؟) في (سورة القمر) (١٩٣) في مثل قوله تعالى : (ولَقَدْ يَسَّرْنا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ؟ » (١٩٤) : « فائدته أن يُجَدِّدُوا عند استماع كلّ نبأ من أنباء الأوّلينَ ادّكاراً واتّعاظاً ، وأن يستأنفوا تنبُّهاً واستيقاظاً إذاسمعوا الحثّ على ذلك والبعث عليه ، وأن يقرع لهم العصا مرّات ، ويقعقع لهم الشنّ تارات ، لِئَلاّ يغلبَهم السّهوُ ولا تستولي عليهم الغفلة ، وهكذا حكم التكرير كقوله : (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟) عند كلّ نعمة عدّها في (سورة الرحمن)(١٩٥) (١٩٦) » .

٨ ـ التبكيت :

يقول الزمخشريّ في قوله تعالى : (حَتّى إذا جاؤا قالَ : أَكَذَّبْتُمْ بِآياتي ولَمْ تُحيطُوا بِها عِلْماً أَمّاذا كُنْتُم تَعْمَلُونَ ؟) (١٩٧) : « (أَمّاذا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ؟) : تبكيت لا غير ، وذلك أنّهم لم يعملوا إلّا التكذيب ، فلا يقدرون أن يكذبوا ويقولوا : قد صدّقنا بها ، وليس إلّا التصديقُ بها أو التكذيب . ومثاله أن تقول لراعيك وقد عرفته رويعي سوء : أتأكل نعمي أم ماذا تعمل بها ؟ ، فتجعل ما تبديء به أصل كلامك

(١٩٢) الكشاف ، ٣/١١٢ .
(١٩٣) الآيات : ١٥ ، ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠ ، ٥١ .
(١٩٤) سورة القمر/الآية ٤٠ .
(١٩٥) الآيات : ١٣ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٧ .
(١٩٦) الكشاف ، ٤/٤٠ .
(١٩٧) سورة النمل/الآية ٨٤ .

وأَساسه ، وهو الذي صحَّ عندك من أكله وفساده ، وترى بقولك (أمْ ماذا تعملُ بها ؟ — مع علمك أنَّه لا يعمل بها إلاّ الأَكْلَ — ، لتبْهتَهُ وتُعلِّمَه علمَكَ بأنَّه لا يجيءُ منه إلاّ أكلُها ، وأنّه لا يقدرُ أن يدَّعي الحفظ والإصلاح لما شهر من خلاف ذلك . أو أراد : (أما كانَ لكُمْ عمَلٌ في الدنيا إلاّ الكفرُ والتكذيبُ بآيات الله أَمْ ماذا كُنْتُمْ تعملون من غير ذلك ؟) ، يعني : أنَّه لم يكن لهم عملٌ غيره ، كأنّهم لم يُخْلَقُوا إلاّ للكفر والمعصية ، وإنّما خُلِقُوا للايمان والطاعة ، يُخاطَبُونَ بهذا قبْلَ كَبِّهِم في النار (١٩٨) » .

ويرى الزمخشري أنّ مجيء الفعل مضارعاً بعد أداة الاستفهام لحكاية الحال الماضية يكون أبلغ في التبكيت ، يقول في قوله تعالى : (قالُوا : نَعْبُدُ أَصْناماً فنَظَلُّ لها عاكِفِينَ ، قالَ : هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إذْ تَدْعُونَ ؟)(١٩٩) : « لا بُدَّ في (يَسْمَعُونَكُمْ) من تقدير حذف المضاف ، معناه : هل يسمعون دعاءكم ؟ . وقرأ قتادة : (يُسْمِعُونَكُم) ، أي : هل يسمِعُونَكم الجواب عن دعائكم ، وهل يَقْدِرون على ذلك ؟ . وجاء مضارعاً مع إيقاعه في « إذ » على حكاية الحال الماضية ، ومعناه : استحضروا الأحوال الماضية التي كنتم فيها وقولوا : هل سَمِعُوا أو أَسْمَعُوا قطّ ، وهذا أبلغ في التبكيت » (٢٠٠) .

٩ — التفخيم والتعظيم والتهويل :

يقول ابن قتيبة في قوله تعالى : « لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ؟ » (٢٠١) :

---

(١٩٨) الكشاف ، ٣/١٦١ ، وينظر : ٢/١٨ في تفسير قوله تعالى « قل : أرايتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين ؟ » (سورة الأنعام : الآية ٤٠) .
(١٩٩) سورة الشعراء/الآية ٧١ — ٧٢ .
(٢٠٠) الكشاف ، ٣/١١٦ .

« استفهامٌ على التعظيم لليوم ، كما يُقال : لِيوم ٍ أيِّ يوم ؟ »(٢٠٢) .

ويقول الزمخشري في قوله تعالى : (وغَرَّهُمْ في دينهمْ ما كانوا يَفْتَرُونَ . فَكَيْفَ إذا جَمَعْناهُمْ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فيه ؟)(٢٠٣) : « (فكيف إذا جمعناهم ؟) : فكيف يصنعون ؟ ، فكيف تكون حالهم ؟ ، وهو استعظام لما أعدّ لهم وتهويل له ، وأنّهم يقعون فيما لا حيلة لهم في دفعه والمخاص منه ، وأنّ ما حدّثوا به أنفسهم وسهّلوه عليها تعلّل بباطل وتطمّع بما لا يكون »(٢٠٤) .

ويقول الزمخشري في قوله تعالى : (هَلْ أتاكَ حَديثُ ضَيْفِ إبراهيمَ الْمُكْرَمِينَ ؟)(٢٠٥) : « (هل أتاك ؟) : تفخيم للحديث ، وتنبيه على أنّه ليس من علم رسول الله — صلّى الله عليه وسلّم — وإنّما عرفه بالوحي» (٢٠٦) .

ويرى الزمخشري أنّ وَضْعَ الظاهرِ موضعَ المُضْمَرِ في نحو قوله تعالى : « الْحاقّةُ ما الحاقّةُ ؟ » (٢٠٧) يكون أبلغ في التهويل ، يقول في تفسير الآية الكريمة : « الأصلُ : (الحاقّةُ ما هِيَ ؟) أيْ : أيُّ شيء هي ؟ ، تفخيماً لشأنها وتعظيماً لهولها ، فوُضعَ الظاهر موضعَ المُضْمَر ، لأنّه أهول لها »(٢٠٨) .

(٢٠١) سورة المرسلات/الآية ١٢ .
(٢٠٢) تفسير غريب القرآن ، ص ٥٠٦ ، وينظر : البرهان في علوم القرآن ، ١٧٧/٢ .
(٢٠٣) سورة آل عمران/الآية ٢٤ — ٢٥ .
(٢٠٤) الكشاف ، ٤٢/١ .
(٢٠٥) سورة الذاريات/الآية ٢٤ .
(٢٠٦) الكشاف ، ١٧/٤ .
(٢٠٧) سورة الحاقة/الآية ١ .
(٢٠٨) الكشاف ، ١٤٩/٤ .

١٠ ـ الأمـر :

يقول الفراء في قوله تعالى : (وقُلْ لِلّذينَ أُوتُوا الْكِتَابَ والأُمّيّينَ : أأسْلَمْتُمْ ؟) (٢٠٩) : « هو (استفهام) ومعناه (أمر) . ومثله قول الله : (فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ؟)(٢١٠) استفهام ، وتأويله : انتهوا . . أوَلا ترى أنّكَ تقول للرجل : هل أنتَ كاف عنّا ؟ معناه : اكفُفْ . . فلذلك جوزي في الاستفهام كما جوزي في الأمر »(٢١١) .

ومنه (الأمرُ بالثبات والدوام على الشيء) ، يقول الزمخشري في قوله تعالى (فاعْلَمُوا أَنّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ وَأَنْ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ؟) (٢١٢) : « (فهلْ انتم مُسْلِمُون ؟) : مُبايعون بالإسلام بعد هذه الحجّة القاطعة ؟ ، وهذا وجه حسن مُطّرِد . ومَنْ جعل الخطابَ للمسلمين ، فمعناه : فاثبتوا على العلم الذي أنتم عليه وازدادوا يقيناً وثبات قدم على أنّه مُنَزّل من عند الله وعلى التوحيد » (٢١٣) .

١١ ـ الوعيد :

يقول الزمخشري في قوله تعالى : (وما ظَنُّ الّذينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيامَةِ ؟) (٢١٤) : « يعني : أيُّ شيء ظن المفترين في ذلك اليوم ما يُصْنَعُ بهمْ فيهِ ، وهو يومُ الجزاء بالإحسان أو الإساءة ؟ . وهو وعيد عظيم حيث أبهم أمره » (٢١٥) .

---

(٢٠٩) سورة آل عمران/الآية ٢٠ . (٢١٠) سورة المائدة/الآية ٩١ .
(٢١١) معاني القرآن ، ٢٠٢/١ ، وينظر : ١٥٤/٣ .
(٢١٢) سورة هود/الآية ١٤ .
(٢١٣) الكشاف ، ٢٦٢/٢ . (٢١٤) سورة يونس/الآية ٦٠ .
(٢١٥) الكشاف ، ٢٤٢/٢ ، وينظر : مجاز القرآن ، ١٨١/٢ في تفسير قوله تعالى « أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض ؟ » (سورة ص : الآية ٢٨) ، وص ٢٣١ في تفسير قوله تعالى « افسحر هذا ؟ » (سورة الطور : الآية ١٥) .

١٢ ـ التعجب :

يقول الزمخشري في قوله تعالى : (قالُوا : أَتَجْعَلُ فيها مَنْ يُفْسِدُ فيها ويَسْفِكُ الدِّماءَ ونَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ونُقَدِّسُ لَكَ ؟»(٢١٦) : (أتجعل فيها ؟) : تعجب من أن يستخلف مكان أهل الطاعة أهلَ المعصيةِ ، وهو الحكيمُ الذي لا يفعل إلّا الخيرَ ولا يُريد إلّا الخير .. و « الواو » في « ونحن » للحال ، كما تقول : أتُحسنُ إلى فلان وأنا أحقُّ منه بالإحسان»؟ . (٢١٧)

١٣ ـ التعجيب :

يقول الزمخشري في قوله تعالى : « أَلَمْ تَرَ إلى الّذي حاجَّ إبْراهيمَ في رَبِّهِ ؟ » (٢١٨) : « (أَلَمْ تَرَ ؟) : تَعْجِيبٌ مِن محاجّة نمروذ في اللهِ وكُفرِه به » (٢١٩) .

ويقول في قوله تعالى : (فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ؟) (٢٢٠) : «تعجيب من تقديره وإصابته فيه المَحزَّ ورَمْيِه الغَرَضَ الذي كانت تنتحيه قريش ، أوْ ثناء عليه على طريقة الاستهزاء به ، أو هي حكاية لِما كرروه من قولهم : (قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ؟) تَهَكّماً بهم وبإعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله . ومعنى قول القائل : قتله اللهُ ما أَشْجَعَهُ ؟ و أخزاه ما أَشْعَرَهُ ؟ : الإشعارُ بأنّه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بأَنْ يُحْسَدَ ويدعو عليه حاسده بذلك(٢٢١)

ويقول في قوله تعالى : « فأَصْحابُ المَيْمَنَةِ ما أَصْحابُ المَيْمَنَةِ ؟

(٢١٦) سورة البقرة/الآية ٣٠ .
(٢١٧) الكشاف ، ٢٧١/١ .
(٢١٨) سورة البقرة/الآية ٢٥٨ .
(٢١٩) الكشاف ، ٣٨٧/١ .
(٢٢٠) سورة المدثر : الآية ١٩ .
(٢٢١) الكشاف ، ١٨٣/٤ ، وينظر : الصاحبي ، ص ١٨٨ ، وتفسير غريب القرآن ، ص ٩٢ في تفسير قوله تعالى « ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ؟ » (سورة البقرة : الآية ٢٤٣) .

وأَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ ما أَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ ؟ » (٢٢٢) : « (ماأَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ ؟) و (ما أَصْحابُ الْمَشْأَمَةِ ؟) : تَعجيبٌ من حال الفريقين في السعادة والشقاوة ، والمعنى : أَيُّ شيءٍ هم ؟ » (٢٢٣) .

١٤ ـ العرض :

يقول الزمخشري في قوله تعالى : (قالَ : هَل أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ؟)(٢٢٤) : « قال ذلك القائل : هل أنتم مُطَّلعون إلى النَّارِ لأُريكم ذلكَ القَرينِ؟ ، قيل : إنّ في الجنَّة كُوًى ينظرُ أهلُها منها إلى أهل النار . وقيل : القائل هو الله ـ عزّ وجلّ ـ . وقيل : بعضُ الملائكة يقول لأَهل الجنَّة : هل تُحِبُّونَ تَطَّلِعُوا فَتَعْلَمُوا أين منزلتُكُم من منزلة أهل النار ؟ .. عرض عليهم الاطّلاع » .(٢٢٥)

١٥ ـ التلعب بالشخص والتهكم عليه :

يقول ابن جنّي في قوله تعالى : (أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُمْ بِهذا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ ؟) (٢٢٦) : « أَيْ : بل أهم قَوْمٌ طاغون؟ ، أخرجه مخرجَ الاستفهام ، وإن كانوا عنده ـ تعالى ـ قوماً طاغين ، تَلَعُّباً بهم ، وتَهَكُّماً عليهم ، وهذا كقول الرجل لِصاحبِه الذي لا يشكُّ في جهله : أجاهلٌ أنتَ ؟ ، تَوْبيخاً له ، وتقبيحاً عليه ، ومعناه : إنّي قد نَبَّهْتُكَ على حالك فانتَبِهْ لها واحتَطْ لِنَفْسِكَ منها ، قال صخر الغيّ :

أَرائِحُ أَنْتَ يَوْمَ اثنين أَمْ غادي ؟
ولَمْ تُسَلِّمْ على ريحانة الوادي ؟

---

(٢٢٢) سورة الواقعة/الآية ٨ ـ ٩ .
(٢٢٣) الكشاف ، ٤/٥٢ .
(٢٢٤) سورة الصافات/الآية ٥٤ .
(٢٢٥) الكشاف ، ٣/٣٤١ .
(٢٢٦) سورة الطور/الآية ٣٢ .

ليس يستفهم نفسه عمّا هو أعلَمُ به ، ولكنّه يقبّح هذا الرأي لها وينعاه عليها ، هكذا مُقْتادُ كلام العرب ، فاعرِفهُ وَاْئتَنسْ به » (٢٢٧) .

١٦ ـ التنبيه على القدرة :

يقول الزمخشري في قوله تعالى : (وما تِلْكَ بِيَمينِكَ يا مُوسى؟)(٢٢٨) : « إنّما سأله لِيُريه عظم ما يخترعه ـ عزّ وعلا ـ في الخشبة اليابسة مِن قَلْبِها حيّةً نَضْناضَةً (٢٢٩) ، وليقرِّر في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب إليه ، وينبهه على قدرته الباهرةونظيره أن يريكَ الزَّرّادُ(٢٣٠) زُبْرَةً (٢٣١) منحديد ، ويقولُ لَكَ : ما هِيَ ؟، فتقول : زُبْرَةُحديد ، ثُمَّ يريك بعد أيّام لَبُوساً مسرداً فيقول لك : هي تلك الزُّبْرَةُ صَيَّرْتُها إلى ما ترى من عجيب الصنعة وأنيق السَّرْدِ ، . . وقالوا : إنّما سأله لِيَبْسط منْه ويقلل هيبته » (٢٣٢) .

١٧ ـ الاستبعاد :

يقول الزمخشري في قوله تعالى : (قالَ : رَبِّ أنّى يَكونُ لي غُلامٌ وقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وامْرَأتي عاقِر)؟ (٢٣٣) : « (أنّى يَكُوُن لي غُلاَمٌ ؟) : استبعاد من حيث العادة كما قالت مريم »(٢٣٤) .

---

(٢٢٧) المحتسب ، ٢٩١/٢ ـ ٢٩٢ .
(٢٢٨) سورة طه/الآية ١٧ .
(٢٢٩) حية نضناضة : تحرك لسانها . وقيل : هي المصوتة . وقيل : هي التي تقتل اذا نهشت من ساعتها . وقيل : هي التي لاتستقر في مكان . وهو كله يرجع الى الحركة . (لسان العرب : نضض) .
(٢٣٠) الزراد : صانع حلق الدرع والمغفر وملابس الحديد . (لسان العرب : زرد ، سرد) .
(٢٣١) الزبرة : القطعة من الحديد . والجمع : (زبر) ـ بفتح الباء ـ ، و (زبر) ـ برفع الباء أيضاً ـ (لسان العرب : زبر) .
(٢٣٢) الكشاف ، ٥٣٣/٢ .
(٢٣٣) سورة آل عمران/الآية ٤٠ . (٢٣٤) الكشاف ، ٤٢٨/١ .

ويقول في قوله تعالى: (أَإِذا مِتْنَا وَكُنَّا تُراباً وعِظاماً أإنّا لمبعوثون أَوَ آباؤُنَا الْأَوَّلُونَ ؟ (٢٣٥) : « (وآباؤنا) : معطوف على محل (إنّ) واسمها ، أو على الضمير في « مبعوثون » ، والذي جَوَّزَ العطف عليه الفصلُ بهمزة الاستفهام ، والمعنى : أيُبْعَثُ أيضاً آباؤُنا ؟ ، على زيادةِ الاستبعاد ، يعنون أنّهُم أقدم فبعثهم أبعدُ وَأبْطلُ » (٢٣٦) .

وقد يجتمع إلى (الاستبعاد) معنى (الاستعجال) ، يقول الزمخشري في قوله تعالى : (ويَقُولُونَ : مَتى هذا الوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقينَ؟)(٢٣٧) : « استْعجال لِما وُعدوا من العذابِ استبعاداً له (٢٣٨) » .

١٨ ـ استطالة زمان الشدة :

يقول الزمخشري في قوله تعالى : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْساءُ والضَّراءُ وزُلْزِلُوا حَتّى يَقُولَ الرَّسُولُ والَّذينَ آمَنُوا مَعَهُ : مَتى نَصْرُ اللهِ ؟ » (٢٣٩) « متى نصر الله ؟ » : أيْ بلَغَ بهم الضَّجر ولم يبقَ لهم صبر ، حتى قالوا ذلك ، ومعناه : طلب الصبر وتمنّيه ، واستطالة زمان الشدّة ، وفي هذه الغاية دليل على تناهي الأمر في الشدّة وتماديه في العِظَم ، لِأنّ الرُّسل لايُقادَرُ قدرَ ثَباتِهم واصطبارهم وضبطهم لِأنفُسِهِمْ ، فإذا لم يبق لهم صبر حتى ضَجُّوا كان ذلك الغاية في الشدّة التي لا مطمحَ وراءَها » (٢٤٠) . والبلاغيون يحملون الآية على معنى (الاستبطاء) (٢٤١) .

---

(٢٣٥) سورة الصافات/الآية ١٦ ـ ١٧ .
(٢٣٦) الكشاف ، ٣٣٧/٣ .
(٢٣٧) سورة يونس/الآية ٤٨ .
(٢٣٨) الكشاف ، ٢٤٠/٢ .
(٢٣٩) سورة البقرة/الآية ٢١٤ .
(٢٤٠) الكشاف ، ٣٥٦/١ .
(٢٤١) ينظر : مفتاح العلوم ، ص ١٥٠ ، شروح التلخيص ، ٢٩٠/٢ ـ ٢٩١ .

١٩ ـ الاسترذال والاستحقار :

يقول الزمخشري في قوله تعالى : (إنَّ اللهَ لا يَسْتَحيي أنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فما فَوْقها ، فأمَّا الَّذينَ آمَنُوا فيَعْلَمُونَ أنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ، وأمَّا الَّذينَ كَفَرُوا فيَقُولُونَ : ماذا أرادَ اللهُ بِهذا مَثَلاً ؟)(٢٤٢) : « (ماذا أراد اللهُ بِهذا مَثَلاً ؟) : استرذال واستحقار . . « مَثَلاً » : نصب على التمييز ، كقولك لِمَنْ أجاب بجواب غَثّ : ماذا أرَدْتَ بهذا جواباً ؟ ، ولِمَنْ حمل سِلاحاً رَدِيّاً : كيفَ تنتفع بهذا سلاحاً ؟ ، أو على الحال كقوله (هذِهِ ناقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً) (٢٤٣) (٢٤٤) » .

٢٠ ـ العتاب والاستبطاء :

يقول الزمخشري في قول الله : (ألَمْ يَأْنِ لِلَّذينَ آمَنُوا أنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وما نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ؟) (٢٤٥) : « عن ابن مسعود : ما كان بينَ إسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلّا أربع سنين . وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : إنّ الله استبطأ قلوب المؤمنين ، فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن . وعن الحسن ـ رضي اللهُ عنه ـ : أما واللهِ لقد استبطأهم وهم يقرأون من القرآن أقلَّ مِمّا تقرأون ، فانظروا في طول ما قرأتم منه وما ظهر فيكم من الفسق . وعن أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ أنّ هذه الآية قُرِئَت بين يديه وعنده قوم من أهل اليمامة ، فبكوا بكاءً شديداً ، فنظر إليهم فقال : هكذا كُنّا حتّى قست القلوب »(٢٤٦) . وحمل

(٢٤٢) سورة البقرة/الآية ٢٦ .
(٢٤٣) سورة الأعراف/الآية ٧٣ ، وسورة هود/الآية ٦٤ .
(٢٤٤) الكشاف ، ١/٢٦٦ ـ ٢٦٧ . (٢٤٥) سورة الحديد/الآية ١٦ .
(٢٤٦) الكشاف ، ٤/٦٤ ، وينظر : ٢/١٩٢ في تفسير قوله تعالى « عفا الله عنك لم أذنت لهم ؟ » (سورة التوبة : الآية ٤٣) ، والاتقان في علوم القرآن ، ٢/٨٠ .

ابنُ فارس الآيةَ على معنى (الإغراء والحثّ) (٢٤٧) .

٢١ ـ بيان الملكوت والكبرياء :

يقول الزمخشري في قوله تعالى : (مَنْ ذا الَّذي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلاّ بإِذْنِهِ ؟) (٢٤٨) : « بيان لملكوته وكبريائه ، وأنّ أحداً لا يتمالك أن يتكلّم يوم القيامة ، إلّا إذا أذن له في الكلام » (٢٤٩) .

٢٢ ـ الاعتراف بالعجز والاستعظام :

يقول الزمخشري في قوله تعالى : (أَوْ كالَّذي مَرَّ على قَرْيَةٍ وهِيَ خاوِيَةٌ على عُرُوشِها قال : أنّى يُحْيِي هذهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِها ؟)(٢٥٠) : « قوله (أنّى يحيي ؟) اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الإحياء واستعظام لقدرة المحيي » (٢٥١) .

٢٣ ـ اليأس :

يقول الزمخشري في قوله تعالى (أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُمَّ وَلَوْ كَانُوا لا يَعْقِلُونَ ؟ . . أَفَأَنْتَ تَهْدِي العُمْيَ وَلَوْ كانُوا لا يُبْصِرُون ؟) (٢٥٢) : « يعني أنّهم في اليأس من أن يقبلوا ويُصَدِّقُوا كالصُّمّ والعُمْي الذين لا بَصائرَ لهم ولا عقول ، وقولُه (أَفَأَنْتَ . . أَفَأَنْتَ ؟) دلالة على أنّه لا يقدِرُ على إسْماعهم وهدايتهم إلاّ الله ـ عزَّ وجلّ ـ بالقسر والإِلجاء ، كما لا يقدر على رَدّ الأصمّ والأعمى المسلُوبَيِ العقلِ حَديدَيِ السَّمْع والبصر راجِحَيِ العقل إلّا هو وحده » (٢٥٣) .

---

(٢٤٧) ينظر : الصاحبي ، ص ١٥٨ .
(٢٤٨) سورة البقرة/الآية ٢٥٥ .
(٢٤٩) الكشاف ، ١/٣٨٤ ـ ٣٨٥ .
(٢٥٠) سورة البقرة/الآية ٢٥٩ .
(٢٥١) الكشاف ، ١/٣٨١ .
(٢٥٢) سورة يونس/الآية ٤٢ ـ ٤٣ .
(٢٥٣) الكشاف ، ٢/٢٣٩ .

٢٤ ـ الحكم بالعجز :

يقول الزمخشري في قوله تعالى : (فَكَيْفَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصيبَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَيْديهِمْ ؟) (٢٥٤) : «فكيف يكون حالهم وكيف يصنعون؟ ، يعني أنَّهم يعجزون عند ذلك ، فلا يصدرون أمراً ولا يوردونه » (٢٥٥) .

٢٥ ـ التعيير :

يقولُ الزمخشري في قوله تعالى (أَفَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ؟)(٢٥٦) : « تعييرٌ لليهود بأنَّهم أهل كتاب وعلم ، وهم يبغون حُكم المِلَّة الجاهليَّة التي هي هوى، وجهل لا تصدر عن كتاب ولاترجع إلى وحي من الله تعالى(٢٥٧)»

ويقول في قوله تعالى (ولَوْ تَرى إِذْ وُقِفُوا على رَبِّهِمْ قالَ . أَلَيْسَ هذا بِالْحَقِّ ؟ ، قالُوا : بَلى ورَبِّنا) (٢٥٨) : «هذا تعيير من الله ــ تعالى ــ لهم على التكذيب وقولهم لِما كانوا يسمعون من حديث الْبَعْث والجزاء : ما هو بحَقٍّ وما هو إلا باطل » (٢٥٩) .

٢٦ ـ التجاهل :

يقولُ الزمخشري في قوله تعالى : (ولَقَدْ آتَينا إِبْراهيمَ رُشْدَهُ من قَبْلُ وكُنَّا بِهِ عالِمينَ ، إِذْ قالَ لِأَبيهِ وقَوْمِهِ : ما هذِهِ التَّماثِيلُ التي أَنْتُمْ لها عاكِفُونَ ؟) (٢٦٠) : « قولُهُ (ما هذِهِ التَّماثِيلُ ؟)تجاهُل لهم وتغابٍ لِيُحَقِّرَ آلِهَتَهُمْ ويصَغِّر شأنها مع علْمهُ بتعظيمهم وإجْلالهم لها » (٢٦١) .

---

(٢٥٤) سورة النساء/الآية ٦٢ .
(٢٥٥) الكشاف ، ٥٣٦/١ .
(٢٥٦) سورة المائدة/الآية ٥٠ .
(٢٥٧) الكشاف ، ج ٦١٩/١ .
(٢٥٨) سورة الأنعام/الآية ٣٠ .
(٢٥٩) الكشاف ، ١٣/٢ .
(٢٦٠) سورة الأنبياء : الآية ٥١ ــ ٥٢ .
(٢٦١) الكشاف ، ج ٢ ص ٥٧٥ .

٢٧ ـ التجهيل :

يقول الزمخشري في قوله تعالى : (قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ؟) (٢٦٢) : « يُقال : ما عَلِمْتُ بقدومكَ ، أيْ : ما شعرتُ بهِ ، ولا أحطْتُ بهِ ، ومِنْهُ قوله تعالى : (أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ ؟) ، وفيه تجهيل لهم » (٢٦٣) .

٢٨ ـ التشويق :

يقول الزمخشري في قوله تعالى : (هَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ ؟)(٢٦٤) : « ظاهره الاستفهام ، ومعناه الدّلالة على أنّه من الأنباء العجيبة التي حقّها أنْ تشيعَ ولا تخفى على أحَد ، والتّشْويقُ إلى استماعه » (٢٦٥) .



* * *

(٢٦٢) سورة الحجرات : الآية ١٦ .
(٢٦٣) الكشاف ، ج ٣ ص ٥٧١ .
(٢٦٤) سورة ص : الآية ٢١ .
(٢٦٥) الكشاف ، ج ٣ ص ٣٦٦ ـ ٣٦٧ .

في سبيل معجم تشريحي لجسم الإنسان باللغة العربية

الدكتور عبدالله عاصم

استاذ بجامعة محمد الخامس / الرباط

قرأت في كتاب « المستطرف » : أن عبدالملك بن مروان ، الخليفة الأمويّ الخامس ، نظم في زمنه مباراة فريدة من نوعها . . . يمكن ان نعدّها من حيث هدفها مجرد مسامرة من المسامرات الضاحكة العادية ، أو أطروفة من الأطاريف المستملحة الرامية الى اختبار الذكاء ، واستجلاء البراعة ، وإثارة المواهب !

ولكنها من حيث موضوعها يمكن أن تكون مباراةً أدبية كاملة ، أو مباراة علمية ولغوية ، بل يمكن أن ننظر اليها بمعاييرها المعاصرة ، على أنها بداية مجهود علميّ ولبنة أوليّة في معجم تشريحي لجسم الانسان !

أ . محتـــوى المباراة :

خلاصة الفكرة : أن الخليفة عبدالملك بن مروان طالب من سُمّاره ورُوّاد مجالسه يوماً أن يأتوه بحروف المعجم من جسدهم ، ويتمنوا عليه ما يريدون ! ولما طرح الفكرة ، بادر سويد بن غفلة ، وكان من الفصحاء ، الى الإجابة فقال : « أنا لها يا أمير المؤمنين . قال : هات !

فبدأ سويد في سرد أعضاء البدن وأجزائه بعـــدد الحروف الهجائية وعلى ترتيبها من الألف والباء والتاء والجيم ، حتى أتى على آخرها في حرف الياء ، قائلاً :

« أَنْفٌ ، بَطن ، تَرْقُوَة ، ثَغْرٌ ، جُمْجُمَةٌ ، حَلْقٌ ، خَدٌّ ، دِماغٌ ، ذَكَرٌ ، رَقَبَةٌ ، زَنْدٌ ، ساقٌ ، شَفَةٌ ، صَدْرٌ ، ضِلْعٌ ، طِحالٌ ، ظَهْرٌ ، عَيْنٌ ، غَبَبٌ ، فَمٌ ، قَفاً ، كَفٌّ ، لِسانٌ ، مِنْخَرٌ ، نُغْنُوغٌ ، هامَة ، وَجْهٌ ، يَدٌ » .

إن من شأن هذا الإنجاز أن يثير في النفس إكباراً واستحساناً ، ليس من السهل الإتيان بمصطلحات تنتمي الى موضوع واحد ، وترتيبها بحَسَب الحروف الأبجدية ، هذه الحروف تبلغ ٢٨ حرفاً فان ذلك يعني إحضار هذا العدد من الألفاظ جملة واحدة .

ب . صعوبته :

وعلى سبيل المثال : اذا طلبنا من شخص أن يذكر لنا ٢٨ صنفاً من أصناف الفواكه مرتبة على الحروف الألفبائية ، فانه سيكون عرضة دون شك للخيبة وقد حاولت تطبيق هذه الفكرة ، على سبيل التجربة ، فسألت صديقاً أديباً أن يستحضر هذه الفواكه انطلاقا من الاشجار المنتشرة في بستانه ، فاذا به يتوقف في حرف الثاء . قال : « إجّاص ، برُقوق ، تين ثو . . . مٌ » ، إذ لم يكن في إمكانه أن يعدّ « الثوم » من الفواكه ..

وعلى هذا المنوال ، اذا حاولنا استقراء أسماء المدن في بلد معين ، أو في قارة بكاملها بحسب الحروف الهجائية ، لوضع معجم جغرافي مصغر ، فاننا سنضل السبيلّ ، حتّى لو كنا من سكان ذلك البلد أو تلك القارة ، فإن الألفاظ ستتزاحم لدينا في بعض الحروف وتنعدم في باقيها .

وبالمقارنة فان جسم الإنسان هو اشبه ما يكون بالجغرافيا ، وهو وطن كبير ذو أقاليم ونواح وهضاب وسهول فسيحة وأنهار جارية وغابات مكتظة وحدائق رائقة . وهكذا تتحقق فكرة الشاعر القديم الحكيم الذي يقول :

ونزعم أنّـك جِـرْمٌ صغـير وفيـك انطـوى العـالم الأكـبر

بل هو أشبه ما يكون بمدينة آهلة مزدحمة ذات دروب وأزقة ومنعطفات وشوارع وميادين وبنايات ومؤسسات ومراكز . وعلى الرغم من التصاقنا الشديد بهذه المدينة وسياحاتنا المستمرة في دروبها وأقاليمها ؛ فاننا نجهل أسماءها وعناوينها ، ونجهل اللغة التي نطلقها على أجزائها . وقد بدا لي ذلك منتهى التناقض والتضادّ !

غير أن مباراة الخليفة الأموي لم تتوقف عند هذا الحد ، فما إن أتمّ (سُوَيْد) محاضرته حتى انبرى أحد الحاضرين وقال للخليفة : أنا أقولها من جسد الإنسان مرتين !

فضحك الخليفة ، والتفت الى سُوَيْد قائلا :

— أسمعت ما قال صاحبك ؟

واشتد التنافس بين المتباريين ، ودبت الحماسة ، فلم يلبث أن تصدى سويد قائلا : أنا أقولها ثلاث مرات ، واستحسن الخليفة جراءته فقال : هات ، ولك ما تتمنى . فبدأ سويد حينئذ بإضافة أعضاء أخر تتكرر ثلاث مرات في جميع الحروف ، فذكر ثلاثة أعضاء في الألف ، وثلاثة اعضاء في الباء ، وثلاثة أعضاء في التاء . . . وهكذا الى آخر الحروف وكانت تتخلل هذه المبادرة الثانية ضحكات تبعثها بعض الكلمات النابية أو الغريبة ، وكان ترتيبها على النحو الآتي :

أنف ، أسنان ، أذن	بطن ، بنصر ، بزة
جمجمة ، جنب ، جبهة	حلق ، حنَك ، حاجب
ذقن ، ذكر ، ذراع	رقبة ، رأس ، ركبة
شفة ، شفر ، شارب	صدر ، صدغ ، صلعة

ظهر ، ظفرٌ ، ظلـم	عين ، عنق ، عاتق
قلبٌ ، قَفَا ، قَدَم	كفٌّ ، كتِف ، كعْب
نغنوع ، نابٌ ، نَنّ	هامة ، هيئة ، هيَف
تَرْقُوَة ، تمرة ، تينة	ثغر ، ثنايا ، ثدي
خد ، خنصر ، خاصرة	دبر ، دماغ ، درادير
زند ، زردمة ، زبّ	ساق ، سُرّة ، سبّابة
ضِلع ، ضفيرة ، ضرس	طِحال ، طرة ، طَرْف
غبَب ، غلصمة ، غنّة	فم ، فكّ ، فؤاد
لسان ، لحية ، لوح	منخر ، مرفق ، منكب
وجه ، وجْنة ، ورِك	يمين ، يسار ، يافوخ

إننا دون ريب ، أمام بداية لِمُعْجَم مبسط في علم التّشريح ! وقد بلغ مجموع الكلمات الواردة هنا : (٢٨ × ٣) — ٨٤ كلمة . غير أن الصعوبة لا ترتبط بعدد الكلمات بقدر ما ترتبط بالشروط المتعددة التي تحيط بها ، هذه الشروط هي :

١ — سرد كلمات تتعلق بالجسم وحده لا بغيره .

٢ — تطابُقُ هذه الكلمات مع جميع الحروف الهجائيّة .

٣ — ذكرها على حَسَب ترتيبها وتسلسلها الهجائيّ .

٤ — سردها بنفس العدد من المرات في جميع الحروف .

وأَدْهَى من كلّ ذلك ، هو السّرعة والبداهة التّي ذكرت بها من غير تهيّؤ أو تحضير سابق . وقد حاولت استقصاء هذه الصعوبة بروية ، وتساءلت عن امكانية اضافة كلمات أُخَر ، فتبادرت الى ذهني الفاظ متعددة في بعض الحروف ، فهناك في الألف مثلا : إصبعٌ ، إِبْط ، إِبهامٌ ، وفي الباء : بَنان ، بُؤْبُؤ ، بَعْصُوص ، وفي الجيم : جَفْنٌ ، جَبِينٌ ، جِلْدٌ . . .

وفي الكاف : كاهِلٌ ، كبِدٌ ، كِلْيَة . . . وفي الواو : وريدٌ ، وَبِلَةٌ ، وَظِيفٌ . . . وقلت في نفسي : إِن من الممكن إِذن الإِتيان بأكثر ممّا جاء به (سُوَيْد بن غفلة) . غير أن بعض الحروف كانت شحيحة جدّاً أنْ تجود بأيّ لفظ جديد ، مثل : التّاء ، والزّاي ، والظّاء ، والياء ، وما إليها .

ويبدو أن الصعوبة التي عرضت (لسُوَيْد) ، هي التّي جعلته ، من غير شكّ ، يحشر في محاولته كلمات لا تتعلق بأجزاء الجسم : فكلمة الغُنَّة هي الصّوت الخارج من اللّهاة والأنف ، وكلمة البِزَّة تعني الهيئة ، وتعني الثّياب والسّلاح ، كما أن « الهَيَف » تدل على ضُمُور البطن ودقّة الخاصرة ، فهي إذن حالة طارئة متقلبة تختلف باختلاف النّاس ، وليست عضواً من أعضاء البدن و صفة ثابتة فيه .



ج . المشاركة في المباراة :

إن الفكرة إذن لعويصة !

وعلى الرغم من ذلك ، فلم أتوانَ في استقصائها ! وهكذا قررت المشاركة في مباراة الخليفة عبدالملك بن مروان الى جانب (سويد بن غفلة) وغيره من أدباء عصره ، والى جانب معاجمنا المعاصرة التي تتبارى في هذا الميدان ، وذلك بإضافه كلمة رابعة فقط في جميع الحروف . . . وهذا يعني إضافة ٢٨ اسماً جديداً ، وجمعتُ هذا العدد الجديد من الأسماء ، ثم تخيّلت أنّ (سويداً) لن يتوقف عند هذا الحد ، وأنه قادر على إضافة كلمة خامسة وسادسة . . وهكذا قررت أن أنوب عنه في إيرادها ، فكان مجموع الألفاظ التي أتيت بها : ٨٤ كلمة ، أي نفس العدد الذي جاء به (سويد) . وكان من الضروري هنا التّنقيب في المراجع المختلفة والاستعانة بالمعاجم لاستخراج ما فيها من مفردات تتعلّق بالتّشريح . وفي هذا المجال ، لا بد من التّنويه بالجهود الجبّارة التي بذلها « مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي » ، الذي أصدر

مجموعة من المعاجم ذات الصّلة بالموضوع منها : «معجم الإنسان الأصيل» ، و « شوارد طبّيّة » ، و « معجم العظام » و « معجم الدمّ » . . . وكلها تنطلق من الألفاظ العربيّة الأصيلة ، وليست مجرد ترجمة للمعني التي تتضمنه الألفاظ الأجنبية . وهذا هو المغزى الكبير الذي يجب أن تؤكده كل محاولة لتعريب العلوم . فقبل الانتقال الى اللغات الأخرى لترجمة مضامينها في ميدان معين ، يجب استخراج ما في العربيّة أولاً من ألفاظ أصيلة ومصطلحات ومضامين تتعلق بنفس الميدان ، ثم مقارنتها بعد ذلك ، في مرحلة ثالثة ، بما في هـذه اللغات الأخرى من مفاهيم ومصطلحات جديدة ، أي أن العمل يجب أن يكون — أوّلاً — داخل العربية لاخارجها ، وهذا ممّا يؤدي الى اثرائها بالكشف عن مطمورها وإحياء آبدِاها للمحافظة على نقائها وأصالتها ووقايتها من الرطانة والعجمة . وقد صرنا ننقل من اللغات الغربية أساليب ومفاهيم غريبة عن العربية ومضامينها ، ونسينا أن لكل لغة منطقها الخاص وطريقتها في التعبير وصياغة المفاهيم . وهكذا فان نسبة كبيرة من « المصطلحات العلمية » ، ليست علمية في شيء ، بل هي طرائق تعبيرية وأساليب تعكس عقلية الإنسان الغربي ونظرته وكيفية تعبيره عن الأشياء أكثر مما تعكس المفهوم المجرد أو المعنى الموضوعي لهذه الأشياء ، ولا داعي لإعطاء أمثلة عملية على ذلك .

غير أن هذه المعاجم التي أشرنا اليها ، ليست كافية لإنجاز الحد الأعلى المطلوب . ذلك لأن عدد الألفاظ التي تأتي بها في بعض الحروف لا تتجاوز أربع كلمات أو خمساً ، على حين تصل الى العشرات في كلمات أخر . ثم ان هذه الألفاظ نفسها لا تتناول التشريح فقط ، بل تشمل أيضاً الأمراض والعلل والصفات والحالات . .

د . إعادة المشروع من أساسه :

وأخذ المشروع ينمو ويتزايد حتى أضفت الكلمة السابعة ، ثم قررت أن أضع حدّاً أعلى لما يمكن أن تستوعبه جميع الحروف من ألفاظ ، فاعتزمت

ايراد اثني عشر لفظاً جديداً في كل حرف ، مستغنياً عن الكلمات « العادية » الواردة في مشروع (سُوَيْد) ، ووضع كلماتٍ عامية أصيلة بدلاً منها .

وهكذا أعدت المشروع من أساسه ، وأتيت بالمصطلحات الجديدة التي باغ مجموعها ستّاً وثلاثين وثلاث مئة كلمة (بمعدل اثني عشر لفظاً في كل حرف) تتناول :

(١) الهيكل العظمي ، وهو بمثابة الأعمدة والجدران في البناء .

(٢) الغطاء اللحمي والعضلات ، وهي الثوب والنسيج الذي يكسو البناء .

(٣) الاعضاء والاجهزة وأقسام البدن وأجزاء أجزائه .

(٤) العروق والشرايين والدم ، وهو السائل الناقل للحياة .

(٥) الأعصاب وهي الخيوط الدقيقة والشعيرات الكهربائية في البدن .

وقبل أن اترك القارئ أمام هذه الكلمات ، أشير الى أن المعاجم العربية لا تتفق — عادةً — على معنى واحد :

فبعضها لا يذكر الكلمة أصلاً ، وبعضها يذكر لها معنى دون آخر ، وبعضها يذكر لها عدة معان تشريحية في آن واحد ، وبعضها يذكر معاني مخالفة لما يذكره الآخر . . .

غير ان ذلك كله اغناء وإثراء يفسر بعوامل موضوعيّة وتاريخية تعود الى طبيعة الفصحى ومرونتها وقدرتها على الإيماء والاستعارة والتفنن في التعبير .



المعجم الجديـد :

(حـرف الألـف)

الإِبَاضُ : عِرْق في الرِّجْل ، قيل انه عِرق النَّسَا .

الأَلِفُ : عِرق في مستبطن العَضُد الى الذراع ، وهما أَلِفان ، أحدهما في العضد الايمن والآخر في العضد الأَيسَر .

الأَلَلُ : عضلة تقعُ تحت الكتِف ، وهما أَلَلانِ ، أي : لحمتان متطابقتان ، بينهما فجوةٌ .

الأُصْمُوخ : خَرْقُ الأذُن الباطنُ الذاهبُ الى الرأسِ ، وهو الصِّماخ والدِّهْليزُ .

الإِبْرَة : طرف العظم الناشز عند طيّ الذراع ــ عَظْمُ وتَرَةِ العُرْقُوب

الأُرْبِيَّة : أصل الفخِذ من باطنٍ .

الأَسَلَة : طَرَفُ شَباة اللسان الى مستدقّه ــ مستدق الساعد مما يلي الكفّ .

الأَلْيَةُ : العجيزة والكَفَل ــ عضلة في الكفّ تقع في أصل الإبهام ، وتقابلها الضَّرَّة من جهة الخِنْصَر .

الأَيْقُ : عظم الوظيف ، أو هو الوظيف نفسه .

الأَشْجع : عِرق في ظاهر الكفِّ ــ أصل الإِصبع المتصل بعصب في الكف .

الآمَة : غشاء الجنين ، أي : السَّلَى .

الأَدَمَة : الطبقة الباطنة من الجِلد ، والظاهرة هي : البَشَرة (١) .

(١) والأيبس : ظنبوب في الساق ، اذا غمزته آلمك [المجلة] .

(حــرف البــاء)

الباهِر : عرق ينفُذُ خلال شواة الرّأس ، أي : جلدته إلى يافُوخه .

البَأْدَلَة : لحمة بين الإبْطِ والثَّنْدُوَة ـ العضلة الصَّدرية .

البادِرَة : اللحمة بين المَنْكِب والعُنُقِ .

البَخَص : لحم أصولِ الأصابع الموالي للراحة ـ لحم الجَفْن الأسفل يبدو إذا حَدَّق النّاظر .

البَعْصُوص : عظم الوَرِك بين الأليَيْن .

البَراجِم : (مفردها بُرْجُمَة) المفاصل الوسطى من الأصابع ، أولها الأشاجِع مما يلي الكفّ ، ثم البَرَاجم ثم الروَاجِب الموالية للأنامـل .

البُوغ : العظم الموالي لإبهام القدم .

البُؤْبُؤ : إنسانالعيْن وسوادها .

البُلْعُوم أو البُلْعُم : مجرى الطعام من الحلق الى المَعِدَة ، وهو المَرِيء .

البَوانِـي : (مفردها : بانية) : أضلاع الصدر (ـ قوائم الناقة) .

البَظْر : النّاتيء بين الأَسْكَتَيْن .

البَـدْءُ : العظم المنفصل بما عليه من اللحم .

(حــرف التــاء)

التَّأْمُور : شَغاف القلب وغِلافـه .

التِحْليل : مجرى البول من المثانة الى الحشفة ـ مجرى اللبن من الضَّرْع ، ويسمى الإحْليلَ والبَرْبَخَ والشُّنْخُوبَ أيضاً .

التَّلِيلُ : العنق والجيد .

التُّرْبَةُ : الأنملة ، واحدة الأنامل .

التَّنْو : مَنْبِت النّاصية من الرأس ، أي : الذؤابة .

التَّرائب : أعالي عظام الصّدر .

التُّرْفَة : نتوءٌ ظاهر خلقةً وسط الشفة العليا .

التُّفّاحَة : رأس الفَخِذ في الوَرِك ، وهما تُفّاحتان .

التَّرْقُوَة : العظم في أعلى الصّدر بين ثُغْرَة النَّحْر والعاتِق .

التلافيف : ما الْتَوَى من الأمعاء والدّماغ ، وانطوى بعضه على بعض .

التَّريبُ : الضّلع التي تلي الترقوة ، وهما تَريبان .

التفاريج : فَتَحات ما بين الأصابع ، وهي : البُصْم ، ثم الرَّتَب ، ثم العَتَب ، ثم الفِتْرُ بدءاً من الخِنْصَر الى الإبْهام .

(حرف الثاء)

الثّاهِتُ : التّجويف البلعمي أسفل الحَنك الرَّخْو ــ الحلقوم يخرج منه الصوت ــ جِراب القلب ــ مُقَدَّم الصَّدْر .

الثّاهَةُ : اللحمة المتدلية في أقصى سَقْفِ الفَمِ ، وهي اللّهاة والطُّلاطِلَة .

الثَّبَجُ : ما بين الكاهِل الى الظّهر .

الثُّجْرَة : ما حول الثُّغرة وسط النَّحْر من أسفل الحلق .

الثَّرْبُ : قِشرةٌ من الشّحم تغطّي الأمعاء والكرش ، هي : الجِلْمُ والهُرْبُ .

الثُّنْدُوَة : ثَدْيُ الرَّجُل .

الثُّعْل : السِّن الزّائدة خلف الأسنان .

الثُّنَّـــةُ : أسفل البطن ــ (شعيرات فوق المَرِيطِ في رسْغِ الدّابّة) .

الثُّرْمُلَـــة : هَـنَـة وسط الشَّفَة العليا .

الثَّفِنَـــةُ : مجتمع الساق والفَخِذ ــ الرّكبة . (ــ موصل فَخِذَي الفَرَس بالسّاقين من باطن . . .

الثَّعْلَبَة : عظم يتكون من التحام ثلاث فِقَر أو أربع فقر في نهاية العَجْب ــ الشَّرَج .

الثُّؤْلُــول : حَلَمَة الثَّــدْي .

(حـــرف الجيـــم)

الجاعِرَتان : حَرْفا الوَرِكين المُطِلَّيْن على الفَخِذَيْن ، ما استوى واطمأنَّ من الوِرِكِ والفخذ . (ــ مضرَب الذَّنَبِ على الفَخِذَين من الدّابّة) .

الجَبِيـــنُ : ناحية الجبهة في مُحاذاة النَزْعَةِ الى الصُّدْغ .

الجُفْرَة : الضّاوع ــ حفرة عظم يدخل فيها عظم آخر .

الجَفْن : غشاء العين الحامل للأَهْداب من الأعلى والأسفل .

الجُلْجلانُ : حبّة القلب وسويداؤه .

الجَلَحَـــة : موضع انحسار الشَّعَر عن جانبي الرّأس .

الجِلْدُ : محل حاسّة اللمس ، وغشاء لوقاية النسيج اللحمي ، ووسيلة الرّشْح والإمتصاص .

الجمجمة : الصُّنْدُوق العظمي الحاوي للدماغ .

الجَمْخَر : كلّ قَصَب اجوف من قَصَب العِظام ، هو الزَّمْخَرُ ، والمشاشَة ، والحَيْدُ أيضاً .

الجَنْـــب : ما تحت الإِبْط الى الكَشْح .

الجَهْـــوَة : موضع الشَّرَج .

الجُؤْجُؤ : الصّدر من الإِنسان (والطّائر والسَّفينة) .

(حرف الحاء)

الحاجب : العظم النّاتئ فوق محجر العين بلحمه وشعره .

الحاذُ : لحمة في ظاهر الفخذ من الإنسان والحيوان .

الحارِقَة : عَصَبة تدورُ في صَدَفة الوَرِك والكَتِف .

الحِتْرَة : مجتمع الشِّدْقَيْن .

الحَجاج : العظم المُطْبِق على وَقبَة العين ، ينبُتُ عليه شعر الحاجب .

الحَجَبَة : حَرْف الوَرِك المُطِلُّ على الخاصرةِ ، وهما حَجَبَتان .

الحَرْقَدَة : عُقْدَة الحنجرة في الرجُل .

الحَرْقَفَة : عظم الحَجَبة التي هي رأس الوَرِك .

الحَرْقُوة : قَبْوةالحَلْق بين الفتحتين الخلفتين للأنف والحافَةُ السفلى للحنَك الرخو ــ أعلى اللّهاة ــ البلعوم الأنفي .

الحِرْصِيانُ : باطِنُ جِلِد البَطْن ، وبه فسرت الآية : (في ظلمات ثَلاث) ، وهي : الحِرْصِيانُ ، والآمَةُ ، والبَطْن ــ قِشرة حمراء رقيقة بين الجلد وطبقات اللحم .

الحَماةُ : عضلة في عرض الساق ، ترى كالعصبة من ظاهر وباطن .

الحُسْنُ والحَسَنُ : العَظم الذي يلي المرفق .

(حرف الخاء)

الخُرابَةُ : ثقبُ رأس الوَرِك ــ كل ثقب مستدير كثقب الأُذُن ، وهو الخُرْبُ أيضاً .

الخَرْتُ : ضِلع صغيرة في الصدر ــ ثقب الأذن .

الخاصِرَة : المنطقة بين أسفل الاضلاع ورأس الوَرِك .

الخُشَّاءُ : العظم النّاتئ خلفَ الأذن .

الحَصِلَة : كلّ لحمة فيها عَصَبَة

الحِلْبُ : الحِجاب الفاصل بين القلب والكبد .

الحِلْفُ : ضلعٌ صغيرة رقيقة موالية للبطن — طِبْيِ النّاقة ، أي : حلَمة ضرعها .

الحُلَيْقاءُ : عظم في السقف الأعلى من الفم ، وهو موقع النِّطْعِ .

الحِنْبُ : موصل طرف الفَخِذ بطرَف السّاق — باطن الرُّكْبَة — تفاريج الأصابع والأضلاع .

الحِنْثُ : باطن الشّدْقِ عند الأضراس من فوق ومن تحت .

الخُنّابة : طرَف الأنف الواقع فوق الأرنبة — ما عن يمين الأنف وشماله وبينهما الوَتَرة .

الخياشِيمُ : (صيغة الجمع) غضاريف في أقصى الأنف ، بينه وبين الدماغ (— أعضاء التنفس في الأسماك) .

(حرف الدال)

الدَّأْيُ : فِقَرُ الكاهِل ، واحدتها دَأْيَة .

الدّابِرة : العُرْقُوب ، وهو عَصَب غليظ فوق العَقِب (— ما يحاذي مؤخر الرُّسغ من الحافر — إصْبَع في باطن رجْل الطّائر .)

الدّاغِصَة : العظم الدّائري المتحرّك في رأس الرُّكبة — اللحم المكتنز

الدّالِيَة : عضلة على شكل مثلث في الكتِف — تَمدُّدٌ في الأوردةِ ، خاصّة أوردة السّاق .

الدَّخْلِيلُ : الشّحم الدّاخلُ في اللحم .

الدَّخِيسُ : لحم باطنِ الكفّ (— موصل الوظيف في رُسْغ الدّابّة) .

الدّرادِر : مَغارِزُ الأسنان ومَنابِتُها .

الدُّرْاقِسُ : عَظْمُ القَفا

الدَّسِيع : مَغْرِز التَّنَيل في الكاهل .

الدماغ : ما في الجمجمة من مخٍّ ومخَيْخ ونخاع مستطيل .

الـدَّم : السّائل الأحمر الجاري في الأوردة والشرايين .

الدَّيْسُ : الهالَةُ السّوداء حول حلَمة الثّدي ، أي : السَّعْدانة .

(حرف الذال)

الذّابِحُ : شعر ينبت بين النَّصِيل(١) والحُلْقُوم .

الذّاقِنَة : طرف الحلقوم النّاتيء – نقرة النَّحر – ما تحت الذّقن – أسفل البطن الموالي للسُّرّة .

الذُّبابُ : إنسان العين .

الذبْذَب : الاسم الآخر للسان .

الذراع : العضو من المرفق الى الإصبع الوسطى .

الذّرِبَةُ : الغُدَّةُ ، وهي عضو مفرز لمواد خاصة كاللّعاب والعرَق وما اليهما . .

الذّفْرَى : الخُشّاء ، أي : العظم النّاشز خلف الأذن .

الذّقَن : ملتقى الشِّدْقَيْن تحت الفم .

الذّمارةُ : القَفَا .

الذّنوُب : لحم المتن ، و لحم الأَلْية .

الذّكَر : عضو التّناسل في الرجُلِ .

الذُّؤابَة : مَنْبت الناصية من الرأس – النّاصية .

(حرف الرّاء)

---

(١) انظر في (حرف النون) الآتي [المجلة] .

الرّابلَـــة : لحمة الكتف .

الرّانِفَــة : طرف أرنبة الانف ــ الطّرف الغُضْرُوفيّ في الأُذن ــ ما رقّ من الكَبِد ــ أسفل الأَلْيَة الملامسُ للارض عند الجلــوس .

الرّاهِشان : في باطن الذّراعَيْن .

الربْلَــة : باطن الفَخِذ ــ كلّ لحمة غليظة .

الرجْبُ : ما بين الضِلَع والقَصّ .

الرُّحْبَى : أعرض ضلعٍ في الصّدر ــ الضّلع الموالية للابْط في أعــلى الصّدر .

الرُّسْــغ : المفصل بين الكفّ والذّراع وبين القدم والساق .

الرُّفْــغُ : أصل الفَخِذ من باطن .

الرضَفَــة : العظم المستدير المُطبِق على الرُّكْبَة .

الرنْــحُ : مؤخر الدّماغ المسمى المخيخ ، يقع وراء القنطرة والنخاع المستطيل .

الــرّوْمُ : شحمة الأذن .

الرّهابَةُ : عَظْم في الصّدر مُطِلٌ على البطن ، على شكل لسان .

(حــرف الــزاي)

الزّاجــلُ : وَسْمٌ في الأَعناق .

الزُّبّان : اللسان .

الزّافِــرة : الكاهل وما يليــه .

الزّبَوْنَـــة : التّليــل ، أي : العُنُق .

الــزج : ناتيءُ المرفق بين القَبيحِ وإبْرة الذّراع .

الزجْلَــة : الجلدة بين العينَيْن ،

الزَّرْدَمَـة : الغَلْصَمَة .
النِّزرُ : النُّقرة التي تدور فيها وابِلةُ الكتِف ـ طرَفَ الوَرِك في النُّقرةِ .
الزُّفْـرة : الجُفْرة ، ويراد بها الضّلوع ، أو الجوف عامّةً .
الزَّمْخَـرُ : كلّ عظم أجوف لا مُخَّ فيه ، ويسمى : الجَمْخَر ، والمشاشة ، والحَيْد .
الزَّنْـد : مَوْصل طرف الذّراع بالكفّ ، ويُسَمّى طرف الزّنْد : الكُـوعَ .
الـزوْرُ : الصّدر ، أو وسطه أو ما ارتفع منه الى الكتِفَيْن ـ ملتقى عظامـه .

(حـرف السـين)

السّالِـم : جلدة بين العين والأنف .
السّابِيـاءُ : المَشيمة والآمّةُ التي يخرج فيها الولد .
السّالِفـة : العِلاط ، أي صفحة التّلِيل .
السّحاءَة : أم الرّأسِ ، وهي الجلدة المحيطة بالدّماغ .
السُّلامَى : عِظام الأصابع في الأيدي والاقدام ، وتنقسم مفاصلها الى : أشاجِع ، وبَراجِم ، ورَواجِب .
السِّمْحاق : القشرة الرّقيقة فوق عظم الجمجمة .
السِّنْـخُ : الدُّرْدُر ، أي مَغْرز الأسنان في الفَلكّ .
السِّنْطُ : المفصل الواقع بين الكفّ والسّاعد .
السِّنْـعُ : الرسْغْ ـ الحز في مفصل الكفّ والذراع ـ السُّلامَى الرّابطة بين الاصابع والرُّسْغ .

السُّنْعُبَة : اللحمة النائتة وسط باطن الشَّفة العليا .

السِّنْغُ : مُشْط القَدَم .

السِّيساء : مُنْتَظَمُ فِقار الظَّهْر ، وهو ما يترجمه المعاصرون عن الغَرْب بِـ « العمود الفِقَرِيّ » .

(حرف الشين)

الشَّاكِلَة : الخاصِرَة .

الشَّجْرَة : النّقطة الصّغيرة في ذقن الغلام .

الشَّجْرُ : هُوة الفم بين السقف واللسان ـ ملتقى الهزمتين ـ الذّقن .

الشُّرْخُوب : عظم الفِقار .

الشُّرْسُوف : الطّرف اللين من الضّلع الموالية للبطن ، أو غضروف معلّق بكلّ ضلع .

الشّرْيانُ : واحد الشّرايين ، وهي العروق النابضة الناقلة للدم من القلب الى أنحاء الجسم .

الشّغاف : التّامور ، أي الغِلاف المحيط بالقلب .

الشُّفْرُ : أصل مَنابِتِ الأهداب .

الشّلِيل : النُّخاع .

الشّنْخابَة : أعلى الكاهل ـ فقرة الظّهر .

الشُّنْخُوب : عِرْق مجرى البول ، وهو : الإِحْلِيل ، والتّحليل ، والبَرْبَخُ .

الشّواة : جلدة الرّأس .

(حرف الصّاد)

الصّافِنُ : وَرِيدٌ كبير في باطن السّاق ، يمتدّ حتّى يدخل الوَرِيدَ الفَخِذِي .

الصَّاقُورَةُ : بَاطِنِ القِحْفِ المطلّ على الدّماغ . والصّاقُور : اللسان .

الصَّبِيّ : العظم الواقع تحت شحمة الأذن ـ رأس القدم بين حمارتيها إلى الأَصابـع .

الصُّدْغ : جانب الرأس ما بين الفَوْدِ والجبين أو بين العين والاذن .

الصَّامِغان : جانبا الفم عند ملتقى الشفتين المُوالي للشِّدْقَيْن .

الصَّدَفَة : نقرة ، فيها مَغْرِز رأس الفخذ ، وهما صَدَفَتان .

الصَّدَى : الدّماغ ، أو موضع السمع منه ـ حشو الرأس .

الصَّالِب : العظم الذي يشقّ الظّهر من الكاهل إلى العَجْب المشتمل على الفقار ، هو الصُّلْب .

الصِّفاق : الجلد الأسفل الواقع تحت الجلد ، الحامل للشعر ، ولعله الطبقة بين البَشَرة والأَدَمَـة .

الصَّفَـق : آخر الدّماغ ، لعلّه الرِّنْخ ، أي : المُخَيْخ .

الصَّلِيف : جانب العُنُق ، أي : سالِفتـه .

الصَّـلا : وسط الظهر ـ ما انحدر من الوَرِكَيْن (ـ الفرجة بين الجاعرة والذّنَب ـ ما عن يمين الذّنَبِ وشماله من الدّابّـة) .

(حـرف الضـاد)

الضّاحِكة : السّنّ التي بين الأنياب والأضراس ، وهي أربع ضواحك

الضَّبْـعُ : وسط العضد بلحمه ، أو بين الإِبْط ونصف العضد من أعلاهـا .

الضِّبْـنُ : ما بين الإبط والكَشْح ـ الإِبْط .

الضَّرَّة : لحمة الإِبهام في القدم ـ لحمة الخِنْصِر المقابلة لأَلْيَة الإِبهام من الكفّ ـ أصل الثَّدْي ـ اللحمة التي تحت إِبهام الكَفّ .

الضِّرْس الرَّحَى من الأَسنان .

الضَّرِيب : الاسم الآخر الرّأس .

الضَّرِيع : القشرة التي على العظم تحت اللحم .

الضَّفِيرَةُ : مجموعة متشابكة من الأعصاب كـ « المركز الشمسي » ، وغيره .

الضِّلْع : عظم « مُنْحَنٍ مستطيل من عظام الصَّدْر .

الضَّوَاة : غُدَّة تقعُ أسفَل شحمة الأُذُن فوق النّكفة .

الضَّوْجُ : تلفيفة من تلافيف الدِّماغ ، جمعها : أَضْواج .

الضِّيَاة : اللّهاة .

(حرف الطّاء)

الطَّابَقُ : حدُّ الأعضاء ، كاليد والرِجْل .

الطَّبَق : غُضروف ، و عظيم رقيق يفصل بين فقار الظّهر .

الطَّرِيدَة : الخطة البارزة في الظّهر من الكاهل الى العَجْب .

الطَّحَال : عضو داخلي بين الحِجاب الحاجز والمَعِدَة ، يساعد على تكوين الدّم وإتلاف فاسده .

الطَّرْمَة : من أسماء الكَبِد .

الطَّرَّة : الشّاكلة والخاصِرَة .

الطَّمْطَقَة : كلّ لحمة متدلّية مسترخية — ما رقّ من لحم البطن .

الطَّلاطِلَة : اللّهاة ، أي : اللحمة المتدلّية في الحلق .

الطَّلَقُ : المِعَى ، مفرد طلاق .

الطُّلَّةُ : من أسماء العُنُق كالزبّونَة والتّليل .

الطُّلْيَة : السّالفة ، والعِلاط ، والصَّليف . وكلها أسماء لِصفحة العُنُق .

الطُّنُبُ : عصبة في النحر تمتد عند الالتفات — عصب يتصل بالمفاصل والعظام ويشدها .

(حرف الظـــاء)

الظَّـــافُ : جلد الرَّقبة ، هو الظُّوفُ أيضاً .

الظَّاهِــرة : العين الجاحظة .

الظُّفْــرُ : المادة القرنية النّابتة في أطراف الأنامل من اليد والرجل .

الظَّفَرَة : الجليدة الغاشية للعين ، النّابتة من الجانب الموالي للأنف ، زاحفةً على بياض العين وسوادها الى أن تمنع الرؤية .

الظُّــلُ : (جمعٌ ، مفردُهُ : الأَظَلّ) بَواطِن الأصابع — الجهة التي تلامس الأرض من مناسم الابل .

الظَّلْــمُ : ماء الأسنان وبريقها « كأنه ظلمة تركب الأسنان من شدّة الصفاء » .

الظَّلِيف : أصْل الرقَبَة .

الظَّمَــى : قلة اللحم والدم في اللّثة .

الظَّمْيــاء : الشَّفَةُ الحمراء الذابلة — السّاق القليلة اللحم — اللثة القليلة اللحم — العين الرّقيقةُ الجَفْن .

الظنبوب : حَرْفُ السّاق اليابس من جهة الأمام ؛ أو عظمه (١) .

الظَّهْــرُ : المنطقة الخلفيّة من البدن من الكاهل الى أسفل العجز .

الظُّوف : جلد الرقَبَــة .

(حــرف العــين)

العارِض : صفحة الخدّ — جانب الوجه — صفحة العُنُق .

العَرْتَبَة : الأنف ، أو ما لانَ منه — الدّائرة تحته وسط الشّفة — طرف وَتَرَة الأنف .

---

(١) أو حرف عظمه [المجلة] .

العرقوب : العصب الغليظ الموتر فوق العاقب — موصل الوظيف والسّاق من الدابّة .

العَصْعَص : العظم المكون من ثلاث فِقَر ، أو اربع فَقَر ملتحمة في نهاية العجز .

العُضْرُوط : مَرِيء الحَلْق ، أي : رأس المَعِدَة الملتصق بالحلقوم ، أحمرُ من خارجه ، أبيضُ من داخله — أحد عروق الإبط بين اللحمتين .

العَضَلَة : قطعة لحم ليفيّة ، قابلة للانقباض والانبساط .

العُضاض : عِرْنِينَ الأنف .

العلاوة : أعلى الرأس .

العُرْش : أحد عُرْشَي العنق : لحمتان مستطيلتان في ناحيتيه ، أو في أصله ، قيل : إنهما المحجَمتان ، عُرْشَا اللهاة : عظمان فيها يقيمان اللسانَ .

العَكَدة : أصل اللسان ، وأصل القلب .

العِلْباء : عَصَبة صفراء ، اللون في سالفة العُنُق .

العَمْر : (ويُضَم) لحم اللثة المحيطة بالأسنان ، أو ما دخل منه بينهما .

(حرف الغين)

الغارب : اعلى الظهر وهو الكاهل .

الغازّ : غرق في العين يجري ماءً ولا ينقطع .

الغُدْبَة : لحمة غليظة في اللهازم هي الغُدُنَّة .

الغُرابان : طرفا الوركين المُلامِسَيْنِ لأعالي الفَخِذَين ، وقيل : عظمان رقيقان أسفل الفراشة .

الغُدَّة : عضو داخلي يفرز مَواد خاصة كالدّمع واللعاب والعَرَق .

الغُرْضان : ما انحدر من قصبةِ الأنف من جانبيه معاً .

الغُرْضوف : العظم اللين الرخص يسمى في الأنف مارناً وفي الاضلاع رهابةً وفي الكتف نُغْضاً وفي الأذن قُرفاً . . . وهو الغضروف أيضاً .

الغَضْبَة : البخصة الواقلة في الجفن الأعلى خلقةً ــ جالمة الرأسِ .

الغُراب : القَذال ، أي : مؤخر الرّأس .

الغُلْفَــة : الغُرْلة والقُلْفة .

الغُنَب : دارات وسط الشدْقَيْن .

الغُنْدُبتانِ : عقدتان في العَكَدةِ وقيل : لحمتان تكتنفان الّلهاة ، وقيل شبه الغُدّتَيْنِ في النّكْفَتَيْن .

(حــرف الفــاء)

فَأْسُ الرّأسِ : العظم المُشْرِف على القَفا من الخلف .

الفائِــق : موصل العنق بالرأس ، فإذا طال الفائق طال العنق .

الفَتَــخ : ما بين العضُدِ والذِراع من جهة الباطن .

الفَرْخ : مقدم الدماغ .

الفَصُّ : حَدَقَةُ العين ــ ملتقى كلِّ عظمَيْن .

الفَرُوقَة : شحم الكُلْيَتَيْن .

الفَرْوَة : جلدة الرّأس الخارجية بشعرها .

الفائلتــان : مُضْغتان من لحم على الصَّلَوَيْن من أدنى الْحَجَبَتَيْن الى العَجْب ، منحدرتان في جانبيِ الفَخِذَيْن .

الفَريصَة : لحمة بين الكتِف والجنب ، أو بين الكَتِفِ والثَّدْي ، ترتعد في حالة الفَزَع ، والفَريص في الحديث « إنّي لأَكْرَهُ أن ارى الرَّجُلَ ثائراً فريص رَقَبَتِهِ ، قائماً على مُرَيْئَتِهِ يضربها » : أوداجُ العُنُــق .

الفُقْأَة : سابِياء الجَنين ، تنفقيء عن رأسه عند الولادة . وقيل : جليدة رقيقة على أنفِـه إنْ لم تكشف عنه مات .

الفَقــار : خَرَزات عظيمة تتكوّن منها السِّيساء(١) واحدتها فَقارة .

الفَلْكَةُ : موصل ما بين فقارة وأخرى من فَقار السِّيساء ــ هَنَةٌ ناتئة على العَكَدة ، أي : أصل اللسان .

(حــرف القــاف)

القِــبُّ : النّاتئ بين الأَلْيَيْن من الظّهر ، « الصِقْ قِبَّكَ بالأرض » : إجلِسْ متمكناً .

القَباح : طرف عُظم العَضدِ المُوالي للمرفق او ملتقى السّاق والفخذ . وهو القَبيحُ أيضاً .

القِتْبَة : معى صغير دقيق كالإِصبع ، مسدود الطرف ، هو الزائدة الدودية والقِتْبُ : المعى .

القِحْف : العظم فوق الدماغ ، أو ما انطبق من الجمجمة وظهر ولا يسمى كذلك حتّى يظهر أو ينكسر .

القُحْقُحُ : العظم الذي فوق القِبِّ ، المحيط بالدُّبُر .

القُرْبُ : من أسماء الخاصرة ، أو المنطقة من الشاكلة الى مَراقّ البطن .

القُزَحيّة : حَدَقة العين .

القُصْرَيان : ضِلْعان تليان الترقوتين ، والقُصَيْرَيانِ ضلعان تليان الطَّفْطَفة .

القَصُّ : عَظْمُ الصدر الذي تنغرز فيه الأضلاع من جانبيه .

---

(١) تقدمت (السيساء) في حرف السين . والفقار ــ كسحاب ــ والفقر ــ كعنب ــ والفقرات بالكسر أو بكسرتين : جموع : الفقرة ، والفقرة ، والفقارة ، وهي ما انتضد من عظام الصلب من لدن الكاهل الى العجب [المجلة عن القاموس المحيط] .

القَطَن : ما بين الوَرِكَيْن الى العَجْب – ما انحدر من الظهر واستوى (– الزِمِجّى والزِمِكى ، أي أصل ذنَب الطّائر) .

القِمَحْدانة : ما بين القَمَحْدُوة ونقرة القفا .

القَمَحْدُوة : عظم ناشز فوق القفا وأعلى القذال خلفَ الأُذُنَيْن .

(حــرف الكاف)

الكاذَة : لحمة الفَخِذَيْن من باطنهما . وفي الصحاح : « ما نَتَأَ من اللحم في أعالي الفَخِذ » .

الكَتَد والكَتِد : ملتقى الكَتِفين – مَغْرِزُ العنق في الكاهل عند الحارك ، ويقابله الفائق من جهة الرّأس – ما بين الكاهل والظّهر .

الكُثْعَـة : الفرق وسط ظاهر الشّفة العليا .

الكُرْسُوع : حرف الزَّنْد المُوالي للخِنْصِر النّاتىء عند الرُّسْغ .

الكَرْمَـة : رأس الفَخِذ المستدير كالجوزة تدور في قلب الوَرِك .

الكَلْكَـل : الصّدر – ما بين التَّرْقُوَتَيْن .

الكُظْرُ : الشّحم المحيط بالكُلْيَتَيْن ، أو غدّةٌ صمّاء فوقهما . [وحَرْفُ الفَرج – المجلة] .

الكَظَـمُ : مخرج النَّفَس من الحلق (الجمع : أكظام وكِظامُ) .

الكَعْبُ : العظم النّاشز من جانبي القدم – كلّ مَفْصِلٍ للعظام .

الكُلْيَة : عضوٌ داخليّ يقع في القَطَنِ ، يؤدّي وظائف مهمة منها تصفية الدم ، وإفراز البول .

الكُعْبُرَة : الكوع – أصل الرّأس ، كعبرة الكتِف : المستديرة فيها كالحرزة ، وفيها مدار الوابلة ، كُعْبُرة الوَظِيف : مجتمع الوَظيف في السّاق .

الكُـوع : طرَف الزند المُوالي للإبهام .

(حـــرف الـــلام)

اللَّبَّـــةُ : المَنْحَرُ ـ موضع القلادة من الصَّدْر .

اللِّبْـــس : جُليدة رقيقة واقعة بين الجلد واللحم .

اللَّجَـــحُ : وَقَبَةُ العين التي ينبت الحاجبُ على محجرها الأعلى .

اللثـــة : اللحم المحيط بالأسنان ، وفيه دَرادِرُها (ج لِثات ولِثىً) اللَّثاةُ : اللَّهـــاة .

اللُّخـــا : غارُ الفـــم .

اللَّخصَة : لحمة في باطن المُقْلَة ، وهي اللَّجَحُ أيضاً .

اللَّديدان : صَفْحتا العُنُق أسفل الأذنين .

اللغدُود : لحمة الحلق ، وقيل : ما أحاط من اللحم بأقْصَى الفم الى الحلق ـ كالزَّوائد من اللحم في باطنِ الأذُن .

اللَّهـــاةُ : اللحمة المتدلّية في أقصى سقف الحلق .

اللهزِمـــة : العظم النّاتيء في اللحي تحت الأُذن ، أو مجتمع اللحم بين الماضِغ والأُذُن .

اللَّوْزَتانِ : لحمتان في جانبي الحلق قرب اللَّهاة « يشكو لَوْزتيه » ـ خُرْبَتَا الوَرِك .

اللغْنُ : وَتَرَةٌ عند باطن الأذن تتمدّد عند الاستقاءة ، [واللغدود كاللغنون وهو الخيشوم أيضاً ـ المجلة]

(حـــرف الميـــم)

المَأْبِـــضُ : باطن الركبة ـ الرُّسغ ، أي : موصل الكفّ في الذّراع .

المَـــأْق : مجرى الدّمع من العين ، وهو طرفها الموالي للأنف والطرف المُوالي للصُّـــدْغ هو اللحاظ ، وقيل مؤْقُها مقدّمها ، ومَأْقيهـــا : مؤخّرها .

المأنـة : السُّرَّةُ أو ما حولها ـ الطَّفْطَفَة أو شحمة لاصقة بالصِّفاق من باطنه .

المثانةُ : مستقرّ البول وموضعه من الإنسان (والحيوان) .

المحارة : باطن الحنَك ـ جوف الأذن الظّاهر المتقعّر حول الصماخ ـ منفذ النَّفَس الى الخياشيم ـ النّقرة في كُعْبُرة الكتِف ـ نقرة الورِك .

المرْفِـقُ : مَوْصِل الذِّراع من العَضُد .

المنْكِب : ملتقى رأس العَضُد والكتِف .

المُرَيْطاء : عِرْقان يعتمد عليهما الصّائح إذا صاح ، قال عُمَرُ ـ رضي الله عنه ـ لِمُؤَذِّنٍ : « أما خَشيتَ أن تنشـقَّ مُرَيْطاؤُكَ ؟ » .

المَقَـطُّ : منقطع الشَّراسيف في نهاية الأضلاع .

المَنْخَع : مفصل الفَهْقَة بين العُنُق والرّأس من جهة الباطن .

المَهْبِـلُ : القناة الممتدة الى فم الرحِم .

مَراقُّ البَطْنِ : ما لانَ ورقّ منه كالطَفْطَفَة .

(حـرف النون)

النَّثْرةُ : الخَيْشُوم وما والاه ـ الفرجة بين الشّارِبَيْن أمام وَتَرَة الأنف .

النُّجْـثُ : التَّأْمُورُ والتّامور والشَّغاف .

النخاع : حبل عصبيّ متّصل بالدِّماغ يجري داخل السِّيساء .

النَّسـا : عرق يمتدّ من الورِك مستبطناً الفَخِذَيْن مارّاً بالعرْقُوب الى القدم .

النَّصيلُ : المَفْصِلُ بين العُنُق والرّأس تحت اللَّحْيَيْن ، يقال « ضرب نَصيلهُ » — الحَنَكَ — (١) .

النِّطْعُ : غار الفم الأعلى ، وهو موقع اللسان من الحَنَك عند التَّلَمُّظ بالحروف النطعية ، أي ، التّاء ، والدّال ، والطّاء ، وهو جلدة فيها تحزيزات تلتصق بعظم الحُلَيْقاء .

النُّغْضُ : (والنّاغض أيضاً) غُضْرُوف الكَتِف ، وهو عظم رقيق في طرفه حيث تتحرّك .

النَّعامة : القَدَم ، أو باطنها — الجلدة التي تغشى الدماغ .

النَّقا : عظم العَضُد ، أو كل عظم ذي مُخّ (ج . أنقاء)

النِّقْيُ : مُخّ العظم — شحم العين من السِّمَن .

النُّكْعَة : طرف الأنف .

النَّكَفَة : الغُدّة اللُّعابية بين أصل اللحي وشحمة الأُذُن .

(حرف الهاء)

الهَانَّةُ : الشَّحْمة في باطن العين تحت المُقْلَة هي الهُنانَة .

الهُبارِيَة : ما تقشّر من جلدة الرأس عند منابت الشعر كالنُّخالة .

الهُدْبُ : الشَّعر النّابت على الأشفار .

الهُرْبُ : ثَرْبُ البطن ، وجلمه : «طعنه فظهر هُرْبُه» ، أي شَحْمُه .

الهَرْثَمَة : العرتبة ، أي : الدائرة تحت الأنف وسط الشَّفَة العليا .

الهَزْمَة : النُّقرة في الصَّدْر والتُّفّاحة عند غمزها باليد — الثّغرة من التَّرْقُوَتَيْن .

---

(١) والنصيل : البظر أيضا [المجلة] .

الهَضَلَـة : منبت النّاصية من الرّأس ، أي الذُّؤابة .

الهُلْبَة : ما فوق العانة الى السُّرَّة .

الهَلْبَاء : حلقة الشَّرْج .

الهَنْرَة : وَقَبَةُ الأُذُن .

الهَيْدَبُ : ثدي المرأة .

الهيكل : مجموع عظام الجسد .

(حـرف الـواو)

الوابِلَة : طرف العَضُد في الكَتِف ، وطرف الفَخِذِ في الوَرِك .

الواهِنُ : عِرق يستبطن حبل العاتق الى الكتف قد يؤلم صاحبه فتصيبه « الواهنة » . وهي ريحٌ تأخذ في المنكبَيْن ، أو العَضُدَين ، أو الأخْدَعيْن عند الكِبَر .

الوَبّاعَةُ : ما يترك من يافوخ الصّبيّ — الشَّرْج .

الوتينُ : الشّريان الذي يغذّي الجسم بالدم النَّقيّ الآتي من القلب

الوَتَرة : غُرَيْضيف دائرٌ بصِوان الأُذُن من الجانب الأعلى — جليدة بين الإبهام والسَّبّابة — الحِجاب الفاصل بين المنخرين — عصبة بين رأس العرقوب الى المَأْبِض — عصبة بين الفَخِذِ والصَّفَن — عصبة تحت اللسان — ما بين الأرنبة والسَّبَلَة .

الوَجْنة : ما ارتفع من الخدّين .

الوَدَج : عرق الأخْدَع ، يقطعه الذّابح ، فلا تبقى معه حياة — عِرْق في العُنُق ينتفخ عند الغضب .

الوَرْبُ : ما بين الضِّلْعين — حلقة الشَّرْج .

الوَرِك : ما فوق الفخذ ، كالكتف فوق العَضُد .

الوَرِيزَة : العِرق الممتدّ من الكَبِد الى المَعِدَة .

الوَرِيدُ : العِرق النّاقل للدّماء ، ويسمى في الذِّراع : الأَكْحَلَ ، وفي ظاهر الكَفّ : الأَشْجَعَ وفي العضد : الفَلِيقَ ، وفي باطن الذراع : الرّاهِشةَ .

الوَضِيمُ : ما بين الوسطى والبِنْصِر .

(حرف الياء)

اليَأْفُوخ : ملتقى عظم مقدم الرَّأْس ومؤخّره — الموضع الّذي يتحرّك من رأس الطِّفل .

يَباسِ : (بالبناء على الكسر) حلقة الشَّرْج ،

اليَحْمُور : مادة آحية يتألّف منها خِضاب الدّم في الإِنسان والحيوان .

اليَدُ : الكفّ وأصابعها ، وهي أداة البطش .

اليُرْبُوع : لحمة المَتْن ، والغالب أن تستعمل الكلمة جمعاً .

اليَسَرَة : أسْرار الكفّ ، اي خطوطها اذا كانت غير ملصقة — سِمة في الفَخِذَيْن .

اليُسْرى : اليد الواقعة عن شمال الجسد .

اليَلَب : الجلد .

اليَلَلُ : قِصَرُ الأسنان وإلْتِزاقُها وانعطافها الى داخل الفم — اختلاف مَنابِتِها .

اليُمْنَى : اليدُ الواقعة عن يمين الجسد .

اليُنْوُع : الحمرة من الدّم .

اليَهْفُوف : القلب الحديد .

* * *

موارد تاريخ ابن عذاري المراكشي
عن المرابطين والموحدين
في المغرب والاندلس

الدكتور عبد الواحد ذنون طه
قسم التاريخ / كلية التربية
جامعة الموصل

تمهيد :

لقد تم التوصل في بحث سابق الى أهمية كتاب « البيان المغرب » لابن عذاري المراكشي ، وعصر مؤلفه ، وطريقته في التدوين ، وأهم الموارد التي اعتمد عليها في كتابة تاريخ شمال افريقيا من الفتح الى بداية عهد المرابطين[١] . وكذلك أنجزت دراسة موارد هذا السفر الكبير عن الاندلس من الفتح الى نهايــة عصر الطوائف في بحث آخــر نشر ايضاً في « مجلــة المجمع العلمي العراقي »[٢] . والدراسة الحالية ، هي آخر حلقة في هذه السلسلة ، وهي تتضمن استكمال البحث في موارد تاريخ ابن عذاري المراكشي عن المرابطين والموحدين في كل من المغرب والاندلس .

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على القطعة التي تختص بعصر المرابطين ،

---

(١) انظر : عبد الواحد ذنون طه ، موارد تاريخ ابن عذاري المراكشي عن شمال افريقيا من الفتح الى بداية عهد المرابطين ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، جـ ٤ ، م ٣٦ ، كانون الاول ، ١٩٨٥ ، ص ٢٠١ ــ ٢٦٢ .

(٢) موارد تاريخ ابن عذاري المراكشي عن الاندلس من الفتح الى نهاية عصر الطوائف ، جـ ٤ ، م ٣٧ ، كانون الاول ، ١٩٨٦ .

والتي نشرها الاستاذ أمبروسي هويسي ميرندة A. Huici Miranda في مجلة Hesperes عام ١٩٦٠، وأعادت دار الثقافة نشرها في بيروت بوصفها جزءاً رابعاً لكتاب « البيان المغرب » • أما بالنسبة لعهد الموحدين ، فقد كان الاعتماد على القسم الموحدي « للبيان المغرب » ، الذي نشر في تطوان عام ١٩٦٠ باعتناء الاساتذة : أمبروسي هويسي ميرندة ، ومحمد بن تاويت ، ومحمد ابراهيم الكتاني ، وعلى قطعة اخرى نشرها الاستاذ عبد القادر زمامة في « مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية » بفاس (العددان ٤ و ٥ لسنتي ١٩٨٠ ــ ١٩٨١) •

وقبل ان تنجز المراحل النهائية لهذا البحث وصلتنا نسخة جديدة من « البيان المغرب/قسم الموحدين » تكرم بها الاستاذ الفاضل عبد القادر زمامة ، نشرت في الدار البيضاء عام ١٩٨٥ • وقد تمت مراجعة العمل في هذا البحث استناداً الى هذه النسخة ، التي تتميز بوجود زيادات قيمة ، وفهارس علمية مفيدة •

ويعد القسم الموحدي من أهم الأقسام التي يتألف منها كتاب « البيان المغرب » ، فهو يتميز بتقديم رواية كاملة تقريباً للدولة الموحدية منذ قيامها حتى سقوطها ، باستثناء السنوات الأولى لظهور الموحدين • ويتميز القسم الموحدي ايضا باحتوائه على اخبار كثيرة عن نهاية المرابطين ، والصراع بينهم وبين الموحدين في عهد آخر سلاطين المرابطين تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين (٥٣٧ ــ ٥٣٩هـ/١١٤٢ ــ ١١٤٤م) • فتأتي بسرد متسلسل للأحداث يعين الباحث في الوقوف على أحوال المغرب والأندلس في مدة انتقال السلطة من المرابطين الى الموحدين[٣] •

(٣) انظر ماكتبه الدكتور محمود علي مكي في عرضه للقسم الموحدي من البيان المغرب ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، المجلدان التاسع والعاشر ، ١٩٦١ ــ ١٩٦٢ ، ص ٣٧٦ ــ ٣٨٠ •

وقد جرى ابن عذاري في روايته لاخبار المرابطين والموحدين على طريقته التي أشرنا إليها ، وهي تصنيف الرواية الى فصول ، واحياناً الى حوليات سنوية . وهو يسرد الأحداث ضمن سياق زمني ، ويورد روايات في صميم الأحداث ، ويكرر الفكرة . وهذه الطريقة تتيح للمؤرخ عدم التحيز للأحداث ، أو لفريق ضد آخر عندما تكون هناك روايتان لحقيقة تاريخية واحدة . وهو بهذا يترك للقارىء أن يكوّن الرأي الذي يعتقد انه اكثر اتفاقاً مع الحقيقة[٤] . وقد يكون لدى ابن عذاري احياناً اكثر من مورد واحد ، فينقل عنهم جميعاً ، وربما ينبّه الى أحد هذه الموارد أو اكثر في اثناء السرد ، ويترك البقية دون تنويه . ويستخدم احياناً التعميم في الاشارة الى بعض المصادر ، كأن يقول حينما يتحدث عن وفاة زعيم المرابطين الديني عبدالله بن ياسين : « قال بعض المؤرخين لدولتهم ... »[٥] ، أو يقول حينما يذكر نسب امراء الدولة المرابطية : « قال ذوو العلم باخبارهم ... »[٦] . وعندما يشير الى وصية الخليفة الموحدي يعقوب المنصور (٥٨٠ ــ ٥٩٥هـ/١١٨٤ ــ ١١٩٩م) يقول : « وها أنا أذكر وصيته على نحو ما وقعت وصححها قرابته والمؤرخون لدولته ... »[٧] .

وتتميز المادة التي يقدمها ابن عذاري بانها تضم انواعا مختلفة من الأساليب التي حافظ عليها المؤلف بصفة خاصة ، ولكنها تعرضت احيانا للاختصار ، ولهذا نرى ان اسلوب الكتاب يختلف من حين لآخر حسب

(٤) انظر على سبيل المثال الروايات التي ساقها عن سبب وفاة الخليفة يعقوب المنصور : البيان المغرب / القسم الموحدي ، نشر : امبروسي هويسي ميرندة ومحمد بن تاويت ومحمد ابراهيم الكتاني ، تطوان ، ١٩٦٠ ، ص ١٣٧ ــ ١٣٨ ، ١٣٩ .

(٥) البيان المغرب ، طبعة دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٧ : ٤ / ١٦ .

(٦) المصدر نفسه : ٤ / ١٧ .

(٧) المصدر نفسه / القسم الموحدي ، ص ٢٠٧ .

اختلاف النصوص التي يعتمد عليها. ومع ذلك، فإن نفس ابن عذاري واضح في تأليفه، وشخصيته بارزة فيه. فنجده على سبيل المثال حينما لا يقتنع برواية معينة أو رقم معين يستخدم تعابير خاصة تدل على الشك وعدم الاقتناع، مثل «زعموا»(٨)، أو «ذكروا والله أعلم»(٩)، أو «على قول من قال»(١٠)، أو «فقيل»(١١). وكذلك يقوم بابداء رأيه أحياناً ويقارن بين الأحداث. فبعد كلامه عن معركة الأرك Alarcos (١٢)، يقارن بينها وبين معركة الزلاقة(١٣)، وفي رأيه ان الأرك أهم لأن الانتصار فيها كان كاملاً، في حين

(٨) المصدر نفسه: ٤ / ١٥.
(٩) المصدر نفسه / القسم الموحدي، ص ٢١٠.
(١٠) المصدر نفسه، ص ٤٠٤.
(١١) المصدر نفسه، ص ٤١٢.
(١٢) وقعت هذه المعركة بالقرب من حصن الارك المجاور لقلعة رباح Calatrava سنة ٥٩١هـ / ١١٩٤م بين الخليفة الموحدي يعقوب المنصور، والفونسو الثامن Alfonso VIII ملك قشتالة، انتصر فيها الموحدون انتصاراً كبيراً، انظر: البيان المغرب / القسم الموحدي، ص ١٩٦، الحميري، صفة جزيرة الاندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار، نشر: ليفي بروفنسال، القاهرة ـ ليدن، ١٩٣٨، ص ١٢ ـ ١٤، المراكشي، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٣٥٨ ـ ٣٦٠، محمد عبدالله عنان، عصر المرابطين والموحدين، القسم الثاني القاهرة، ١٩٦٤، ص ١٩٦ فما بعدها.
(١٣) حدثت هذه المعركة في سهل الزلاقة Sagrajas بالقرب من بطليوس Badajoz في غرب الاندلس بين امير المرابطين يوسف بن تاشفين والمعتمد بن عباد من جهة، وبين الفونسو السادس ملك قشتالة من جهة اخرى سنة ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م، حيث انتصر المرابطون واهل الاندلس، الامر الذي أدى الى دفع الخطر الاسباني عن الاندلس الى حين، انظر: الروض المعطار، ص ٨٣ ـ ٩٥، المعجب، ص ١٩٣ ـ ١٩٦، محمد عبدالله عنان، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، القاهرة، ١٩٦٩، ص ٣٢٠ فما بعدها.

انتصر الفونسو السادس Alfonso VI (اذفونش) في الزلاقة على ابن عباد اولاً ، ثم أنجده يوسف بن تاشفين . فكانت الزلاقة حسب تعبيره : « مقسومة الثقل مكدرة الصفو وجاءت هذه الوقعة هنئة الموقع عامة المسرة كأكلة جائع أو شربة عاطش فأنست كل فتح بالأندلس تقدمها ، وبقي بأفواه المسلمين الى الممات ذكرها ... »(١٤) .

ويلتزم ابن عذاري في روايته عن المرابطين والموحدين الحياد في ذكر الحوادث وتقديم الأشخاص ، وعدم التورط في المديح أو الذم ، أو استخدام عبارات الملق التي اكثر غيره من المؤرخين استخدامها ، مثل ابن صاحب الصلاة ، وابن القطان(١٥) . وقد ترك مهمة الاشادة أو الانتقاص لمن ينقل عنهم من الرواة والمؤرخين . ولكنه ، مع ذلك ، حينما يكون مقتنعاً بمسألة معينة يؤيدها بوجهة نظره ، ويقدم عليها الأدلة والبراهين . ففي حديثه عن يعقوب المنصور يقول : « وأما ما ذكر عنه من قتل أخيه وعمه فقد تضطر الملوك الى هذا ... » ، ثم يشير الى عدد كبير من الملوك والامراء والحكام الذين قتلوا اخوتهم أو ابناءهم أو اعمامهم ، ويختتم كلامه بالقول : « وسياسات الملوك لاتعرض للامتحان ولاتحتمل التمحيص »(١٦) .

ومما يميز رواية ابن عذاري ايضا عن هذا العصر ، الدقة ، والأمانة التامة في نقل الأخبار ، والتصريح بعدم معرفة الحدث حينما يتطلب الأمر ذلك ، كأن يقول عن موضوع استيلاء محمد بن يوسف بن الأحمر على قرطبة Cordoba سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٣م ما يأتي : « ومن جيان (Jaen) ملك قرطبة ولا أعرف كيف كان ذلك ... »(١٧) . ويشير كذلك في حوادث

(١٤) البيان المغرب / القسم الموحدي ، ص ١٩٦ .
(١٥) انظر : عنان ، عصر المرابطين والموحدين ، القسم الاول ، ص ١٣ .
(١٦) البيان المغرب / القسم الموحدي ، ص ٢١٠ .
(١٧) المصدر نفسه ، ص ٢٧٩ .

سنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م الى مقتل اثنين من كبار رجال الدولة الموحدية على يد الخليفة عبد الواحد بن ادريس بن يعقوب الملقب بالرشيد (٦٣٠ ــ ٦٤٠هـ/ ١٢٣٢ ــ ١٢٤٢م) ، ثم يقول : « ولم أتحقق تاريخ هذه المسألة هل كانت في هذه السنة أو في التي قبلها »[١٨] . ولا يتحرج ايضا من الاعتراف بعدم حصوله على خبر يذكره في سنة معينة ، فيدون لنا ذلك بكل صراحة قائلاً عن احداث سنتي ٦١٤هـ/١٢١٧م و ٦١٥هـ/١٢١٨م : « ولم اتحقق خبراً اذكره في سنة أربع عشرة وخمس عشرة ... »[١٩] .

ومن المحاسن التي يجب ان تذكر لابن عذاري في هذه الرواية ايضاً ، اهتمامه الدقيق بوصف الاحوال الاجتماعية والاقتصادية التي رافقت تقلب الاحوال السياسية في كل من المغرب والأندلس . فهو يشير باستمرار الى تقلبات الاسعار ، ويقارن بينها[٢٠] ، كما يتعرض الى مسائل اجتماعية مهمة ، كوصفه لحالة تجار مراكش اثر حريق كبير شب في المدينة سنة ٦٠٧هـ/١٢١٠م، وتبيان دور الغوغاء ، وموقف السلطة من الحادث[٢١] .

وقد استخدم ابن عذاري موارد جديدة في تاريخه عن المرابطين والموحدين ، أهمها الوثائق الرسمية مثل نصوص البيعات ، والرسائل التي اطلع عليها . واعتمد كذلك اعتماداً كبيرا على الروايات الشفوية ، لاسيما في روايته عن الاحداث القريبة من عصره ، فدوّن لنا الكثير برواية شهود العيان الذين عاصروها . أما بالنسبة للكتب ، فقد ظهرت أسماء جديدة لموارد اعتمدها لاول مرة . وقد أشار في مقدمته للجزء الاول من « البيان » الى

(١٨) المصدر نفسه ، ص ٢٥٧ .
(١٩) المصدر نفسه ، ص ٢٤٤ .
(٢٠) المصدر نفسه ، ص ١٢ .
(٢١) المصدر نفسه ، ص ٢٣٥ .

بعض هذه الموارد الجديدة ، مثل كتاب « الانوار الجلية في الدولة المرابطية » ، لابن الصيرفي ، وكتاب الأشيري ، وكتاب البيذق ، وكتاب يوسف بن عمر ، وكتاب ابن صاحب الصلاة ، وكتاب ابن رشيق[٢٢] • ولكنه اعتمد ايضا على كتب اخرى سبق له استخدامها في روايته عن شمال افريقيا والأندلس قبل المرابطين والموحدين •

وقد تم تصنيف موارد ابن عذاري عن المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس حسب أهميتها التاريخية على الشكل الآتي :

١ ــ الروايات الشفوية لمن عاصروا الاحداث .•

٢ ــ الوثائق الرسمية والرسائل •

٣ ــ الكتب : ــ

اولاً ــ كتب المغاربة والأندلسيين •

أ ــ الكتب التاريخية •

ب ــ كتب التراجم •

جـ ــ كتب المسالك والجغرافية •

د ــ الكتب الأدبية •

ثانياً ــ كتب المشارقة •

١ ــ الروايات الشفوية لمن عاصروا الاحداث :

من الطبيعي ان تكون الروايات الشفوية على رأس الموارد التي استعان بها ابن عذاري في تدوين أخبار الموحدين ، لاسيما في أيامهم الأخيرة ، لأنه عاصر نهاية دولتهم ، والتقى بمن شهدوا كثيرا من الاحداث التي جرت في

(٢٢) المصدر نفسه ، نشر : كولان وليفي بروفنسال ، ليدن ، ١٩٤٨ . وقد اعادت نشره دار الثقافة في بيروت : ١ /٣ .

أيامهم سواء في المغرب أو في الأندلس . ولقد أشار الى أسماء العديد من هؤلاء الرواة الذين أخذ منهم معلوماته ، ولكنه من جهة اخرى ، لم يصرح بأسماء بعضهم الآخر ، واكتفى بالتلميح والاشارة الى أنهم ثقة ، أو عارفين ببواطن الامور(٢٣) .

وحين يتحدث عن حصار مدينة بلنسية Valencia سنة ٦٣٦هـ/١٢٣٨م ووقوعها بيد الاسبان ، يصف احداث الحصار والأزمة الاقتصادية التي رافقته في داخل المدينة اعتماداً على شاهد عيان ، فيقول : « ... وحدّث من شاهد حصارها ... »(٢٤) .

ويستمر ابن عذاري في الاعتماد على شهود العيان في ذكر أحداث الأندلس ، فيشير الى توجه محمد بن يوسف بن الأحمر الى اشبيلية سنة ٦٦٢هـ / ١٢٦٣م للاجتماع بالفونسو العاشر Alfonso X ملك قشتالة ، لتجديد الصلح بينهما ، فيقول : « ... واخبرني من حضر ذلك الوقت باشبيلية المذكورة ... »(٢٥) ويشير في اخبار سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٦م الى صلح ابن الأحمر مع الفونسو العاشر ، الذي تم على يد ولده أبي عبدالله ، فيقول : « أخبرني من أثق به من بني سلمة ان الفقيه أبا القاسم العزفي قال له عند خروجه من شريش ان جملة ما أعطى ابن الأحمر للفنش من المدن والحصون المسورة بما احتوت عليه من الأقاليم الواسعة والأرجاء الفسيحة اليانعة مئة وخمسة صح ذلك عندي ... »(٢٦) .

---

(٢٣) البيان المغرب / القسم الموحدي ، ص ٢٥٥ .
(٢٤) المصدر نفسه ، ص ٣٤٥ .
(٢٥) المصدر نفسه ، ص ٤٣٧ .
(٢٦) المصدر نفسه ، ص ٤٧٠ ـ ٤٧١ ، وانظر ايضا : طبعة الدار البيضاء ، ١٩٨٥ بتحقيق الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني وزملائه ، حيث جاء النص اكثر وضوحاً ، ص ٤٦٢ ـ ٤٦٣ .

ويمضي ابن عذاري في المنهج نفسه حينما يتحدث عن المغرب ، فيشير الى الاعتماده على الثقات من اهـل تلمسان في ذكر حادثة وقعت في سـنة ٦٥١هـ/١٢٥٣م بين الجنود وحاكم هذه المدينة(٢٧) . ويقول كذلك عن سبب وفاة الامير المريني ابي يحيى بن عبد الحق سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م : « ... وأخبرني من أثق به عن وفاة هذا الأمير ... »(٢٨) . وحينما يصل في حديثه الى الخليفة الموحدي الأخير الواثق بالله ادريس بن أبي عبد الله بن أبي حفص عمر بـن عبد المؤمن الملقب بابي دبوس (٦٦٥ ــ نهايـة ٦٦٧هـ/١٢٦٦ ــ ١٢٦٨م) يفصل في روايته معتمداً على من له معرفة باخباره ، فيفتتح الكلام عنه بقوله : « قال المؤلف أخبرني بعض العارفين باموره ... »(٢٩) ، مما يدل على أنه يستعمل اسلوبه الخاص في سرد الحوادث ، وتفصيلها ، حيث نجده ينص على الأيام ، وأحياناً على أوقات معينة من اليوم الواحد(٣٠) .

ويقف ابن عذاري عند نهاية الدولة الموحدية ومقتل ابي دبوس في اوائل المحرم سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٩م ودخول أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق مدينة مراكش(٣١) . ولكن ابن عذاري عاش نحو نصف قرن أو أكثر بعد هذا التاريخ ، ولم يسجل في كتابه الاحداث السياسية التي رافقت حكم هذا الملك المريني . ومع ذلك فقد أشار عرضا الى بعض الامور التي عاصرها بعد سقوط الدولة الموحدية ، مثل حديثه عن مصير اولاد الخليفة الموحدي عمر بن السيد اسحق بن يوسف بن عبد المؤمن الملقب بالمرتضى (٦٤٦ ــ ٦٦٥هـ/ ١٢٤٨ ــ ١٢٦٦م) ، وكيف انهم سجنوا حتى عام ٦٦٨هـ/١٢٦٩م ، ثـم

(٢٧) البيان المغرب / القسم الموحدي ، ص ٤٠٦ .
(٢٨) المصدر نفسه ، ص ٤١٩ .
(٢٩) المصدر نفسه ، ص ٤٥٩ .
(٣٠) المصدر نفسه ، ص ٤٦١ ــ ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ــ ٤٦٩ .
(٣١) المصدر نفسه : طبعة الدار البيضاء ١٩٨٥ ، ص ٤٦٨ .

توجهوا بعد ذلك الى الأندلس وأن أخاهـم المعروف بأبي زيـد وصل من الاندلس الى السويس عام ٦٨٤هـ/١٢٨٥م « وهو الآن بقيد الحياة في جبل سكساوة يعيش من النسخ ، واخوه محمد بغرناطة في وقتنا هذا وهو عام اثني عشر وسبعمئة »(٣٢) .

أما عدد الشيوخ والرواة الذين أخذ عنهم ابـن عذاري ، وأشار الى أسمائهم صراحة ، فهو قليل نسبياً . ويأتي في مقدمة هؤلاء الفقيه الكاتب (ابو عبد الله التلمساني) ، وهو من كتاب الدولة الموحدية ، حيث كتب لعدد من خلفائها(٣٣) . وقد توفي هذا الكاتب قبل ان ينجز ابن عذاري العمل في كتابه ، حيث يشير اليه بعبارة : « رحمه الله » .

وبحكم منصبه فقد كان ابو عبد الله التلمساني مطلعا على سـجلات الدولة ووثائقها الرسمية ، كما شارك في الاحـداث ، ولاسيما في حصار مراكش الاخير ، وفرار الخليفة المرتضى ، ودخول ابي دبوس(٣٤) ، مما هيأ له الوقوف على كثير من المعلومات التي حدث بها ابن عذاري . وتتميز الروايات المأخوذة عنه بالدقة والاهتمام الشديد بوصف الاحداث والظواهر الاجتماعية ، والاحوال الاقتصادية ، والاشارة الى أسماء بعض الأسواق ، والمساجد ، والأبواب ، والأبراج في مدينة مراكش ، مما يفيد في التعرف على خطط المدينة في اواخر عهد الموحدين .

وقد حرص ابو عبدالله التلمساني على تأكيد مساهمته في الاحداث التي يرويها ، ورؤيته لها . فهو يقول على سبيل المثال في وصف حصار مراكش من قبل قبائل الخلط العربية في عهد الخليفة عبد الواحد بن ادريس الملقب بالرشيد : « ولقد عاينت من برج مرتفع بباب دار الأشراف ليس في ابراج

(٣٢) البيان المغرب / الموحدي ، ص ٤٥٤ .
(٣٣) المصدر نفسه ، ص ٣٥٨ ، ٣٧١ ، ٣٨٩ ، ٤٥٥ .
(٣٤) المصدر نفسه ، ص ٤٤٥ ، ٤٤٦ .

القصبة اعلى منه قتال العرب مع اهل السور ...»[٣٥] . كما يصف وصفا دقيقاً أحد زعماء قبائل هسكورة المسمى بعمر بن وقاريط ، وتساطه على مراكش عام ٦٣٢هـ/١٢٣٤م واطلاقه ذؤابة من عمامته[٣٦] . ويقول في ذكر حادثة مقتل احد رؤساء قبائل الخلط : « ولقد كنت في احد المساجد بالقشاشين للقراءة هناك ، فدخل ناس وأخبروا بالقضية على غير وجهها فخرج جميع من كان به فلقيت بسوق البرذعيين الفتى المذكور وهو على فرس خال الركاب ...»[٣٧] .

وقد اعتمد ابن عذاري على رواية الشيخ الصالح أبي علي صالح بن أبي صالح . وقد سبق التعريف بهذا الرجل المزامن لمؤلفنا . الذي يدعى باسم صالح بن عبد الحليم ، في البحث عن موارد تاريخ ابن عذاري المراكشي عن شمال افريقيا[٣٨] . ويشير ابن عذاري الى أخذه عن هذا الشيخ مرتين ، الاولى عن احداث سنة ٥١٩هـ/١١٢٥م[٣٩] . والرواية الثانية عن يعقوب المنصور وشرائه للموضع الذي بنيت فيه مدينة مراكش قبل أن يدخلها ، وذلك بعد رجوعه من موقعة الأرك . وفي هذه الرواية الأخيرة نجد الاسناد متصلاً الى شاهد العيان الذي كان مع المنصور في هذه المعركة ، الأمر الذي يزيد من أهمية الرواية ويوثقها[٤٠] .

ومن الشيوخ الذين أخذ عنهم الأخبار ، ابو عبد الله محمد بن عبد

(٣٥) المصدر نفسه ، ص ٣١٥ .
(٣٦) المصدر نفسه ، ص ٣١٩ .
(٣٧) المصدر نفسه ، ص ٣٠٣ .
(٣٨) انظر : مجلة المجمع العلمي العراقي ، الجزء الرابع ، المجلد السادس والثلاثون ، ص ٢٦١ ـ ٢٦٢ .
(٣٩) البيان المغرب : ٤ / ٦٩ .
(٤٠) المصدر نفسه / القسم الموحدي ، ص ٢٠٦ .

الملك ، وهو من مراكش ، ولاتتوفر عنه معلومات ، الا انه كما يبدو كان متصلاً ببعض الشخصيات ، مثل ابي الحسن علي بن وزير ، وقاضي مراكش ابي العباس بن الصقر ، حيث نقل عنهما بعض الروايات[٤١] . ويعتمد ابن عذاري هذا الشيخ في اخبار بعض الخلفاء الموحدين ، مثل عبد المؤمن بن علي (٥٢٤ ــ ٥٥٨هـ/١١٣٠ ــ ١١٦٣م) ، ويعقوب المنصور . فقد أشار الى بعض الأحداث التي وقعت في عهد الأول[٤٢] . كما اعتمده ايضا في رواية الأحداث التي رافقت دخول الموحدين الى اشبيلية ، وسوء تصرف بعض جندهم في المدينة ، مما دفع الخليفة عبد المؤمن ان يكتب الى عماله على بلاد الأندلس التي كانت تحت طاعة الموحدين بالأمر بالعدل ، ومنع المظالم والجور[٤٣] . وقد اشار اليه ايضا في ذكر نكبة الوزير الكاتب ابي جعفر أحمد بن عطية ، الذي قتل سنة ٥٥٣هـ/١١٥٨م في عهد الخليفة عبد المؤمن[٤٤] . كما روى عنه ايضا خبر زواج يعقوب المنصور من ابنة محمد بن سعد بن مردنيش ، ومقدار ماوجه اليها من مهر[٤٥] .

ومن المحتمل ان أبا عبد الله بن عبد الملك هذا كان مطلعاً على كتاب « المن بالامامة » لابن صاحب الصلاة ، حيث نجد ان بعض رواياته المنقولة في «البيان المغرب » تتفق مع ماجاء في هذا الكتاب حيث يقول ابن عذاري

(٤١) البيان المغرب / القسم الموحدي ، ص ٣٦ ، ١٠٨ .
(٤٢) المصدر نفسه ، ص ٥٧ .
(٤٣) اكتشاف نص جديد من كتاب البيان المغرب في اختصار اخبار ملوك الاندلس والمغرب يتعلق بتاريخ الموحدين ، تحقيق ، عبد القادر زمامة ، مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية ، جامعة محمد بن عبدالله بفاس ، العددان ٤ و ٥ ، ١٩٨٠ ــ ١٩٨١ ، ص ٣٠٤ ، وانظر : البيان المغرب/قسم الموحدين ، طبعة الدار البيضاء ، ص ٣٦ ــ ٣٧ .
(٤٤) البيان المغرب / القسم الموحدي ، ص ٣٥ .
(٤٥) المصدر نفسه ، ص ١٠٨ .

عند الاشارة الى وفاة الخليفة عبد المؤمن : « ... وكان له من السنين على ماروواه ابو عبدالله بن عبد الملك برواية ابي يحيى زكرياء بن يحيى بن سنان ثلاث وستون سنة ، وقيل أربعة وستون »[٤٦] . أما النص في كتاب « المن بالامامة » ، فهو كما يأتي :

« ... وكان له من السن حين توفي ثلاثة وستون سنة على ماروواه الشيخ الحافظ ابو يحيى زكرياء بن سنان . وقال غيره أربعة وستون عاما »[٤٧] .

إن هذا التشابه يحمل على الاعتقاد ان ابن عذاري ربما كان يقصد ابن صاحب الصلاة حينما يشير الى ابي عبدالله محمد بن عبد الملك . ولكن اسم صاحب الصلاة هو (ابو مروان عبد الملك بن محمد) ، وقد اشار اليه ابن عذاري بهذا الاسم في مناسبات اخرى[٤٨] ، الأمر الذي يجعلنا لانستمر في هذا الاعتقاد ، لاسيما وانه يستعمل مصطلح« واخبرني ابو عبدالله بن عبد الملك » . وهذا تعبير لايمكن ان يستخدمه ابن عذاري الا اذا كان قد التقى فعلا بالرجل . ومع هذا فلابد للمرء ان يسجل تحفظه من احتمال التقاء ابن عذاري الذي كان حيا سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م . واخذه روايات عن رجل روى وعاصر أبا الحسن على بن وزير ، الذي كان حاكما على حصن شربة Serpa من جنوب البرتغال الحالية ، عام ٥٧٠هـ/١١٧٤م ، وذلك بسبب البعد الزمني بين الرجلين .

وقد اعتمد ابن عذاري رواية شيوخ آخرين كان لهم اتصال بالبلاط الموحدي ، منهم شيخ يسميه بابي الوفاء عدل ، الذي حدثه عن بعض اخبار

(٤٦) المصدر نفسه ، ص ٥٥ .
(٤٧) ابن صاحب الصلاة ، كتاب المن بالامامة على المستضعفين ، تحقيق : عبد الهادي التازي ، دار الاندلس ، بيروت ١٩٦٤ ، ص ٢٢٢ .
(٤٨) انظر : المصدر نفسه ، ص ٧٩ ، ١١٠ ، ١١٥ ، ١٢١ ، ١٣٢ .

يعقوب المنصور معتمدا على رواية احد احفاء المنصور نفسه[٤٩] . كما أشار الى احداث وقعت في عهد الخليفة علي بن اذريس الملقب بالسعيد ، قائلاً : « وذكر بعض العارفين باخبار السعيد وامره مثل الشيخ الفقيه ابي عبدالله السرقسطي وغيره ... »[٥٠] . ويعرفنا ابن عذاري بهذا الشيخ الأخير الذي كان من كبار رجال الموحدين[٥١] .

ونقل ابن عذاري احداثاً تتعلق بعصر اثنين من خلفاء الموحدين ، وهما عبد الواحد الرشيد ، وابي حفص المرتضى ، وذلك برواية شخص آخر هو (ابو عمران بن تيجا) . الذي كان على اتصال وثيق بالبلاط الموحدي ، لانه يروي روايته الاولى عن وفاة الخليفة الرشيد معتمداً على ما أخبره به أبو وكيل ميمون بن سعادة حاجب الخليفة[٥٢] . أما بالنسبة لرواياته عن الخليفة المرتضى ، فهي اكثر دقة واتصالاً ، حيث يعتمد عليه ابن عذاري مثلاً في تحديد بعض ملامح الخليفة وتقاطيع وجهه[٥٣] . يضاف الى ذلك ان ابا عمران أخبر مؤلف « البيان المغرب » عن نصوص بعض الكتب التي وجهها هذا الخليفة الى ابنه سنة ٦٥٣هـ/١٢٥٥م[٥٤] ، مما يشير الى وجوده في البلاط الموحدي واطلاعه على هذه الكتب .

٢ ـ الوثائق الرسمية والرسائل :

أورد لنا ابن عذاري مجموعة كبيرة من نصوص الرسائل المرابطية والموحدية التي رآها واعتمدها . وتكمن أهمية هذه الرسائل في انها تعرض

(٤٩) المصدر نفسه ، ص ٢٠٩ .
(٥٠) المصدر نفسه ، ص ٣٧٠ .
(٥١) البيان المغرب / القسم الموحدي ، ص ٣٧٠ .
(٥٢) المصدر نفسه ، ص ٣٥٨ .
(٥٣) المصدر نفسه ، ص ٣٨٩ .
(٥٤) المصدر نفسه ، ص ٤١٣ .

لنا بياناً مباشراً ودقيقاً للاحداث التي وقعت ايام المرابطين والموحدين ، من تدابير سياسية ، واصلاحات اجتماعية ، واحوال اقتصادية ، ومعارك عسكرية ، وانتصارات حربية وغيرها . يضاف الى ذلك انها تمكن من يريد أن يدرس تطور الآداب في المغرب في عهد المرابطين والموحدين ، أن يتعرف على نماذج مختلفة من فن الكتابة الرسمية ، كما تأذن له في عقد مقارنة تحليلية بينها وبين سائر الاعمال النثرية المسجوعة التي انشئت في هذا المعنى ، لاسيما في المغرب والاندلس ، قبل هذا العهد وبعده(٥٥) .

لقد كانت هذه الرسائل تشكل احياناً المورد الوحيد لابن عذاري في الكتابة عن عصر معين أو حاكم معين . فيقول مثلاً في حديثه عن الخليفة يوسف بن محمد بن يعقوب بن يوسف الملقب بالمستنصر (٦١٠ — ٦٢٠هـ/ ١٢١٣ — ١٢٢٤م) : « ... ولم تكن للمستنصر بالله حركة ولا غزوة ولا خرج من حضرته الا لمدينة تينمل على العادة في التبرك بالمهدي فما وقفت له على خبر اذكره الا ما رأيت في بعض الرسائل ... »(٥٦) . وقد أشار ابن عذاري

(٥٥) عن أهمية الرسائل والوثائق المرابطية والموحدية ، انظر : مجموع رسائل موحدية من انشاء كتاب الدولة المؤمنية،اعتنى باصدارها ليفي بروفنسال، رباط الفتح ، ١٩٤١ ، ص ب — ج ، حسين مؤنس ، الثغر الاعلى الاندلسي في عهد المرابطين مع أربع وثائق جديدة ، مجلة كلية الاداب ، جامعة القاهرة ، المجلد الحادي عشر ، الجزء الثاني ، ١٩٤٩ ، ص ٩٣ ، حسين مؤنس ، سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الاندلس ، صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد ، المجلد الثاني ، العدد ١ — ٢ ، ١٩٥٤ ، ص ٥٨ — ٥٩ ، حسين مؤنس ، نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين الى الموحدين ، صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد ، المجلد الثالث ، ١٩٥٥ ، مدريد ، ص ٩٨ ، محمود علي مكي ، وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، المجلدان السابع والثامن ، ١٩٥٩ ، ١١٩ .

(٥٦) البيان المغرب / القسم الموحدي ، ص ٢٤٧ .

الى بعض الرسائل المرابطية ، منها رسالتان لم تردا في مجموعة الرسائل المرابطية التي نشرها كل من الدكتور حسين مؤنس ، والدكتور محمود علي مكي ، ومن هنا تأتي أهمية وجودهما عند ابن عذاري واعتماده عليهما • والرسالة الاولى من الأمير على بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠ ـ ٥٣٧هـ/١١٠٦ ـ ١١٤٢) الى ابنه تاشفين من انشاء ابن أبي الخصال[٥٧] ، سنة ٥٢٦هـ/١١٣١م ، يخبره فيها انه يجمع لـه ولاية قرطبة إضافة الى ولايتي غرناطـة والمرية[٥٨] • Almeria أما الرسالة الثانية ، فهي ايضا من الأمير علي بن يوسف ، وهي موجهة الى اهل مدينة فاس ، ينبئهم فيها بعزل قاضي مدينتهم ، ابن ملجوم ، لجهله باحكام القضاء • ولم يشر ابن عذاري الى كاتب هذه الرسالة[٥٩] •

(٥٧) ابو عبدالله بن الخصال ، واسمه محمد بن مسعود الغافقي الشقوري (توفي سنة ٥٤٠هـ /١١٤٥م) ، وكان في ديوان الانشاء المرابطي ، ويقيم في بلاط علي بن يوسف ، ولم يذكر واحد ممن ترجموا له ذلك ، كما يقول الدكتور مؤنس • انظر : حسين مؤنس ، الثغر الاعلى الاندلسي في عصر المرابطين مع اربع وثائق جديدة ، مجلة كلية الاداب المشار اليها آنفاً ، ص ١٣٧ ، وانظر ترجمته عند : ابن بشكوال ، كتاب الصلة ، القاهرة ، ١٩٦٦ : ٢/٥٨٨ ـ ٥٨٩ (رقم ١٢٩٤) ، الضبي ، بغية الملتمس ، نشر : فرانشكو كوديرا ، مدريد ، ١٨٨٤ ، ص ١٢١ (رقم ٢٨٢) ، ابن خير ، فهرسة مارواه عن شيوخه ، منشورات دار الافاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ٤٨٦ ، ٤٦٩ ، ٤٩١ ، ٤٩٣ ، ٥٠٤ ، ٥١٥ ، ٥٢٠ ، ٥٣١ ، ٣٥٢ ، المراكشي ، المعجب ، ص ٢٤٠ ـ ٢٤١ ، المقري ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق : احسان عباس بيروت ، ١٩٦٨ : ٣ / ١٨٤ ،

Pons Boigues, Los Historiadores y Géografos Ara'bigo Espanoles, Amsterdam, 1972, pp. 205 — 206.

(٥٧) ابو عبدالله بن ابي الخصال ، واسمه محمد بن مسعود الغافقي الشقوري

(٥٩) المصدر نفسه : ٤ / ٩٢ •

وهناك رسالة مرابطية اخرى تعود ايضا الى عهد الأمير علي بن يوسف ، أمر بكتابتها سنة ٥١٠هـ/١١١٦م الى عامله على اشبيلية (ابو محمد عبدالله ابن فاطمة)(٦٠) • وتتضمن النصح بالتزام الرفق بالرعية واقامة العدل بينهما ورفع الحجاب عن المظلومين • وقد أشار ابن عذاري في نهاية الرسالة الى انها « من انشاء ابن الجد رحمه الله »(٦١) • وقد نشرت هذه الرسالة ضمن المجموعة التي حققها الدكتور محمود علي مكي (٦٢) ، كما أوردها ايضا

(٦٠) ابو محمد عبدالله بن فاطمة ، من اعظم قواد المرابطين في الاندلس ، تولى مدناً كثيرة مثل بلنسية ، وغرناطة ، وفاس ، واخيرا اشبيلية ، توفي عام ٥١١هـ/١١١٧م ، انظر : مجهول ، مفاخر البربر ، نشر : ليفي بروفنسال ، الرباط ، ١٩٣٧ ، ص ٨١ ، ابن القطان ، جزء من كتاب نظم الجمان ، تحقيق : محمود علي مكي ، منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية ، جامعة محمد الخامس في الرباط ، تطوان ، ١٩٦٦ ، ص ٨ ، ٢١ ، البيان المغرب : ٦٢/٤ ، ٦٤ ، ابن أبي زرع ، الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، نشر : دار المنصور للطباعة والورقة ، الرباط ، ١٩٧٢ ، ص ١٦٢ ، السلاوي ، كتاب الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، تحقيق وتعليق : جعفر الناصري ومحمد الناصري ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤ : ٥٩/٢ .

(٦١) البيان المغرب : ٦٣/٤ — ٦٤ . أما ابن الجد فهو (ابو القاسم محمد بن عبدالله بن الجد الفهري . من اسرة بني الجد اعيان مدينة لبلة Niebla واشبيلية ، اشتهر بالحديث والفقه والادب والانساب . وزر ليزيد الراضي بن المعتمد بن عباد ، ثم أصبح من كتاب الدولة المرابطية في عهد علي بن يوسف بن تاشفين ، وبقي في المنصب حتى وفاته سنة ٥١٥هـ/١١٢١م . انظر : ابن خاقان ، قلائد العقيان في محاسن الاعيان ، مصورة عن طبعة باريس باعتناء محمد العنابي ، المكتبة العتيقة ، تونس ، ١٩٦٦ ، ص ص ١٢٣ — ١٢٩ ، ابن بسام ، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، تحقيق : احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ق ٢ ، م ١ ، ص ٢٨٥ — ٣٢٢ ، ابن بشكوال ، الصلة : ٥٧٤/٢ (رقم ١٢٦٧) المراكشي ، المعجب ، ص ٢٣٧ ، ابن سعيد ورفاقه ، المغرب في حلى المغرب ، تحقيق : شوقي ضيف ، القاهرة ، ١٩٦٤ : ٣٤١/١ — ٣٤٢ .

(٦٢) وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، صحيفة معهد الدراسات

الفتح بن خاقان في كتابه «قلائد العقيان»[٦٣] .

ويعتمد ابن عذاري هذه الرسائل بالنسبة لعهد الموحدين اعتماداً كبيراً، وهذا أمر طبيعي ، نظرا لاقتراب الحقبة الزمنية بينه وبين هذا العصر . وقد أشار الى أول رسالة موحدية في سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م ، صدرت عن الخليفة عبدالمؤمن بن علي من انشاء الكاتب ابي جعفر بن عطية [٦٤] ، وجهت الى البلاد التابعة للموحدين في الأندلس ، والمغرب[٦٥] . ومما يزيد في قيمتها انها لم ترد في مكان آخر ، ولم تنشر كذلك في المجموع الذي نشره بروفنسال بعنوان « مجموع رسائل موحدية » .

وقد أشار ابن عذاري الى رسائل اخرى ، منها تلك التي كتبت عام ٥٦١هـ/١١٦٥م في عهد ابي يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن (٥٥٨ ــ ٥٨٠هـ/

الاسلامية في مدريد ، م ٧ و ٨ ، ١٩٥٩ ــ ١٩٦٠ (الرسالة الخامسة عشرة ، ص ١٥٦ ، ١٨٣ ــ ١٨٤) .

(٦٣) ص ١٢٧ ــ ١٢٨ .

(٦٤) أبو جعفر احمد بن جعفر بن محمد بن عطية القضاعي المراكشي ، من كتاب الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي ، قتل سنة ٥٥٣هـ/١١٥٨م . انظر ترجمته عند : ابن الابار ، الحلة السيراء ، تحقيق : حسين مؤنس ، ١٩٦٣ ٢ /١٩٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٢ ؛ ابن الابار ، اعتاب الكتاب ، تحقيق : صالح الاشتر ، دمشق ، ١٩٦١ ، ص ٢٢٥ ــ ٢٢٩ ، المراكشي ، المعجب ، ص ٢٦٦ ــ ٢٦٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، نظم الجمان ، ص ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٥٠ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ابن الخطيب ، الاحاطة في اخبار غرناطة ، تحقيق : محمد عبدالله عنان ، القاهرة ، ١٩٧٣ : ١/٢٦٣ ــ ٢٧١ ، السلاوي ، الاستقصا : ٢/١٣١ ــ ١٣٤ ، نفح الطيب : ٥/١٨٣ ــ ١٨٨ .

(٦٥) اكتشاف نص جديد من كتاب البيان المغرب ، نشر : عبد القادر زمامة ، ص ٣٠٥ ، وانظر ايضا : البيان المغرب / قسم الموحدين ، طبعة الدار البيضاء ، ص ٣٧ فما بعدها .

١١٦٣ ــ ١١٨٤م) • وكانت من انشاء أبي الحسن بن عياش[٦٦] ، وقد وجهت الى جميع بلاد الموحدين « يأمر فيها بالعدل والنهي عن المنكر ••• وهي أول أوامره العلية »[٦٧] • كما نقل لنا ابن عذاري ايضا وصية الخليفة يعقوب المنصور المتوفى سنة ٥٩٥هـ/١١٩٩م • وقد أشار قبل ان يورد الوثيقة الى انه سوف يذكر هذه الوصية « على نحو ما وقعت وصححها قرابته والمؤرخون لدولته •••»[٦٨] ، مما يؤيد صحتها وتوثيقها ويبرر اعتماده عليها •

ويزداد استخدام ابن عذاري لهذه الوثائق والرسائل كلما اقترب من نهاية الدولة الموحدية ، فينقل لنا على سبيل المثال فصولا من الرسالتين اللتين وجههما الخليفة محمد بن يعقوب بن يوسف الملقب بالناصر (٥٩٥ ــ ٦١٠هـ/ ١١١٩ ــ ١٢١٣م) من الاندلس الى مراكش سنة ٦٠٨هـ/١٢١١م • وكلتا الرسالتين من انشاء ابي الحسن بن عياش[٦٩] • كما يعتمد بعض الرسائل الاخرى في ذكر الأحداث التي تمت في عهد الخليفة يوسف بن محمد المستنصر، حيث لم يجد غير هذه الرسائل لتدوين أخباره[٧٠] •

ويطول بنا الأمر لو حاولنا ان نعدد كل الوثائق والرسائل التي اعتمدها

(٦٦) ابو الحسن عبد الملك بن عياش بن فرج بن عبد الملك بن هارون الازدي ، من كتاب الدولة الموحدية ، توفي سنة ٥٦٨هـ / ١١٧٢م ، انظر عنه : المراكشي ، المعجب ، ص ٢٦٩ ، نظم الجمان ، ص ١٥١ ، ١٧٦ ، ابن عبد الملك المراكشي الانصاري ، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تحقيق : احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٥ ، الجزء الخامس/ السفر الاول ، ص ٢٦ ــ ٣٠ ، البيان المغرب / القسم الموحدي ، ص ١٤٠ ، ابن ابي زرع ، الانيس المطرب بروض القرطاس ، ص ١٩٤ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ .

(٦٧) البيان المغرب / القسم الموحدي ، ص ٦٩ .

(٦٨) المصدر نفسه ، ص ٢٠٧ .

(٦٩) البيان المغرب / القسم الموحدي ، ص ٢٣٨ ــ ٢٤٠ ، ٢٤١ ــ ٢٤٢ .

(٧٠) المصدر نفسه ، ص ٢٤٥ ــ ٢٤٦ .

ابن عذاري ، لان معلوماته عن أواخر عهد الموحدين تستند كثيرا الى هذه الرسائل ، فهو ينقل نصوصاً طويلة من مكاتبات الخلفاء ومراسلاتهم مع الولاة . وقد أدرك هو مقدار أهمية هذه الرسائل ، فكان يذكرها ، ويبرز نصوصها ، فأشار على سبيل المثال الى رسالتين الخليفة ادريس بن يعقوب المنصور المعروف بالمأمون ، على انهما بخط يده ، مما يدل على متانة علاقاته ، واستطاعته الوصول الى هاتين الوثيقتين الثمينتين المكتوبتين بخط الخليفة نفسه (٧١) . وقد أورد أيضاً فصولا من الكتاب الذي أرسله الخليفة العباسي المستنصر بالله من بغداد الى محمد بن يوسف بن هود سنة ٦٢٩هـ/١٢٢٨م يأمره فيه باقامة الدين والاجتهاد في أمور الجهاد ، وسماه فيه بمجاهد الدين سيف أمير المؤمنين(٧٢) .

ويصرح لنا ابن عذاري عن مصدره في الحصول على آخر وثيقة موحدية ضمنها في كتابه ، وهي تلك التي تتعلق بشكوى رفعها القاضي ابراهيم بن احمد الأوسي ، المعروف بابي اسحق بن القشاش ، الى آخر الخلفاء الموحدين ، الواثق بالله أبي دبوس ، يعلمه فيها بكثرة تقولات بعض جهال الناس وطعنهم في خطة القضاء ، وما يبرمه القاضي من احكام وعقود ، ويطلب فيها اما كف هؤلاء عنه وعن قضائه ، أو اعفائه من منصبه . وقد أورد ابن عذاري نص كتاب القاضي ، وتعليق أو توقيع الخليفة عليه قائلا : « نقلته من خط ولده أبي عبدالله ، والتوقيع عليه بخط أبي دبوس »(٧٣) .

---

(٧١) المصدر نفسه ، ص ٢٦٦ – ٢٦٧ .

(٧٢) المصدر نفسه ، ص ٢٧٧ – ٢٧٨ . وقد ورد في النص ان اسم الخليفة العباسي هو المستظهر بالله ، وهذا خطأ ربما كان من الناسخ ، لان الخليفة العباسي المستنصر بالله (٦٢٣ – ٦٤٠هـ / ١٢٢٦ – ١٢٤٢م) هو المعاصر لمحمد بن يوسف بن هود . انظر : ابن الاثير ، الكامل في التاريخ دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ٤٥٨/١٢ .

(٧٣) البيان المغرب / قسم الموحدين ، طبعة الدار البيضاء ، ص ٤٦٦ – ٤٦٨ .

وهكذا يعزز ابن عذاري موارده ، ويختتم كتابه بمثل هذه الوثيقة الخطيرة التي تكشف عن اختلال الاحوال في الاشهر الاخيرة من عمر الدولة الموحدية . وهي دون شك من أثمن الوثائق التي استخدمها هذا المؤرخ .

٣ ـ الكتب :

اولا : كتب المغاربة والاندلسيين :

أ ـ الكتب التأريخية .

١ ـ كتاب البيان الواضح في الملم الفادح لابن علقمة :

ومؤلف هذا الكتاب هو محمد بن خلف بن حسن بن اسماعيل الصدفي، الذي يعرف بابن علقمة ، وهو من أهل بلنسية ، ولد سنة ٤٢٨هـ/١٠٣٦م وتوفي سنة ٥٠٩هـ/١١١٥م . تأدب على شيوخ بلده ، وكان شاعرا وناثرا ، ولكنه ، حسب قول ابن الأبار كان قاصرا في نظمه ونثره . ألف كتابه « البيان الواضح في الملم الفادح » ، الذي قص فيه اخبار بلده مدينة بلنسية في أيامه ، ووصف ما حاق بها من بلاء على يد الاسبان[٧٤] . وقد أشار ابن الخطيب الى هذا الكتاب ضمن التواريخ التي ألفت في المدن الاسلامية ، وسماه « تاريخ بلنسية لابن علقمة »[٧٥] . كما ذكره حاجي خليفة بعنوان « تاريخ بلنسية من بلاد الأندلس »[٧٦] .

---

(٧٤) انظر : ابن الابار ، التكملة لكتاب الصلة ٢ نشر : عزت العطار ، القاهرة ، ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦ : ٤١١/٢ ـ ٤١٢ (رقم ١١٦٥) ، الانصاري ، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تحقيق : احسان عباس ، بيروت ، ١٩٧٣ : ١٨٤/٦ ، Pons Boigues, Op. Cit., pp. 175 — 176. انخل جنثاليث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ترجمة : حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص ١١٦ ، عبد الرحمن علي الحجي ، التاريخ الاندلسي ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٧٦ ، ص ٣٧٨ .

(٧٥) الاحاطة في اخبار غرناطة : ٨٣/١ .

(٧٦) كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، استنبول ، ١٩٤١ . وقد اعادت طبعه بالاوفست مكتبة المثنى في بغداد : ٢٨٩/١ .

ولقد احتوى هذا الكتاب فضلا عن أخبار بلنسية على حوادث اخرى ، وتراجم علماء ، حيث اعتمده ابن الأبار في تدوين بعض تراجمه لعلماء بلنسية (٧٧) . بينما نقل عنه المقري خبرا عن سقوط طليطلة Toledo سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م ، وتاريخ معركة الزلاقة في السنة التي تليها(٧٨) . ومن المحتمل ان هذه الحوادث الأخيرة كانت مدونة في تأليف آخر لابن علقمة(٧٩) .

ولنرجع الى كتاب « البيان الواضح في الملم الفادح » ، الذي اعتمده ابن عذاري بشكل كبير في تدوين أحداث بلنسية ، واحتلالها من قبل رودريجو دياث Rodrigo Diaz ، الذي يعرف باسم السيد الكبيطور ، أو القنبيطور(٨٠) ، فقد نقل عنه فصولا عديدة تشمل المواضيع الآتية(٨١) :

« الكبيطور في بلنسية » .

« ثورة القاضي ابن جحاف ببلنسية » .

« مقتل القادر حفيد ابن ذي النون » .

« ذكر تغلب العدو على بلنسية » عام ٤٨٧هـ/١٠٩٤م .

---

(٧٧) انظر : التكملة : ١/٢٣ (رقم ٥٤) ، ١/٢٨٦ (رقم ٧٧٠) .

(٧٨) نفح الطيب : ٤/٣٥٤ .

(٧٩) انظر : التكملة : ٢/٤١٢ .

(٨٠) ينتمي هذا الرجل الذي ولد سنة ٤٣٧هـ/١٠٤٥م الى اسرة نبيلة . وقد أصبح تابعا لملك قشتالة الفونسو السادس . اشتهر باستيلائه على مدينة بلنسية سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م ، وحرقه لقاضي المدينة ابن جحاف . وقد توفي سنة ٤٩٣هـ / ١٠٩٩م نشر عنه المستشرق متدث بيدال كتابا بعنوان اسبانيا في عهد السيد La Espana del Cid ، حيث ظهرت اولى طبعاته بالاسبانية في مدريد سنة ١٩٢٩ . انظر : ليفي بروفنسال ، الاسلام في المغرب والاندلس ، ترجمة السيد محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص ١٧٤ ، ١٩٠ .

(٨١) انظر البيان المغرب : ٤/٣١ ـ ٤١ .

« ذكر غدر لذريق اللعين لمحلة المسلمين » .

« ذكر حرق القاضي أبي أحمد ابن جحاف ومحنة أهله وقرابته ومحنة أهل بلنسية » .

وقد أشار ابن عذاري الى محمد بن علقمة مرتين في اثناء روايته لهذه الاحداث ؛ الاولى حينما ابتدأ بالحديث عن وجود الكبيطور في بلنسية وتضييقه على أهلها ، ثم انتقاله الى سرقسطة Zaragoza في شعبان عام ٤٨٥هـ/١٠٩٢م[٨٢] . والثانية حينما وصف المحنة التي حلت بأهل المدينة في سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م نتيجة حصار الكبيطور لها[٨٣] .

ومما يلاحظ على هذه النصوص اهتمام ابن علقمة في توضيح الحالة الاقتصادية للمدينة في أيام المحنة ، واعطاء معدل لارتفاع الاسعار شهرا بشهر ، ووصف حالة الناس بكل طبقاتهم الاجتماعية ، ومواقفهم المتباينة ، مما يساعد على القاء الضوء على الاحداث المؤلمة التي حلت بهذه المدينة في أواخر القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي . ومما يزيد في قيمة هذه النصوص ، وما كتبه ابن علقمة بشكل عام ، انها رواية شاهد عيان عايش الاحداث يوما بيوم ودونها بأمانة تامة لاتضاهيها الا امانة ابن عذاري في نقلها وحفظها من الضياع ، حيث اننا لانجد لها اثراً في المصادر الاخرى ، باستثناء رواية ابن الخطيب عن ابن جحاف ، والسيد ، وأحداث بلنسية ، وهي منقولة عن ابن عذاري ، ولكنه لم يعزها الى ابن علقمة ، ولا الى ابن عذاري على عادته في عدم ذكر مصادره الا فيما ندر [٨٤] وكذلك ماجاء في احد

(٨٢) المصدر نفسه : ٣١/٤ .
(٨٣) المصدر نفسه : ٣٨/٤ ــ ٣٩ .
(٨٤) تاريخ اسبانيا الاسلامية أو كتاب اعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام ، تحقيق : ليفي بروفنسال ، دار المكشوف ، بيروت ، ١٩٥٦ ، ص ٢٠٣ ــ ٢٠٥ .

النصوص العربية التي عثر عليها المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال ، ونشرها ذيلا مجهول المؤلف للجزء الثالث من كتاب « البيان المغرب » الخاص بعصر الطوائف ، وهي على الأغلب جزء من « البيان » . حيث ترد معلومات عن تولي ابن جحاف لبلنسية ، وحصار (القنبيطور) لها والضائقة التي حلت بالمدينة [٨٥] .

وأخيرا لابد من الاشارة الى ان رواية ابن علقمة عن حصار بلنسية واستيلاء السيد عليها قد نقلت مباشرة الى « المدونة العامة لتاريخ اسبانيا Primera Cronica general » التي كتبت في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي / السابع الهجري في عهد الفونسو العاشر (العالم) Alfonso el Sabio ، حيث نجد ان الجزء الأخير من هذه المدونة ، أي الجزء الذي يختص بحياة السيد رودريجو دياث ، وحصار بلنسية واستيلائه عليها ، ما هو في الواقع الا « تأليف تاريخي لمؤلف مسلم من أهل بلنسية » ، كما لاحظ ذلك المستشرق الهولندي رينهارت دوزي ، وأيده في هذا الأمر ايضاً المستشرق الاسباني مننندث بيدال في كتابه عن « اسبانيا في عهد السيد » . وقد تأكد هذا الأمر بشكل لايقبل الشك بعد عثور ليفي بروفنسال على نصوص عربية من « البيان المغرب » تثبت هذه المسألة ، وتنص صراحة على اسم كاتب هذا التأليف ، وهو محمد بن علقمة [٨٦] .

(٨٥) (٩٦) البيان المغرب : ٣٠٥/٣ ـ ٣٠٦ .

(٨٦) انظر : ليفي بروفنسال الاسلام في المغرب والاندلس ، ص ٢٠٠ ـ ٢١٣ ، والمراجع التي اشار اليها ، وهي :

R. Dozy, (Le Cid de nouveaux documents : Recherches Sur l'histoire et la litterature de l'Espagne pendants le moyen âge, Paris — Leidn, 1881) ; Menéndez Pidal, (La Espana del Cid, Madrid, 1926).

٢ - كتاب أخبار المهدية وأميرها الحسن بن علي لابي الصلت :

لقد سبقت الاشارة في بحثنا عن موارد ابن عذاري عن شمال افريقيا الى هذا الكتاب ومؤلفه أمية بن عبدالعزيز بن أبي الصلت[٨٧]، الذي ألفه لأمير المهدية الحسن بن علي بن يحيى بن تميم (٥١٥ - ٥٤٣هـ/١١٢١ - ١١٤٨م) . ويعود ابن عذاري للأخذ عن هذا الكتاب في حوادث سنة ٥١٠هـ /١١١٦م، وذلك في روايته لافتتاح جزيرة جربة من قبل أساطيل والد الحسن، علي بن يحيى بن تميم[٨٨] . ولا يذكر ابن عذاري اسم أبي الصلت في اثناء تدوينه لهذه الرواية، ولكن يمكن الاستدلال على ذلك بمقارنة ما جاء في «رحلة التجاني»، حيث يشير الأخير صراحة الى ابي الصلت، بالنسبة للنص الخاص بافتتاح جربة[٨٩]، مع تشابه كبير في ألفاظ النصين مما يؤكد نقل ابن عذاري عن أبي الصلت . ومما يؤيد هذا الأمر أيضا ان ابن عذاري يستمر في الأخذ عنه، ويذكره بالاسم في احدى رواياته عن معركة الزلاقة .

ولكن من الغريب انه يقول في هذا النص «كما حدثنا ابو الصلت»[٩٠]، لأن أبا الصلت توفي سنة ٥٣٦هـ/١١٤١م حسب رواية ابن عذاري نفسه[٩١]. كما ان أبا الصلت قد أسند روايته بقوله : «حدثني ابو محمد عبدالعزيز ابن الامام أحد خواص الأمير أبي القاسم محمد بن عباد»[٩٢]، مما يشير الى ان المقصود هنا فعلا هو ابو الصلت، أمية بن عبد العزيز، الذي عاش في عصر (المعتمد بن عباد المتوفى سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م)، لا رجل آخر عاصر ابن

(٨٧) انظر : مجلة المجمع العلمي العراقي، جـ ٤، م ٣٦، ص ٢٣٧ - ٢٣٩ .
(٨٨) البيان المغرب : ٦٢/٤ .
(٨٩) التجاني، رحلة التجاني، تحقيق : حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، ١٩٨١، ص ١٢٥ - ١٢٦ .
(٩٠) البيان المغرب : ٦٢/٤ .
(٩١) المصدر نفسه : ٣١٢/١ .
(٩٢) المصدر نفسه : ٦٢/٤ .

عذاري والتقى به • ومن المرجح ان كلمة « حدثنا » التي وردت في كتاب « البيان المغرب » قد تصحفت عن كلمة « حدث » ، أو أن ابن عذاري نقل رواية أبي الصلت عن شخص آخر أو كتاب آخر يروي الخبر الذي ذكره هذا المؤرخ الأخير •

٣ ــ كتاب المقباس في أخبار المغرب وفاس للوراق :

لقد تحدثنا عن هذا الكتاب ومؤلفه ابي مروان عبدالملك بن موسى الوراق ، الذي كان حياً سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م ، في موارد تاريخ ابن عذاري عن شمال افريقيا [٩٣] • ويكرر ابن عذاري استخدامه لهذا الكتاب في روايته عن المرابطين ، لاسيما أخبار الأمير علي بن يوسف بن تاشفين حيث ينقل عنه في خمس مناسبات تتعلق كلها بهذا الأمير ، وأولاده سير وتاشفين واسحق [٩٤] •

ومما لاشك فيه ان روايات الوراق هذه عن عهد علي بن يوسف بن تاشفين على درجة كبيرة من الأهمية ، لانه كان معاصراً لهذه الفترة • وقد ادرك ابن عذاري ذلك ، فاستشهد به كثيرا لتعزيز موارده عن أواخر عهد الدولة المرابطية • كما نقل ابن الخطيب ايضا معظم هذه الروايات عن الوراق، لاسيما عن تاشفين بن علي [٩٥] ، وهي مشابهة لما أورده ابن عذاري ، لكن بعض نصوص « البيان المغرب » أوضح وأكمل وأكثر تفصيلا •

٤ ــ كتاب القبس أو المقتبس في اخبار المغرب وفاس والاندلس لابن حمادة :

أشرنا الى اعتماد ابن عذاري لهذا الكتاب في روايته عن شمال افريقيا من الفتح الى بداية عهد المرابطين • وقد تم التعرف الى مؤلفه الشيخ أبي عبدالله محمد بن حمادة البرنوسي ، والعصور التاريخية التي يغطيها كتابه

(٩٣) انظر : مجلة المجمع العلمي المشار اليها آنفا ، ص ٢٣١ ــ ٢٣٣ •
(٩٤) البيان المغرب : ٤/٧٨ ، ٨٠ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠١ •
(٩٥) انظر : الاحاطة في اخبار غرناطة : ١/٤٤٦ ــ ٤٤٧ •

« القبس »[٩٦] • ويعود ابن عذاري الى استخدام هذا الكتاب في حديثه عن المرابطين ، وأواخر عهدهم في المغرب والأندلس • ويبدو ان معاصرة ابن حمادة للاحداث ، حيث انه يعد من جملة المؤرخين المغاربة في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي ، قد دفعت بابن عذاري الى اعتماده ، فنقل عنه عددا من النصوص التي تشمل مختلف الموضوعات العمرانية ، والاجتماعية والسياسية ، مما يشير الى تنوع اهتمامات ابن حمادة[٩٧] •

ومن الاحداث السياسية التي أشار اليها ابن حمادة ، وأخذها عنه مؤلف « البيان المغرب » ، خبر عن الأندلس يتضمن وصول القشتاليين الى مدينة شريش وما يجاورها سنة ٥٢٧هـ/١١٣٢م ، دون ان يصدهم أحد[٩٨] • كما نقل عنه ايضا أحداث حصار الموحدين لمراكش سنة ٥٢٤هـ/١١٣٠م[٩٩] ، وقتال المرابطين والموحدين سنة ٥٣٤هـ/١١٣٩م[١٠٠] ، ثم وصول الموحدين الى ريف سبتة وتيطوان سنة ٥٣٦هـ/١١٤١م[١٠١] • وأخيراً أشار ابن عذاري الى مقتل تاشفين بن علي معتمدا رواية ابن حمادة التي اتصفت بدقتها وتمديدها للمكان والزمان الذي تمت فيه المعركة الاخيرة بين المرابطين والموحدين ، ونهاية الأمير المرابطي الأخير في السابع والعشرين من رمضان سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م بالقرب من وهران[١٠٢] •

(٩٦) انظر : مجلة المجمع العلمي المشار اليها آنفاً ، ص ٢٣٢ — ٢٣٥ .
(٩٧) البيان المغرب : ٤/٥٨ ، ٧٤ ، ٩٦ ، ٩٨ .
(٩٨) المصدر نفسه : ٤/٨٨ .
(٩٩) المصدر نفسه : ٤/٨٣ .
(١٠٠) المصدر نفسه : ٤/٩٨ .
(١٠١) المصدر نفسه : ٤/٩٩ .
(١٠٢) المصدر نفسه : ٤/١٠٤ .

٥ ـ كتاب نظم اللآلي في فتوح الامر العالي لابن الاشيري :

ومؤلف هذا الكتاب هو حسن بن عبدالله بن حسن الكاتب المعروف بابن الأشيري من أهل تلمسان . وقد نشأ في هذه المدينة ثم رحل الى مدينة المرية بالأندلس . له « مجموع في غريب الموطأ » ، وقف عليه ابن الأبار ، ومختصر في التاريخ اسمه « نظم اللآلي في فتوح الأمر العالي » ، وقد توفي سنة ٥٦٩هـ/١٠٧٤م [١٠٣] .

وكتب الاشيري أول الأمر لتاشفين بن علي ، ثم أصبح بعد ذلك أحد كتاب عبدالمؤمن بن علي [١٠٤] .

وكتابه المذكور آنفاً في تاريخ الموحدين ، كتب لتمجيد « فتوح الأمر العالي» أي الدعوة الموحدية . ولكن من الغريب ان نجد فيه بعد ذلك نصاً يدين عبدالمؤمن بن علي لقتله جماعات من أهل وهران بعد حصارها وافتتاحها سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م . فيقول الأشيري ، كما ينقل عنه ابن عذاري : « وأخبرني أبو الحسن الطراز وكان ممن حصر بوهران أن العطش انتهى بالناس الى أن مات في اليوم الواحد الثلاثون والأربعون بين نساء ورجال ولما خرجوا انطرحوا على الماء حتى مات بعضهم لما روي وبعد ذلك حكم عبدالمؤمن قبحه الله بقتلهم فاستؤصلوا عن آخرهم »[١٠٥] .

ويشير هذا النص ، ان صحت نسبته الى الأشيري ، الى جرأة هذا الكاتب في نعته لعبدالمؤمن بهذا القول ، لاسيما انه كان من جملة شعرائه وكتابه . ولكن من جهة اخرى يتناقض هذا الموقف مع ما نقل عن الأشيري من مدحه

(١٠٣) التكملة : ١/٢٧٠ (رقم ٧١٨) ، الحلة السيراء : ٢/٩٢ .
(١٠٤) انظر : نظم الجمان ، ص ١٧٦ ، هامش (٣) .
(١٠٥) البيان المغرب / القسم الموحدي ، ص ١٧ .

لعبدالمؤمن ، وارتجاله شعرا في بلاطه يمجده فيه ويشبهه بأسد مشى بين يديه [١٠٦] .

لقد استعان بعض الكتاب والمؤرخين بكتاب الأشيري ، وأخذوا عنه بعض الروايات ، من أمثال ابن الأبار [١٠٧] ، ومؤلف الحلل الموشية [١٠٨] . أما ابن عذاري ، فقد اعتمده أكثر من هذين المؤرخين ، وأشار اليه في مقدمته عن المصادر في الجزء الاول من كتابه [١٠٩] . ولكنه لم يذكر اسم الكتاب بل نسب نصوصه الى « الكاتب الأشيري التلمساني » أو الى «ابن الأشيري» . وتتضمن هذه النصوص روايات عن الصراع بين المرابطين والموحدين في عهد تاشفين بن علي ، وعبدالمؤمن بن علي ، حيث انتهى هذا الصراع بمقتل الأول سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م [١١٠] . وينقل ابن عذاري ايضا ثلاثة نصوص اخرى عن حصار الموحدين لوهران ، وتلمسان ، ومراكش ، وافتتاحهم لهذه المدن [١١١] .

(١٠٦) اكتشاف نص جديد من كتاب البيان المغرب ، نشر : عبد القادر زمامة ، ص ٣١٥ ، وانظر : البيان المغرب/قسم الموحدين ، طبعة الدار البيضاء ، ص ٤٧ ، وانظر ايضا : نظم الجمان ، ص ١٧٦ ، البيذق اخبار المهدي بن تومرت تحقيق : عبد الوهاب بن منصور ، الرباط ، ١٩٧١ ، ص ٥٨ ـ ٥٩ ، الانيس المطرب ، ص ١٨٥ ـ ١٨٦ ، مجهول المؤلف ، الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية ، تحقيق : سهيل زكار وعبد القادر زمامة ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، ١٩٧٩ ، ص ١٤٩ ـ ١٥٠ ، ابن القاضي ، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة والوراقة ـ الرباط ١٩٧٣ : ٢/٤٤٧ ، وقارن : المن بالامامة ، ص ٥٢٤ ـ ٥٢٥ .

(١٠٧) الحلة السيراء : ٢/١٩٢ ـ ١٩٥ .

(١٠٨) الحلل الموشية ، ص ١٣٠ .

(١٠٩) انظر : البيان المغرب : ١/٣ .

(١١٠) البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص ١٣ ، ١٧ .

(١١١) المصدر نفسه ، ص ١٧ ، ١٨ ، ٢٣ .

وتتميز رواية الأشيري لهذه النصوص بالوضوح والدقة وسلامة الاسلوب . وهي على درجة كبيرة من الأهمية لمعاصرة الكاتب لأحداثها ، وقربه منها . ولهذا يمكن الاطمئنان الى صحة هذه النصوص وتوثيقها ، لاسيما أنه كان في بعض أحداثها يروي عن شهود عيان ، أو أنه شارك في هذه الأحداث .

٦ ـ كتاب الانوار الجلية في اخبار الدولة المرابطية لابن الصيرفي :

يعد ابو بكر يحيى بن محمد بن يوسف الانصاري الغرناطي المعروف بابن الصيرفي المتوفي سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م ، من اكابر علماء غرناطة في القرن السادس الهجرى / الثاني عشر الميلادي . وقد سبقت الاشارة الى ترجمته والحديث عن كتابيه « الانباء في سياسة الرؤساء » و « الانوار الجلية في اخبار الدولة المرابطية » في بحثنا عن موارد تاريخ ابن عذاري عن الاندلس[١١٢] ولكن ابن عذاري يعود الى الاخذ عن ابن الصيرفي على نطاق أوسع في روايته عن المرابطين في المغرب والاندلس . ولهذا بات من الضروري ايراد تفصيلات جديدة ، لاسيما عن كتابه الاخير ، الذي يعرف ايضا « بتأريخ ابن الصيرفي » ، وهو مكرس لأخبار المرابطين الى سنة ٥٣٠هـ/ ١١٣٥م ، ثم وصله الى قرب وفاته[١١٤] .

لقد كان هذا الكتاب معروفا لدى المؤرخين المعاصرين لابن الصيرفي ، ومن جاء بعدهم في القرنين أو القرون الثلاثة التالية ، ولكن الكتاب ، كما يبدو ، فقد بعد ذلك ، ولم نعد نرى من ينقل عنه من المؤرخين . أما ابن

(١١٢) راجع مجلة المجمع العلمي العراقي ، جـ ٤ ، م ٣٧ ، ص ٣٥٨ ـ ٣٥٩ .
(١١٤) البيان المغرب : ٧٤/٤ ، وانظر ايضا ص ٤٢ .

عذاري ، فقد استخدم هذا الكتاب كثيرا ، ولكنه أشار الى عنوانه مرتين فقط ، حيث أسماه « الانوار الجليلة في محاسن الدولة المرابطية »[١١٤] . ولاشك ان كلمة « الجليلة » هي تحريف لكلمة « الجلية » ، التي وردت في المصادر الاخرى بصيغتها الصحيحة . وقد اكتفى ابن عذاري في كثير من الاحيان بالاشارة اليه بقوله : « قال ابن الصيرفي »[١١٥] ، أو « هكذا ذكر الصيرفي في كتابه»[١١٦] ، أو «قال ابو بكر يحيى بن محمد الأنصاري»[١١٧] ، أو « قال ابو بكر الانصاري »[١١٨] ، أو « قال ابو بكر »[١١٩] ، أو « قال ابو بكر بن محمد »[١٢٠] . كما نقل عنه ايضا على الأقل في موضعين ، ولم يشر اليه ، ولكن من مقارنة النصوص مع ماجاء في « الاحاطة » و «الحلل الموشية » ، يتبين أن مصدر ابن عذاري هو ابن الصيرفي . وهذان النصان هما اولاً : في احداث سنة ٥١٩هـ/١١٢٥م ، حيث ورد وصف لحملة ابن ردمير (الفونسو المحارب ملك اراغون) على غرناطة ، وموقف أهل الذمة المعاهدين من الحملة[١٢١] . ويتفق نص ابن عذاري في كثير من عباراته مع ماجاء في « الاحاطة » ، و « الحلل الموشية »[١٢٢] . وقد أشار ابن الخطيب

(١١٥) (١٣٩) المصدر نفسه : ٤٩/٤ ، ٥٠ .
(١١٦) (١٤٠) المصدر نفسه : ٧٨/٤ .
(١١٧) المصدر نفسه : ٤١/٤ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ .
(١١٨) المصدر نفسه : ٨٠/٤ .
(١١٩) المصدر نفسه : ٦٦/٤ .
(١٢٠) المصدر نفسه : ٩٦/٤ .
(١٢١) المصدر نفسه : ٦٩/٤ — ٧٣ .
(١٢٢) الاحاطة : ١٠٨/١ ، ١١٠ ، ١١٢ .

في هذا النص ثلاث مرات الى ابن الصيرفي ، وكتابه ، وكذلك ذكره مؤلف « الحلل الموشية » مرة واحده(١٢٣) ، بينما لم يذكره ابن عذاري . أما النص الثاني فهو عن احدى غزوات تاشفين بن علي سنة ٥٣٠هـ/١١٣٥م في الأندلس، وهي غزوة جبل القصر(١٢٤) . وقد جاء في « الحلل الموشية » ، ان ابن الصيرفي كان حاضرا في هذه الغزوة ، وأنشد قصيدة طويلة أمام الامير تاشفين عند احتدام القتال(١٢٥) . مما يدل على مشاركتـــه في المعركة ومشاهدته لهـــا وتدوينها في كتابه بطبيعة الحال ، فنقلها عنه ابن عذاري دون ان يذكره ، بينما أشار اليه مؤلف « الحلل الموشية » .

ويتضح مما تقدم أهمية هذا الكتاب لمعاصرة ابن الصيرفي للاحداث التي كتب عنها ، ولأنه ايضا شارك بنفسه في هذه الاحداث . وكان مقربا من الأمير تاشفين بن علي ، وكاتباً له ، مما أتاح الاطلاع على كثير من الامور التي ربما لايتيسر لغيره الاطلاع عليها . وقد أدرك ابن عذاري ، كما يبدو هذه الأهمية ، فأكثر من الأخذ عنه في مواضع مختلفة(١٢٦) . ويتميز اسلوب ابن الصيرفي في النصوص التي بين أيدينا بمتانة الصياغة ، والوضوح ، ولايبدو التكلف على عباراته ، حيث انه لم يمعن في استخدام السجع ، فجاءت روايته سهلة سلسة ، تشد القارىء اليها . وقد تجنب الاستطراد والاطناب ، بـــل راعى احيانا الاختصار في المواضيع التي يتحدث عنها ، فيقول على سبيل المثال بعد كلامه عن تاشفين بن علي وولايته لغرناطة عام ٥٢٣هـ/١١٢٩م ، وما قام

(١٢٣) الحلل الموشية ، ص ٩٣ .

(١٢٤) البيان المغرب : ٩٤/٤ . وقد ذكر الحميري : ان القصر مدينة بالقرب من شلب Silves في جنوب البرتغال الحالية : الروض المعطار ، ص ١٦١ .

(١٢٥) الحلل الموشية ، ص ١٢٢ ــ ١٢٤ .

(١٢٦) البيان المغرب : ٦٠/٤ ، ٤٢ ، ٦٦ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٩٤ ــ ٩٥ ، ٩٦ ، ٤١ ، ٤٢ ــ ٩١ ــ ٦٩ ــ ٧٣ ، ٩٣ ، ٧٤ .

به من اعمال : « ولولا الاختصار لأوردنا من خلاله السنية مايضيق عنه الرحب ولا يسعه الكتب »[١٢٧] .

واخيرا لابد من الاشارة الى ان ابن عذاري قد نص في موضعين على نقله من كتاب ابن الصيرفي الآخر الموسوم « تقصي الأنباء في سياسة الرؤساء » وذلك في احداث سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م في الاندلس ، لاسيما عن امور جرت في مدينة اشبيلية[١٢٨] . وكذلك أشار الى شعر قيل بمناسبة انتصار تاشفين بن علي على الاسبان عام ٥٢٨هـ/١١٣٣م[١٢٩] . ويبدو ان موضوع هذا الكتاب اكثر شمولاً من كتاب « الانوار الجلية » ، حيث يبتدئه بعهود سبقت المرابطين في الاندلس ، مثل دولة محمد بن هشام بن عبد الجبار[١٣٠] .

٧ ـ كتاب المعرب او المغرب في اخبار (محاسن) أهل المغرب لليسع الغافقي :

مؤلف هذا الكتاب الفقيه ابو يحيى اليسع بن عيسى بن حزم الغافقي ، وهو من اهل مدينة بلنسية ، واصله من جيان ، وسكن ابوه في المرية ، وبها نشأ . وقد كتب لبعض الامراء من بني هود[١٣١] ثم رحل الى المشرق سنة ٥٦٠هـ/١١٦٤م ، واتصل بالسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب . وهو أول من خطب في مصر للعباسيين بعد قطع الدعوة الفاطمية في ايام نور الدين زنكي . وقد توفي في مصر عام ٥٧٥هـ/١١٧٩م[١٣٢] . ويظهر من الروايات

(١٢٧) المصدر نفسه : ٤/٨٠ .
(١٢٨)(١٢٨) المصدر نفسه : ٤/٤٩ .
(١٢٩) المصدر نفسه : ٤/٨٩ ـ ٩٠ .
(١٣٠) المصدر نفسه : ٣/٥٠ ـ ٥١ .
(١٣١) المصدر نفسه : ٣/٢٥٩ .
(١٣٢) انظر : ابن الابار ، المعجم في أصحاب القاضي الامام ابي علي الصدفي ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ٣٣٤ ـ ٣٣٦ ، نفح الطيب : ٢/٢٧٩ ؛ Pons Boigues, Op. Cit., p. 242.

=

التي نقلها عنه مؤلف كتاب « الحلل الموشية » ، ان اليسع قد غادر الى مراكش قبل رحيله الى مصر ، واتصل هناك بالخليفة عبد المؤمن بن علي ، وخالط أشياخ الموحدين ، وروى عنهم اخبار الدعوة الموحدية ، وفتح مراكش عام ٥٤١هـ/١١٤٦م • ثم غادر مراكش سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م[١٣٣] • ولم يتطرق كل الذين ترجموا له الى وجوده في مراكش او اتصاله بالموحدين •

وقد ألف اليسع كتابه الذي أشرنا اليه آنفا في مصر للسلطان صلاح الدين الأيوبي ، وهو كما يبدو ، كتاب شامل فيه تراجم ومعلومات تاريخية وجغرافية عن المغرب والاندلس • ومن المؤرخين الذين أشاروا اليه واعتمدوه ، ابن الأبار ، فقد نقل عنه في ترجمة عبدالله بن فروخ المتوفى بمصر سنة ١٧٥هـ/٧٩١م[١٣٤] • ومن المحتمل ان يكون ابن خلكان قد اطلع عليه ايضا ، وأخذ منه[١٣٥] ، كذلك نقل عنه المقري مواد كثيرة ، منها عن جغرافية الأندلس[١٣٦] ، واخبار في افتتاحها[١٣٧] ، وتراجم لعلماء وادباء أندلسيين[١٣٨] ، ومعلومات عن سقوط بعض المدن الأندلسية بيد

=

بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ٢٤٢ ، ابن سودة ، ١/١٦٤ ، وقارن : ابن سعيد ورفاقه ، حيث يشير الى تأليفه لكتاب آخر اسمه « المعرب في آداب المغرب » ، صنفه ايضاً بمصر واراد به معارضة كتاب « القلائد » لابن خاقان ، ولكنه لم يوفق في ذلك : المغرب في حلى المغرب : ٢/٨٨ •

(١٣٣) انظر : الحلل الموشية ، ص ١٠٧ ، ١٣٢ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٦ ، ١٤٨ – ١٤٩ •

(١٣٤) التكملة : ٢/٧٢٢ •

(١٣٥) وفيات الاعيان وانباء الزمان ، تحقيق : احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٢ : ٧/١١٢ – ١١٣ ، ٥/٤٧ ، ٥/٥٠ ، ٥٣ •

(١٣٦) نفح الطيب : ١/١٢٧ ، ١٦٤ ، ٢٠٨ •

(١٣٧) المصدر نفسه : ١/٢٦٥ •

(١٣٨) المصدر نفسه : ٢/٤٨٧ ، ٣/٣٩٧ •

الاسبان[١٣٩] . كما يفهم منه ايضا ان كتاب اليسع تضمن معلومات عن مدينة القيروان[١٤٠] . ولكن أفضل اخبار الكتاب ، وأهم مواده من الناحية التاريخية هي دون شك تلك التي عاصرها اليسع ، لاسيما في عهدي المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس . وقد أفادنا مؤلف كتاب « الحلل الموشية » في هذا المجال[١٤١] .

أما ابن عذاري ، فقد أخذ عن اليسع نصاً واحداً يتعلق بنشاط محمد بن تومرت في سنة ٥١٨هـ/١١٢٤م ، وصعوده الى جبل ايجليز بالقرب من مراكش ، وتحصنه فيه ، ودعوة رجاله لقتال المرابطين[١٤٢] . ثم ينقل ابن عذاري بعد ذلك مباشرة عن ابن القطان ، موضحاً مدة اقامة المهدي في هذا الجبل من سنة ٥١٥ ــ ٥١٨هـ/١١٢١ ــ ١١٢٤[١٤٣] . وبمراجعة الجزء المتبقي من « نظم الجمان » ، يتبين ان ابن القطان قد نقل ايضاً عن اليسع النص الذي اشار اليه ابن عذاري ، وهو لا يختلف عنه الا في بعض الالفاظ[١٤٤] ولهذا فمن المحتمل ان مؤلف « البيان المغرب » لم يطلع على كتاب اليسع ، واكتفى باخذ نصه المذكور منقولا من رواية ابن القطان . ويؤيد هذا الأمر ان هناك معلومات كثيرة وجيدة عن بداية الموحدين ، وبيعة المهدي ، وعصر عبد المؤمن بن علي ، أشار اليها اليسع وعايش بعضها ، ونقلها عنه ابن القطان[١٤٥] ، بينما لم يرد ذكرها عند ابن عذاري . ومن غير المحتمل ان

---

(١٣٩) المصدر نفسه : ٤٥٥/٤ .
(١٤٠) المصدر نفسه : ١٦٣/٣ .
(١٤١) الحلل الموشية ، ص ٦٢ ، ٨٢ .
(١٤٢) البيان المغرب : ٦٨/٤ .
(١٤٣) المصدر نفسه : ٦٨/٤ ، وانظر : نظم الجمان ، ص ٢٣ ، وسيخصص لاحقاً فقرة خاصة لابن القطان .
(١٤٤) انظر : نظم الجمان ، ص ٧٥ .
(١٤٥) المصدر نفسه ، ص ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٣ ، ٩٥ ، ١٠٢ .

يكون الأخير قد استغنى عن الانتفاع بها ، لو كان قد اطلع عليها فعلا في كتاب اليسع المذكور اعلاه .

٨ ـ كتاب اخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين ، للبيذق :

يعد هذا الكتاب من الكتب القيمة جدا عن دولة الموحدين ، لأن مؤلفه (ابو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق) شارك في صنع الوقائع التي تحدث عنها ، حيث كان احد تلاميذ محمد بن تومرت ، مهدي الموحدين ومؤسس دولتهم . وهو أيضا رفيق من رفاق خلفه عبد المؤمن بن علي الكومي ، باني الدولة الموحدية[١٤٦] . وقد اعتمده كل من ابن عذاري وابن القطان ، ولكن الكتاب فقد بعد ذلك ، وضاعت منه اوراق كثيرة الى ان اهتدى الى ما تبقى منه المستشرق ليفي بروفنسال سنة ١٩٢٤م ، فنشره ضمن مجموعة وثائق موحدية اخرى في باريس سنة ١٩٢٨م ، واعاد تحقيقه ونشره، عبدالوهاب بن منصور في الرباط سنة ١٩٧١م[١٤٧] . وللبيذق كتاب آخر هو « كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب » ، وقد عثر ليفي بروفنسال على نبذة من مختصر هذا الكتاب المسمى بـ « المقتبس من كتاب الانساب في معرفة الاصحاب » ، فنشرها ضمن الوثائق الموحدية التي أشرنا اليها ، واعاد تحقيقها ايضا الاستاذ عبدالوهاب بن منصور ، ونشرت في الرباط عام ١٩٧١[١٤٨] .

(١٤٦) انظر : ابن سودة ، دليل مؤرخ المغرب الاقصى : ١/١٢٢ .

(١٤٧) انظر : مقدمة التحقيق التي كتبها الاستاذ عبد الوهاب بن منصور ، ص ٥ ـ ٩ ، وانظر ايضاً : عبدالله علي علام ، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٠ ، ص ١٣ ـ ١٦ .

(١٤٨) المقتبس من كتاب الانساب في معرفة الاصحاب ، مقدمة المحقق ، ص ٥ ـ ٦ .

ويتضمن الجزء المتبقي من كتاب « اخبار المهدي بن تومرت » معلومات وفيرة عن المهدي ، الى نهاية خلافة عبدالمؤمن عام ٥٥٨هـ/١١٦٣م • ثم يقف بعد هذا التاريخ ولايتحدث عن أي شيء يتعلق بخلافة يوسف بن عبدالمؤمن بن علي ، ولا خلافة ولده يعقوب المنصور ، التي أدركها كما يدل على ذلك ما جاء في الكتاب [١٤٩] •

ولقد استفاد ابن عذاري من هذا الكتاب استفادة كبيرة ، وهو يشير في معظم الاحيان الى البيذق وأخذه من كتابه ، كما أشار اليه أيضا في مقدمته عن الموارد التي استخدمها في الكتاب [١٥٠] • وعند مقارنة النصوص التي أخذها ابن عذاري عن البيذق ، بما جاء في كتاب « اخبار المهدي بن تومرت » يتبين انه ينقل عنه بتصرف ، فيشير الى جمل كاملة احيانا ، لكنه يحذف منها كلمات ، أو يختصر ، أو يبدل كلمة باخرى ، ولكنه مع ذلك كله لايخل بالمعنى [١٥١] •

٩ ـ كتاب المن بالامامة : لابن صاحب الصلاة

مؤلف هذا الكتاب هو ابو مروان أو ابو محمد عبدالملك بن محمد بن أحمد بن ابراهيم الباجي المعروف بابن صاحب الصلاة ، المتوفى في أواخر القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي • أصله من مدينة باجة Beja ، في جنوب البرتغال الحالية ، ثم استوطن في اشبيلية • وقد ترجم له كل من ابن الأبار ، وابن عبدالملك المراكشي ترجمة مختصرة ، لم يتعرضا فيها لتاريخ ميلاده أو وفاته ، أو حياته العلمية ، ولكن الأخير

---

(١٤٩) اخبار المهدي بن تومرت ، ص ٨٢ •
(١٥٠) البيان المغرب : ٣/١ •
(١٥١) قارن على سبيل المثال : البيان المغرب : ٩٩/٤ ، ١٠٠ ، اخبار المهدي بن تومرت ، ص ٥٣ ، ٥٥ ـ ٥٦ ، البيان المغرب / القسم الموحدي ، ص ١٤ ، اخبار المهدي بن تومرت ، ص ٥٩ •

أشار الى أنه صنف « تاريخ ثورة المريدين بالأندلس » ، و « دولة عبدالمؤمن ومن أدرك بحياته من بنيه»[152] . ولكن بمراجعة السفر الثاني من كتابه « المن بالامامة » ، تتوضح أمور كثيرة في حياة هذا المؤلف . وقد اضطلع بهذا العمل الدكتور عبدالهادي التازي ، الذي حقق الكتاب ونشره ، وكتب عنه وعن مؤلفه مقدمة قيمة توضح الكثير مما كان مبهما في حياة ابن صاحب الصلاة ، فليرجع اليها من يريد التوسع في دراسة هذا المؤرخ الكبير[153] .

لم يصل الينا من كتب ابن صاحب الصلاة سوى السفر الثاني من « المن بالامامة » الذي يتألف من ثلاثة أسفار . وقد اعتمد ابن عذاري هذا الكتاب باسفاره الثلاثة . كما أشار مرة واحدة الى كتابه الآخر « ثورة المريدين » الذي أسماه « تاريخ المريدين الثوار »[154] . وهذا الكتاب يعالج فترة قلقة في تاريخ الأندلس ، تتناول احدى الثورات التي قامت على المرابطين في أواخر حكمهم هناك[155] .

ان الذي يعنينا من هذين الكتابين ، هو الأول منهما ، الذي استخدمه عدد كبير من المؤرخين ، أما ابن عذاري ، فقد كان من اكثر المؤرخين اعتمادا

(١٥٢) انظر : ابن الابار ، التكملة لكتاب الصلة ، نشر : كوديرا ، مدريد ، ١٨٨٧ ترجمة (١٧٢٦) ، الذيل والتكملة ، ج ٥ ، ق ١ ، ص ٣٢ ، وانظر ايضا : Pons Boigues, Op. Cit., pp. 245 — 246 :
بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ٢٤٢ ، ابن سودة ، ص ١٣٥ — ١٣٦ .

(١٥٣) انظر : تاريخ المن بالامامة على المستضعفين ، مقدمة المحقق ، ص ٩ — ٦٨ .

(١٥٤) اكتشاف نص جديد يتعلق بتاريخ الموحدين ، ص ٣٠٢ ، وانظر : البيان المغرب / قسم الموحدين ، طبعة الدار البيضاء ، ص ٣٥ .

(١٥٥) انظر : الحلة السيراء : ٢٠٨/٢ ، ٢٦٦ ، المن بالامامة ، مقدمة المحقق ، ص ٢٩ — ٣٣ .

على هذا الكتاب ، حيث أشار الى مؤلفه في بداية كتابه «البيان المغرب»[١٥٦]، ثم استمر ينقل عنه • ويكاد في بعض المواضع يذكر بالنص ما كتبه ابن صاحب الصلاة • وهو يشير اليه في كثير من الاحيان ، ولكنه لايذكره في أحيان اخرى ، « وكأنه » حسب تعبير الدكتور التازي « كان يخجل من كثرة ترديده »[١٥٧] • وأغلب الظن ان ابن عذاري لم يكن يقصد هذا ، انما هو منهجه الذي سار عليه ، وطبقه على معظم من أخذ عنهم ، حيث أشار اليهم في مناسبات عديدة ، ولم يذكرهم احيانا بسبب مزجه لروايات عديدة •

ان اعتماد ابن عذاري الكبير على كتاب « المن بالامامة » له ما يسوغه فالكتاب مكرس بكامله للحديث عن الموحدين • وكان لمؤلفه دور في الاحداث التي يشير اليها ، فضلا عن كونه شاهد عيان لبعض وقائعها • وقد ذكر الدكتور التازي ، اعتمادا على عنوان الكتاب الطويل : « كتاب تاريخ المن بالامامة على المستضعفين ، بان جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين ، وظهور الامام المهدي بالموحدين على الملثمين ، وما في مساق ذلك من خلافة الامام الخليفة أمير المؤمنين وأخير الخلفاء الراشدين » ، ان السفر الاول منه كان مقدمة فقط ، تناول فيها المؤلف ظهور الامام المهدي ، كما تناول في السفر الثالث خاتمة حياة أبي يعقوب[١٥٨] • أما السفر الثاني فيشتمل على اخبار الدولة الموحدية من سنة ٥٥٤ ـ ٥٦٩هـ/١١٥٨ ـ ١١٨٤م •

ويظهر من نقولات ابن عذاري عن السفر الأول ، انه لايقتصر على ظهور المهدي حسب ، بل يتطرق فيه الى احداث تمتد الى حكم عبدالمؤمن ، وحصاره لتلمسان ، وافتتاح مدينتي فاس سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م ، ومراكش سنة ٥٤١هـ

---

(١٥٦) ابن عذاري/القسم الموحدي ، ص ١٢ .
(١٥٧) المن بالامامة ، انظر تعليق المحقق ، ص ٤٧ ، هامش (١) .
(١٥٨) المن بالامامة ، مقدمة المحقق ، ص ٣٥ .

/١١٤٦م[١٥٩] . وفي روايته عن فتح مراكش يعتمد ابن صاحب الصلاة في معلوماته على رجل مطلع على الأحداث يدعى أبا عبدالله بن عبيدة ، وهو كاتب أمير المدينة اسحق بن علي بن يوسف ، فيشير الى حقائق اجتماعية واقتصادية مهمة جدا ترتبت على حصار المدينة ، مما أدى الى عجز المرابطين عن الدفاع ، وافتتاحها على يد الموحدين[١٦٠] .

وبعد ان يتحدث ابن عذاري في عدة صفحات عن دخول الموحدين الى مدن الاندلس ، مثل قرطبة ، وقرمونة Carmona ، ضمن احداث سنتي ٥٤٣هـ/١١٤٨م و ٥٤٤هـ/١١٤٩م ، يشير الى مجيء وفد من أشياخ الأندلس الى مبايعة الخليفة الموحدي سنة ٥٤٥هـ/١١٥٠م . وقد خرج هذا الوفد من اشبيلية ، وكان ابن صاحب الصلاة أحد أعضائه ، ويتبين هذا من النص المنقول عنه ، حيث يقول : « قال ابن صاحب الصلاة : فمررنا في طريقنا على قصر عبدالكريم وليس فيه الا القليل من الناس ...»[١٦١] .

أما نقولات ابن عذاري عن السفر الثاني ، فهي كثيرة ، وتتضمن أخبارا مختلفة ، وهي تبتدىء برواية عبور عبدالمؤمن من الأندلس الى سبتة عام ٥٥٥هـ/١١٦٠م . ولم يشر ابن عذاري في هذا النص الى ابن صاحب الصلاة ، بل اكتفى بذكر راويته (ابو القاسم بن ابي هارون)[١٦٢] . ولكن بمقارنة النص مع كتاب « المن بالامامة » يتضح انه لابن صاحب الصلاة ، الذي يبتدؤه بقوله : « حدثني الاستاذ أبو القاسم بن أبي هارون قال...»[١٦٣] . وتتضمن النصوص الاخرى معلومات عن أحداث سنة

(١٥٩) البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص ١٢ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢٠ .
(١٦٠) المصدر نفسه ، ص ٢٢ ، وانظر ص ٢٣ .
(١٦١) اكتشاف نص جديد يتعلق بتاريخ الموحدين ، ص ٣١١ ، وانظر : البيان المغرب/قسم الموحدين ، طبعة الدار البيضاء ، ص ٤٤ .
(١٦٢) البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص ٤٦ .

٥٦٠هـ/١١٦٤ ــ ١١٦٥م ، وحروب السيد أبي حفص بن عبدالمؤمن في الأندلس [١٦٤] ، والاشارة الى بعض الولايات والتعيينات التي أمر بها ابو يعقوب لاخوته السادات ، والحفاظ من اشياخ الموحدين [١٦٥] . كما ذكر قصيدة طويلة قيلت بحق الخليفة ابي يعقوب على لسان اخيه السيد أبي حفص، بعد رجوعه منتصرا . ومن الجدير بالذكر ان عبارة « أخبر أبو مروان عبدالملك بن محمد » التي يستعملها ابن عذاري لنقل هذه الرواية ، قد تصحفت وأصبحت « أخبرني ابو مروان عبدالملك بن محمد » ، كما جاء في طبعة تطوان من « البيان المغرب » . ولكنها عدلت الى وضعها الصحيح في طبعة الدار البيضاء ، وذلك استنادا الى ما جاء في نسخة اخرى من المخطوط [١٦٦] .

ومن النصوص الاخرى التي أخذها ابن عذاري عن السفر الثاني ، نص يتعلق بهمة الخليفة ابي يعقوب لنصرة الأندلس ، وتجهيز الجيوش للجهاد [١٦٧] ، وآخر عن حركة الشيخ أبي حفص بجنده الى الأندلس [١٦٨] . كما اختصر ابن عذاري الترجمة التي ذكرها ابن صاحب الصلاة للخليفة ابي يعقوب في بداية حكمه ، لكنه جعلها في نهاية حكم الخليفة في كتاب « البيان المغرب » ،

---

(١٦٣) المن بالامامة ، ص ١٧٠ ــ ١٧١ . وابو القاسم هذا من رواة ابن صاحب الصلاة ولاتوجد له ترجمة فيما يتوفر لدينا من معاجم الادباء الموحدين ، انظر : المصدر نفسه ، ص ١٧٠ هامش (١) .

(١٦٤) البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص ٦٣ ــ ٦٥ .

(١٦٥) المصدر نفسه ، ص ٦٧ ، وقارن : المن بالامامة ، ص ٢٩٣ .

(١٦٦) قارن : البيان المغرب ، ص ٧٢ طبعة تطوان وص ٩٨ طبعة الدار البيضاء

(١٦٧) البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص ٧٩ ، وقارن : المن بالامامة ، ص ٣٧٤ .

(١٦٨) المصدر نفسه ، ص ٧٩ ، وقارن المن بالامامة ، ص ٣٧٥ .

وحذف منها بعض الأحداث(١٦٩) .

لقد أفادتنا نصوص ابن عذاري المنقولة عن السفر الثاني من كتاب « المن بالامامة » في الاطلاع على نصوص ابن صاحب الصلاة الأصلية ، ومقارنتها ، ومعرفة طريقة ابن عذاري في تعامله معها ، واختصارها . وتبين أنه يعمد الى تلخيص هذه الروايات بشكل بديع يحتفظ فيه بجوهر الموضوع، ولا يخل بالمعنى ، مما يظهر قابليته الكبيرة على استيعاب النصوص ووضعها في صيغة تخدم مؤلفه ، والمنهج الذي يسير عليه . فعلى سبيل المثال ، لم يذكر كتاب الانتصار الذي أرسله السيد أبو حفص من الأندلس الى مراكش ، بعد انتصاره في احدى معاركه سنة ٥٦٠هـ/١١٦٥م ، واكتفى بالقول : «... وقد ذكر نصه ابن صاحب الصلاة في تاريخه أغنى ذلك عن ذكره هنا ...» . كذلك اختصر القصيدة الملحقة بالكتاب من ٣٥ بيتا الى ١٢ بيتا من الشعر فقط (١٧٠) .

وتعد النصوص المنقولة عن السفر الثالث من كتاب « المن بالامامة » ذات أهمية خاصة ، بسبب فقدان هذا السفر ، وهي في مجملها عن اخبار الخليفة ابي يعقوب ، وقد روى ابن صاحب الصلاة بعضها عن رواة ثقات من أمثال أبي بكر بن الجد(١٧١) ، وأبي الحسن الهوزني (١٧٢) . فأخذ عن الأول

(١٦٩) قارن : البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص ١٣٨ ـ ١٣٩ ، المن بالامامة ، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٧ .

(١٧٠) قارن : البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص ٦٥ ، المن بالامامة ، ص ٢٦٩ ـ ٢٨٥ .

(١٧١) هو محمد بن عبدالله بن يحيى بن فرج بن الجد الفهري من اهل لبلة ، وكان متفقها في مذهب الامام مالك ، وقد نال حظوة لدى الموحدين ، وتوفي باشبيلية سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م . انظر : التكملة : ٥٤٢/٢ ـ ٥٤٣ رقم (١٤٦٩) ، المن بالامامة ، ص ١٤٩ ، ٤٩٥ ، ٥٠٤ ، ٥١٦ ، ٥٢٣ ، البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص ١٣٢ ، الانيس المطرب ، ص ٢٠٧ ، الحلل الموشية ، ص ٤٦ ، ١٤٧ ـ ١٤٨ .

مثلا معلومات عن أحداث سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م وانتشار الطاعون في مراكش، وعدد من كان يموت كل يوم في دور وقصور الخليفة[١٧٣] • أما الثاني فقد نقل عنه حركة الخليفة أبي يعقوب الى قفصه سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م ، وما كان يعطيه من اعطيات الى جنده في أثناء هذه الغزوة[١٧٤] •

أما النصوص الباقية ، فهي رواية ابن صاحب الصلاة نفسه كشاهد عيان شارك في الأحداث التي يكتب عنها ، ولهذا فهي تحتل موقعا متميزا بين بقية روايات ابن عذاري من هذا السفر • وأول هذه النصوص ، هي قصيدة لابن صاحب الصلاة أنشدها بمناسبة افتتاح الخليفة ابي يعقوب لمدينة قفصة سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م [١٧٥] • والنص الثاني عن زيارة الخليفة أبي يعقوب لقبري المهدي وعبدالمؤمن في تينمل ، وكان ابن صاحب الصلاة ضمن وفد الأندلس الذي سار مع الخليفة في هذه الزيارة[١٧٦] •

ويتحدث ابن صاحب الصلاة في النص الأخير عن توجه الخليفة أبي يعقوب الى شنترين ، Santaren في البرتغال الحالية ، عام ٥٨٠هـ/١١٨٤م ، حيث زار في طريقه مدينة اشبيلية والتقى بأهلها ، وكان ابن صاحب الصلاة حاضرا في هذا اللقاء وسلم على الخليفة ، وقد تحدث بعد ذلك عن استعدادات الموحدين للتوجه لحصار شنترين ، والامدادات التي جاءتهم من أهل الأندلس • ويبدو ان ابن صاحب الصلاة رافق الجيش الموحدي ، لأنه

---

(١٧٢) هو علي بن أبي حفص عمر بن ابي القاسم بن أبي حفص ، احد رواة ابن صاحب الصلاة ، ومن كتاب الدولة الموحدية . انظر : المعجب ، ص ٣١٧ ، ابن سعيد ورفاقه ، المغرب في حلى المغرب : ١/٢٤٠ — ٢٤١ .

(١٧٣) البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص ١١٠ .

(١٧٤) المصدر نفسه ، ص ١١٣ — ١١٤ .

(١٧٥) المصدر نفسه ، ص ١١٥ .

(١٧٦) المصدر نفسه ، ص ١٢١ .

وصف حصار المدينة ، والقبة التي ضربت للخليفة ، واستبشار الجند بالنصر، والخيرات الكثيرة التي عمت الناس • ثم قدم تحليلا مفيدا للوضع الاقتصادي، مبيناً انخفاض أسعار الشعير والحنطة والمواشي(١٧٧) • وهذه المعلومات بطبيعة الحال مفيدة جداً للتعرف على أوضاع الأندلس في أواخر القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي ، وأثر الحروب والغزوات الموحدية على الأوضاع الاقتصادية للبلد •

١٠ ــ كتاب تاريخ الموحدين اولاد عبد المؤمن لابي الحجاج يوسف بن عمر الاشبيلي

لم يذكر ابن عذاري صراحة اسم هذا الكتاب ، انما أشار اليه بشكل عام بقوله : « قال يوسف بن عمر الكاتب في تاريخه »(١٧٨) • ولكنه كان اكثر وضوحاً عن مادة الكتاب ، فذكر انه ألفه في محاسن المنصور(١٧٩) ، أي يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن • وقد وصف ابن ابي زرع ، يوسف بن عمر ، على انه مؤرخ دولة الموحدين(١٨٠) • ويبدو ان هذا هو الذي دعا حاجي خليفة الى اطلاق اسم « تاريخ الموحدين أولاد عبدالمؤمن » على هذا الكتاب (١٨١) •

ولا تتوفر معلومات عن يوسف بن عمر في كتب التراجم المغربية ، وكل مالدينا عنه لايتعدى ما ذكره ابن عذاري نفسه ، وكذلك اشارة واحدة عند ابن ابي زرع تدل على انه كان قاضيا(١٨٢) • ويبدو ان ابا الحجاج يوسف بن

(١٧٧) المصدر نفسه ، ص ١٣٢ ــ ١٣٤ .
(١٧٨) المصدر نفسه ، ص ١٩٥ ، ٢١٤ .
(١٧٩) المصدر نفسه ، ص ٢٢٨ .
(١٨٠) الانيس المطرب ، ص ٢٠٨ .
(١٨١) كشف الظنون : ٣٠٧/١ ، وانظر ايضاً : ابن سودة ، دليل مؤرخ المغرب الاقصى : ١٣٥/١ .
(١٨٢) الانيس المطرب ، ص ٢٠٨ .

عمر الاشبيلي كان مقربا من الخليفة يوسف بن عبدالمؤمن ، ولقد حضر معه حصار مدينة شنترين في الأندلس عام ٥٨٠هـ/١١٨٤م ، ووصف انسحاب الخليفة وما رافق ذلك من أحداث . وعمل بعد ذلك كاتبا في خدمة السادات من ابناء أبي حفص بن عبدالمؤمن ، وقيما على أملاكهم في غرب الأنـدلس ، وقد رجع سنة ٥٩٣هـ/١١٩٦م الى المغرب بعد ان ترك هذا العمل [١٨٣] . ولا يقدم لنا ابن عذاري سبباً في ترك يوسف بن عمر لخدمة أولاد أبي حفص، ولكنه يعود ويشير الى قيامه مرة اخرى بتولي أعمال للدولة الموحديـة في اشبيلية ، لاسيما الاشراف على الممتلكات التابعة للاسرة السلطانية في هـذه المنطقة من الأندلس . وقد استدعي في سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٧م الى العاصمـة مراكش ، هو وغيره من الكتاب المشتغلين بأعمال الدولة ، للمحاسبة والتدقيق في أعمالهم [١٨٤] .

ويتضح مما تبقى من نقولات ابن عذاري ، وابن أبي زرع عن كتاب المؤرخ يوسف بن عمر ، انه كان يتضمن بالأساس اخبار المغرب والأندلس في ظل ثلاثة من الخلفاء الموحدين ، وهم يوسف بن عبد المؤمن ، ويعقوب المنصور ، ومحمد الناصر (٥٩٥ ـ ٦١٠هـ/١١٩١ ـ ١٢١٣م) . فقد أشار ابن أبي زرع الى بيعة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن سنة ٥٦٠هـ/١١٦٤م [١٨٥] ونقل ابن عذاري اخبار عبور هذا الخليفة الى الأندلس ، واستعداده لمحاصرة مدينة شنترين سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤ [١٨٦] . كما أخذ عنه ايضا رواية انسحاب الخليفة عن هذه المدينة ، وما رافق هذا الانسحاب من مآسي وأهوال ، وكان

---

(١٨٣) البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص ٢٠١ .
(١٨٤) المصدر نفسه ، ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨ .
(١٨٥) الانيس المطرب ، ص ٢٠٨ .
(١٨٦) البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص ١٣٥ .

يوسف بن عمر شاهد عيان في هذا الحادث[١٨٧] .

وقد أشار ابن عذاري مرتين الى أخذه عن يوسف بن عمر في ذكر الاحداث في عهد يعقوب المنصور ، الاولى ، ذكر فيها جلوس هذا الخليفة للاحكام بنفسه في المسجد الجامع بمراكش ، وحضور المؤرخ لبعض هذه الجلسات ، التي أتاحت ، حسب رأيه ، الفرصة للسوقة والتجار لتلفيق الادعاءآت الكاذبة على بعض الاعيان[١٨٨] . وهي التفاتة مهمة الى بعض الظواهر الاجتماعية التي نجمت عن قرار الخليفة . كما أشار اليه في المرة الثانية ، عند حديثه عن معركة الارك سنة ٥٩١هـ/١١٩٤م ، فنقل عنه عدد من استشهد من المسلمين ، ومن قتل من جيش القشتاليين ، بقيادة الفونسو الثامن ، وهروب الأخير ناجياً بنفسه من المعركة[١٨٩] .

وعلى الرغم من عدم ذكره لهذا المؤرخ الا في الحالتين المذكورتين اعلاه ، فإن ابن عذاري ، على ما يبدو ، قد اعتمد يوسف بن عمر في اخبار يعقوب المنصور اعتماداً كبيراً ، نظراً لتخصص هذا المؤرخ في كتابة تاريخ هذا الخليفة ومما يؤيد هذا عدم ورود اسم اي مؤرخ آخر في نص ابن عذاري ، منذ وفاة الخليفة ابي يعقوب يوسف سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م ، الى حديثه عن معركة الأرك ، باستثناء اشارة واحدة الى ابن صاحب الصلاة ، وهي عن فضائل الخليفة المتوفى أبي يعقوب[١٩٠] .

ولا يرد اسم يوسف بن عمر في « البيان المغرب » بعد سنة ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م ، ولكن ابن عذاري يتحدث عن تعيينات وتنقلات في الجهاز الاداري

(١٨٧) المصدر نفسه ، ص ١٣٦ ــ ١٣٨ .
(١٨٨) المصدر نفسه ، ص ١٤٤ ــ ١٤٥ .
(١٨٩) المصدر نفسه ، ص ١٩٥ .
(١٩٠) المصدر نفسه ، ص ١٣٨ .

في الاندلس والمغرب في عهد الخليفة الناصر الموحدي سنة ٦٠٧هـ/١٢١٠م • ومن المحتمل انه نقل هذه الأخبار عن كتاب يوسف بن عمر ، الذي يهتم بهذه المسائل عادة ويفصل فيها • وقد أنهى ابن عذاري حديثه عنها بقوله : « وفي هذه الولايات اخبار يطول ذكرها أضربنا عنها »[(١٩١)] ، مما يشير الى طريقته في الاختصار •

ان معظم نقولات ابن عذاري التي أشرنا اليها تعتمد على ماشاهده يوسف بن عمر بنفسه ، ولهذا فهي تعد على درجة كبيرة من الأهمية لكونها رواية شاهد عيان يتحدث عن الاخبار التي رآها وشارك في صنعها بنفسه • وهناك نصوص اخرى يعتمد فيها يوسف بن عمر على اشخاص آخرين حدثوه عن بعض المسائل والامور التي تتعلق باحداث المغرب والأندلس ، منها نص عن احداث مدينة بجاية في شمال افريقيا سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م ، نقله عن القاضي ابي عبدالله بن ابراهيم[(١٩٢)] • ونص آخر عن حدوث سيل هائل في نهر الوادي الكبير Guadal guivir في الاندلس ، أدى الى مقتل عدد كبير من الناس ، واغراق دور كثيرة في اشبيلية سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م • وقد اعتمد يوسف بن عمر بعض التجار الواصلين من غرب الاندلس في روايته لهذا الحادث[(١٩٣)] ، مما يشير الى اهتمامه بتقصي الاخبار وتدوينها على اكمل وجه • وكذلك فإن طبيعة هذا الخبر الأخير تشير الى ان هذا المؤرخ لم يهتم بالاحداث السياسية ، وأخبار الخلفاء ، والتعيينات ، حسب ، بل حاول أن يضمن كتابه بعض المسائل التي تتعلق بحياة الناس الاجتماعية ، وما يجابههم من مصاعب وكوارث طبيعية •

(١٩١) المصدر نفسه ، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤ •
(١٩٢) المصدر نفسه ، ص ١٤٨ •
(١٩٣) المصدر نفسه ، ص ٢١٤ •

١١ ـ كتاب نظم الجمان وواضح البيان فيما سلف من اخبار الزمان لابن القطان :

لقد تطرقنا الى هذا الكتاب ومؤلفه ابي علي حسين بن القطان الكتامي في حديثنا عن موارد ابن عذاري المراكشي عن شمال افريقيا[١٩٤] . وأشرنا الى تقسيمه لهذا الكتاب الى سبعة اجزاء يتناول كل جزء منها تاريخ قرن من القرون الهجرية ، الى القرن السابع ، كما قسم الكتاب كذلك الى أسفار . إن رواية ابن القطان عن المرابطين والموحدين مهمة جداً ، نظراً لانه عاش في عصر الخليفة الموحدي أبي حفص عمر المرتضى (٦٤٦ ـ ٦٦٥هـ/١٢٤٨ ـ ١٢٦٦م) ، بل كان من كتابه ورجال دولته المقربين ، وعمل في ديوان رسائله ، فتمكن من الاطلاع على بعض الوثائق السياسية للدولة ، الأمر الذي هيأ له مادة غزيرة ، إطلع عليها ابن عذاري ، واستعان بها لتأليف كتابه . ولكن ابن القطان ، بحكم كونه أحد رجال الدولة الموحدية ، كان متعصباً لها أشد التعصب ، فهو يمجد اعمالها ، ويهاجم خصومها في عنف شديد ، ويحاول ستر عيوبها ، وتبرير اخطائها ، وقد يصل في ذلك الى حد الملق الرخيص ، ومخالفة الحقائق في كثير من الامور[١٩٥] .

وقد أدرك ابن عذاري ذلك ، لهذا فهو لايجاريه في هذا الاتجاه ، ويأخذ عنه مختصراً للاحداث . ونلاحظ انه يقلل من الأخذ عنه في احداث السنوات التي يشير فيها الى امور خاصة بالموحدين ، كما يتحاشى استخدام الفاظه القوية لوصف المرابطين وغيرهم . فعلى سبيل المثال يقول ابن القطان في معرض كلامه عن احراق المرابطين لكتاب « احياء علوم الدين » للغزالي : « وقد كان احراق هؤلاء الجهلة لهذا الكتاب العظيم الذي ما ألف مثله سببا لزوال ملكهم وانتثار سلكهم على يد هذا الأمير العزيز القائم بالحق المظهر

(١٩٤) انظر : مجلة المجمع العلمي العراقي ، ج ٤ ، م ٣٦ ، ص ٢٢٥ ـ ٢٣١ .
(١٩٥) انظر : نظم الجمان ، مقدمة المحقق ، ص ١ .

بالنسبة ، المحيي للعلم ، نصر الله تعالى لواءه ، وكبت اعداءه »[١٩٦] • أما ابن عذاري فقد صاغ هذا النص كالآتي : « ••• فكان احراقه له سببا لزوال ملكهم وانتثار سلكهم ، وكان المتلقب بالمهدي في بلاد الشرق يومئذ •••»[١٩٧] • ونلاحظ هنا الفرق بين الاسلوبين ، فقد تحاشى ابن عذاري كلمة « الجهلة » ، كما أعرض عن كل الصفات والألقاب التي اسبغها ابن القطان على عبد المؤمن ، واكتفى بان وصف محمد بن تومرت بـ « المتلقب بالمهدي » وهذا يظهر الاختلاف في الخط الذي سار عليه الاثنان في التأليف •

وتتضمن النصوص التي أخذها ابن عذاري عن ابن القطان مواضيع متعددة ، منها عن اخبار يوسف بن تاشفين ، واخضاعه لكثير من قبائل بلاد المغرب[١٩٨] ، سنة ٤٦٤هـ/١٠٧١م • ولايتوفر هذا النص في « نظم الجمان » المطبوع ومنها حول محمد بن تومرت ، ورحلته الى الأندلس ، والمشرق[١٩٩] • وكذلك نقل ابن عذاري رواية ابن القطان عن التمييز أو التطهير ، الذي قام به أحد المقربين من المهدي المدعو بابي محمد البشير الونشريشي ، للموحدين سنة ٥١٩هـ/١١٢٥م • وقد أشار ابن عذاري الى هذه الرواية باقتضاب ، في حين وردت بتفصيل اكبر عند ابن القطان[٢٠٠] •

(١٩٦) المصدر نفسه ، ص ١٦ .
(١٩٧) البيان المغرب : ٥٩/٤ .
(١٩٨) المصدر نفسه : ٢٢/٤ .
(١٩٩) المصدر نفسه : ٥٩/٤ ـ ٦٠ ، وقارن : نظم الجمان ، ص ٤ ، ١٧ .
(٢٠٠) قارن : البيان المغرب : ٦٨/٤ ـ ٦٩ ، نظم الجمان ، ص ١٠٢ ـ ١٠٤ . وقد أشار الى هذه الحادثة مؤرخون آخرون مثل البيذق ، المقتبس من كتاب الانساب ، ص ٣٦ فما بعدها ، ابن الاثير ، الكامل من التاريخ : ٥٧٥/١٠ ـ ٥٧٦ ، ابن خلدون كتاب ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ٢ بيروت ، ١٩٥٦ ـ ١٩٦١ ، ٤٦٩/٦ ـ ٤٧٠ ، السلاوي ، الاستقصا : ٨٨/٢ .

وتذكر النصوص الاخرى التي اعتمدها ابن عذاري من ابن القطان الصراع بين المرابطين والموحدين ، واخبار كل من المهدي وعبد المؤمن ، ودورهما في هذا المجال(٢٠١) . وتتميز بعض هذه النصوص بعدم اشارة ابن عذاري الى أخذها عن ابن القطان ، ولكن من مقارنتها مع القطعة المتبقية من « نظم الجمان » يتبين انها ملخصة أو منقولة عن هذا الكتاب(٢٠٢) . ومن المحتمل وجود نصوص اخرى من هذا القبيل لم يرد فيها ذكر ابن القطان ، لكن لايمكن التأكد منها لكونها مقتبسة من الأجزاء المفقودة من كتاب «نظم الجمان» .

١٢ ـ كتاب ميزان العمل في أيام الدول لابن رشيق :

مؤلف هذا الكتاب هو ابو علي الحسن بن عتيق بن الحسين بن رشيق التغلبي (كان حيا في عام ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م) ، من كتّاب ومؤرخي القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي . أصله من مدينة مرسية في جنوب شرق الأندلس ، لكنه استقر في سبتة ، وكان متبحراً في علم التاريخ والأدب والشعر . ومن مؤلفاته « الكتاب الكبير في التاريخ »، والتلخيص المسمى بـ « ميزان العمل » ، وهو من أظرف الموضوعات وأحسنها شهرة(٢٠٣). ويبدو ان هذا الكتاب يهتم بأوقات الدول وأيام قيامها ، فقد أشار اليه مؤلف « مفاخر البربر » ، ونقل عنه نصاً يشير الى دولة الموحدين وأوقات حكمها (٢٠٤) .

(٢٠١) انظر : البيان المغرب : ٤/المغرب : ٤/٧٥ ـ ٧٦ ، ٨٣ ـ ٨٤ ، ٩٤ ، وقارن : نظم الجمان ، ص ١١٨ ، ١١٤ ، ١١٦ ـ ١١٧ ، ١٢٦ ، ٢١٠ .

(٢٠٢) البيان المغرب : ٤/٦٨ ، ٧٥ ، ٩٦ ، وقارن : نظم الجمان ، ص ٢٣ ، ٧٥ ، ١٠٦ ـ ١٠٧ ، ٢٤١ ـ ٢٤٢ .

(٢٠٣) انظر : الاحاطة في اخبار غرناطة : ١/٤٧٢ ـ ٤٧٦ ، جذوة الاقتباس : ١/١٨٠ ـ ١٨٢ ، ابن سودة : ١/١٦٦ .

(٢٠٤) مفاخر البربر ، ص ٥٩ ـ ٦٠ .

وكذلك قد اعتمد ابن أبي زرع هذا الكتاب في تثبيت زمن بيعة ووفاة المهدي محمد بن تومرت ، وغيره من خلفاء الموحدين [٢٠٥] . كما أخذ عنه ايضا ابن القاضي[٢٠٦] . أما ابن عذاري ، فقد ذكر « كتاب ابن رشيق » في مقدمته عن المصادر التي استخدمها[٢٠٧] ، ولكنه أشار الى اسمه مرة واحدة فقط في النص الذي أورده عن وفاة يوسف بن محمد بن يعقوب الملقب بالمستنصر ، حيث قال :

« وكانت وفاته يوم السبت الثاني عشر لذي الحجة سنة عشرين وستمئة فكانت خلافته على ماحققه ابن رشيق وغيره عشر سنين وأربعة أشهر ويومان » [٢٠٨] . ويبدو من هذا النص ، ومما أشار اليه مؤلف « مفاخر البربر» ، ان هذا المؤرخ ، كان من الباحثين المحققين الذين اختصوا بمعرفة أوقات دول المغرب ، ومدد حكامها بشكل مضبوط . وقد عرف عنه هذا الاهتمام بعض المؤرخين الذين عاصروه ، أو جاءوا بعده ، واستفادوا منه في مؤلفاتهم .



ولقد اعتمد ابن عذاري في روايته عن المرابطين والموحدين على مؤرخين آخرين مجهولين لدينا لعدم تيسر معلومات عنهم في كتب التراجم المتاحة. ومن هؤلاء ثلاثة من المؤرخين الذين أخذ عنهم معلومات عن الأندلس في عهد الموحدين ، وهم صالح بن سعيد أو (صالح بن سيد)[٢٠٩] ، وابو العباس بن

(٢٠٥) الانيس المطرب ، ص ١٨١ ، ٢٥٨ .
(٢٠٦) جذوة الاقتباس : ٢/٤٩٢ — ٤٩٣ .
(٢٠٧) البيان المغرب : ١/٣ .
(٢٠٨) البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص ٢٤٣ .
(٢٠٩) المصدر نفسه ، ص ١٨٩ ، وانظر : طبعة الدار البيضاء ، ص ٢١٥ .

مقدام[٢١٠] ، وابو محمد البسطي . وقد نقل عن الأخير معلومات عن دولة محمد بن يوسف بن هود في الأندلس ، ومقتله سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م[٢١١] ، وكذلك عن كيفية دخول محمد بن يوسف بن الأحمر الى غرناطة في السنة ذاتها . ويبدو أن البسطي هذا كان شاهد عيان لما يرويه من اخبار الأندلس ، حيث يبتدىء كلامه عن دخول ابن الأحمر الى غرناطة بقوله : « فعاينته يوم دخوله ... »[٢١٢] .

ويشير ابن عذاري الى مؤرخ آخر هو « ابن بجير » ، حيث ينقل عنه عدة نصوص عن نهاية المرابطين ، وقيام الدولة الموحدية[٢١٣] ومن المرجح ان هذا المؤرخ كان حياً أيام يعقوب المنصور الموحدي ، حيث ذكر له ابن عذاري ثمانية أبيات من الشعر قالها بمناسبة أمر هذا الخليفة باراقة المسكرات ومنعها[٢١٤] .

ومن الملاحظ على أحد النصوص التي ينقلها ابن عذاري عن ابن بجير ، ان الأخير لايتعاطف مع الموحدين ، على الأقل في مرحلة الصراع بينهم وبين المرابطين ، ويدل على هذا الأمر طريقة عرضه لما قام به الموحدون بعد الاستيلاء على مدينة وهران ، حيث يقول :

« لما اشتد القتال على أهل وهران مات اكثرهم بالعطش الى ان خرجوا على حكم البربر الذين يسمون بالموحدين فقتلوهم اجمعين كباراً وصغاراً

---

(٢١٠) اكتشاف نص جديد من كتاب البيان المغرب ، ص ٣٠١ ، وانظر : البيان المغرب/قسم الموحدين ، طبعة الدار البيضاء ، ص ٣٣ — ٣٤ .
(٢١١) البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص ٣٣٦ .
(٢١٢) المصدر نفسه ، ص ٣٣٧ .
(٢١٣) البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢١ — ٢٢ .
(٢١٤) المصدر نفسه ، ص ١٤٤ .

بعد ثلاثة أيام من قتل تاشفين وذلك يوم عيد الفطر من سنة تسع وثلاثين وخمسئة »(٢١٥) .

ويذكرنا هذا بموقف الكاتب ابي علي الأشيري من الموضوع نفسه ، حيث سبقت الاشارة الى استياء هذا المؤرخ أيضا من تلك النعلة للموحدين.

ب ـ كتب التراجم :

كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لابن عبد الملك المراكشي

وهو من الكتب المعروفة في التراجم ، لمؤلفه محمد بن محمد بن عبدالملك الأنصاري الأوسي ، ويعرف بابن عبدالملك ، من أهل مراكش وقاضي قضاة هذه المدينة ، وكان اماما عالما تاريخيا متبحرا في الأدب ، وتوفي في تلمسان سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٣م (٢١٦) . نقل عنه ابن عذاري ترجمة واحدة لشخص يسمى عبدالرحيم بن الفرس ، من أهل الاندلس(٢١٧) . ولا تتوفر لهذا الرجل ترجمة في الأجزاء المطبوعة من كتاب ابن عبدالملك ، فهناك نقص في المخطوط ، ويبدو ان ابن عذاري قد اطلع على نسخة كاملة من الكتاب ، لان المؤلف كان معاصرا له . ولكن من الملاحظ انه يسمي الكتاب بـ «التكملة والذيل» بدلا من الاسم المتعارف عليه ، وهو « الذيل والتكملة » .

---

(٢١٥) البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص ١٧ .

(٢١٦) انظر : الاحاطة : ٥٢٧/٢ ، نفح الطيب : ٩٠/٦ ، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، السفر الرابع ، مقدمة المحقق ، ص د ، وانظر :
Pons Boigues, Op. Cit., p. 414

(٢١٧) البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص ٣٤٤ .

(٢٧٠) انظر : الذيل والتكملة ، السفر الرابع ، ص ٢٣٠ ـ ٢٣١ .

ج ـ كتب المسالك والجغرافية : ـ

كتاب المسالك والممالك لابي عبيد البكري :

لقد أشرنا الى هذا الكتاب ومؤلفه عبدالله بن عبدالعزيز البكري ، (المتوفى سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) في موارد تاريخ ابن عذاري المراكشي عن شمال افريقيا [٢١٨] . ويعود ابن عذاري الى اعتماد هذا الكتاب في روايته الحالية ، لاسيما عن عهد المرابطين ، فيأخذ عنه الكثير من الأخبار ، أحياناً بالنص ، وأحيانا مع اختلاف في العبارات ، وتقارب في المعاني . ومن هذه النصوص ، نص خاص بابتداء أمر اللمتونيين [٢١٩] ، والظروف التي رافقت وجود عبدالله بن ياسين ، الزعيم الديني للمرابطين ، في قبيلة جدالة ، وقتالهم لقبائل لمتونة ، ودخول هؤلاء في دعوة عبدالله بن ياسين ، وأخباره معهم [٢٢٠] .

ويشير ابن عذاري في بعض نصوصه الى اسم البكري بقوله : « قال ابو عبيد ـ رحمه الله ـ ... » [٢٢١] ، ولكنه لايذكر اسمه في نصوص اخرى كثيرة ينقلها عنه ، مثل خبر مقتل عبدالله بن ياسين في أوائل سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م في قبائل برغواطة [٢٢٢] . وكذلك معلومات شتى عن أحوال عبدالله بن ياسين ، وما شذ فيه من الاحكام . ونجد ابن عذاري يحاول

---

(٢١٨) انظر : مجلة المجمع العلمي العراقي المشار اليها آنفاً ، ص ٢٥١ ـ ٢٥٤ .
(٢١٩) البيان المغرب : ٧/٤ ، وقارن : ابو عبيد البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ، نشر : دي سلان ، الجزائر ، ١٨٥٧ ، ص ١٦٤ ـ ١٦٥ .
(٢٢٠) البيان المغرب : ٨/٤ ـ ١١ ، وقارن : البكري ، ص ١٦٥ ـ ١٦٦ .
(٢٢١) البيان المغرب : ١١/٤ ، ١٤ ، وقارن النص عند البكري ، ص ١٦٦ ، ١٦٧ .
(٢٢٢) البيان المغرب : ١٦/٤ ، وقارن النص عند البكري ، ص ١٦٨ .

الاختصار في ايراد هذه المعلومات ، بينما يعقد البكري فصلاً خاصا بهذا العنوان [٢٢٣].

ومن الجدير بالذكر ان الروايات التي يذكرها البكري عن نشوء دولة المرابطين ، وعبدالله بن ياسين ، وغيرها من أخبارهم ، كانت أيضاً مصدراً لمؤرخين آخرين غير ابن عذاري ، كابن أبي زرع [٢٢٤] ، والمؤلف المجهول لكتاب « الحلل الموشية » [٢٢٥] . ومما يلفت الانتباه ان نصوص « الحلل الموشية» هي أقرب من غيرها لنصوص «البيان المغرب» ، ويتمثل هذا الأمر بشكل واضح في النص الخاص بـ « ابتداء أمر اللمتونيين » ، فهو يتطابق تقريباً من حيث الألفاظ مع نص ابن عذاري ، مما يشير الى ان المؤلف المجهول ربما اطلع على كتاب « البيان المغرب » ونقل عنه في هذا الموضوع ، إضافة الى استخدامه لكتاب « المسالك والممالك » للبكري [٢٢٦] .

د ـ **الكتب الأدبية :**

استخدم ابن عذاري في تأليفه بعض الكتب الأدبية ، ويدل على ذلك كثرة اعتماده للشعر والقصائد في كتاب « البيان المغرب » [٢٢٧] . وسوف نشير الى مثال واحد لهذه الكتب ، وهو ديوان الخليفة الموحدي المرتضى . يقول ابن عذاري في حديثه عن هذا الخليفة : «...وكان أديبا عفيفاً شاعرا

(٢٢٣) انظر : البيان المغرب : ١٦/٤ ، وقارن : البكري ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ ـ ١٧٠ .
(٢٢٤) انظر : الانيس المطرب ، ص ١٢٢ ـ ١٣٣ .
(٢٢٥) الحلل الموشية ، ص ١٩ ـ ٢٣ .
(٢٢٦) انظر : البكري ، ص ١٦٦ ، وقارن : البيان المغرب : ٧/٤ ، الحلل المراكشية ص ١٩ .
(٢٢٧) انظر على سبيل المثال ، البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص ٣٤٥ ـ ٣٤٦ ، ٤٥٦ .

ظريفاً غير ان شعره كان ضعيفاً . ووقفت له على سفر مجلد من شعره بنظمه ونثره ... » ، ثم يذكر بعض الأمثلة على شعره ، منها قوله في شهر ربيع ، وقوله في معنى الزهد ، وقوله معتذرا عن لقبه ، وأخيرا قوله في وصف حاله حينما كان مسجونا يرثي نفسه(٢٢٨) . وبطبيعة الحال ، فإن ابن عذاري استفاد من هذا الديوان ، حينما تحدث عن أخبار هذا الخليفة ، وأواخر عهد الدولة الموحديـة .

ثانياً : ـ كتب المشارقة :

كتاب الاكليل للهمداني :

أشار ابن عذاري الى كتاب مشرقي واحد فقط في حديثه عن المرابطين ، وهو كتاب « الاكليل » ، الذي يُعد من الكتب الجليلة في معارف اليمن وفنونها وأنساب ملوكها ، ويقع في عشرة أجزاء . ومؤلفه هو الحسن بن أحمد بن يعقوب ، الذي يُعرف بابن الحائك الهمداني ، وعاش في اليمن الى مابعد سنة ٣٤٠هـ/٩٥١م(٢٢٩) .

وقد استفاد ابن عذاري من هذا الكتاب وأشار اليه والى مؤلفه الهمداني بقوله : « وقد ذكر الهمداني في كتاب « الاكليل » ان صنهاجة من ولد عبد شمس بن وايل بن حمير ، واجتمعت الروايات أن صنهاجة من

(٢٢٨) المصدر نفسه ، ص ٤٥٢ ـ ٤٥٣ .
(٢٢٩) انظر : القفطي ، انباه الرواة على أنباه النحاة ، تحقيق ، محمد ابو الفضل ابراهيم ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٠ : ٢٧٩/١ ـ ٢٨٤ ، ياقوت ، معجم الادباء ، طبعة دار المستشرق ، بيروت ، بدون تاريخ : ٢٣٠/٧ ـ ٢٣١ ، كشف الظنون : ١٤٤/١ ، عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، نشر المكتبة العربية بدمشق ، ١٩٥٧ : ٢٠٤/٣ ، وقارن : مقدمة المحقق لكتاب الاكليل ، تحقيق : محمد بن علي الأكوع الحوالي ، بغداد ، ١٩٨٠ : ٨/٢ ـ ٩ ، ١٧ .

حمير » (٢٣٠) . وهذا النص ، كما يبدو ، قد نقل بتصرف عن كلام الهمداني الأصلي الآتي : « واما مرّة بن عبد شمس ، فأولد فيما يقال والله أعلم : كتامة وعُهامة وصنهاجة ولواتة وزينت وهو زناتة وهم رؤساء البربر ...» (٢٣١) .

وتجدر الاشارة الى ان ابن أبي زرع قد اعتمد أيضاً هذا النص في نسب صنهاجة ، فأشار الى قول : « محمد بن الحسن بن احمد بن يعقوب الهمداني صاحب كتاب الاكليل في الدولة الحميرية ان لمتونة فخذ من صنهاجة وصنهاجة فخذ من ولد عبد شمس بن وائل بن حمير ...» (٢٣٢) . فهل اطلع كل من ابن عذاري ، وابن أبي زرع على « كتاب الاكليل » فعلاً ، وأخذا عنه ؛ أم أن الاثنين نقلا عن مصدر ثالث إستخدم هذا الكتاب ؟ علماً ان معلومات ابن أبي زرع أغزر ، ولايمكن ان يكون قد نقل رواية ابن عذاري المختصرة . ان وجود نص « الاكليل » المذكور آنفاً عند هذين المؤرخين ، واستخدامهما له في الموضوع نفسه ، يرجح اعتمادهما كتاباً ثالثاً أورد هذا النص . ولكن ليس من اليسير تحديد هوية هذا الكتاب ، نظراً لفقدان نصوص معظم الكتب التي استخدمت من قبل ابن عذاري وغيره من المؤرخين المعاصرين له .

* * *

(٢٣٠) البيان المغرب : ٤٦/٤ .
(٢٣١) الاكليل : ١٠٨/٢ .
(٢٣٢) الانيس المطرب ، ص ١١٩ .

الفهرس

سعر النسخة دينار ونصف
وتضاف اليها اجرة البريد

تدفع قيمة الاشتراك سلفاً

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٦٧٦ لسنة ١٩٨٩

JOURNAL
of the
IRAQ ACADEMY

Volume 40
Part (3 — 4)

PUBLISHED BY
THE IRAQ ACADEMY



BAGHDAD
1410 — 1989